The Islamic University – Gaza
Research and postgraduate Affairs
Faculty of Osoul Eddin
Master of Correcting Creed



الجامعـة الإسلاميــة – غـــــــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــة أصـــــول الـــديـــــن
ماجستير العقيـدة والمذاهب المعاصرة

المنـهج النبوي في تصحيح العقيدة

The Prophetic Approach in Correcting Dogma

إعداد الباحث

محمد بن سلمان بن سليمان بركة

إشراف

الأستاذ الدكتور

سعد بن عبدالله بن حسان عاشور

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية
بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

ديسمبر/2016م –ربيع أول/ 1438هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

المنـهج النبوي في تصحيح العقيدة

The Prophetic Approach in Correcting Dogma

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**محمد بن سلمان بركة**	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:

ملخص الرسالة

هدف الدراسة: تناولت هذه الدراسة العلمية موضوعاً هاماً من موضوعات الشريعة الإسلامية، ألا وهو: "**المنهج النبوي في تصحيح العقيدة**"، حيث بيَّنت الواقع العقدي الوثني في بلد البعثة وما حولها من الأرض، وموقف أصحاب هذه العقائد تجاه هذه الدعوة الإسلامية، ونظرة العجم للعرب الذين بُعث منهم النبي ﷺ، وبيان ذلك من خلال ما يلي:

1. بيَّنت الدراسة أهمية العقيدة الصحيحة وثمارها، وتطرقت لبيان أسباب الانحراف العقدي وآثاره السلبية، وسبل الوقاية والعلاج منها.
2. بيان الأساليب والوسائل التي سلكها النبي ﷺ مراعياً حالة الاستضعاف المتمثلة بالعهد المكي، وحالة القوة والتمكين المتمثلة بالعهد المدني، متدرجاً في ذلك، ومراعياً أحوال المدعوين في طبقاتهم وأعرافهم وأفهامهم وأجناسهم، مغلباً جانب الرفق واللين، بما يُبيِّن شدة حرصه ﷺ على هداية الخلق، واحترام آدمية المدعو وكرامته، بما يدلل على صدقه ﷺ في حب الخير للناس كافة، وأن يكونوا جميعاً من أهل الجنة.
3. بيان وجوب تقدير الصحابة ﷺ الذين حملوا هذه العقيدة، وحفظوها، ونقلوها للناس كافة، وأن الطعن فيهم يفضي إلى القدح في العقيدة الإسلامية التي دانوا بها، ونقلوها للناس كافة.
4. بيان منهج النبي ﷺ في التعامل مع المخالفين من أهل الكتاب وغيرهم عرباً كانوا أو عجماً، مبيناً أن القتال في الإسلام ليس غايةً، وإنما هو آخر الوسائل والأساليب لتصحيح العقيدة والدفاع عنها، دون ظلمٍ لأحد، أو إكراهٍ على الإسلام.

منهج الدراسة: اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في بيان المنهج النبوي في تصحيح العقيدة، وذلك بتحليل النص الوارد في المسألة، والعمل على ربطه بالواقع المعاصر ما أمكن في بعض المواضيع، مع مراعاة أن مجرد عرض منهج النبي ﷺ دالٌ على الحق.

والله وليُّ التوفيق

Abstract

Aim of this study: This study covers an important topic from the Islamic law, namely: "The Prophetic Approach in Correcting Dogma". The study shows the dogmatic idolatrous reality in the land of the mission and its surrounding, the believers in their attitude towards Islamic Dawa, and the non-Arabs look towards the Arabs, of whom the Prophet (PBUH) was, as follows:

1- The study shows the importance of correct belief and its outputs and it also addressed the reasons for the dogmatic deviation, its negative effects, ways of prevention and how to deal with them.
2- The study shows the methods and means pursued by the Prophet (PBUH), taking into account the vulnerability of Mecca era, and power and stabilization of Madina era. Also how he took into account the classes, minds, races differences of the addressed people using kindness and gentleness. This shows the intensity of his commitment to guiding all the people and to respect their human dignity that demonstrates his sincere intention to make all of them go to Paradise.
3- The study shows the must of appreciation of the companions of the Prophet (PBUH), who carried this doctrine, sustained it and passed it to all people. In addition, any discredit to them leads to questioning the Islamic Sharia, which they believed in.
4- The study shows the Prophet (PBUH) approach in dealing with violators of the people of the scriptures and the others, whether Arabs or none Arabs, noting that fighting in Islam is not an end, but it is another mean and method to correct the dogma and to defend it, without oppressing anyone or forcing him to be Muslim.

Study Approach:

The researcher used the descriptive and analytical approach to show the Prophet (PBUH) approach in correcting dogma by analyzing the available text in the question and working on linking the contemporary reality as much as possible in some subjects, keeping in mind that just showing an approach as the Prophet (PBUH) approach makes it right.



قال الله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:21]

الْإِهدَاْءُ

إلى والديّ الكريمين

وزوجتي الغالية وأبنائي الأعزاء

وأســـــــتاذي الفاضل

وأمة الإســـــــلام المجيدة

أهـــدي هـــذا العمـــــل المتواضع

شكرٌ وتقديرٌ

أشكر الله تعالى وأحمده أن هداني للإسلام، ووفقني لهذا العمل، ثم أشكر والديَّ الكريمين الذين علماني حُب الدين والدعوة إليه حتى بلغت هذا العمل، وأشكر زوجتي وأبنائي الذين كانوا ردءاً لي على إنجاز هذه الدراسة.

كما أشكر مشرفي الأستاذ الدكتور: سعد عبد الله عاشور، صاحب الدور الكبير في إخراج وإنجاز هذه الرسالة.

وأشكر عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور: جابر زايد السميري، الذي استقيت منه فكرة موضوع الدراسة، والأستاذ الدكتور: أحمد يوسف أبو حلبية.

كما لا أنسى منارة العلم في غزة الجامعة الإسلامية والقائمين عليها، وأخص منهم كلية أصول الدين والهيئة التدريسية في قسم العقيدة بالدراسات العليا، وكل من أعانني على إتمام هذا العمل.

الباحث

محمد بن سلمان بركة

فهرس المحتويات

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن العقيدة أول الواجبات، وأهمها على العبد المكلف، اصطفى الله تعالى لها أفضل خلقه عليهم الصلاة والسلام ليبلغوها لعباده، وجعل لهم منهاجاً ميسوراً، يوافق فطرة خلقه، والمتدبر للكتاب والسنة يجد ذلك جلياً.

وختم الله تعالى رسالة هؤلاء الصفوة عليهم الصلاة والسلام، برسالة نبينا محمد ﷺ وأمرنا باتباع منهجه، فقال ﷻ:﴿...وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾[الحشر:7]، وحذرنا من مخالفة أمره، فقال تعالى:﴿...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63]

وقال رسول الله ﷺ :{مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً}.[1]

وبين أن هديه أفضل هدي فقال ﷺ:{وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ}[2]، ولا فلاح للأمة في الدارين إلا باتباع هدي نبيهم ﷺ، والاستقامة على منهجه.

وقد رأيت أن أكتب في المنهج النبوي في تصحيح العقيدة، رجاء الاهتداء بهديه ﷺ، والدلالة عليه؛ بعد أن ظهرت الحاجة لذلك، من خلال النظر في واقع الأمة، محاولاً ربط ذلك بالواقع المعاصر الذي نعيشه قدر الإمكان مراعياً أن مجرد عرض السُنَّة النبوية دالٌ على الحق، سالكاً منهج النبي ﷺ في توجيهه ونصحه: {مَا بَالُ أَقْوَامٍ...}[3]، راجياً من الله تعالى؛ التوفيق والقَبول والنفع لي ولأهلي والمسلمين كافة.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، رقم الحديث 6757].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجمعة/ باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث 43].

(3) سبق تخريجه، فهو جزء من الحديث الأول، وأحاديث أخرى، تنوعت مدلولاتها في تتمتها.

أ – أهمية الموضوع:

العقيدة أول الواجبات المنوطة على العبد المكلف وأعظمها، وقد اصطفى الله تعالى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من خلقه، وأرسلهم جميعاً لبيان العقيدة الصحيحة.

لذا تنبع أهمية الموضوع من خلال الآتي:

1. الدلالة على المنهج النبوي في تصحيح العقيدة، والدعوة إليه على بصيرة.
2. العقيدة أهم شيءٍ في حياة العبد، فلابد من الاعتناء بصحتها وسلامتها.
3. أن الاعتقاد الصحيح شرط في قبول الأعمال الصالحة.
4. النجاة في الآخرة من العذاب متوقفة على صحة العقيدة.
5. العقيدة الصحيحة أساس في عصمة المسلم من التأثر بما يحيط به من عقائد رديئة، وأفكار منحرفة وآراء فاسدة.
6. العقيدة الصحيحة أصلٌ لتمكين وفلاح المسلمين، في الدارين.

ب – سبب اختيار الموضوع:

طلباً لمعرفة المنهج الصحيح، في تصحيح العقيدة، والدعوة إلى الله تعالى بسلوك المنهج النبوي القويم.

فمعرفة المنهج النبوي لتصحيح العقيدة:

1. يوفر الوقت والمجهود على الدعاة إلى الله تعالى، ويميز العقيدة السليمة من العقيدة السقيمة، وينتهي بالمسلمين إلى تمكينهم في الأرض، فيُنشر العدل ويرفع الظلم عن البشر كافة.

ت – الدراسات السابقة:

جهود السابقين كثيرة في هذا الباب؛ مثل كتب السِّير والشمائل، وكتب العقيدة التي حملت اسم السُنَّة، ككتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيرها، لكن الباحث لم يقف على كتاب يختص بالحديث حول عنوان هذه الدراسة وخطتها من تلك المصادر.

أما في مجالات الكتابة والبحث العلمي المعاصر، فقد وقفت على عدد من الكتب والرسائل العلمية، تناولت ذلك في جانب العقيدة، والتفسير الموضوعي، والحديث الموضوعي، ومجالات الدعوة، وأساليبها التربوية، ولكنها تختلف في أمور كثيرة، مع موضوع هذا البحث الموسوم "المنهج النبوي في تصحيح العقيدة"، ومن تلك الكتب والبحوث:

1- دور العقيدة الصحيحة في علاج الانحرافات العقدية والسلوكية، رسالة ماجستير، من الجامعة الإسلامية بغزة، للباحث زاهر موسى مصطفى الشرافي، وهي مكونة من ثلاثة فصول، عنوان الأول منها، الانحراف العقدي لدي الأمة ودور العقيدة في معالجتها، وعنوان الفصل الثاني الانحراف في التصور الإسلامي ودور العقيدة في علاجه، أما الفصل الثالث فعنوانه الانحراف السلوكي ودور العقيدة في معالجته.

وهذه الرسالة تتوافق في بعض الجوانب اليسيرة من هذه الدراسة المذكورة أعلاه، وتختلف معها في جوانب أخرى كثيرة، لا تجعل مجالاً للناظر فيهما أن يقول بالتكرار، فدراسة الباحث زاهر الشرافي تناولت دور العقيدة بصورة عامة شاملة في علاج الانحرافات العقدية، أما هذه الدراسة فقد ركزت على المنهج النبوي تحديداً في تصحيح العقيدة.

2- الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء. رسالة دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه في برنامج الدراسات العليا المشترك بين جامعة الأقصى في غزة وجامعة عين شمس في مصر للباحث وليد أحمد عويضة، قصد الباحث من رسالته بيان منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناس بشكل عام، والمخطئين منهم بشكل خاص، بجَمعِ الأحاديث التي توافق مواضيع رسالته، ودراستها دراسة تحليلية، ودراسة إسنادية، ولم يتعرض للخطأ في الجانب العقدي إلا قليلاً.

3- مراعاة أحوال الناس في ضوء السنة النبوية، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بغزة في قسم الحديث الشريف وعلومه، للباحث عبد اللطيف الأسطل، قصد الباحث بيان منهج النبي ﷺ في مراعاته لأحوال الناس، من خلال تعدد وسائله وأساليبه، لإيصال الدعوة للناس كافة، ليتسنى من خلال هذه الرسالة توجيه الدعاة والمربين في تعاملهم مع أصناف الناس، بالرجوع للسنة النبوية حتى تثمر دعوتهم، خاصة؛ وأن الأمة الإسلامية تشق طريقها إلى الاستخلاف والتمكين، على حد تعبيره.

4- كتاب منهاج الرسول في تصحيح الأخطاء، للباحث علي نايف الشحود، بيَّن فيه الكاتب أسباب حدوث الأخطاء، والاعتبارات في تصحيحها، من خلال أساليب النبي ﷺ في التعامل مع أخطاء الناس.

5- كتاب المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور حمود أحمد فرج الرحيلي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ذكر فيه أهمية التوحيد، وإغفال الجماعات العاملة في الساحة الإسلامية جانب التوحيد في دعوتها، وبين أهمية العقيدة الصحيحة، ووجوب

التمسك بها، ودعائم المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى وأثره فيها، وأسباب انحراف بعض أبناء الأمة عنه.

وهذا الكتاب يتفق مع موضوع بحثي هذا في بعض الجوانب، ويختلف معه في أمور أخرى كثيرة، فالكلام في بحثي هذا يدور حول سمات المنهج النبوي في تصحيح العقيدة، وتقويم وتثبيت العقيدة عند المسلمين، وتصحيحها عند غيرهم.

6- كتاب الإرشاد في تصحيح الاعتقاد للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان وموضوع الكتاب يدور حول أركان الإيمان، وما يتعلق بها من أحكامٍ عقدية.
7- منهج الرسولﷺ في التربية، رسالة ماجستير من كلية التربية بالجامعة الإسلامية، للباحثة منال موسى دبابش، قُصد بهذه الرسالة التعرف على أسس التربية النبوية، والكشف عن مبادئها، وتوضيح أساليبها، من خلال السيرة النبوية، لتقديم تصورٍ مقترح للاستفادة منه في التربية المعاصرة.
8- بحث في أساليب النبي ﷺ في الدعوة للعقيدة الإسلامية، د. أحمد خزعل جاسم الجامعة الإسلامية ببغداد وهو بحث من ثلاثين ورقة في مجال الدعوة وتأهيل الدعاة، قال الباحث في حاشية صفحة المقدمة:" قام بدراسة مناهج الدعوة من حيث الموضوع د. يحيى علي الدجني في رسالة دكتوراه غير منشورة، بعنوان مناهج الدعوة وأثرها في تأهيل الدعاة، جامعة أفريقيا العالمية، السودان، 2003م، وتعد هذه الدراسة من هذه الصفحة حتى آخر الفصل الثالث اختصار لبعض المباحث من رسالة الدكتوراه".

ث- منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، في بيان المنهج النبوي في تصحيح العقيدة، وذلك بتحليل النص الوارد في المسألة، والعمل على ربطه بالواقع المعاصر ما أمكن في بعض المواضيع، على منهج النبي ﷺ{ما بال أقوام}، مع التذكير بأن مجرد عرض منهج النبي ﷺ دالٌ على الخير.

ج- عملي في البحث:

1- عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقام الآيات في متن الرسالة بعد ذكر الآية، وكتابة الآية بخط مميز.
2- الاستدلال بالآيات القرآنية على المنهج النبوي، لأن منهج النبي ﷺ العمل بالقرآن الكريم، وهو أول قائم به، وكان خلقه القرآن.

3- الاقتصار على الشاهد من الحديث إذا كان الحديث طويلاً، وإلا ذكرت الحديث بتمامه.

4- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية، وذكر الحكم على الأحاديث التي من خارج الصحيحين لمن اشتهر من العلماء بالحكم على الحديث، وذكر اسم صاحب الحكم في الهامش السفلي، إلا إذا كان هو محقق المصدر الحديثي فأكتفي بذكر حكمه على الحديث فقط، على أن يكون اسمه مدرجاً مع اسم المصدر وبياناته في فهرس المصادر والمراجع.

5- إذا تعددت المصادر التي أخرجت الحديث أكتفي بواحدٍ منها، وكذلك في الحكم على درجة الحديث الذي من خارج الصحيحين.

6- نسبة الأثار والأقوال الواردة في البحث؛ لأصحابها وفق التوثيق العلمي.

7- الترجمة لبعض العلماء الواردة أسماؤهم في متن البحث.

8- توثيق المعلومات، وذلك بذكر اسم الكتاب ثم المؤلف والجزء والصفحة.

9- بيان وتعريف الكلمات الغريبة.

10- ذكر الفهارس العلمية في نهاية البحث.

خطة البحث:

وتشتمل على المقدمة، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وجهود السابقين، ومنهج البحث، وخطة البحث،

وتشتمل على: الفصل التمهيدي، وثلاثة فصول، على النحو التالي:

الفصل التمهيدي

المنهج والعقيدة الصحيحة وما يخالفها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات موضوع البحث، وعلاقتها بالبحث وأهمية العقيدة الصحيحة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات موضوع البحث

أولاً: تعريف المنهج لغةً وشرعاً.

ثانياً: تعريف التصحيح لغةً وشرعاً.

ثالثاً: تعريف العقيدة لغةً وشرعاً.

المطلب الثاني: العلاقة بين العقيدة والمنهج.

المطلب الثالث: أهمية العقيدة الصحيحة وقدرتها على التغيير والثبات.

المبحث الثاني: التوجهات العقدية في الجزيرة العربية ومحيطها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة العقدية في جزيرة العرب.

المطلب الثاني: الحالة العقدية في محيط جزيرة العرب.

المطلب الثالث: موقف الناس في الجزيرة العربية، ومحيطها، حيال دعوة النبيﷺ.

المبحث الثالث: أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب انحراف الناس في المنهج العقدي.

المطلب الثاني: الآثار المترتبة على انحراف الناس في المنهج العقدي.

الفصل الأول

سمات المنهج النبوي في تصحيح العقيدة

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: أولوية تصحيح العقيدة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهمية التوحيد.

المطلب الثاني: التربية العقدية بين العهد المكي والمدني.

المطلب الثالث: العلاقة بين العقيدة والعقوبات الشرعية.

المطلب الرابع: خطر الفساد العقدي.

المطلب الخامس: تقديم الأهم على المهم.

المبحث الثاني: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الشعائر التعبدية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الذكر والدعاء.

المطلب الثاني: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الصلاة وبناء المساجد.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الذبائح والنذور والأيمان.

المطلب الرابع: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال شعائر الحج والعمرة.

المطلب الخامس: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الأعياد.

المبحث الثالث: المنهج النبوي في بيان مكانة الصحابة ﷺ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالصحابة، وفضلهم في الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: التلميح بما سيجري بين الصحابة، والتحذير من الوقوع فيهم.

المبحث الرابع: المنهج النبوي في بيان افتراق الأمة، وسبل علاجه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان افتراق الأمة في مناهجها العقدية، وسبل علاجه.

المطلب الثاني: بيان تداعي الأمم على المسلمين، وسبل علاجه.

المبحث الخامس: المنهج النبوي في بيان أمر الخلافة على الأمة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحديد نوع الخلافة على الأمة.

المطلب الثاني: بيان حق الولاة على الأمة، وحق الأمة على الولاة.

المطلب الثالث: التوجيه النبوي للأمة عند فساد ولاتها.

المطلب الثاني: اليهود في عصر النبوة .

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة اليهود.

المبحث الرابع: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة النصارى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالنصارى، وطوائفهم المشتهرة.

المطلب الثاني: النصارى في عصر النبوة.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة النصارى.

المبحث الخامس: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة المجوس.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمجوس، وطوائفهم المشتهرة.

المطلب الثاني: المجوس في عصر النبوة.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة المجوس.

المطلب الرابع: الشيعة، وعلاقتهم بالمجوس.

الخاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث التي تم التوصل إليها، بالإضافة إلى أهم التوصيات المقترحة.

الفصل التمهيدي

المنهج والعقيدة الصحيحة وما يخالفها

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات موضوع البحث

أولاً: تعريف المنهج لغةً وشرعاً

أ- تعريف المنهج لغةً:

المنهج مشتقٌ من النهج، بمعنى الطريق، ونهج فلانٌ الطريق: أي بينه[1]، والمنهاج والمنهج كالنهج، وهو الطريق الواضح[2]، والطريق المستقيم، ويقال: نَهَجْتُ الطريق: أَبَنْتُه وأَوضَحتُه، وأيضاً سَلَكتُه، وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيل فلانٍ، أَي: يَسلُكُ مَسلَكَه.[3]

ويقال للخطة المرسومة منهاجاً.[4]

وفي التنزيل العزيز:﴿ ...لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴾[المائدة:48]، أي" طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه"[5]، وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما:"{شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}؛ سَبِيلًا وَسُنَّةً".[6]

والمعنى أن:" المنهاج السبيل؛ أي: الطريق الواضح، والشرعة والشريعة بمعنى واحد، وقد شرع؛ أي: سن"[7]، وعن الْعَبَّاسِ رضي الله عنه قال:" لَمْ يَمُتْ رسولُ الله ﷺ حَتَّى تَرَكَكُم عَلَى طريقٍ ناهِجةٍ"[8]، "أَي: واضحةٍ بَيِّنَةٍ".[9]

---

(1) انظر: الرازي، مُجمل اللغة (ج845/3).

(2) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص506).

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج383/2).

(4) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج957/2).

(5) السيوطي، تفسير الجلالين (ص146).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ قول النبي ﷺ: {بني الإسلام على خمس}، تعليقاً بصيغة الجزم، 11/1]، وسنده متصلٌ صحيح. انظر ابن حجر، فتح الباري (ج48/1)].

(7) ابن حجر، فتح الباري (ج48/1).

(8) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج383/2)، والأثر: "مُتَّصِلٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ". انظر:البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (ج527/2).

(9) ابن منظور، لسان العرب(ج383/2).

ب– تعريف المنهج وشرعاً:

يُرى من خلال النظر في التعريف اللُّغوي، وسيرة النبي ﷺ أن التعريف الشرعي للمنهج، هو الطريق الواضح البيِّن المستقيم، الذي سلكه نبيُ اللهِ محمدٌ ﷺ بتوجيهٍ من ربِّه تبارك وتعالى لفهم النصوص الشرعية، وتصحيح العقيدة، وتعليم التشريع الإسلامي للناس كافة.[1]

ثانياً: تعريف التصحيح لغةً وشرعاً

أ– تعريف التصحيح لغةً:

صحَّ: الصَّاد والحاء: أصلٌ يدل على البراءةِ من المرض والعيب، والصِّحةُ ذهاب السَّقم[2]، والصَّحيحُ: هو البريءُ من كل عيبٍ وريبٍ، وصَحَّحْتُ الكتابَ والحسابَ تصحيحاً إذا كان سقيماً فأصلحتُ خطأَه[3]، والصحيح من الأقوال: هو ما يعتمد عليه[4]،والتصحيح أيضاً: هو إزالة السقم.[5]

ب– تعريف التصحيح شرعاً:

هو فعلٌ يراد به إزالةُ الأخطاء التي تخالف العقيدة الإسلامية أو تشريعاتها، بما يُعتمدُ من الأقوال والأفعال العقدية والشرعية، على بصيرةٍ.[6]

---

(1) لم يقف الباحث على كتابٍ عرف المنهج في الاصطلاح الشرعي، سوى كتاب الدكتور: العتيبي، بيان المنهج والمنهاج، لكن الباحث لم يعثر على الكتاب، لا في المكتبات، ولا على الشبكة العنكبوتية، فقام بتسطير هذا التعريف بناءً على التعريف اللغوي، بما يتوافق مع موضوع بحثه.

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج3/281).

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج2/507–508).

(4) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج1/507).

(5) انظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص98).

(6) سُطر هذا التعريف من خلال النظر في التعريف اللغوي للتصحيح، بما يتوافق مع موضوع البحث أعلاه، حيث إن الباحث لم يقف على تعريفٍ في الاصطلاح الشرعي، سوى تعريف التصحيح في علم الفرائض، وتعريف الصحيح في علم أصول الفقه، وهي تعريفاتٌ لا توافق موضوع البحث.

ت- موضوع التصحيح:

يلاحظ من التعريف اللُّغوي والشرعي للتصحيح؛ أنه يندرج تحت باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد عرَّف ابن الأثير رحمه الله تعالى المعروف والمنكر بقوله:"المعروفُ هو اِسمٌ جامعٌ لكلِّ ما عُرف من طاعةِ الله والتقرُّبِ إليهِ، والإحسانِ إلى الناس، وكلُّ ما نَدَب إليه الشَّرعُ، ونهى عنه من المُحَسِّنَات والمُقَبِّحات".[1]

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على كل مسلمٍ حسب قدرته، فيما يعلم من الواجبات الظاهرة، والمحرمات المشهورة في الإسلام، إلا ما تعلق بالاجتهاد، والمسائل الكبرى من الدين، فهذا للعلماء، وقد دل على هذا الوجوب؛ الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا يشترط كمالُ حالِ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر واستقامته، بل يأمر وينهى، وإن كان مخالفاً لما يأمر به وينهى عنه، فإنه يجب عليه في هذا أمران: أن يأمر نفسه وينهاها، وأن يأمر غيره وينهاه.[2]

ومما جاء في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أدلةٍ شرعية ما رواه مسلمٌ عن أبي سعيدٍ الخدري ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ}.[3]

والحديث يُفيد أن تغيير المنكر يكون على مراتب حسب الاستطاعة، وليس الإنكار بالقلب الذي في المرتبة الأخيرة من التغيير؛ لكنه الذي في وسع المُنْكِر، وهو أقله ثمرة[4]، ينجو به العبد من إقرار المعصية على صاحبها، فلا يأثم.

وعن حُذيفة بنِ اليمان ﵁ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ}.[5]

---

(1) الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج216/3).

(2) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج22/2) وما بعدها.

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، 69/1: رقم الحديث 49].

(4) انظر: النووي، المنهاج (ج25/2).

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج332/38)]، حسن لغيره.

"والمعنى: والله أن أحد الأمرين واقعٌ، إما الأمر والنهي منكم، وإما إنزال العذاب من ربكم، ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم، بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان، فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذابٌ، وإن لم يكونا؛ كان عذابٌ عظيم".[1]

وهذا يبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصحيح أخطاء الناس، عقدية كانت، أو شرعية، أو أخلاقية؛ ليس فضولاً، ولا تدخلاً في خصوصيات الآخرين، كما يعتقد بعض الناس، إذا كان وفق الضوابط الشرعية، التي منها الحكمة، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ...﴾[النحل:125]، فالأمر في هذا الآية للنبي ﷺ[2]، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أي أن الأمر وإن كان موجه للنبي ﷺ لكن الخطاب فيه عامٌ للأُمَّة كلها.[3]

وتعريف الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى هو:" فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي"[4]، أي التعامل مع المواقف بما يناسبها، لأجل تحقيق المراد من الأمر والنهي، حسب القدرة.

ثالثاً: تعريف العقيدة لغةً، وشرعاً

أ- تعريف العقيدة لغةً:

كلمة العقيدة من الفعل الثلاثي عقد، فإن"العين والقاف والدال: أصل واحد، يدل على شدٍّ وشدةِ وُثوق"[5]، فيقال: اعْتَقَدْ الرَّجلُ كذا: أي عَقَد قلبه بشدةٍ وثقةٍ عليه دون شكٍ، ومن ذلك قيل العَقِيدَةُ: وهي ما يدين به الإنسان، ويقال: له عَقِيدَةٌ حسنةٌ: أي سالمة من الشكِّ.[6]

ب- تعريف العقيدة شرعاً:

مصطلح العقيدة له مرادفات عند السَّلف، وأتباعهم، منها: الإيمان، وأصول الدين، والشريعة، والفقه الأكبر، وكذلك السُنة، ليميِّزوا بين عقيدة أهل السُنة، وعقيدة أهل البدعة.[7]

---

(1) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (ج6/391).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/613).

(3) انظر: الرازي، المحصول في علم الأصول (ج3/125-126).

(4) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج2/479).

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج4/86).

(6) انظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (ج2/421)، ومصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج2/614).

(7) انظر: الحراني، مجموع الفتاوى (ج19/177).

ومن تعريفات السابقين الشرعية للعقيدة، هي: "ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل".[1] ومن التعريفات المعاصرة: التصديق الجازم بالحقائق الإيمانية الواردة في الكتاب والسنة، المتعلقة بالإلهيات والنبوات والسمعيات، تصديقاً جازماً، لا شك فيه.[2]

والتصديق الجازم في هذا التعريف لا يصح شرعاً؛ إلا باتباع سُنة النبي ﷺ، وقد سبق أن من مرادفات العقيدة: السُنة، والله تعالى يقول:﴿ ... **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ...﴾ [الحشر:7]، "فالآية أصلٌ في وجوب العمل بالسُنة: قولاً، أو فعلاً، أو تقريرًا"[3]، خاصةً في أبواب الاعتقاد التي لا تدرك بالعقل، وقد امتثل الصحابة ﷺ للأمر في هذه الآية وعملوا بمقتضاها، وشهد لهم النبي ﷺ بذلك فقال:{... تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي}.[4]

وقد سار السلف في القرون الفاضلة على منهج الصحابة ﷺ، وهم من كان على ما كان عليه الصحابة ﷺ وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين، ممن شُهد له بالإمامة، وعظم الشأن في الدين، وتلقى الناس كلامهم بالقبول، دون من رُمي منهم ببدعة، أو اشتُهر بلقبٍ غير مرضيٍ من الفرق التي خالفت منهجهم.[5]

وعلى هذا المعنى يحمل كلام النبي ﷺ حيث قال:{خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم}[6]، فهذا الحديث شهادةٌ من الله تعالى، ورسوله ﷺ بصحة عقيدتهم، ووجوب اتباعهم.

المطلب الثاني: العلاقة بين العقيدة والمنهج

من خلال التعريفات في المطلب السابق، والنظر في سيرة النبي ﷺ؛ يتبيَّن أن المنهج الذي عُرِف بالطريق، والطريق فيه الأُسلوب والوسيلة، أعم من العقيدة، حيث أن موضوع علم العقيدة يتعلق بأركان الإيمان وموضوعاتها من دعوة النبي ﷺ، بينما المنهج يشمل جميع أحكام

---

(1) الجرجاني، التعريفات (ص196).

(2) انظر: عاشور، التبيان شرح أركان الإيمان (ج5/1).

(3) انظر: التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص546).

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، الإيمان/ باب ما جاء في افتراق الأمة، 381/4: رقم الحديث2641]. والحديث حسن، كما قال الألباني في الجامع الصغير، 944/2: حديث رقم5343].

(5) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج20/1).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، أصحاب النبيﷺ/ باب فضائل أصحابﷺ، 2/5: رقم الحديث 3650].

الإسلام التي منها العقيدة، ومنها أحكام العبادات والأحوال الشخصية، والمعاملات المالية، والسياسة الشرعية، والأخلاق والرقائق، وغيرها.[1]

لكن العقيدة تتميز بأنها تدخل في كل شيءٍ من أمور الدين؛ لأنها الدافع والمحفز لجميع الطاعات، كما جاء في بيان أركان الوضوء، والأمر بفعلها في قوله تعالى:﴿ ...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾[المائدة:6]، فالنداء في الآية جاء بلقب الإيمان، وهو لفظٌ عقدي، من مرادفات مصطلح العقيدة، كما سبق في تعريف العقيدة، ناهيك أن العقيدة هي الأساس والركن الأول في دعوة كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما أخبرنا الله تبارك وتعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:25]، وعليه فإن كان المنهج في فهم النصوص الشرعية والعمل بها على منهج النبي ﷺ كما كان من الصحابة الكرام ﷺ وأتباعهم، كانت النتائج محمودة، وإن كان المنهج مخالفاً؛ كانت النتائج والعواقب مذمومة، وهذا القول لا يخالف قول من يرى أن العقيدة والمنهج شيءٌ واحدٌ[2]، أي: أنهما متلازمان؛ لأن هذا الرأي خرج من باب أنهما وحي من الله تعالى، حيث قال ﷻ:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)﴾[النَّجم]. فإذا صح أحدهما صح الآخر، وإذا فسد أحدهما فسد الآخر غالباً، ويترتب على هذا الفساد فساد الدين وإقامته، كما هو ماثلٌ في حال الرافضة الشيعة.

---

(1) وقفت بعد تسطير هذا التعريف على كلامٍ للشيخ صالح الفوزان يميل فيه إلى هذا القول. انظر: الفوزان، الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة (ص123).

(2) هذا الرأي للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله. انظر: المدخلي، الثبات على السنة (ص53).

المطلب الثالث: أهمية العقيدة الصحيحة وقدرتها على التغيير والثبات

إن حاجة الناس للدِّيْن والعلم به أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، بل ومن النَّفَس[1]، لأن الإنسان إذا فقد الطعام والشراب، أو النَّفَس؛ فغاية ذلك أن يفارق الدنيا، أما إذا فقد الدِّيْن فقد خسر الدنيا والآخرة، وأساس أمر الدِّيْن العقيدة، فبالعقيدة يكرم الإنسان ويأمن وتحفظ حقوقه في الدنيا، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:82]، أي: الذين أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يشركوا به شيئاً، واستقاموا على دينه؛ هم المهتدون لكل خيرٍ، والآمنون المطمئنون في الدنيا من عذاب الله والشقاء والمخاوف[2]، ويسعد بالجنة وينجوا من النار يوم القيامة، قال النبي ﷺ:{مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ}[3]، حتى وإن لم يعمل بعض المسلمين من الصالحات شيئاً، ودخل النار، فإنه لا يخلد فيها، وما ذاك إلا بفضل عقيدة التوحيد، قال النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة قوله:{وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي؛ لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ:لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}[4]، فهذا يبين فضل العقيدة الإسلامية، وفضل بقاء أهل الإسلام عليها صحيحة كما جاء بها نبيهم ﷺ.

وللعقيدة الصحيحة قدرةٌ على تغيير حال العباد إلى أحسن حال، وثباتهم على دينهم، وما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويمكن بيان بعض من هذه الجوانب من خلال الآتي:

أولاً: قدرة العقيدة الصحيحة على التغيير

1. إفراد الله بالعبادة

كان العرب في الجاهلية يعبدون الشجر والكواكب والأصنام التي يصنعونها من كل شيء، حتى من الأشياء التافهة[5]، وكان الفُرس يعبدون النار، وقد ضيَّعوا أعراض الناس

---

(1) انظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة لابن القيم (ج63/1)، (ج319/2).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج294/3) و(ج336/6)، السعدي، تفسير السعدي (ص263)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص138).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، 57/1: حديث رقم 59].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، 146/9: رقم الحديث 7510].

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج99،119/17)، ابن حجر، فتح الباري (ج384/10).

وأنسابهم بزعمهم شراكة الخلق في كل شيءٍ، حتى الأموال والنساء[1]، وكفر اليهود فكتموا الحق وحرفوا التوراة وابتدعوا ديناً يخصهم[2]،

وزعم النصارى من الروم وغيرهم أن الله ثالث ثلاثة، وأباحوا المحرمات[3]، فأرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، يدعو الناس إلى ربهم، يقول:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا}[4]، فاستجاب غالب الناس في جزيرة العرب بعد فتح مكة، وجعل الله تعالى استمرار علو شأن المؤمنين منوطٌ ببقائهم على توحيد ربهم وعملهم بمقتضاه[5]، وبين ﷻ عظيم مِنَّته على أهل الإيمان بإرساله النبي ﷺ وما جعل لهم من الكرامة والفلاح، وخلاصهم من الضلال على يديه، فقال ﷻ:﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:164].

2. تحرير الإنسان من التبعية، والدعوة لإعمال الفكر

كان الكفار يردون دعوة النبي ﷺ بشبهة يحتجون بها على شركهم وإعراضهم عن توحيد خالقهم ﷻ، وهي أنهم على مذهب ودين آبائهم وأجدادهم، يقلدونهم ويهتدون بهديهم في ذلك، قال تعالى مخبراً عن حالهم، ودعوتهم التي كانت بلا دليل:﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزُّخرف:22][6]،"هذا الكلام مَسُوقٌ مساقَ الذَّمِّ لهم، إذ لم يُقَارِنُوا بين ما جاءهم به الرّسول، وبين ما تلقوه من آبائهم، فإن شأن العاقل أن يميّز ما يُلْقَى إليه من الاختلاف، ويعرضه على مِعْيَارِ الحق، والْأُمَّةُ هنا بمعنى الْمِلَّةِ وَالدِّينِ"[7]، فدعاهم للتحرر من تبعية الجاهلية بالتأمل في عظيم خلق الله من خلال واقع حياتهم الذي يشاهدونه، فقال تعالى:﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18) وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ

---

(1) انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج419/1).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج242/5)، وما بعدها، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج323/2).

(3) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج219/1-221)، البغوي، معالم التنزيل (ج39/4،38).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج148/27)]، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(5) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج249/5)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج622/6)، السعدي، تفسير السعدي (ص936).

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج224/7)، صديق خان، فتح البيان (ج339/12)، السعدي، تفسير السعدي (ص763).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج187/25).

نُصِبَتْ(19) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(20)﴾[الغاشية]، كما دعاهم بإعمال العقل والتفكر بتدبر القرآن الكريم، فقال ﷻ:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء:82]. فانتفع من آمن وتدَّبر وهداه الله لذلك، وضل وخسر من أعرض، وأصر على عدم إعمال عقله بالتبعية وضلالها.

3. **نيل الخيرية بشرف الإيمان بالله والدعوة إليه**

قال الله تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ.... ﴾[آل عمران:110].

قوله تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، هذه الخيرية لأهل العصر النبوي، لأنهم اجتمعوا واتفقوا على الإيمان بالله تعالى والاستقامة عليه، وتواصوا على دعوة الناس إلى أعظم المعروفات؛ وهو الإيمان بالتوحيد والنبوة، ونهيهم عن أعظم المنكرات، وهو الكفر بالله وإنكار النبوة، وقد يسوقونهم في بعض الأحيان سوقاً بالجهاد الذي ما شُرع إلا لذلك، ويلحق بأهل عصر النبوة في نيل هذا الشرف بعدهم من سار من الأمة على منهجهم هذا، وقد سيقت كلمات هذه الآية الكريمة لفوائد عدة، منها: التأكيد على ما دعت إليه، وتثبيت وحث المؤمنين عليه(1)، وبيان التغيير العظيم الذي تحدثه العقيدة الصحيحة في حامليها، فقد كان العرب قبل الإسلام في مؤخرة الأمم، فما نالوا هذه الصفات العُلى إلا بعدما صحت عقيدتهم.

4. **رد الأوهام والخُرافات والاعتقاد بتأثير شيءٍ دون تقدير الله تعالى**

ومن ذلك ما كان من عادات العرب ومعتقداتهم في جاهليتهم أنهم يتشاءمون بالزواج في أشهر الحج، ولا يرون خيراً في الزواج والعرس فيهما، فرد النبي ﷺ عليهم معتقدهم هذا بزواجه من عائشة رضي الله عنها في شهر شوال؛ ليُزيل آثار شرك الجاهلية وأوهامها ويبطل معتقداتها(2)، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟".(3)

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج170/4)، صديق خان، فتح البيان (ج310/2)، المراغي: تفسير المراغي (ج30/4)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج48/4)، أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج439/1).

(2) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج346/2)، الوالي، ذخيرة العقبى (ج130/27).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، النكاح/ استحباب التزوج والتزويج في شوال واستحباب الدخول فيه، 1039/2: رقم الحديث 1423].

قال النووي رحمه الله: "فِيهِ اِسْتِحْبَاب التَّزْوِيج وَالتَّزَوُّج وَالدُّخُول فِي شَوَّال...وَقَصَدَتْ عَائِشَة بِهَذَا الْكَلَام رَدّ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّة عَلَيْهِ، وَمَا يَتَخَيَّلهُ بَعْض الْعَوَامّ الْيَوْم مِنْ كَرَاهَة التَّزَوُّج وَالتَّزْوِيج وَالدُّخُول فِي شَوَّال، وَهَذَا بَاطِل لَا أَصْل لَهُ، وَهُوَ مِنْ آثَار الْجَاهِلِيَّة، كَانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِذَلِكَ"[1]، لتوهمهم واعتقادهم أن اشتقاق اسم شوال من الإشالة، أي: الإزالة[2]، وهو كنايةٌ عن وقوع الهلاك بين الزوجين وإزالة الوفاق بينهما، لذلك قالت أمنا عائشة رضي الله عنها تأكيداً لبطلان هذا الوهم ومعتقده: "فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟"، أي: أنها نالت حظوتها منه، فلم يُنقص زواجه منها في شوال مكانتها عنده ونصيبها منه.[3]

وهذا يفيد: أن من منهج النبي ﷺ في إزالة الشرك وآثاره، ومعتقدات الجاهلية الباطلة، وكل ما يخالف شرع الله تعالى؛ البيان بالتطبيق العملي، حتى يظهر الحق ويرد الباطل.

فحريٌ بدعاة الخير التَّأسي بنبيهم ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى في كل أبواب الشرع، وبالاجتهاد في تصحيح العقيدة و"إزالة ما كان عليه عادة الناس، من التشاؤم في بعض الشهور، أو الأيام، أو الأشخاص، فإن ذلك من آثار الشرك، وما أكثره اليوم في شتّى بقاع الأرض، بشتّى أنواع الخرافات، فلا حول ولا قوّة إلا باللّه".[4]

5. جمع الناس وتقوية أواصرهم بعقيدة الولاء والبراء

كان الناس قبل الإسلام تسودهم الفرقة والتناحر على سلطانهم وقبليتهم ومصالح دنياهم، وإذا اجتمع بعضهم اجتمعوا على غير برٍ غالباً، لا يجمعهم نظامٌ عادلٌ، ولا يحكمهم شرعٌ سويٌ، فلما أكرمهم الله ﷻ بالإسلام جمع فرقتهم وقوَّى رابطتهم على خيرٍ وبرٍ وتواضعٍ ورحمةٍ بينهم كأنهم جسدٌ واحدٌ، ووجه شدتهم وقوتهم في اتجاهها الصحيح، قال تعالى مخبراً عن ذلك، ودالاً عليه:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ...﴾[الفتح:29]، فبين ﷺ أنه دل الناس على دينه وحثَّهم عليه، وزكَّاهم بتغيير ما بأنفسهم من جهلٍ وفسادٍ وفرقةٍ، خاصةً العرب الذين أعدهم لدلالة الناس على الخير، بعد أن اختار نبيه ﷺ من بينهم، لما فيهم من سمات الخير التي لم تكن في غيرهم، وهذا الخطاب وإن كان للصحابة الكرام ﷺ الذين أشرق نور الإيمان في قلوبهم، لكن الأمر يعُمُّ كل مسلمٍ يقتفى آثارهم وينتهج منهجهم، فحريٌ

---

(1) النووي، المنهاج (ج209/9).

(2) انظر: القاري، مرقاة المفاتيح (ج2066/5).

(3) انظر: الولَّوي، ذخيرة العقبى (ج131/27).

(4) الولَّوي، ذخيرة العقبى (ج131/27).

بالمسلمين في كل زمان ومكان أن يراعوا هذا المنهج، فيظهروا الرحمة والتعطف بينهم ويتعاشروا بها، ويبدوا الشدة على من كفر بالله وأظهر العداء للمؤمنين به، وقاتلهم لذلك.(1)

6. حفظ العِرْض والنسل والنفس

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: "أَنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ؛ فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ، يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ، أَوْ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا، ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ؛ كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا، وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا؛ أَصَابَهَا زَوْجُهَا، إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ، وَنِكَاحٌ آخَرُ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشَرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ، فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ؛ يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ، لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ الْبَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا وَدَعَوْا لَهُمْ الْقَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ وَدُعِيَ ابْنَهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ".(2)

قولها رضي الله عنها: "أَنَّ النِّكَاحَ"، أي: الزواج"، وقولها: "فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ"، أي: على أربعة أنواع قبل الإسلام، وتحديد عدد هذه الأنواع في الحديث ليس على سبيل الحصر؛ بل على ذكر المشهور منها، وقولها: "فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ"، أي: الزواج الذي أحله الإسلام وأمر به، وهم والمسلمون من بعدهم عليه إلى يومنا هذا، وقولها: "فَيُصْدِقُهَا"، أي يدفع مهرها، و"طَمْثِهَا"، أي: حيضها، "فَاسْتَبْضِعِي"، من المباضعة، وهي الجماع، والمراد: اطلبي من رجلٍ معين الجماع لتحملي منه وذلك "رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ"، أي: أملاً في أن يكون الولد بصفاتٍ حميدة كصاحب الشأن والشجاعة التي اختارته لتستبضع منه، و"الْقَافَةَ"، جمع قائف، وهو الذي يعرف بالشبه وصفات خفية في المولود مَن أبوه، ومعنى "فَالْتَاطَ بِهِ"، أي

(1) انظر: القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (ج119/13،118)، السعدي، تفسير السعدي (ص795)، علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (ج166/11)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج204/26).
(2) [البخاري: صحيح البخاري، النكاح/ من قال: لا نكاح إلا بولي، 15/7: رقم الحديث 5127].

أُلصق وألحق به إلزاماً، وقولها رضي الله عنها: "فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ، إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ"، أي: أن النبي ﷺ بعدما بعثه الله وآمن به الناس قرر لهم الزواج الشرعي الصحيح[1]الذي حفظت به الأعراض والأنساب والأنفس من الأمراض ومن كل الآفات، وما كان ذلك التغيير لحال الناس وهذا الخير الذي نالوه إلا بعد أن صحت عقيدتهم، وهذا الخير يبقى ماثلاً في المسلمين طالما استقاموا على دينهم.

7. تحسين الأخلاق والعادات

لا شك أن الخلق بغير دينٍ تقل فيهم الأخلاق، وتكثر فيهم الرذائل، فلا ضابط يضبط أخلاقهم، ولا مرشد يدلهم على الخير، ولا حُكْمَ يعاقب على سوء الفعل واختلال الأخلاق، بل ميزان القوة والهيمنة المبني على المنافع المؤقتة واللذات الدنيوية هو المسيطر، إلا ما بقي من آثار دعوة الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام، وما بقي من آثار الفطرة، فتغيرت أحوالهم هذه بعد أن صحت عقيدتهم، وأصبحوا دعاة توحيدٍ وخُلق لأهل الأرض، وهذا الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب ﷺ، يصف هذه الأحوال عند العرب للنجاشي ملك الحبشة الذي أسلم رحمه الله، حيث قال:"كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ"[2]

وعن أبي سفيان يؤكد كلام جعفر رضي الله عنهما، حين وصف دعوة النبي ﷺ لهرقل عظيم الروم، في أنه أمر الناس: "بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ".[3]

ثانياً: قدرة العقيدة الصحيحة على الثبات

قدر الله تعالى بحكمته الابتلاء على الناس، وهو واقعٌ لا محال، قال الله تعالى:﴿ الم(1) **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ(2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ**

---

(1)انظر:ابن حجر،فتح الباري(ج184/9)،العيني،عمدة القاري(ج122/20)،الصنعاني،سبل السلام(ج120/3)

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج266/3)]، إسناده حسن.

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الشهادات/ من أمر بإنجاز الوعد، 3/ 180: رقم الحديث 2681].

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ(3) ﴾[العنكبوت]، ولا يكون الثبات في الابتلاءات والمحن؛ إلا بالعقيدة الصحيحة، وقد ضرب الله تعالى في القرآن الكريم أمثلةً على ذلك، منها قوله تعالى:﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[إبراهيم:27].

والمعنى:" يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وما جاء به من الدين الحق؛ يثبتهم الله به في الحياة الدنيا، وعند مماتهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال المَلَكين بهدايتهم إلى الجواب الصحيح".[1]

ومن النماذج التي تذكر في حياة السلف وتدلُّ على فضل صحة العقيدة، ومدى ثبات أهلها عند الشدائد ما يلي:

1. ثبات الصحابة ﷺ في فتنة الخلاف على الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ

اختلف الناس في أمر تولية الخلافة بعد قبض النبي ﷺ، فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة؛ على أن يولوا على أمر المسلمين واحداً من الأنصار، فتكون الخلافة فيهم، أو يكون منهم أميرٌ، ومن المهاجرين أمير، فهم أهل الدار، والنصرة لدين الله تعالى ورسوله والمؤمنين، فجاء بعض الصحابة من المهاجرين على رأسهم الصديق رضي الله عنه، وبين للأنصار فضلهم ومكانتهم، وأن أمر الولاية ليس لهم، واحتج عليهم بحديث النبي ﷺ [2]:{الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ}[3]، فاستقام الجميعُ على ذلك، وانفض الخوض في أمر الخلافة وبويع للصديق بإجماع المسلمين.[4]

(1) التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص259).

(2) انظر: الإشبيلي، العواصم من القواصم(ص61) وما بعدها، الحلبي، السيرة الحلبية (ج482/480/3).

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج21/33)]،صحيح لغيره.

(4) انظر: ابن العربي، العواصم من القواسم (ص62/61)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج483/3).

2. ثبات الصحابة ﷺ في فتنة الردة

من الابتلاءات الشديدة التي وقعت في حياة الصحابة ﷺ الردة عن الإسلام التي أحدثها ناسٌ من العرب بعد قبض النبي ﷺ، قالت أُمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، وَاشْرَأَبَّ النِّفَاقُ".(1)

ولم يبق من العرب على الإسلام إلا القليل، كما ادَّعى النبوة بعض السفهاء من العرب، وانضم إليهم الناس من حولهم، وقد أمر الصديق ﷺ بتسيير جيش أسامة ﷺ جهة الشام إنفاذاً لما قدره رسول الله ﷺ قبل انتقاله للرفيق الأعلى، رغم إلحاح الصحابة ﷺ عليه بتأخيره حتى تنتهي فتنة الردة، فقل عدد المسلمين بذلك، فطمع أهل الردة فيهم، وجاؤوا إلى المدينة يفاوضون الصديق ﷺ في المداومة على الصلاة وترك الزكاة، وحاول بعض الصحابة ﷺ اقناع الصديق ﷺ قبول ذلك منهم، تأليفاً لقلوبهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، فأبي الصديق ﷺ ذلك، وقال:" وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا."(2)

فشرح الله صدور الصحابة ﷺ لرأي أبي بكر ﷺ، وقام ليله يتهيأ؛ يعبئ الناس، للدفاع عن المدينة النبوية، وقتال أهل الردة، رغم قلة عدد الموحدين في مقابل المرتدين، وطافت الجيوش المحمدية في الجزيرة العربية؛ لكسر قرن الشيطان، وأتباعه المرتدين؛ حتى رجعوا إلى دين الله أفواجاً، وقويت شوكة أهل الإيمان، وكانت العاقبة للصحابة الكرام ﷺ؛ لأنهم هم المؤمنون المتقون العادلون.(3)

3. ثبات المسلمين من أهل الشام في فتنة معركة صفين

من الفتن التي كانت في زمن الصحابة ﷺ أيضاً ما جرى بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في صفين(4)وانتهاز الفرصة الخبيثة من

---

(1) [الطبراني، المعجم الأوسط (ج148/5)]، وقال الهيثمي "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ مِنْ طُرُقٍ، وَرِجَالُ أَحَدِهَا ثِقَاتٌ"، الهيثمي، مجمع الزوائد برقم (14337)،(ج50/9). ومعنى"واشرأب النفاق": ظهر بقوة. انظر: مصطفى وآخرون،المعجم الوسيط (ج477/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، قَتْلِ مَنْ أَبَى قَبُولَ الْفَرَائِضِ وَمَا نُسِبُوا إِلَى الرِّدَّةِ، 15/9: رقم الحديث 6924].

(3) انظر: ابن العربي، العواصم من القواسم(ص64/63)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج437/160/9) وما بعدها.

(4) انظر: ابن العربي، العواصم من القواسم (ص166)، وصفين مكان قرب الرقة غرب نهر الفرات في سوريا. انظر: الحموي، معجم البلدان (ج414/3).

قيصر الروم الذي أذاقه معاوية ﷺ الذل والهوان، فتدانا بجيش عظيم من أرض المسلمين، فكتب إليه معاوية ﷺ يقول: "والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة".[1]

فهذا يؤكد أن الخلاف الذي حدث بين الصحابة ﷺ لم يكن للتنافس على الدنيا، ومتاعها الزائل، وأن أمر الأمة ودينها يقدم على كل أمر عندهم، ومثل هذا الحال لا يكون إلا بصحة الاعتقاد.

4. ثبات الإمام أحمد رحمه الله عندما زعم المعتزلة[2]أن القرآن مخلوق

في زمن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله؛ خرج المعتزلة على المسلمين ببدعةٍ في العقيدة زعموا فيها أن القرآن مخلوق وليس كلام الله تعالى، وأقنعوا الخليفة وقتها برأيهم، فأخذ يلزم الناس بالقوة على هذا المنكر، فثبت الإمام أحمد على الحق، وناظر المعتزلة ورد باطلهم، رغم ما تعرض له من السجن والتعذيب حتى أظهر الله الحق على يديه وبقي القول بأن القرآن كلام الله وليس بمخلوقٍ كما تزعم المعتزلة، وسلمت العقيدة الإسلامية من البدعة والتحريف، ولقب بذلك الإمام أحمد بإمام أهل السُّنَّة، وما كان ثباته هذا إلا بصحة الاعتقاد.[3]

---

(1) ابن الكثير، البداية والنهاية (ج400/11).

(2) المعتزلة: هي فرقة ظهرت في القرن الثاني للهجرة، وقد سموا بهذا الاسم لأن مؤسسهم الأول واصل بن عطاء الغزال اعتزل مجلس شيخة الحسن البصري رحمه الله عندما زعم أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بينهما، وسموا أيضاً بالمتكلمين لأنهم أعرضوا عن كلام الله ورسوله وأقبلوا على كلام الفلاسفة اليونان فتأثروا به حتى قدموا العقل على نصوص الكتاب والسنة وأحدثوا بدعاً وأباطيل كثيرة، ثم تناثروا وافترقوا إلى فرق عديدة لاختلافهم في معتقدهم. انظر:البغدادي، الفرق بين الفرق(ص93,15)، الشهرستاني، الملل والنحل (ج42,20/1) وما بعدها، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(ص39)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية(ص207).

(3) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار (ج21/9/1).

المبحث الثاني

التوجهات العقدية في جزيرة العرب ومحيطها

المطلب الأول: الحالة العقدية في جزيرة العرب

الناظر إلى أحوال العرب في جزيرتهم قبل الإسلام، يجد أن العرب في الجاهلية كانوا يعبدون الشجر، والكواكب، والأصنام التي يصنعونها من كل شيء، حتى من الأشياء التافهة[1]، وكان أول من أدخل عليهم هذا الشر، وغير دين اسماعيل عليه السلام الذي كانوا عليه، وجاء بالباطل، وما تستخفه العقول والفطر السليمة، فنصب الأوثان، وحمل العرب على عبادتها؛ هو عمرو بن لُحَيٍّ الْخُزَاعِي[2]، ثم تمادوا في الوثنية بعد ذلك، تستخفهم الشياطين.

ومن صور ذلك ما جاء عن أبي رجاءٍ الْعُطَارِدِيّ رحمه الله[3]، حيث قال: "كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ؛ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الْآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ طُفْنَا بِهِ".[4]

وقال أيضاً: "لَمْ أَرَ نَاساً كَانُوا أَضَلَّ مِنَ العَرَبِ؛ كَانُوا يَجِيْئُوْنَ بِالشَّاةِ البَيْضَاءِ، فَيَعْبُدُوْنَهَا، فَيَخْتَلِسُهَا الذِّئْبُ، فَيَأْخُذُوْنَ أُخْرَى مَكَانَهَا يَعْبُدُوْنَهَا، وَإِذَا رَأَوْا صَخْرَةً حَسَنَةً، جَاؤُوا بِهَا، وَصَلُّوا إِلَيْهَا، فَإِذَا رَأَوْا أَحْسَنَ مِنْهَا رَمَوْهَا... وَكَانَ لَنَا صَنَمٌ مُدَوَّرٌ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى قَتَبٍ، وَتَحَوَّلْنَا، فَفَقَدْنَا الحَجَرَ- انْسَلَّ فَوَقَعَ فِي رَمْلٍ- فَرَجَعْنَا فِي طَلَبِهِ، فَإِذَا هُوَ فِي رَمْلٍ قَدْ غَابَ فِيْهِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ... فَقُلْتُ: إِنَّ إِلَهاً لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ تُرَابٍ يَغِيْبُ فِيْهِ لإِلَهُ سَوْءٍ... فكان ذَلِكَ أَوَّلَ إِسْلاَمِي".[5]

وذكر ابن حجر رحمه الله في الفتح: "أن أهل الجاهلية كانوا يعملون الأصنام من كل شيء، حتى أن بعضهم عمل صنمه من عجوة، ثم جاع فأكله".[6]

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج119/17،99).

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج6/ 549) و(ج612/8).

(3) هو عمران بن ملحان العطاردي البصري، التابعي المُخضرم، أسلم بعد فتح مكة ولم ير النبيﷺ، كان كثير العبادة، ومن خير من تلا كتاب الله تعالى، توفي(105هـ). انظر:الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج253/4).

(4) [البخاري، صحيح البخاري، المغازي/ وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ، 171/5: رقم الحديث 4376].

(5) الذهبي، أعلام النبلاء (ج256/4،254)، والقتب هو الرحل الذي يوضع على ظهر البعير ليسهل جلوس الراكب على سنامه ويحمل متاعه. انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج714/2).

(6) ابن حجر، فتح الباري (ج384/10).

هذا من المساوئ التي كانت في الاعتقاد، أما المساوئ التي كانت في الأخلاق والسلوك، فيصفها الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب ﷺ، فيقول:" كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ... نَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ".[1]

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: "كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ؛ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا، وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا".[2]

وهناك من العرب من كان على دين اليهود، ومنهم من كان على دين النصارى، وقلةٌ كانوا يبحثون عن الحنيفية.

أما من كان على دين اليهود، فقد تأثر من خلال اختلاطهم التجاري باليهود الذين عاشوا في العراق والجزيرة العربية، وقد وجد اليهود لهم سبيلاً بين العرب بذلك، فعملوا على دخول العرب في دينهم، فأدخلوا اليهودية إلى اليمن، وتهود قومٌ من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقومٌ من غسان، وقوم من جذام[3]، بالإضافة إلى من جاء من اليهود من بلاد الشام ليسكن في الجزيرة ينتظر خروج نبي آخر الزمان الذي بشرهم به النبيان، موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فعمل أحبار اليهود على حث أتباعهم للهجرة من الشام إلى الجزيرة لنصرة هذا النبي بزعمهم.[4]

أما النصرانية فقد كانت بنجران من أرض العرب[5]، وكان أهلها أهل فضلٍ واستقامة، وسائر الناس من حولهم على الوثنية[6]، كما كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة[7]، واليمن، وكان دخولها من خلال العمل التجاري، والرقيق الذين أُدخلوا للجزيرة فدعوا للنصرانية،

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج266/3)]، حديثٌ حسن.

(2) [البخاري، صحيح البخاري، الإكراه/ مِنْ الْإِكْرَاهِ؛ كُرْهًا و كَرْهًا وَاحِدٌ، 12/9: رقم الحديث 6948].

(3) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج90/12).

(4) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج207/1).

(5) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج134/3).

(6) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج145/1).

(7) انظر: ابن قتيبة، المعارف (ص621).

كما دخلت بدخول بعض النساك والرهبان لجزيرة العرب بقصد العيش فيها بعيداً عن ملذات الدنيا.[1]

وقد كان في مكة والطائف ويثرب بعض العرب الذين عُرضت عليهم النصرانية من بعض الرقيق النصارى فترك الوثنية بذلك، لكنه لم يدخل النصرانية؛ لأنه لم يجد فيها التوحيد الذي يريد، وما يترتب عليه من أحكام.[2]

وهناك نفرٌ من قريش خالفوا قومهم في عقيدتهم، وأنكروها عليهم؛ لأنها تخالف دين إبراهيم عليه السلام، وتفرق هؤلاء في البلاد بحثاً عن الحنيفية.[3]

المطلب الثاني: الحالة العقدية في محيط جزيرة العرب

أولاً: الحالة العقدية عند الروم

لُقب الروم بهذا اللقب نسبةً إلى رومس باني مدينة رومة[4]، ويلقبون ببني الأصفر نسبةً إلى جدهم الأصفر بن الروم[5]، والبيزنطيين نسبة إلى مدينة بيزنطة التي بنيت مكانها القسطنطينية.[6]

وملوك الروم يلقبون بقيصر، وأول من حمل اللقب أغسطس، وسبب ذلك أن أمه ماتت وهي حاملٌ به، فشُق بطنها فأُخرج، ثم أصبح بعد ذلك لقباً لملوكهم، وأغسطس هو أول من خرج من رومة وسير الجيوش براً وبحراً لتوسيع الملك، فاستولى على مُلك اليونان وأخذ الشام ومصر[7]، وتوسع ملك الروم بعد ذلك، حتى بلغ الحبشة في أفريقيا، وما حول القسطنطينية حتى وصلوا الروس.[8]

---

(1) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج121/1) و(ج163/12).

(2) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج165/12).

(3) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية (ج202/1).

(4) انظر: الحضرمي، تاريخ ابن خلدون (ج48/2).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج144/1).

(6) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج252/1)، التونسي، التحرير والتنوير (ج42/21).

(7) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج249/1).

(8) انظر: الحضرمي، تاريخ ابن خلدون (ج89/2).

دان الروم بالنصرانية بعد أن كانوا صابئة عباد كواكب وأوثان، وأول من تنصر منهم ملكهم قسطنطين، تنصرت أمه مريم الهيلانية، ثم دعته فأجاب، وحمل الناس على النصرانية، ثم أصبح هذا ديدن الملوك بعده، حتى بلغت النصرانية كل ما ملكوا من الأرض.(1)

وبنى قسطنطين مدينة القسطنطينية الحصينة، ونقل مقر المُلك من رومة إليها لحماية بلادهم من خطر الفرس، فقد كانت الحروب بينهم سجالاً، أنهكت الطرفين في كل جوانب الحياة(2)، وقد ذكر الله تعالى شيئاً من حروبهم في مطلع سورة الروم، فقال تعالى:﴿ الم(1) غُلِبَتِ الرُّومُ(2) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3) فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ...﴾[الرُّوم].

ورغم أن امبراطورية الروم تدين بالنصرانية ، لكن تعاليم النصرانية لم تبق كما جاء بها نبي الله عيسى عليه السلام، بل انطوت على قدر كبير من التحريف والتزييف، فقد جمع قسطنطين لعشرين سنة مضت من ملكه الأساقفة الذين وافقوا رأيه، فوضعوا شرائع الدين الجديدة التي لم يأت بها المسيح عليه السلام(3)، فابتدعوا أموراً كثيرةً، منها: الرهبانية وعيد الصليب وعبادته، وأحلوا الخنزير(4)، وعمل قسطنطين على بناء الكنائس والبيع حتى بلغ عددها بالآلاف في زمانه، وجاءت أمه هيلانة إلى بيت المقدس وأخرجت الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم، وجعلت ذلك اليوم عيداً، وبنت كنيسة القيامة المعروفة، وهي قائمةٌ إلى وقتنا هذا(5)، ثم تعاقب الملوك وكثر التحريف والتغيير في دينهم، وكلما تعاقب الزمان زاد التحريف والانشقاق في الكنيسة، وظهرت مذاهب جديدة.(6)

وهذا ما أخبر به النبي ﷺ، حيث قال:{افْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ}.(7)

---

(1) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج249/1،223)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج301/6) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج89/2).

(2) انظر:ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج226/1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج311/4).

(3) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج252/1،253).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج301/6).

(5) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج253/1)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج301/6).

(6) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج254/1)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج312/4).

(7)[ابن ماجه: سنن ابن ماجه، أبواب الفتن/ باب افتراق الأمم،128/5: رقم الحديث 3992]،صحيح لغيره.

ومعلومٌ من دين الله تعالى بالضرورة أن الفِرقة التي في الجنة هي التي كانت على الإسلام الذي دعا إليه نبي الله عيسى ﷺ، القائم على توحيد الله تعالى: كما قال تعالى إخباراً عنه:﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[آل عمران:51]، لكن النصارى زعموا خلاف ذلك، فقالوا إن لله تعالى أقانيم ثلاثة، هي واحد في الجوهرية ثلاثة بالأقنومية، ويعنون بالأقانيم: الصفات، كالوجود والحياة والعلم، وسموها الأب والابن وروح القدس، وقالوا نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء، وبابن الله الواحد يسوع، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها من أجلنا، ومن أجل معشر الناس، ونزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً، وحُبِلَ به وولد من مريم البتول من أجل خلاصنا، وقتله اليهود حسداً وبغياً، وصلب ودفن، ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، ثم جعلوا مرجع شرعتهم هذه؛ أربعة أناجيل هي: متى ولوقا ومرقس ويوحنا، وزعموا أن الذي جمعها أربعة من الحواريين، وسميت لذلك بأسمائهم، وجاء فيها أن يسوع ظهر لتلاميذه بعد أن قتل، وأمرهم أن يذهبوا إلى كل الأمم ويدعوهم باسم الأب والابن وروح القدس، وأنه معهم مدى الدهر.[1]

والحق أن" ما تبقى من النصرانية: ديانة مليئة بالتناقضات، ركبّها بولس[2]،"وفرض شركياتها قسطنطين، ورقعها وحرَّفها القسيسون والرهبان"[3]، واستعملها قياصرة الروم كي يستميلوا بها الناس، ليعظموهم، وتسود سياستهم، ويقوى نفوذهم واقتصادهم، ويدوم ملكهم.[4]

ثانياً: الحالة العقدية عند الفرس

كلمة الفُرس مأخوذةٌ من الدفع والمنع والاستعلاء والرياسة، وهي صفات القوة الغَضبَيَّة التي غلبت على الفُرس، فيقال: فُرْسٌ، ويقال: فَرَسَهُ يَفْرِسُهُ إذا قهره وغلبه، لهذا كانت الفُرس تلي العرب في أفضلية الأمم.[5]

---

(1) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج1/219-221)، الإنجيل (ص 50،82،175).

(2) بولس: هو شاول الطرسوسي اليهودي الفريسي، زعم إيمانه بالمسيح ﷺ، بعدما رآه وهو عادٌ من دمشق، فأنبه على اضطهاده لأتباعه، وأمره أن ينشر تعاليمه بين الأمم، فسمى نفسه بولس وعمل على إدخال الأباطيل والتحريف في دين النصارى، ورغم أنهم خالفوه أول أمره، لكن أباطيله انتشرت وأصبحت هي العقيدة المعروفة الأن عند النصارى. الندوة العلمية، الموسوعة الميسرة (ج2/567،566).

(3) المقدسي، التحفة المقدسية في مختصر تاريخ النصرانية بدايتها ومنتهاها (ص1).

(4) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج1/253)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج6/181) و(ج12/189).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج15/432).

وسميت البلاد باسمهم– بلاد فارس–، وهم من ولد إيران بن أشوذ بن سام بن نوح ﷺ، وبلادهم أرض إيران، ثم توسعت حتى وصلت خرسان شرقاً، ومصر غرباً[1]، ومعلومٌ أن ترامي أطراف الدولة وانحساره؛ يعود لقوتها وضعفها.

ويلقبون بالساسانيين، وهو اسمٌ للجيل الرابع من أصولهم، الذين دام مُلْكُهم أكثر من أربعة ألاف سنة، بدأت من زمن أبيهم الأول كيومرث إلى زمن يزدجر الذي هلك زمن خليفة المسلمين الثالث عثمان بن عفانﷺ.[2]

كما يلقبون بالمجوس، وهو لفظٌ فارسي معرب، يطلق على قومٍ كانوا يعبدون النار، والشمس والقمر، أطلق عليهم هذا اللقب من القرن الثالث للميلاد[3]، وقام زرادشت الذي زعم المجوس نبوته، ونزول الوحي عليه من الله تعالى، بتجديد هذه العقيدة وإظهارها، والزيادة فيها.[4]

ويلقب ملوك الفرس بالأكاسرة[5]، ويؤرخون بعهود توليهم، كلَّما عُين ملك طُرح تاريخ من كان قبله وأرخ بزمن توليته.[6]

وفرق المجوس كثيرةٌ، منها: الزرادشتية، نسبةً إلى زرادشت الذي ادعى النبوة، واخترع المجوسية، وأقنع بها الملك بشتاسب، فحمل الناس عليها بالقهر والقتل، ومنها المزدكية، وهم أتباع مزدك بن نامدان الذي ادعى النبوة، وأظهر دين الإباحية بشيوع النساء، وكان موبذ موبذان، أي أعلم العلماء وأحكم الحكماء، تطيعه الملوك ولا تتخلف عن أمره، كان في عصر الملك قباذ بن فيروز والد أنوشروان، فألزم مزدك قباذ أن يرسل زوجته لغيره، فتأذى ولده أنوشروان من ذلك، فلما تمكن أنوشروان منه قتله وأتباعه[7]، لكن هذه الإباحية والشيوعية

---

(1) انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج181/2).

(2) انظر: المصدر السابق (ج181/2).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج527/8)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج855،980/2).

(4) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص279)، الرازي، اعتقادات المسلمين والمشركين (ص86)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج855/2).

(5) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج223/1).

(6) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج510/4).

(7) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج13،230/1)، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص86،89)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج382/2).

استمرت في المجوس، حتى أباحوا نكاح المحارم، وكان ذلك سائغاً في عقيدتهم[1]، لدرجة أن وقع في مثل هذا بعض العرب الذين كانوا على المجوسية[2]، ولعل وَلَهَ الروافض بزواج المتعة في هذا الزمان موروثٌ من آبائهم المجوس.

ويعتقد المجوس بأصلين هما: النور والظلمة، والنور أزلي، والظلمة محدثة، والخير يأتي من النور، والشر يأتي من الظلمة، والنور هو الله تعالى، والظلمة هي الشيطان، وقد دارت الحرب بينهما دهراً، وانتهت بتدخل الملائكة بينهما، ولاختصاص المجوس بالتثنية؛ جعلوا أصول شرعتهم تدور حول مسألتين، الأولى: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: كيفية خلاص النور من الظلمة[3]، كما أنكروا الآخرة باعتقاد تناسخ الأرواح[4]، ومعلومٌ من دين الإسلام بالضرورة أن هذه الأحوال والمعتقدات كفرٌ واضحٌ كالشمس.

ورغم أن دين الفرس دينٌ يبغض اليهودية والنصرانية، لكنهم كانوا يعملون على نشر النصرانية التي تخالف الروم وتوافق اليهود، من أجل توسيع النفوذ والمكاسب السياسية والاقتصادية[5]، ومثل هذه السياسات أصبحت عادة في عصرنا لأعداء الإسلام والمسلمين.

ولأن المجوس عندهم شبهة كتاب[6]، يعاملون معاملة أهل الذمة؛ في دفعهم الجزية وقياساً على أخذ النبي ﷺ الجزية من مجوس هجر، ولكن لا يحل تزويجهم ولا الزواج منهم، كما لا تحل ذبائحهم.[7]

أما عن اعتناق العرب للمجوسية، فقد كانت في أعدادٍ قليلة منهم، أكان ذلك فيمن كان موالياً للفرس، أو يعيش في بلادهم، أو في أماكن قريبةٍ منهم، لأن الفرس لم يدعوا الناس لعقيدتهم، ولم يهتموا بذلك، ولعل السبب في ذلك؛ أنهم يرون ديانتهم عرقية قومية، لا يسمح

---

(1) انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج419،465/1)، البغدادي، الفرق بين الفرق (ص18)، الشهرستاني، الملل والنحل (ج248/1)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج158/29).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج104/5).

(3) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج232/1)، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص86).

(4) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ص172).

(5) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج181/6).

(6) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج208/1).

(7) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص347)، الشهرستاني، الملل والنحل (208)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج103/21)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج41/3)، وسيأتي تخريج حديث أخذ النبيﷺ الجزية من مجوس هجر.

لغيرهم بدخولها غالباً[1]، ويبدو أن هذا الحال قد تجسد اليوم في عنصريةٍ واضحةٍ في أحفادهم من الإيرانيين، ومن شايعهم، وحمْلِهم الناس على مرادهم قهراً بالتنكيل والتعذيب.

المطلب الثالث: موقف الناس في الجزيرة العربية ومحيطها حيال دعوة النبي ﷺ

تعددت أجناس الناس ومعتقداتهم في جزيرة العرب ومحيطها قبل بعثة النبي ﷺ، وكان الجميع على علمٍ بقرب زمان بعثته[2]، بل ومنهم من يعرف صفات هذا النبي كما يعرف أبناءه، قال الله تعالى:﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ... ﴾ [البقرة:146]

لكن مواقف أكثرهم لم تكن على وفق هذا العلم، وهذه المعرفة من التسليم والإتباع، لما راسلهم النبي ﷺ ودعاهم للإسلام[3]، وفيما يلي تفصيل ذلك.

أولاً: موقف الناس في جزيرة العرب

1. كان موقف أهل قريشٍ وبني هاشم قبيلة النبي ﷺ وهم من قبائل العرب المشهورة في مكة التي كانت تلقب النبي ﷺ بالأمين قبل بعثته، لما فيه من خصال الخير، حيث كانوا يتحاكمون إليه فيما اختلفوا فيه، لأنه لا يُداري ولا يماري في الحق أحداً، حتى أنهم لما اختلفوا في حمل الحجر الأسود لوضعه في مكانه عندما أعادوا بناء الكعبة رضوا بالنبي ﷺ حكماً بينهم، وقبلوا حُكْمَه، بعد أن كَثُر الخلاف بينهم ولم يتفقوا على شيءٍ[4]، فلما بعثه الله تعالى بالحق؛ آمن عددٌ قليلٌ منهم، وجحد أكثرهم، رغم أنه جاءهم بما يوافق فطرتهم، وأنهم يعرفون أن زمانهم سيظهر فيه نبيٌ مرسلٌ من ربهم تبارك وتعالى[5]، فتنوعت مواقف جحودهم لدعوته ﷺ، فكان منها:

- **التعجب والاتهام،** قال الله تعالى:﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾[ص:4].

---

(1) انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج73،75/2)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج399/11) و(ج269/12-271).

(2) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج495،544/3)، و(ج536/8).

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج13/6).

(4) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج323/1)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج216/1).

(5) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج35/4).

- **المحاجة بطلب الآيات البيّنات،** حدث ذلك من رؤساء قريش[1]، فنزل قول الله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا** ﴾ [الإسراء:90]، وقال ﷻ:﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ(1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ(2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ...﴾[القمر]، وقد بين الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ سبب نزول هذه الآيات[2]،فقال:" سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ ".[3]
- **الإغراء والتهديد،** وذلك عندما عرضوا عليه المال والنساء والوجاهة مقابل أن يترك دعوته، فلما أبى[4]، أرسلوا إلى عمه أبي طالب يهددون بقتله، وقد عزموا على ذلك فاجتمعوا في دار ندوتهم، فلم يفلحوا بحمد الله.[5]
- **الاعتداء والمقاطعة،** قام كفار قريش بالاعتداء على النبي ﷺ مرات للنيل منه، ومنع دعوته[6]، بالحبس، أو القتل، أو بالنفي إن لم يتمكنوا من ذلك، فلم يفلحوا في ذلك لحفظ الله تعالى له، قال تعالى مخبراً عن ذلك:﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ** ﴾[الأنفال:30][7]، كما قاموا بتعذيب من ليس له منعةٌ من المسلمين، ومن كانت له منعةٌ يلام عليه بشدة في الغالب[8]، ثم قرروا مقاطعة النبي ﷺ ومن آمن معه، ومن أعانهم، فكان ذلك حتى بلغ الجهد من المسلمين.[9]

-**التهجير،** أُخرج النبي ﷺ من مكة ولم يكن راغباً في الخروج، حيث قال عند خروجه:{وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْت}[10]، كما أخرجوا من آمن معه، فكان خروجهم أول الأمر

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج10/328).
(2) انظر: المصدر السابق(ج17/126).
(3) [البخاري، صحيح البخاري، التفسير/ انشقاق القمر، 6/ 142: رقم الحديث 4867].
(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج15/338).
(5) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج2/100)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج7/397).
(6) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج4/336)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج1/469).
(7) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص319)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص180).
(8) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج2/ 159)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج1/ 588)
(9) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ص195)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ص604).
(10) [ابن حنبل: مسند أحمد(ج31/10)]،إسناده صحيح.

للحبشة بعددٍ قليل، ثم إلى المدينة لكافة المؤمنين(1)، هذا موقف أهل مكة، وأما موقف أهل الطائف فقد كان مشابهاً لموقف أهل مكة في الجحود والنكران، وكانت تَرُدُّ عليه قبائل العرب بأقبح الردود لمَّا كان يدعوهم في الموسم(2)، إلا نفرٌ منهم، فتح الله عليهم فآمنوا(3)، وهذه المواقف بخلاف موقف أهل المدينة الذين آووا النبي ﷺ وأصحابه ﵃ ونصروهم بكل ما استطاعوا(4)، فأثنى الله تعالى عليهم بقوله:﴿ ...وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال:74].

2. **موقف اليهود**

كان اليهود في الجزيرة يعيشون حول المدينة المنورة أرض النخيل التي وفدوا إليها من الشام ببشارة من النبيين الكريمين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وبأمرٍ من علمائهم لاستقبال نبي آخر الزمان ونصرته، فبنوا الحصون والقلاع لذلك، وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا قبل مبعثه، وهو في قول الله تعالى:﴿ ... وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾[البقرة:89]، فلما ظهر بمكة وهاجر إلى المدينة هجروه وتركوا نصرته(5)، وفضلوا عليه كفار مكة حسداً، وهم يعلمون بطلان رأيهم(6)، قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[النساء:51].

وحرضوا قبائل العرب على قتاله، فاجتمعت الأحزاب وكانت غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة، ونال المسلمون فيها من الجهد ما نالوا(7)، ونقض بعضهم الحلف الذي عقدوه مع النبي ﷺ قبل وصول الأحزاب فاشتد ذلك على المسلمين(8)، ولكن الله سلم فكانت

---

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج164،315/2).
(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج271/2)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج155/2).
(3) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية (ج69/2).
(4) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص327).
(5) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج207/1)
(6) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص182).
(7) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج12/6).
(8) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج179/4).

العاقبة:﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[الأحزاب:25].

3. موقف المنافقين

المنافقون يلحقون باليهود، بالولاء وتشابه القلوب في العداء للإسلام وأهله، ولأن المنافقين كان فيهم بعض اليهود، والنفاق أصلاً لم يظهر بين المسلمين إلا لما جاوروا اليهود، فظهر من العرب رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول، الذي كان يوالى اليهود ويدافع عنهم، رغم ما يوقعون بالمسلمين من الأذى[1]، وبالجملة فقد آخى الله تعالى بين اليهود والمنافقين بقوله:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:11]

ومن مواقفهم: بناء مسجد الضرار؛ لتفريق المسلمين، والمضارة بهم، وإعانة أعدائهم[2]، بتهيئة الظروف ليكون هذا المسجد عبارة عن نقطة انطلاقٍ للانقضاض على المسلمين.[3]

كما عملوا على إضعاف جبهة المسلمين أمام عدوهم في القتال، وشق صفهم في الظروف الحالكة، كما حدث يوم أُحدٍ من ابن سلول، عندما انسحب من أرض المعركة بثلث الجيش، عائداً بهم إلى المدينة، كي ينال الكفار من النبي ﷺ، وصحابته الكرام ﵃.[4]

وحاول المنافقون قتل النبي ﷺ وهو عائدٌ من تبوك، بطرحه من مكانٍ مرتفعٍ في الطريق، لكن الله سلَّمه، وأنزل فيهم قوله: ﴿...وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ...﴾[التوبة:74].[5]

4. موقف النصارى

لما وفِدَ وفْدُ نصارى نجران على النبي ﷺ، وكانوا يزعمون أن عيسى ﵇ ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، فنهاهم النبي ﷺعن ذلك، وعرض عليهم الملاعنة فأبوا خشية من وقوع العذاب عليهم إذا لاعنوا، لتيقنهم أنهم على الباطل، وأن النبي ﷺ يدعوهم إلى الحق، فعادوا بغير لعانٍ

---

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج316/3،60،46)، الطبري، تاريخ الطبري (ج49/2).

(2) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص351).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج211/4).

(4) انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج60/2)، ابن هشام، السيرة النبوية (ج493/2).

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج207/8)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج183/7).

ولا إسلامٍ إلى نجران، وقبلوا دفع الجزية[1]، فلما رجعوا إلى نجران ونقلوا إلى أهلها خبر النبي ﷺ، ودار الحديث بينهم بصدق نبوته، أسلم نفرٌ منهم، وأعرض أكثرهم تعنتاً وغفلة[2]، وكانت نجران مركز النصرانية في الجزيرة وقتها.[3]

وكان موقف بقية نصارى الجزيرة كموقف نصارى نجران من دعوة النبي ﷺ، فمنهم من آمن[4]، ومنهم صالح على دفع الجزية[5]، ولم يكن موقفهم عدائياً كموقف اليهود، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى:

1. أن نصرانيتهم كانت اسمية، ولم تتغلغل في قلوبهم، فلم يكن لها أثرٌ كبير في حياتهم، حتى في نظم الشعر، الذي يُعبِّرُ به عن هوية قائله وبيئته، فلم تكن أصول العقائد النصرانية ظاهرة فيه كعقيدة التثليث مثلاً، ومن كانوا متغلغلين في النصرانية من العرب كانوا أشتاتاً من القبائل ولم يكونوا من قبيلة واحدة.[6]
2. ولما ذكره الله تعالى فيمن كان منهم على النصرانية الصحيحه بقوله:﴿... **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(83)**﴾. [المائدة].

فهذا الوصف يفيد: رقة قلوبهم، وعدم تكبرهم، وقربهم من المسلمين، للعلم والزهد الذي كانوا عليه، مما دفعهم للإسلام[7]، فإن قال قائل: لم نَرَ هذا أبداً في نصارى زماننا، نقول: إن هؤلاء ليسوا مثلهم، ولا منهم، فهم لا يقبلون أن نطلق عليهم لفظ نصارى، بل يقبلون لفظ

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ص103)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج50/2)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج236/3)، السعدي، تفسير السعدي (ص133)، والمراد بالجزية: المال الذي يأخذه المسلمون من الكفار مقابل حفظهم ورعايتهم رجاء إيمانهم. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (ج271/1)، ابن عثيمين، الشرح الممتع (ج148/12).

(2) انظر: البيهقي، دلائل النبوة (ج386/5) وما بعدها.

(3) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج359/18).

(4) انظر: المرجع السابق(ج198/12) و(ج359/18).

(5) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج206/5)، الطبري، تاريخ الطبري (ج185/2)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج117/3).

(6) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج360/18).

(7) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص241).

مسيحي، وهذا مشاهدٌ في زماننا من خلال اختلاط المسلمين بهم، ومن خلال وسائل الإعلام، بما يفيد الفارق بينهم، أما الذين كانوا زمن البعثة فلم يقصدوا بنصرانيتهم التدين كما سيتبيَّن قريباً.

بالإضافة إلى أن قبائل العرب بعد فتح مكة دانت للنبي ﷺ، فدخلوا في دين الله أفواجاً، والنصارى في جملتهم، ومن لم يُسلم منهم؛ تجنب مواجهة المسلمين، وصالح على الجزية[1]، ولعل مما يؤكد هذا أن بعض قبائل النصارى تمرد على المسلمين بعدم دفع الجزية، وهددوا باللحاق بالروم في خلافة عمر رضي الله عنه، فردَ عليهم رضي الله عنه بقوله:" أنتم فضحتم أنفسكم، وخالفتم أمتكم"، وألزمهم بما عليهم في حكم الإسلام[2]، وهذا يفيد مصالحتهم للمسلمين، إما بالإسلام أو بدفع الجزية، وأنهم لم يظهروا على المسلمين بالحرب.

ثانياً: موقف الناس في محيط جزيرة العرب

كان غالب الناس الذين يحيطون بجزيرة العرب من الفرس والروم، وكانوا يحتقرون العرب أشدَّ الاحتقار، ولا يعتبرونهم بشراً يستحقون العيش في حياةٍ كريمة، ويلقبونهم بالكلاب، وأهل الشاء والإبل، وكانوا يستعملون من يواليهم في حروبهم، فالعربُ عندهم حقراء لا وزن لهم، ويلقبونهم بعبيد سارة، لأن هاجر كانت أمةً لها، وهم بذلك يقصدون طعن هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام، وهو طعنٌ في العرب، وتقليلاً لشأنهم. [3]

ومن أقوالهم في تحقير العرب؛ ما قاله بُندار القائد الفارسي لوفد المسلمين قبل معركة نهاوند: "يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعًا، وَأَعْظَمَ النَّاسِ شَقَاءً، وَأَقْذَرَ النَّاسِ قَذَرًا، وَأَبْعَدَ النَّاسِ دَارًا، وَأَبْعَدَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَمَا كَانَ مَنَعَنِي أَنْ آمُرَ هَؤُلَاءِ الأساوِرَة حَوْلِي أَنْ يَنْتَظِمُوكُمْ بالنُّشَّابِ؛ إِلَّا تنجُّساً بِجِيَفِكُمْ لأَنَّكُمْ أرجاس". [4]

وحين أرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ كتابه إلى هرقل ملك الروم يدعوه إلى الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، قام هرقل بدعوة القِسِّيسِين والبطارقة من قومه، وأخبرهم بالأمر، ودعاهم للاستجابة لهذا

---

(1) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية (ج238/3).

(2) انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج485/2)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج38/10).

(3) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج470/416/6) و(ج9/ 622) وما بعدها. المسعودي، والتنبيه والإشراف (ص143و215و230).

(4)[ابن حبان، صحيح ابن حبان، السير/ الخروج وكيفية الجهاد64/11: رقم الحديث 4756]، وقال الألباني في التعليقات الحسان(ج132/7):"صحيح".

الرسول–الذي يعرفونه من كتبهم– وإتباعه على دينه، أو دفع الجزية إن أبوا، لأن أمر هذا الرسول سيعظُم، وسيملك أرضهم[1]، فكان رد القوم أن:" نَخَرُوا نَخْرَةَ [2]رَجُلٍ وَاحِدٍ، حَتَّى خَرَجُوا مِنْ بَرَانِسِهِمْ[3] وَقَالُوا: تَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَدَعَ النَّصْرَانِيَّةَ، أَوْ نَكُونَ عَبِيدًا لِأَعْرَابِيٍّ جَاءَ مِنَ الْحِجَازِ".[4]

والنَّخِير الذي فعلوه، وخروجهم من برانِسهم؛ يدل على مدى تعاليهم وحنقهم على العرب، وهذا بعض التفصيل لموقفهم حيال دعوة النبي ﷺ.

أولاً: موقف الروم

كان هرقل هو قيصر الروم زمن بعثة النبي ﷺ، وكان شهماً شجاعاً محبوباً عند رعيته، مما دفع الروم لتنصيبه عليهم بعد ما حل بهم من الفرس الذين غلبوهم وفتكوا بهم، وأخذوا منهم بلاد الشام ومصر، حتى وصلوا إلى القسطنطينية وحاصروها[5]، فكان خلاص الروم ونصرهم على الفرس على يديه[6]، فلما وصله كتاب النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام أمر رعيته أن يحضروا له أحداً من أهل الجزيرة يسأله عن خبر النبي ﷺ، فجاؤوا بأبي سفيان ، فدار بينهما حوار حول أخلاق النبي ﷺ ودعوته، فأنهى هرقل هذا الحوار[7]بقوله: "إِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيّ".[8]

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج174/7).

(2) النخير: صوت الأنف، بإخراج النفس منه بقوة، وهو الشخير. انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج197/5).

(3) البرانس جمع برنس، وهي قلنسوة أو جبة طويلة، ملتزق بها غطاء الرأس، قيل أنها لفظة معربة.ابن منظور، لسان العرب (ج26/6).

(4) [ابن حنبل: مسند أحمد (ج416/24)]، وقال ابن كثير في البداية والنهاية(ج177/7) "إسناده لا بأس".

(5) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج257/1).

(6) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج469/6).

(7) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج476/6)

(8) [مسلم،صحيح مسلم، الجهاد والسير/ النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام،1395/3:رقم الحديث 1773].

ولما رجع من حجه ببيت المقدس أمر مناديه وهو بقصره في حمص، أن ينادي أن هرقل آمن بمحمدٍ واتبعه، فاجتمعوا عليه بالسيوف، فلما رأى ذلك زعم أنه أراد اختبارهم، فرضوا عنه.[1]

ثم جمع هرقل عظماء القوم وأهل المشورة في هذا الشأن، في اجتماعٍ مغلق وعرض عليهم اتباع النبي ﷺ، بقوله: "يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل".[2]

ولحق بالروم في موقفهم هذا عرب الشام الذين كانوا على دينهم، وقاتلوا مع الروم ضد المسلمين[3]، ومن طمع من قبائل العرب بالمنح والعطايا[4]، فلما كان النصر للمسلمين على الروم، لحق بعضهم بالمسلمين[5]، وفر بعضهم نحو الروم، وصالح قسم ثالث على الجزية.[6]

وأرسل النبي ﷺ إلى المقوقس عامل الروم على مصر يدعوه إلى الإسلام، فكان رد المقوقس على الرسالة يدل على إقراره بصدق رسالة النبي ﷺ، لكنه قدَّم المُلْكَ على الإسلام، وأرسل للنبي ﷺ الهدايا، وأكرم رسوله حاطب بن أبي بلتعة ﷺ، وأخبره أن أهل مصر لا يقبلون بالإسلام، لكن أهل الإسلام سيملكون مصر بدينهم.[7]

كما أرسل النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، فرد عليه النجاشي بردٍ حميد، أظهر به إيمانه، قال فيه:" سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب

---

(1) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية (ج289/3).

(2) [لبخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي/ كيف كان بدء الوحي، 1/ 10: رقم الحديث 7].

(3) انظر: البلاذي، فتوح البلدان (ص140).

(4) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج170/12).

(5) انظر: البلاذي، فتوح البلدان (ص141).

(6) انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج484/2)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج240/7) و(ج171/12،170).

(7) انظر: تاريخ بن خلدون (ج453/2)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج296/3-299).

العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك، فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق"[1]، وأريحا هذا هو ولد النجاشي، فقد جاء في رواية أخرى لنص هذه الرسالة قوله:" وقد بعثت إليك بابني". [2]

وقالت امرأة من حاشية النجاشي لأم حبيبة رضي الله عنها:" أنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدقت محمداً رسول الله وآمنت به، وحاجتي إليك أن تقرئيه مني السلام".[3]

وجاء وفدٌ من نصارى الحبشة عددهم قريبٌ من عشرين شخصاً إلى النبي ﷺ بمكة، فأسلموا جميعاً.[4]

والذي يظهر من نص هذه الرسالة والخبرين بعدها أن الذين أسلموا من أهل الحبشة هم: النجاشي وبعض أهله وحاشيته وعدد من رعيته فقط، ولذلك قال في رده على كتاب النبي ﷺ:" فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت"، فلو أن أهل الحبشة أسلموا لما دعت الحاجة إلى أن يقول ذلك، ويخيِّر النبي ﷺ بقدومه إليه، ولو أن الإسلام انتشر عندهم وقتها لنقل إلينا.

ثانياً: موقف الفرس

الفرس من أقدم الأمم في العالم وأشدهم قوة ودولتهم كذلك[5]، لكنهم كانوا كفاراً لا يعبدون الله تعالى[6]، أخذهم كفرهم للتكبر والغرور والاعتداء على الناس، وعدم قَبول الشفاعات، وتمزيق رسائل الملوك ودوس هداياهم بأقدامهم تكبراً[7]، لذلك لم يكن غريباً من مَلِكِهِم الذي راسله النبي ﷺ يدعوه للإيمان بالله وحده أن يمزق الرسالة تكبراً وعناداً، ثم يرسل لعامله على اليمن باذام أن يُرسل رجلين جلدين يأتيانه بمن أرسل هذه الرسالة[8]، ولم يكن فعله هذا بغفلة عن أمر النبي ﷺ وأن سلطانه سيطول عرشه، بل فعل ذلك بعدما رأى دماراً حلَّ ببعض ملكه،

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج207/4)، روي في السيرة النبوية كما جاءت الأحاديث الصحيحة للصوياني ما يوافقه (ج310/3).

(2) الطبري، تاريخ الطبري(ج132/2)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج451/2).

(3) الطبري، تاريخ الطبري (ج132/2).

(4) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج256/4).

(5) انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج180/2).

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج302/6).

(7) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج311/2)، و(ج287/4)، و(ج82/5).

(8) انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج133/2).

فأخبره أهل مشورته أن هذا علامةٌ على خروج سلطان من الجزيرة يملك أرض فارس وينشر الخير فيها.[1]

ويلحق بالفرس من والاهم من قبائل العرب، الذين كانوا على قربٍ من أرض فارس، وكانوا يشاركونهم في حروبهم[2]، حيث طلبوا من الفرس في بعض معاركهم ضد المسلمين التأخر وترك المجال لهم، لأن العرب بزعمهم أعرف بقتال العرب، لكن الله تعالى خيبهم بفضله، وسلط عليهم خالد بن الوليد ﷺ فهزمهم وأذلهم.[3]

وبقي الحقد والكبر في نسل أبناء ملوك الفرس بعد الفتح الإسلامي، حيث أظهروا الإسلام وأبطنوا خلافه، فخرجوا على الأمة بالعقائد الباطنية التي حرفت بعض الناس عن دين الله تعالى[4]، وقد فتك الباطنية بالمسلمين أشد الفتك في كل مكانٍ كانت لهم فيه قوة، حتى في بيت الله الحرام.[5]

ويستثني من هؤلاء الفرس من كان يقيم منهم في الجزيرة العربية؛ فقد كانت اليمن تتبع لفارس، ولكسرى بها نائب يسمى باذام، لما سمع بخبر النبي ﷺ وظهر له صدق نبوته بما لا يجعل مجالاً للشك، آمن، وآمن معه من كان من الفرس باليمن.[6]

كما كانت البحرين تتبع للفرس، فأرسل لهم النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي ﷺ يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فأسلم زعيما القوم؛ المنذر بن ساوي وسيبخت مرزبان، وأسلم معهما خلقٌ كثير، وأبى قومٌ من المجوس واليهود والنصارى الإسلام، وصالحوا العلاء ﷺ على الجزية.[7]

أما من كان في عُمان وما حولها في جنوب الجزيرة من الفرس عند ظهور الإسلام، فلم يكن لهم الحكم وقتها، بل كانوا مقيمين فقط، والحكم كان لسادات قبائل العرب، الذين استقلوا بإدارة شؤنهم، فلما دعاهم النبي ﷺ للإسلام أسلم العرب، وأما المجوس فمنهم من أسلم ومنهم من صالح على الجزية.[8]

---

(1) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج371/1).

(2) انظر: الطبري، تاريخ الطبري(ج312/2)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج318/2،260،73).

(3) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج246/2،241)

(4) انظر: الحنفي، تاريخ مكة (ص176).

(5) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص269).

(6) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج487/6).

(7) انظر: البلاذي، فتوح البلدان (ص89)، الحموي، ومعجم البلدان (ج348/1) .

(8) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج269/12).

المبحث الثالث

أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة

انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة له أسبابه التي تدعو إليه، وإذا وقع الانحراف ترتبت عليه آثارٌ وخيمة، وحول أسباب هذا الانحراف وآثاره نقف على ما يتيسير جمعه في هذا المبحث.

المطلب الأول: أسباب انحراف الناس في المنهج العقدي

السبب الأول: الكبر.

عرف النبي ﷺ الكبر بقوله: "الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ"[1]، والمراد ببَطَر الحَقِّ: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ ترفعاً وتجبراً، وغَمْطُ النَّاسِ: احْتِقَارُهُمْ.[2]

وقد كان الكبر أول معصية عُصي الله تعالى بها؛ جلبت لآدم عليه السلام وذريته عداوة إبليس وبغضه، كان بعدها سبي الإنسان من الجنة دار النعيم المقيم إلى الأرض دار الغربة والفتنة.[3]

قال الله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(72) فَسَجَدَ المَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ(74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ(75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(76)** ﴾[ص].

فسنَّ بعدها إبليس طريقاً يتبعها أولياؤه بعصيانهم تكبراً، كما حدث من ملأ قوم نوح عليه السلام عندما دعاهم إلى عبادة الله وحده، قال تعالى واصفاً لإعراضهم وتكبرهم:﴿ **...مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** ﴾[هود:27]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ تحريم الكبر وبيانه، 1/ 93: رقم الحديث 147].

(2) انظر: النووي، المنهاج (ج90/2).

(3) انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (ج71/1).

وهذا دأب الملأ غالباً – وهم السادة والأشراف – مع دعوة الأنبياء عليهم الصلاة السلام، والأراذل: هم الفقراء وأصحاب الحرف والذين لا نسب لهم، وهم أتباع الرسل غالباً، والحق أن أتباع الحق هم الأشراف، وأعداء الحق هم الأراذل.[1]

وهذا كسرى بن هرمز ملك فارس عندما أرسل له النبي ﷺ كتاباً يدعوه إلى الإسلام، فلما قرأه مزقه، وقال: "يكتب إلي بهذا وهو عبدي**!!**".[2]

وكذا الحال كان من القسيسين والبطارقة وكبار قواد الروم عندما دعاهم هرقل وأخبرهم بظهور النبي ﷺ وأنه أرسل كتاباً له، وعند قدوم جيش المسلمين لبلاد الشام وحثهم على اتباعه النبي الجديد أو الصلح مع أتباعه، أفضل من الحرب التي لا تحمد عقباها، فكان ردهم بالرفض تكبراً، وتقديم القتال رغم فزعهم حتى لا يتركوا النصرانية ويتبعوا أعرابياً جاء من الحجاز فيكونوا له أو لأتباعه عبيداً.[3]

وقد كان من منهج النبي ﷺ في دعوة الملوك وأصحاب الرياسة والسيادة في أقوامهم، أن يدعو الملوك إلى الإسلام ويطمئنهم على ملكهم إذا قبلوا الإسلام، ويوقر أصحاب الرياسة والسيادة في أقوامهم، فقد أرسل لباذام عامل كسرى على اليمن يقول له: "إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملَّكتُك على قومِك من الأبناء".[4]

ومن مواقفه ﷺ مع أصحاب الرياسة والسيادة في أقوامهم، ما جاء في قصة إسلام الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي ﷺ، حيث يصف ذلك بنفسه عند قدومه على النبي ﷺ، في المدينة، فيقول:" فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَانْطَلَقَ بِي إلَى بَيْتِهِ ... حَتّى إذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ تَنَاوَلَ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوّةٍ لِيفًا، فَقَذَفَهَا إلَيّ، فقَالَ: "اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ" قَالَ: قُلْت؛ بَلْ أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: "بَلْ أَنْتَ". فَجَلَسْت، وَجَلَسَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِالْأَرْضِ، قَالَ: قُلْت فِي نَفْسِي: وَاَللّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ ... وَعَرَفْت أَنّهُ نَبِيّ مُرْسَلٌ".[5]

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج316/4).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج6/ 485).

(3) انظر: المصدر السابق (ج174/7)، (ج546/9).

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج487/6).

(5) ابن هشام، السيرة النبوية (ج277/5)، ابن كثير، المرجع السابق (ج292/7).

ولعظم فحش الكبر، وسوء عواقبه جاء الوحيُ بالتحذير منه في نصوصٍ عديدةٍ، منها: قول النبي ﷺ: قال الله ﷻ:{الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي مِنْهُمَا شَيْئًا عَذَّبْتُهُ}.[1]

السبب الثاني: التقليد الأعمى.

التقليد: هو أن يتبع الإنسان غيره في قول أو فعل أو اعتقاد، من غير دليل ولا نظر، وهذا باطلٌ محرم، ويخرج من هذا التعريف التسليم لأدلة الشرع والأخذ بها، فلا يسمى تقليداً، بل يسمى اتباعاً، وكذا الحال مع من عرف بالعلم والفضل وصحة المذهب من أهل الإسلام.[2]

وهناك من أهل العلم من استثنى تقليد العامة من الناس للعلماء، خاصةً عند النوازل، لأن العامة لا تتبين موقع الحجة، ولا تبلغ بفهمها كُنه الأمور، وأن هذا ليس من التقليد المذموم، وذكر أن العلماء أجمعوا على هذا[3]، بدليل قول الله تعالى:﴿ ... **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[النحل:43]

وكان من منهج النبي ﷺ تعليم أصحابه عدم التقليد المحض، حيث كان يكثر من مشاورتهم، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ ... **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ...﴾[آل عمران:159] ، حتى قال أبو هريرة ﷺ:" مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ".[4]

ومن ذلك ما كان منه ﷺ يوم بدر، حيث استشار أصحابه ﷺ بقوله:{أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيّهَا النّاس}.[5]

وقد ذم الله تعالى التقليد الأعمى في مواضع عدةٍ من كتابه[6]، منها، قوله تعالى:﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله** ...﴾[التوبة:31].

---

(1) [مسلم، صحيح مسلم: البر والصلة والأدب/ تحريم الكبر، 4/ 2023: رقم الحديث رقم 2620]. [البيهقي، شعب الإيمان/ باب حسن الخلق، فصل في التواضع، 10/ 415: رقم الحديث 7808].

(2) انظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام (ج227/6)، الغزالي، المستصفى من علم الأصول (ج467/2)، ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (ج233/79/2)، الجيزاني، ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ج490/1).

(3) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (ج230/2).

(4) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، السير/ باب الموادعة والمهادنة، 11/ 217: رقم الحديث 4872]، وقال الألباني في التعليقات الحسان(ج222/7):"صحيح".

(5)انظر:ابن هشام،السيرة النبوية(ج386/2). وصححه الألباني. انظر: تحقيق فقه السيرة للغزالي(ص223).

(6) انظر: بن هشام،السيرة النبوية(ج220/2).

وعندما قرأ النبي ﷺ هذه الآية؛ فسر الربوبية فيها بقوله:{ أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ }.(1)

وقال تعالى واصفاً أحوال بعض أهل النار يوم القيامة:﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا(66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا(67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا(68) ﴾[الأحزاب].

وقد واجهت دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للتوحيد الرفض لأسبابٍ، منها: التقليد الأعمى للآباء، وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تبين ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة:104].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا... ﴾[لقمان:21]

هاتان الآيتان تبينان حال من رد دعوة التوحيد، وأعلن كفره بواحاً، بسبب التقليد الأعمى، بخلاف أقوامٍ زعموا التوحيد واتباع الرسل؛ لكنهم على خلاف ذلك، فالمتبع للرسول ينبغي أن يعبد ربه وفق ما جاء به الرسول، فهو السبيل الحق للعبادة الصحيحة، ومن أمثال هؤلاء الروافض، والصوفية، الذين بدلوا نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار بما اعتقدوا في أئمتهم، وأوليائهم وشيوخهم، ومن أمثلة ذلك:

1. **الروافض:** اعتقدوا أن الدين مُسلَّمٌ إلى الأئمة، الذين هم أفضل من المهاجرين والأنصار، بل ومنهم من يجعلونهم أفضل من الأنبياء، فالحلال ما حللوه، والحرام ما حرموه، والدين ما شرعوه، وكلَّ ما أفتى به الواحد من هؤلاء فهو منقول عنده عن النبي ﷺ، وعمدة شرعهم على هذا المنهج، والكل ملتزمٌ بالتقليد فيه، وكله لا سند له؛ لأنهم لا علم لهم بعلوم السند والرجال، والأدهى من ذلك أن منهجهم عند وقوع الخلاف بين روايتين، إحداهما يُعرف مصدرها، والأخرى مصدرها مجهول، قدمت الرواية المجهولة وجوباً؛ لأن المعصوم في طائفتها، وهذه الأباطيل التي لا تقبلها العقول، يقررها لعامة الرافضة؛ الشيوخ المعممون، وأتباعهم الذين يزعمون اتباع الأئمة، والحكم بمنهجهم، وهم في الحقيقة يأكلون أموال الناس بالباطل، ويوجهونهم في عبادتهم، حتى عظموا المشاهد المبنية على القبور، وأماكن زعموا قدسيتها، فعمروها بكثرة الزيارة، وتركوا بيوت الله المساجد خاليةً، كما قدموا الحج لهذه

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، التفسير/ باب ومن سورة التوبة، 5/ 173: رقم الحديث 3095]. وقال الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام(ج19/1):"حسن".

المشاهد على الحج لبيت الله الحرام، وألف بعض مشايخهم كتاباً سماه مناسك المشاهد، فخرجوا بدينٍ آخر، لا علاقة له بالإسلام، الذي تعبد الله به البشر، وجُلُّ اعتقادهم هذا؛ مثل اعتقاد النصارى في أحبارهم ورهبانهم، وضلالاتهم.[1]

2. **الصوفية:** فقد تشبهوا بالروافض فغالوا فيما يسمى بالأولياء، حيث قابلوا بهم الأئمة عند الرافضة، فقالوا بحلول ذات الرب فيهم، وحلولهم في ذات الرب، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومن ألفاظهم التي يطلقونها على هذه الحالة للولي بزعمهم، الفناء، والبقاء.[2]

ومن أقوالهم في ذلك:" أما البقاء؛ فهو حياة مع الله، وبالله، وفي الله، ولله ... وهو ذو مظاهر ثلاثة ... فالمظهر الأول للبقاء الصوفي؛ هو منزل البقاء في الأفعال، وفي هذا الموطن يتحد فعل العبد، بل يتسامى إلى أفق الفعل الإلهي ... والمظهر الثاني للبقاء، هو منزل البقاء في الصفات، وهذا يعني اتحاد صفات العبد، بل تساميها إلى ذروة الصفات الإلهية فيصبح قلب الإنسان في هذا المنزل المعنوي مرآة صافية نقية تنتقش عليها نعوت الخالق الأعظم... والمظهر الثالث والأخير للبقاء هو منزل البقاء في الذات، أو البقاء الذاتي، وفي هذا الموطن تتحد ذات العبد، بل تتسامى إلى أفق الذات الإلهية، في وحدانيتها ورفعتها وشمولها".[3]

وحتى يثبتوا هذه الولاية، وما يزعمون لها؛ أوَّلوا النصوص الشرعية حتى أخرجوها بالكلية عن سياقها، وما أُريد بها، بما لا تقبله العقول، وألَّفوا خوارق القصص، والمواقف لإظهار كراماتهم المكذوبة، وزعموا أنهم يتصرفون في الكون، ويعلمون كل شيء عن المخلوقات، فأعطوهم بذلك صفات الخالق سبحانه، كما تعرضوا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى رفعوا أولياءهم عليهم.[4]

---

(1) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج474/1)، (ج475/472/465/462/368/2)، (ج489/3)، الكليني، الكافي (ج265/1-270)، المجلسي، بحار الأنوار (ج22/12/66-164/70-174وما بعدها)، المظفر، عقائد الإمامة (ص74) وما بعدها.

(2) انظر: السكندري، لطائف المنن (ص45). الجيلي، والإنسان الكامل في الأوائل والأواخر (ص133). النقشبندي، وجامع الأصول في الأولياء (ص70/69).

(3) ابن عربي، التجليات الإلهية (ص36).

(4) انظر: السكندري، لطائف المنن (ص20) وما بعدها. الجيلي، والإنسان الكامل (ج126/1) وما بعدها. النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء (ص38) وما بعدها.

ومن أقوالهم في ذلك: "معاشر الأنبياء أُتيتم اللقب، وأُتينا ما لم تُؤتوه" و"خضنا أبحراً، وقف الأنبياء بساحله".[1]

ورفع بعضُهم مرة الآذان، فلما انتهى إلى شهادة النبي ﷺ، قال:" إلهي لولا أنك أمرتني؛ ما ذكرت معك غيرك"[2]، وزادوا الغلو في أوليائهم، بقول أحدهم:" لو كُشف عن حقيقة الولي لعُبد".[3]

وكل هذه الأباطيل تسهل على شيوخ طرقهم الاستحواذ على مريديهم بنشرها بينهم، وبذل الوسع لأقناعهم بها، حتى يكون منهم التقليد الأعمى، لأن المريد على مذهبهم لا يترقى في سلكهم، ولا يفلح بغير شيخ، ومن لم يكن له شيخٌ؛ فشيخه وإمامه الشيطان، ويجب على المريد إحسان الظن في شيخه، وأن لا يقصر في خدمته، وأن يُحَسِّن هيئته إذا جاء لمقابلة شيخه، وإذا جلس بين يديه، ويظهر جهله أمامه، وأن يطيعه في كل ما يأمر به، حتى لو كان صائماً؛ فأمره أن يأكل فليأكل، لأن الخير في طاعة الشيخ، وما يرى، وإلا نال المريد ما لم تُحمدُ عقباه، فإن حال الشيخ في خطئه؛ أفضل من حال المريد في صوابه، فهم أبواب الله تعالى، بزعمهم.[4]

ومن أقوالهم في ذلك:"من قال لأُستاذه لِمَ لا يفلح" و"عقوق الأُستاذين لا توبة منه".[5] مع أن الله تعالى قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الشُّورى:25]، وقال ﷻ:﴿ ...يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ... ﴾[إبراهيم: 10].

وفتحوا باب المعصية بعدم المآخذة من الله تعالى لمن اتبع طريقهم حتى يلتحق بهم الناس، ويستسيغوا المعاصي، فزعموا أنه:" لو كُشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع".[6]

---

(1) الجيلي، الإنسان الكامل (ج128/1).

(2) النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء (ص49).

(3) السكندري، لطائف المنن (ص52)،

(4) انظر: النقشبندي، وجامع الأصول في الأولياء (ص50) وما بعدها. مراد، وكتاب الرحمة الهابطة الناشر (ص102-158/104-170)، الشعراني، الطبقات الكبرى (ص130/ 138/231 /142/ 173/ 206/ 232/ 233/ 246).

(5) المصدر السابق (ص59).

(6) السكندري، لطائف المنن (ص52).

كما جعلوا طلب العلم والمداومة عليه من التَّكلُّف لمريديهم، وسبباً لفوات الخير على العبد، والمطلوب له من العلم؛ هو الأخذ بما يلزمه لأداء الفرض، أو النفل فقط، وعليه بالمداومة على أذكارهم، ومتابعة قصص صالحيهم، فهو النافع، فالمريد الصادق غنيٌّ عن علم العلماء، وإذا أراد الله بالمريد خيراً، أوقعه للصوفية.[1]

فنتج عن منهجهم بالتقليد الأعمى؛ أن جعلوا رذيلة التعري من الثياب أمام الناس، ولو على منبر الجمعة؛ من كرامات الصالحين، كما في طبقات الشعراني، ثم ناقض نفسه في موضع آخر، فذكر عن بعض صالحيهم أنه كان يكره الاغتسال عرياناً، ولو في خلوة!!.[2]

"وأما الجهاد في سبيل الله فالغالب عليهم أنهم أبعد عنه من غيرهم، حتى نجد في عوام المؤمنين... قوة المحبة والموالاة لأولياء الله، وقوة البغض والعداوة لأعداء الله، ما لا يوجد فيهم، بل يوجد فيهم ضد ذلك".[3]

وتاريخ الصوفية حافلٌ بالخيانة للمسلمين، والولاء للغازي[4]، ومفارقة الجهاد بتفضيل العبادات الأُخرى عليه، وتثبيط الناس عنه بدعوتهم للاحتماء والاستغاثة بأصحاب القبور عند غزو الأعداء.[5]

أما توحيد الله تعالى، فجعلوه بالحلول والاتحاد، فقد أنكر ابن عربي[6]على الجُنيد عندما بلغه أنه يفرق بين العبد والرب، فادَّعى أن الجُنيد ونُظراءه قد ماتوا وما عرفوا التوحيد عندما أثبتوا الفرق بين الرب والعبد، بناءً على معتقده بالحلول والاتحاد،[7] كما أُورد من كلامه فيما

---

(1) انظر: الشعراني، الطبقات الكبرى (ص244/241/134).

(2) انظر: المصدر السابق، (ص548/486/469/455).

(3) ابن تيمية، الاستقامة (ج268/1).

(4) انظر: ابن منصور، أعلام المغرب العربي (ج303/1) وما بعدها. ظهير، والبريلوية عقائد وتاريخ (ص36-44).

(5) انظر: ابن تيمية، تلخيص كتاب الاستغاثة (ج732/2). الشعراني، الطبقات الكبرى (ص107/81).

(6) هو محمد بن على الطائي المشهور بابن عربي (المتوفى:638هـ)، شيخ سوءٍ وقبحٍ وكذب، قد أباح المحرمات فلم يحرم الزنا، وزاد البدع في التصوف حتى زعم القول بحلول واتحاد الخالق في المخلوق، ومن أشرِّ كتبه وأردئها في ذلك كتابه فصوص الحكم. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج48/23).

(7) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج299/2)، والمراد بالحلول والاتحاد: هو حلول الخالق واتحاده بالمخلوق، وأن لا فرق بينهما. انظر: نفس المصدر (ج2/ 294-299).

سبق، فلا غرابة بعد ذلك من قولهم بجواز طلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات، بدعاء الأحياء أو الأموات، فكله من الكفر، وإن تفاوت.[1]

وبالجملة فقد أسقطوا التكليف بأحكام الإسلام كاملةً، لمن يُكثر من العبادة على طريقتهم، حتى يحصل له من علم اليقين والمعرفة والتحقيق، ما ينال به سقوط التَّكالِيف عنه.[2]

مع أن الله تعالى لم يسقط التكاليف عن أحدٍ من خلقه، حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ أمرهم بعبادته ما أحياهم ، وقال لمحمدٍ ﷺ:﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[الحجر:99].[3]

والحق أن الباحث في الصوفية وأحوال دعاتها؛ يجد أن زعماء الصوفية قصدوا تشويه الإسلام والصد عنه بالخرافات من الخارج، وإبطال عقيدة أهله من الداخل، فقابلهم علماء الإسلام بالنَّكير والتحذير والنهي عن التقليد الأعمى، منهم ابن عبد البر رحمه الله تعالى، الذي ذم التقليد الأعمى وأهله، وشنَّع عليهم، ثم نقل عن بعض السلف قوله: "لا فرق بين بهيمة تقاد، وإنسان يقلد".[4]

السبب الثالث: الجهل.

المقصود بالجهل هنا؛ هو الجهل بالتوحيد، وما يترتب عليه من التشريع، فمن الناس من برع في علوم الدنيا، وظهر منه الذكاء والفطنة في علمه الدنيوي، لكنه يتخبطه الشيطان والسفه في عقيدته، وقد رأينا في زماننا هذا من يحمل الدرجات العلا في علمٍ من علوم الدنيا، لكنه يعبد البقر، ومن المسلمين من يحمل الدرجات العلمية العليا في تخصص دنيوي؛ ويرى أن التدين فقط بالتصوف وبدعه.

والجهل في اللغة: نقيض العلم[5]، وشرعاً: هو انتفاء العلم بالمقصود، بحيث لا يدرك أصلاً.[6]

---

(1) انظر: ظهير، البريلوية (ص60).
(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج2/ 95) و(ج503/7).
(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج554/4).
(4) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (ج230/2).
(5) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج489/1).
(6) انظر: السبكي، تشنيف المسامع بجمع الجوامع (ج227/1). الأنصاري، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص67).

والجهل قسمان: بسيطٌ، ومركب.

فالجهل البسيط: هو عبارة عن عدم العلم، أي انتفاء إدراك الشيء بالكلية، بغير تلبُّس، أما الجهل المركب: اعتقاد الشيء اعتقاداً جازماً على خلاف ما هو عليه، وهو جهل أرباب الاعتقادات الباطلة.[1]

والفرق بين صاحب الجهل البسيط وصاحب الجهل المركب؛ أن صاحب الجهل البسيط يطلب العلم، حتى وإن كان غافلاً عن الطلب، فإنه إذا ذكر قبل وانتفع، أما صاحب الجهل المركب فلا يطلب العلم، ولا يقبل التذكير والنصح، لاعتقاده وقناعته بأنه يعلم، بل وأن علمه فوق علم من يخالفه، وهذا الذي يصعب تغييره، كما هو ظاهرٌ في أصحاب البدع، والانحرافات العقدية.[2]

وجهل العبد بالعلم جهلٌ، وترك العمل بالعلم جهل، وذلك سبب استحواذ إبليس، فلابد من الفرار من الجهل بالعلم إلى تحصيله اعتقاداً ومعرفةً وبصيرة، ومن جهل العمل إلى السعي النافع والعمل الصالح قصداً وسعياً، فالجهل سبب كل معصيةٍ لله تعالى، بإجماع الصحابة ﷺ.[3]

لذا كان من نتائج الجهل الحتمية، انتشار الفواحش والقتل والفرقة بين المسلمين، قال النبي ﷺ:{إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا}[4]، وفي رواية أُخرى قال ﷺ:{إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ. قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ: الْقَتْلُ ... إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ، يَحْسِبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ}.[5]

---

(1) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص77). ابن القيم، بدائع الفوائد (ج1011/4). مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج368/144/1).

(2) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد (ج1011/4).

(3) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين(ج470/296/284/1) و(ج314/3).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ رفع العلم وظهور الجهل، 27/1: رقم الحديث 80].

(5) [ابن حنبل: مسند أحمد (ج241/32)]، حديث صحيح، ومعنى هباء من الناس: أي: الرعاع من الناس. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (ج241/5).

رتب النبي ﷺ على انتشار الجهل وقلة العلم، أو عدمه في هاتين الروايتين كثرة وقوع الفواحش، والقتل، وهو من أشد المحرمات، ودليلٌ على فرقة المسلمين، وقد وقع القتل في المسلمين من بعض المسلمين بسبب الجهل، وكانت الفرقة في تاريخ الأمة، من ذلك:

ما أحدثه الخوارج[1]بقلة علمهم، وسوء فهمهم للنصوص، من تكفير الصحابة ﷺ وقتالهم وقتلهم، وما يحدث للمسلمين في زماننا من قتلٍ وفرقةٍ، بقلة العلم وانتشار الجهل.

ولا يخفى ما ينتشر من الرذائل باسم الدين من إباحة الزنا بزواج المتعة عند الروافض[2]، وسقوط التكاليف عند الصوفية وما يترتب عليه من قبائح[3]، وما كان ذاك إلا بالجهل، وقلة العلم، وما ينتج عنهما من التقليد الأعمى.

وبالجهل الذي كان في الأمم السابقة ما دفع قوم لوط عليه السلام لفعلهم القبيح، قال الله تعالى:﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ(54)أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(55)** ﴾[النمل]

وكان كذلك الإعراض عن دعوة الأنبياء للتوحيد، قال تعالى مخبراً عن سبب إعراض قوم نوح عليه السلام لدعوته إلى التوحيد:﴿ **وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ** ﴾[هود:29]

ودفع الناس للوقوع في الشرك من نتائج الجهل، كما حدث من اليهود، قال تعالى:﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف:138]

وقد وقع مثل هذا من الصوفية والروافض، وهم يرون أنهم يحسنون صنعاً، فجوُّز الصوفية الطواف بالقبور للدعاء وطلب تفريج الكُربات[4]، وشرع الروافض زيارة قبور أئمتهم

---

(1) الخوارج: سموا بهذا الاسم لأنهم خرجوا على خليفة المسلمين علي بن أبي طالب ﷺ، وكفروه وسائر الصحابة ﷺ بغلوهم في الدين الناتج عن فهمهم الخاطئ للنصوص الشرعية رغم كثرة عبادتهم، وقد اختلفوا فيما بينهم بعد وافترقوا إلى فرق عديدة. انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين(ج112/1)، البغدادي، الفرق بين الفرق (ص15)، الشهرستاني، الملل والنحل (ج113/1)، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص46).

(2) انظر: الكليني، الكافي (ج270/5) وما بعدها.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج95/2) و(ج503/7).

(4) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج474/1).

والصلاة عندها والتبرك منها[1]، وقد أخبر النبي ﷺ أن سبب هذا البلاء الجهل، فقال:{إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ، يَحْسِبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ}.[2]

وقد حذر عليه الصلاة والسلام من اتباع هؤلاء، فقال:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ؛ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عالماً؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رؤوساً جُهَّالًا؛ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا}.[3]

لذا كان طلب العلم فريضةً شرعيةً على كل مسلمٍ، قال النبي ﷺ: { طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ}.[4]

والناس في هذا الأمر ينقسمون إلى قسمين؛ قسم العلماء وقسم العامة، يفهم هذا من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:122]

فهذه الآية تبيِّن فضل العلم الشرعي، ووجوب تعلُّمه وتعليمه للعباد، لما في ذلك من مصلحةٍ وثوابٍ في الدارين، كما تبين أن الناس لابد أن يكون فيهم العالم، وفيهم العامي المتبع له، لاستحالة أن يكونوا جميعاً علماء.[5]

وقدم ابن القيم رحمه الله تعليم الدين للأمة على جهاد الطَّلب، فقال:" تبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثيرٌ من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه."[6]

---

(1) انظر: المظفر، عقائد الإمامية(ص101) وما بعدها، الخوئي، منهاج الصالحين (ج147/1)، السبحاني، العبادة حدها ومفهومها (ص38-40).

(2) حديث صحيح سبق تخريجه (ص42).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ كيف يقبض العلم، 32/1: رقم الحديث رقم 100]، [العلم/ رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن آخر الزمان، 2058/4: رقم الحديث 2673].

(4) [الطبراني، المعجم الأوسط (ج7/1)]. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(15/1):"صحيح"..

(5) انظر: ابن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص355).

(6) ابن القيم، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام (ص415).

كما يجب على العامة، الأخذ من العلم الشرعي عن العلماء بما لا يسع المسلم جهله، مما تتوقف عليه العبادة، ويكون تقديمه أولى، ليعصموا من الانحراف والزلل في دينهم.[1]

فلا سبيل لسعادة العبد ونجاته إلا بتعلم العلم الشرعي والعمل به، وتكرار سؤال ربه تعالى في كل وقت﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم﴾[الفاتحة:6]، وإلا انحرف عن الحق كاليهود الذين عدلوا عن الحق عمداً؛ بليِّ النصوص وتحريفها والتلبيس على الناس، كما حدث من أهل الكلام، أو كالنصارى الذين عدلوا عن الحق بالجهل والضلال؛ فغلوا في المخلوقين من البشر حتى ألهوهم من دون الله تعالى، كما حدث من الصوفية في شيوخهم؛ فقالوا بالحلول والاتحاد وغيره من أباطيلهم، وكذا الحال فيمن انحرف عن الحق بتركه للعلم وركونه للجهل.[2]

السبب الرابع: الحقد والحسد.

تعريف الحقد: هو إمساك العداوة في القلب للغير، وإضمار التَّربُّصُ له، لحين فرصة إيقاع الأذى به.[3]

وله نتائج، منها: الحسد، فذم الحقد يرجع للحسد، والعكس، لأن ذم الأصل أو الفرع يجمعهما[4]، لذا سيكون مدار الحديث هنا عن الحسد فقط.

تعريف الحسد: هو تمني زوال النعمة عن الغير.[5]

وهو نوعان، أوَّلُهما: أن تزول النعمة عن المحسود، وينالها الحاسد، والثاني: أن تُسلب من المحسود، وإن لم ينالها الحاسد.[6]

وقد أجمع العلماء على تحريم الحسد، لتظاهر الأدلة الشرعية على حرمته[7]، وأنه من الكبائر[8]، وهو داءٌ يعتري كل البشر، إلا من عَصمهُ الله تعالى وعافاهُ، قال الحسن البصري

---

(1) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج442/1)، الكفوي، الكليات (ص122).

(2) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد (ج268/2).

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج154/3). مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج187/1).

(4) انظر: الهيتي، الزواجر عن اقتراف الكبائر (ج90/1).

(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج148/3). ابن حجر، وفتح الباري (ج166/1).

(6) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج172/1).

(7) انظر: النووي، المنهاج (ج152/2) و(ج97/6).

(8) انظر: الهيتي، الزواجر (ج90/1).

رحمه الله تعالى: "مَا مِنْ آدَمِيّ إِلَّا وَفِيهِ الْحَسَد، فَمَنْ لَمْ يُجَاوِز ذَلِكَ إِلَى الْبَغْيِ وَالظُّلْم لَمْ يَتْبَعهُ مِنْهُ شَيْء".[1]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ، وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ".[2]

والخلو من الْبَغْيِ واللُّؤمِ في الحسد؛ يكون بعدم إظهار الحسد، وعدم حدوث الكراهية بسببه، وعدم السعي لإيقاعه فعلاً، مع حفظ حقوق إخوة الدين من الحاسد للمحسود، فإن حدث ذلك بالعجز عن الفعل كان الإثم، وإن حدث الترك لذلك بوجود القدرة على الفعل كان ذلك بالتقوى، ولا إثم حينها على الحاسد، لأنه في هذه الحالة يكون من الخواطر النفسية التي لا يؤاخذ الله تعالى بها عباده[3]، لقول النبي ﷺ {إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ}.[4]

وبالحسد كانت أول معصية لله ﷻ وقعت في السماء، كفر بها إبليس بحسده لأدم عليه السلام، قال تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ **الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة:34].

وعاقب الله تعالى إبليس على عصيانه هذا، فامتدت عداوته لذرية آدم عليه السلام، قال الله تعالى:﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)** ﴾[الأعراف].

فحدث من إغوائه أول معصية في الأرض بقتل قابيل لأخيه هابيل حسداً على ما منحه الله تعالى.[5]

وإخوة يوسف عليه السلام حاولوا قتله لما رأوا حب والدهم يعقوب عليه السلام له، قال تعالى إخباراً عنهم:﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ(9)** ﴾[يوسف]، وما كان

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج482/10).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج124/10).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج482/10). ابن تيمية، ومجموع الفتاوى (ج125/10).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الطلاق/الطلاق في الإغلاق والكُره ... في الشرك وغيره، 46/7: رقم الحديث رقم 5269].

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج296/1) و(ج251/5).

ذلك إلا بالحسد، قال تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام حينما التمس لإخوته العذر:﴿ ...مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ...﴾[يوسف:100]، بإيقاع الحسد.[1]

وكان من أسباب كفر اليهود ومحاربتهم للإسلام الحسد للنبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم على الرسالة التي كانت في العرب ولم تكن فيهم، وعلى نعمة الهداية للإسلام، بدليل قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ... ﴾ [النساء: 54].[2]

وهذا ديدن من لم يؤمن من النصارى أيضاً، فقد جمعهم الله تعالى مع اليهود في ذلك بقوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ... ﴾[البقرة:109]

وما حال بين ابن سلول وبين الإيمان إلا حقده وحسده، بحبه للرياسة وتفضيلها على الإيمان، قال سعد بن عبادة مخاطباً النبي ﷺ في أمر ابن سلول،:" فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ وَلَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ".[3]

فهذه النماذج تبين خطر الحقد ونتيجته الحسد، والشَّرُّ المترتب عليهما، وأنه اعتراضٌ على قضاء الله تعالى وقدره[4]، فينبغي على كل مسلمٍ أن يتق الله تعالى، ويتجنب هذه الآفة التي تحول بينه وبين المسلمين، فيحرم الخير في الدارين، وإذا ما وقع في نفسه شيءٌ من ذلك فلا يبديه، ولا يمنع نفسه من قبول الحق والخير ولو ممن يحسد، أو من يخالف، فمن الناس من يحرم نفسه من الخير، ولو كان علماً من علوم الشرع هو في أمس الحاجة إليه بذلك، وقد رهبنا النبي ﷺ ورغبنا في أمر الحسد، فقال مرهباً ببيان سوء الحسد على قلب المسلم: {وَلَا يَجْتَمِعُ فِي

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج267/127/9)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج373/4).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج251/5). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج336/2). الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج242/1) و(ج24/8). السعدي، تفسير السعدي (ص182).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الاستئذان/ التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، 56/8: رقم الحديث 6254].

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج296/1) و(ج741/2).

جَوْفِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ}[1]، ومرغباً ببيان فضل وثواب خلو قلب المسلم من الحسد، بما رواه أنس عن عبد الله عمرو ﷺ لما قال لرجلٍ من الأنصار "سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: {يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ} فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:... مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ".[2]

ولا يزول الحسد من بين المسلمين إلا بالاستقامة على الدين، قال النبي ﷺ:{ خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ}.[3]

ولا يزول من بين أهل الأرض إلا بالإسلام، قال رسول الله ﷺ:{وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ[4]فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ}.[5]

الشاهد في الحديث: أن ذهاب الحسد وأسبابه يومئذ؛ هو باجتماع الناس على دينٍ واحد، وهو الإسلام، لأن أعظم أسباب الحسد وأكثرها ناتجٌ عن اختلاف الدين بين الناس.[6]

السبب الخامس: الغلو.

الغلو في اللغة: هو التجاوز عن الحد والتفريط فيه.[7]

والغلو في الشرع: هو المبالغة والتشديد في الشيء اعتقاداً كان أو عملاً بما يتجاوز الحد الشرعي له.[8]

---

(1) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، السير/ فضل الجهاد، 466/10: رقم الحديث رقم 4606]. وقال الألباني في التعليقات الحسان(ج7/ 42):"حسن".

(2) [ابن حنبل: مسند أحمد (ج125/20)]،" صحيح على شرط الشيخين".

(3) [الدارقطني: سنن الدارقطني، الأقضية والأحكام/ المرأة تقتل إذا ارتدت، 5/ 440: رقم الحديث 4037]. [الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته 1/ 566: رقم الحديث 2937].

(4) القلاص هي الفتية من الإبل. انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج755/2).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الإيماء/ نزول عيسى بن مريم عليه السلام، 1/ 135: رقم الحديث 243].

(6) انظر: الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (ج3480/11).

(7) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج132/15)، الكفوي، الكليات (ص293).

(8) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (ص106)، ابن كثير، وتفسير القرآن العظيم (ج477/2). ابن حجر، وفتح الباري (ج278/13).

وقد ذمت نصوص الشرع الغلو ومنعته، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ ...﴾[النساء:171]

وقال النبي ﷺ:{أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ}.[1]

كما كان من منهج السلف رحمهم الله تعالى في ذم الغلو: رؤيتهم للمنحرف من العلماء بالغلو عن الصراط المستقيم أن فيه شَبَهٌ من اليهود، والمنحرف من العباد بالغلو فيه شَبَهٌ من النصارى[2]، وأن ذلك من نزغ الشيطان، فإنه" ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان؛ إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط".[3]

والباحث في الغلو يجد أن عمره قصير، وذلك بكثرة اختلاف أهله ومِلَلِهم، وانتقالهم من الإفراط إلى التفريط، قال النبي ﷺ:{ يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ – ورغم ذكره لاجتهادهم في العبادة بهذه الصورة؛ بين سطحيتها، وسوء منهجهم بقوله– يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ}.[4]

والمعنى: أنهم يقرؤون القرآن لغير الله تعالى، ويدخلون في التدين بسرعة ومبالغة، ويخرجون منه بسرعة دون تمسكٍ بأحكامه على المنهج الصحيح، فنتج عن ذلك؛ غلوهم ثم خروجهم على الصحابة ﷺ، وسفكهم الدماء الحرام، وقولهم برد ما لم يرد من السنة في القرآن، واختلافهم على الأمة حتى في فقه العبادات، ثم تفرقهم فيما بينهم بكثرة اختلافهم.[5]

والغلو أنواع؛ منه الغلو في الأشخاص، فمن الناس من يبالغ في مدح شيخه، ويعتمد قوله، ولا يقبل غيره، بل ويقدم كلامه على النص الشرعي[6]، وبعض الإباضية الخوارج، قال

---

(1) [ابن ماجه، سنن ابن ماجه،أبواب المناسك/قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ،228/4:رقم الحديث3029]"إسناده صحيح".

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج65/1).

(3) ابن القيم، مدارج السالكين (ج108/2).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، فضائل القرآن/ إثم من راءى بقراءة القرآن أو أكل به أو فخر به، 6/ 197: رقم الحديث 5058].

(5) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص15–17) وما بعدها. بن بطال، شرح صحيح البخاري (ج448/419/204/1). البغوي، شرح السنة (ج331/10–330). الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر (ج355/3).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج212/10). مراد، كتاب الرحمة الهابطة (ص159/158/104/102).

غالياً في أحد شيوخهم: "في ذكر ثناء العلماء على الإمام ناصر بن مرشد، وهم شهود الله في أرضه، وقد أثنى عليه علماء عصره، بما يطول ذكره – ثم ذكر كلاماً كثيراً في مدحه، وذِكر كراماته بما يشبه كلام الصوفية في شيوخهم وأوليائهم– إلى أن قال: وكاد أن يكون نبياً رسولاً، رحمه الله وغفر له، سيرته شاهرة، وسريرته أنبأت عنها علانيته الظاهرة".(1)

كما غلت الرافضة في عليٍ ﷺ حتى قالوا بألوهيته.(2)

ومما يندرج تحت الغلو في الأشخاص؛ الغلو في الحزبية والتعصب لها؛ فهو ناتجٌ عن الاقتناع بفكر زعمائها وروادها، فيُقدم رأي الحزب على كل رأي حتى ولو كان رأي الشرع والله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ...﴾ [البقرة:165]

المراد باتخاذ الأنداد في الآية: هو أن يجعل العبد نظراء لله تعالى من الرجال، يعطيهم من المحبة والتعظيم والطاعة ما لا يليق إلا بالله وحده(3)، وهذا واضحٌ جليٌ في بابه.

وقد حذرنا النبي ﷺ أن نسلك سبل الأمم الضالة قبلنا بالغلو في الأشخاص، فبدأ نهيه عن ذلك بعدم الغلو في شخصه(4)، فقال ﷺ:{لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ}(5)، وقد قال الله تعالى:﴿ ...وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر:7] ، وهذا الأمر يشمل الأخذ بأمره ونهيه في الإطراء كما في هذا الحديث، وفي كل شرائع الإسلام.

ولم يكن من منهج السلف رحمهم الله تعالى، الغلو في الرجال وأقوالهم، بل مذهبهم أن كل الناس يأخذ منه ويرد عليه إلا النبي ﷺ، ومن أمثلة ذلك؛ قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ :" أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ؛ وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ لَا أَدَعُ

---

(1) السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (ج250/2–255).

(2) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص15). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج435/4). ابن حجر، فتح الباري (ج385/1).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدر (ج209/1). السعدي، تفسير السعدي (ص79).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج398/3) و(ج151/10) و(ج68/11).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ قوله "واذكر في الكتاب مريم"، 167/4: رقم الحديث 3445].

شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا...﴾ [البقرة:106]".[1]

ومن الغلو التعصب للرأي كما جرى من المعتزلة مع الإمام أحمد رحمه الله حيث عملوا على إجباره النزول عند قولهم بخلق القرآن بالتعذيب.[2]

ويكون الغلو بالظروف الاجتماعية، والأحوال المحيطة بالغالي، ومن أمثلة ذلك: رفض أبي طالب الحق واتباع النبي ﷺ، رغم دفاعه عنه أمام قريش، فقال في مرض موته[3]:"لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ؛ يَقُولُونَ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ".[4]

وما ظهر الغلو بالتكفير، وجعل صف المسلمين كصف عدوهم من بعض الجماعات في زماننا هذا إلا بما يتعرض له أهل العراق والشام من بطش أهل الكتاب وحلفائهم الروافض، وتصدر غير العلماء للرأي والأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلابد من تعلم العلم لأن حاجتنا إليه أكثر من حاجتنا لغيره، قال الإمام أحمد رحمه الله: "الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه".[5]

والعبد بالعلم يعرفُ ما يصلح، وما لا يصلح، قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله:" إذا وفقت للعلم؛ عرفت ما الذي يصلح، وما الذي لا يصلح".[6]

ولا سلامة في المنهج، ولا ثبات على الكتاب والسنة؛ إلا بتلقي العلم من العلماء الثقات الأثبات، لأنه لا سبيل إليه بغير ذلك، وقد بين الله تعالى ضرورة ذلك بقوله لنبيه ﷺ، حيث قال:

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/قوله تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسها"، 19/6: رقم الحديث 4481].

(2) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار (ج21/9/1).

(3) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج120/4) وما بعدها.

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ الدليل على صحة إسلام من حضرة الموت ما لم يشرع في النزع، 1/ 55: رقم الحديث 42].

(5) ابن القيم، مدارج السالكين (ج470/2).

(6) هذه العبارة قالها الشيخ في تسجيلٍ صوتي أجراه معه عبد الله الحويل مذيع برنامج علمائنا على قناة أوطان، قبل وفاة الشيخ، وبث المذيع هذه العبارة على البرنامج المذكور أعلاه بعد وفاة الشيخ، وجعلها عنوان الحلقة بتاريخ 1431/9/3هـ.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:6]، ثم أمره بعدم الاستعجال على التلقي، فقال ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ*فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة:16-18] ، لذا قال الإمام أحمد رحمه الله:" إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام".[1]

السبب السادس: الدعوات الهدامة.

الدعوات جمع دعوة، وهي المناداة، وطلب ميْلٍ وإقبال المنادى لحلفٍ، على هدىً كان أو ضلال، بالكلام أو الكتابة.[2]

والهدامة؛ صيغة مبالغةٍ من الهدم، الهاء والدال والميم فيه: أصل يدل على حط بناء ونقضه، لتخريبه وإسقاطه.[3]

ومفهوم الدعوات الهدامة: هي تلك الدعوات الوافدة من الغرب على بلاد الإسلام بقصد إبعاد المسلمين عن دينهم، بوسائل جديدةٍ غير وسائل القوة العسكرية، استعمل فيها الغرب الإعلام والتعليم والصحة، والأعوان من صفوة أبنائهم، وممن ربّوهم من أبناء المسلمين؛ لإحياء الدعوات الهدامة القديمة، وابتكار دعواتٍ جديدةٍ، تناقض العقيدة الإسلامية.[4]

وهذه الدعوات صناعة يهودية نصرانية للقضاء على الأديان، والإسلام منها خاصةً، والحظ الأوفر في صناعتها وتدويلها لليهود، الذين ابتكروها لفصل الدين الكنسي عن نظام الدولة، لتمهيد الأجواء الأوروبية لصالحهم، والسيطرة عليها وعلى العالم فكرياً، مستغلين تسلط الكنيسة على الناس واستعبادهم، والنصارى تبعٌ لليهود في ذلك، وهم خير مطايا استعملها اليهود لأهدافهم الخبيثة.[5]

---

(1) المروزي، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه (ج8/1).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج279/2)، ابن منظور، لسان العرب (ج262،259/14)، الفيومي، المصباح المنير (ج194/1)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج287/1).

(3) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج41/6). الكفوي، الكليات (ص963). مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج977/2).

(4) انظر: الخزي، الليبراليون الجدد (ص9). الجندي، الإسلام والدعوات الهدامة (ص7،34،18،154،256). لوشاتلية، الغارة على العالم الإسلامي (ص136).

(5) انظر: التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون (ص88،29،25). الجندي، الإسلام والدعوات الهدامة (ص149)، الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة (ج556/1).

فاليهود أمةٌ لا يتوانون عن الإفساد في الأرض، ولا يرون بينهم وبين البشر إخوة إنسانية، بل دائماً يشعرون بالعداء مع البشر، وأنهم سادتهم، ولابد من العمل على إفساد حياة العالم[1]، قال الدكتور أوسكار ليفي: "نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه، ومحركي الفتن فيه وجلاديه".[2]

ثم برع النصارى بعد تتلمذهم على يد اليهود، وشاركوهم في دعواتهم الهدامة، لأن الجميع أيقن ألا قِبَلَ لهم بمواجهة المسلمين إلا بإحياء الدعوات الباطلة القديمة بوجهٍ جديد، ليدخلوا على الناس باسم الدين فيلْبِسوا عليهم دينهم، فجندوا جيوشاً جرارة لتنفيذ هذه المخططات، كان منهم المستشرقون، وهو مصطلح يطلق على علماء من الغرب من اليهود والنصارى تخصصوا في دراسة حضارة الشرق العربي والإسلامي ولغاته ودياناته، وآدابه وثقافاته، ركزوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية، وألفوا ستين ألف كتاباً، للطعن في الإسلام، وتشكيك أهله فيه، بعد دراسات دامت لقرن ونصف.[3]

ومنهم المبشرون، جمع مبشر، وهو من يعظ بالإنجيل، ويبشر بالخلاص من الخطايا والفوز في الأخرة – على حد زعم النصارى– وتسميته بالتبشير من البِشارة، وهي الخبر السَّار، الذي تنبسط له بشرة الإنسان[4]، والحق أن هذا الاسم ما قصد به إلا التضليل، حتى ينطلي على المسلمين.

ويمارس التبشير أفراد وهيئات ومنظمات ذات خبرة وكفاءة، ولهم مراكز وإدارات في البلاد الإسلامية، تحت رعاية وتمويل كبير من جهاتٍ عُليا في دول بلاد الغرب، لقصد هدم العقيدة والمجتمع الإسلامي.[5]

---

(1) انظر: التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون (ص88).

(2) المصدر السابق، ص1.

(3) انظر: الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة (ج2/693،689،688،687).

(4) انظر: الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة (ج2/621)، المجممي، التّنصير عبر الخِدمات التفاعليّة لشبكة المعلومات العالميّة (ص16–17).

(5) انظر: الجندي، الإسلام والدعوات الهدامة (ص250). ألفريد، الغارة على العالم الإسلامي (ص40). عبد المحسن، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم (ص46،8) وما بعدهما. الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، (ج1/113).

وقد سلك هؤلاء التبشير في التعليم المدرسي بمراحله، والجامعات، والبيوت، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجئ للكبار ودور اليتامى واللقطاء، وحتى طبقة المثقفين، للذكور والإناث على السواء، على حين غفلةٍ من المسلمين، في الجانب الديني والجانب السياسي والاقتصادي، وفي كل مناحي الحياة.

وما قُصد بذلك إدخال أهل الإسلام في دين النصارى؛ بل أن يكونوا بلا دين، حتى لا تكون لهم صلةٌ بالله تعالى، ولا تكون لهم كرامة، ولا أخلاق، على حد تصور داعمي التبشير.[1]

فركز هؤلاء المبشرون في كل جهودهم على وضع الإسلام والقرآن واللغة العربية في دائرة الاتهام؛ باستخدام الروايات الدخيلة، والشبهات، وإحياء المذاهب الباطلة القديمة، والدعوة إلى إحياء النزعة القومية، ونشر الفرقة بالفتن والحروب بين المسلمين، وتربية الأجيال من أبناء المسلمين على فهم الدين بمفهوم الغرب، والعمل لخدمة مشاريعهم.[2]

فكان التبشير هو الخطوة الأولى التي مهدت للغرب الاستيلاء على بلاد المسلمين، وتسخير أرضهم وخيراتها، وكثير من أبنائها لخدمة أغراض الغزاة، وظهور التوتر العقدي في بلاد فارس، وزيادة عدد أصحاب الدعوات الباطلة كالبابية، وضياع المسجد الأقصى من أيدي المسلمين بقيام كيان لليهود في فلسطين.[3]

ولم يكن اليهود في بعدٍ عن هذا المجهود، بل كان لهم دورٌ كبير في استعمال النصارى ودينهم؛ لإضلال الناس، والاستحواذ عليهم، والتمهيد لقيام كيانٍ لهم.[4]

كما صدر الغرب لبلاد الإسلام مذاهباً وأفكاراً كفرية تعميقاً لمجهوداتهم وآثارها، كالعلمانية والليبرالية والعولمة وغيرها من الباطل، وجندوا لها من يدعو إليها ويدافع عنها ممن قبِلها وتبناها من المسلمين؛ إما جهلاً، أو مقابل متاع الدنيا الزائل، وكلها تحمل في طياتها

(1) انظر: الدمشقي، قادة الغرب يقولون" دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ" (ص52). ألفريد، الغارة على العالم الإسلامي (ص40،7)، الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (ج109/1).

(2) انظر: الجندي، الإسلام والمذاهب الهدامة (ص225،251،17). ألفريد، الغارة على العالم الإسلامي (ص136،13). الخزي، الليبراليون الجدد (ص9). الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة (ج698/2،274) وما بعدها.

(3) انظر: الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (ج100/109/1).

(4) انظر: الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، ص108. ألفريد، الغارة على العالم الإسلامي (ص185،40). التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون (ص15). الجندي، الإسلام والدعوات الهدامة (ص150).

منهجاً يرد الدِّينَ، ويجعله كرهبنة النصارى، لأن الغرب أدركوا يقيناً بعد فشل حملاتهم العسكرية أن لا قِبلَ لهم بالمسلمين ما داموا على دينهم.[1]

وقد حذر النبي ﷺ أمته من هذا المكر والتداعي، فقال ﷺ:{ يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا}[2]، فلابد للمسلمين من أخذ الحذر، كلُ واحدٍ منهم في خندقه، وعلى قدر وسعه،﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾[البقرة:286]

وستبوء هذه الجهود بالفشل بإذن الله تعالى، فهي مؤقتة منوطةٌ بأسبابها الزائلة[3]، قد وصفها الله تعالى بقوله:﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾[الصَّف:8]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الشيطان استعمل حزبه في إفساد دين الله الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ومن سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه؛ أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق".[4]

السبب السابع: اتباع الأقوام الضالة.

الضلال لغةً: قال ابن فارس:" الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء، وذهابه في غير حقه"[5]،"والأصل في الضَّلالِ الغيبة"[6]، وهو "ضدُّ الهُدَى والرَّشاد".[7]

والضلال شرعاً: هو الهلاك بالغياب عن الطريق المستقيم، عمداً أو سهواً، كثيراً أو قليلاً".[8]

---

(1) انظر: الجندي، الإسلام والمذاهب الهدامة (ص151-155). ألفريد، الغارة على العالم الإسلامي (ص136). الخزي، الليبراليون الجدد (ص9). الموسوعة الميسرة للندوة العالمية (ج665/2).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج82/37)]، وصححه الألباني.انظر: صحيح الجامع برقم(8183)،(1359/2).

(3) انظر: الجندي، الإسلام والمذاهب الهدامة (ص52،51).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج28/ 57).

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج356/3).

(6) الفيومي، المصباح المنير (ج363/2).

(7) ابن منظور، لسان العرب (ج390/11).

(8) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص766,137)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج543/1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" لفظ الضلال إذا أُطلق؛ تناول من ضلَّ عن الهدى، سواءٌ كان عمداً أو جهلاً، ولزم أن يكون معذباً" كقوله:﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾[الصَّفات:69]، وقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب:67]، ثم قد يُقرن... بالغضب كما في قوله:﴿...غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:7]، والمغضوب عليهم هم اليهود؛ لأنهم عرفوا الحق وعاندوه، والضالين هم النصارى لغيابهم عن الحق[1]، وهم المقصودون تحت هذا العنوان، لما لشرهم من الأثر الكبير في التصدي للإسلام والمسلمين لإضلالهم، وخاصة اليهود، فقد بين الله تعالى خطرهم في مواضع عدة من كتابه، منها:

- بيان مكرهم لإيقاد الحروب، ونشر الفساد، قال تعالى:﴿ ...كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة:64].
- بيان حرصهم على ردة المسلمين وكفرهم، قال ﷻ:﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ...﴾[النساء:89]
- بيان شدة عداوتهم، قال تعالى:﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اليَهُودَ ...﴾ [المائدة:82].

ودَأبُ النصارى مع المسلمين دَأبُ اليهود، فهم تبعٌ لهم، وقد جمعهم الله تعالى في بيان شدة عداوتهم للمسلمين، وتمنى ردتهم، فقال ﷻ:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ...﴾ [البقرة:109]، وبين تبارك وتعالى أنهم لن يرضوا عن المسلمين إلا إذا ارتدوا، وأصبحوا على دينهم، فقال:﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾ [البقرة:120]

ولم يتوقف الطرفان عبر التاريخ عن الكيد للمسلمين، من ذلك ما أحدثه عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وعمل على نشر البدعة، والخروج على عثمان ﷺ وقتله [2]، وقد تسبب هذا الفعل بفتح باب فتنة القتل والفرقة بين المسلمين،

---

(1) انظر: ابن تيمية، الفتاوى (ج64/1). السعدي، تفسير السعدي (ص39).
(2) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج263/10،462،484).

أما النصارى فما رقبوا في المسلمين إلاً وذمة، عبر حروبهم الصليبية التي لم تتوانَ على بلاد الإسلام، قتلاً وسبياً ونهباً وحرقاً، لعامة الناس وخاصتهم، كما حدث في المسجد الأقصى، وغيره من بلاد الشام.(1)

ولم يقف شرهم وحقدهم عند هذا الحد؛ بل:﴿ ...**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...**﴾[البقرة:**217**]، ومعلومٌ أن هذا يستلزم دوام المكر بالليل والنهار، وبشتى الوسائل والأساليب، والتي منها تحسين مذاهبهم، وما هم عليه من دين، حتى تقبل مذاهبهم، لذا حذر النبي ﷺ من اتباعهم، فقال:{ لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ}.(2)

وأخبر النبي ﷺ أمته بأنها ستتبع المحدثات في كل شيءٍ مما نهى عنه الشرع في دينها، اقتداءً بالأمم السابقة من اليهود والنصارى(3)،

ونهى عن ذلك، فقال: {مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ}(4)، وهذا التشبه بالكفار يكون في المظهر والسيرة والهدي، وحكمه يكون حسب القدر المشترك، فإن كان فيما يوجب الإثم، فهو محرم، وإن كان فيما يوجب الكفر، فهو كذلك.(5)

ودأب اليهود والنصارى في الباطل متعدد، من ذلك:

ما يفعله بعض الناس من أخذهم جانب العبادة في الدين، كالصلاة والصيام، وتجده يتعامل بالربا، أو سيء المعاملة؛ بأكل حقوق الناس، أو أذاهم، أو كأهل الأهواء الذين يأخذون من الدين ما يوافق هواهم وبدعهم، ويردون ما خالفها، وكمن يتبنى منهجاً مخالفاً للإسلام، يدافع

---

(1) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج19/9). ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (ج86/4)، (ج210/5).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ قول النبيﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، 9/ 103: رقم الحديث 7320].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج301/13). العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج53/25).

(4) [ابن حنبل: مسند أحمد، 123/9: رقم الحديث 5114]. وقال ابن تيمية: "حديث جيد"، مجموع الفتاوى (ج331/25)، وقال ابن حجر:"قلت: أخرجه أبو داود بسند حسن" فتح الباري(271/10)، وقال في موضعٍ آخر:" وقد ثبت أنه قال" ثم ذكر الحديث،(274/10).

(5) انظر: الفيروز آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (ج1037/9).

عنه، ويدعو إليه، ويوالي فيه ويعادي عليه، وهذه الأحوال من دأب أهل الكتاب، قال الله تعالى:﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآَنَ عِضِينَ ﴾[الحجر:91]، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: "هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ جَزَّءُوهُ أَجْزَاءً فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ".[1]

ومن حرف النصوص بالتأويل كالمتكلمة، أو بكتمان العلم، أو أمر الناس بالبر ونسيَّ نفسه فهو كأهل الكتاب.[2]

وهناك من الزنادقة[3] من اصطنع عقائد باطلةً على نمط عقائد أهل الكتاب، ليحارب بها الإسلام وأهله، فاتبعه الرافضة فاعتقدوا في الأنبياء وأهل البيت من نسل عليٍ ﷺ الألوهية.[4]

والمنحرفة من العباد محدثوا التصوف الذين ابتدعوا عبادات الزوايا والرهبنة، وغالوا في الأنبياء والصالحين، فجعلوا لهم من خصوصيات الألوهية ما اتبعوا به أهل الكتاب.[5]

فلا خير ولا ثبات للمسلم إلا إذا وقف عند قول ربه تعالى:﴿ ...وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ [الحشر:7]

السبب الثامن: اجتيال الشياطين.

الاجتيال في اللغة: هو التَّحوِيلُ عن القصد.[6]

وفي الشرع: استخفاف الشياطين بالخلق، والذهاب بهم إلى ما يزيلهم عن دينهم من الضلال.[7]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قوله: "الذين جعلوا القرآن عضين""، 81/6: رقم الحديث 4705].

(2) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (ج65/1)،(ج286/13) وما بعدها.

(3) الزنادقة هم قومٌ أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر بعد عصر الصحابة، وعملوا على إدخال البدع والكفر في أحكام الإسلام قصد التشويه وإضلال المسلمين. البغوي، معالم التنزيل(ج173/3). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج180/3).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج66/1)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج46/3) وما بعدها. وعمدة القاري (ج79/24).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج65/1،66).

(6) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج148/1).

(7) انظر: البغوي، شرح السنة (ج408/14). النووي، المنهاج (ج197/17).

وهذا الاجتيال ذكره النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى، قال:{إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ[1] كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا}.[2]

والحديث يفيد:" أن الشياطين هي التي دعت الناس للخروج عن الفطرة إلى الشرك بالله، وإلى تحريف الدين، وتحريم ما أحل الله تعالى، وتحليل ما حرم، ولا تزال تتربص بهم وتقعد لهم في كل مرصد؛ حتى تصدهم عن توحيد الله وعبادته".[3]

والشياطين يعودون في نسبهم إلى إبليس عليه لعنة الله، فقد دلت الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة؛ على أن ابليس من الجن، وأن له ذرية، وهم الشياطين، يرسلهم لتضليل الناس[4]، ولفظ الشيطان مشتقٌ من البُعد، لذا فهو عامٌ، يطلق على كل من تمرد من الجن والإنس والحيوان شيطانًا[5]، لكن المقصود به في هذا الحديث، وتحت هذا العنوان؛ هم شياطين الجن، الذين حذرنا الله تعالى من عداوتهم وشرهم، فقال:﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر:6]

وقد بدأت هذه العداوة قبل وجود آدم عليه السلام وذريته على الأرض، فسباهم إبليس عليه لعنة الله إلى الأرض في هذه الحياة الدنيا؛ بهذه العداوة[6]، وقد قص الله تعالى علينا هذا الواقع بقوله:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى(116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى(117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى(118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى(119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى(120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ**

---

(1) والحنيف هو: "الصحيحُ الميلِ إلى الإسلام". البغوي، شرح السنة (ج408/14).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها/الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، 2197/4: رقم الحديث رقم 63].

(3) العرباوي، كتاب التوحيد (ص243).

(4) انظر: الشنقيطي، العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ (ج118/3).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج238/1).

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص238.

فَغَوَى(121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(123) ﴾. [طه:116-123].

ووقت هذه العداوة منوطٌ بحياة الإنسان في الدنيا، قال النبي ﷺ:{إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي}.(1)

ولكل إنسان قرينه الذي يخصه ولا يفارقه لإغوائه، ويؤثر في حديث نفسه وخاطره(2)، قال النبي ﷺ: {مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينه مِنْ الْجِنّ ، قَالُوا : وَإِيَّاكَ ؟ قَالَ : وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّه أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرنِي إِلَّا بِخَيْرٍ}.(3)

وغواية الشيطان لها مراتب، فهو يتدرج مع الناس حسب أحوالهم، ولا ينجو إلا من عصم الله وعافى، فيبدأ بالعمل على كفر الإنسان، فإن استجاب فهو أعظم مبتغىً عنده، فإن لم يفلح؛ تحول إلى البدعة، لعظم ما يترتب عليها من شر، فصاحبها يرى أنها دينٌ يتعبد الله بها، ويوالي ويعادي عليها، فإن لم يفلح بإيقاع العبد فيها؛ تحول معه إلى الكبيرة، فإن لم يفلح، تحول إلى تهوين الصغائر، ثم إلى المفضول من المباحات والتوسع فيها لما يترتب على الانشغال بها من تفويت الطاعات، ثم إلى الطاعات المفضولة، وهكذا يتدرج مع العبد على حسب حاله ومدى استجابته، عافانا الله تعالى، فإن كان صلباً في دينه؛ سلط عليه أهل الظلم والباطل والبدع.(4)

وقد يتدرج الشيطان مع العبد بعكس هذه الأساليب، بأن يدله على الخير كي يوقعه في الشر، فإذا كان العبد على غير علم بمكائده؛ أغواه، لذلك أمرنا الله ﷻ بعدم اتباع خطواته، قالاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ... ﴾ [النور:21]

وخطوات الشيطان: "هي طُرقه وسُبله، وما يأمر به من الباطل، فإن كل معصية لله تعالى هي من خطوات الشيطان، فهو أغش عباد الله لعَبِيد الله".(5)

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج337/17)]،"حديث حسن".

(2) انظر: النووي، المنهاج (ج158/17).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار/ تحريش الشيطان، 2167/4: رقم الحديث 2814].

(4) انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج329/3).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج566/1)، (ج30/6).

ومن أمثلة تدرجه هذا؛ ما ذكر ابن الجوزي عن عابد بني اسرائيل، عندما ألح عليه نفرٌ من قومه بإبقاء أختهم في بيتٍ حذاء صومعته، لتكون في أمانٍ، بعد خروجهم للجهاد، فتدرج معه الشيطان من وضع الطعام لها على باب صومعته إلى أن دخل عندها في البيت وحدثها، لتأْنس به، وتُرفع عنها الوحشة، حتى وصل الأمر إلى أن زنا بها، فحملت ووضعت، فقتلها وابنها خوفاً من الفضيحة، فلما عاد إخوتها نعاها لهم، وترحم وبكى عليها، فصدقوه، لكن الشيطان لم يزل بهم حتى دلهم على حقيقة الأمر، فوقع الراهب بجريرة فعله للعقاب، فجاءه الشيطان وعرض عليه أن يكفر بالله تعالى مقابل وعده بالخلاص، ففعل الراهب، ولم يخلصه، فصلب ومات كافراً.[1]

وما كان من قوم نوحٍ ﷺ عندما كان فيهم رجالٌ صالحون، فلما ماتوا أوحى الشيطان لقومهم أن يصوروهم بتماثيل، يجعلوها في مجالسهم؛ كي يُذكِّروهم بعبادة الله تعالى، فيكون ذلك أدعى على النَّشاط، فلما مات من صنع التماثيل، وتقادم الزمن، وتَنَسَّخ العلم، أوحى الشيطان إلى الناس أن اعبُدوهم وتوسَّلوا بهم، فهو دأب سابقيكم، وسبب رزقكم، ففعلوا، وبقي هذا الشر فيمن بعدهم.[2]

ومن أمثلة التدرج أيضاً لاجتيال الخلق عن طاعة الله تعالى؛ الوسواس الذي يصيب بعض الناس بقلة علمهم، فمن الناس من يرى أنه لا يتوقف عن الكفر بسب الدين، أو الذات الإلهية، أو غير ذلك من الكفر، ويحدث له ذلك إذا ضيَّق عليه بعض الناس، وأحياناً دون ذلك، أو بمجرد دخوله في الصلاة، فيدخل الشيطان بوسوسته فيقول: من تخدع بصلاتك التي لا تبرح عن الكفر إذا دخلت فيها، وبعضهم لا يشعر بذلك إلا إذا داوم على الطهارة والصلاة واجتهد في العبادة فيكثر له ذلك، فإذا تراجع عن العبادة، شعر براحةٍ منه.

وقد مر بي أشخاصٌ أرهقهم مثل هذا البلاء، حتى وقفتُ على حال بعضهم ترك الصلاة لذلك، لأنه يرى بطلان صلاته مع استمراره على هذا الكفر، إلى أن وصل به الحال أن انقطع عن الذكر حتى برد السلام.

ومثل هذه الأمور قد عالجها النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ

---

(1) انظر: ابن القيم، تلبيس إبليس (ج26/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري عن ابن عباس،التفسير/"وَداً ولا سُواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرا"، 225/15: رقم الأثر 4539]، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج235/8). الشوكاني، فتح القدير (ج372/5).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي}.[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: {وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ} قَالُوا نَعَمْ قَالَ: {ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ}.[2]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ، لَأَنْ أخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ}.[3]

الفائدة في هذه الأحاديث؛ أن هؤلاء الناس لما كمل إيمانهم واستعظموا الكفر بالله تعالى، وأحبوا الإيمان، عجز الشيطان عن إغوائهم، فاستغل الجهل بوسوسته وتأثيرها في الخواطر، فجاء لينكد حياتهم بهذه الخواطر الكفرية، لذلك عبر النبي بالتكبير مرة، وبقوله: "ذاك صريح الإيمان" مرة أخرى[4]، فنالوا الشهادة بالإيمان من النبي ﷺ، والعلم الذي يخرجون به من كيد الشيطان، وهذا لا يخصهم وحدهم، بل لكل من أصابه الإعياء بمثل هذا وسأل عن الدواء، قال النبي ﷺ:{ أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ[5]السُّؤَال}.[6]

المطلب الثاني: الآثار المترتبة على انحراف الناس في المنهج العقدي

إن حاجة الناس للدين، والعلم به فوق كل حاجةٍ وضرورةٍ، به تنصلح أحوال دنياهم وآخرتهم، وبعدمه يخسرون الدنيا والآخرة، وإن أوَّل علم الدين وأرفعه، هو علم الفقه الأكبر، علم أصول الدين، علم الإيمان بالله تعالى، الذي أرسل به رسله عليهم الصلاة والسلام[7]، قال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[الأنبياء:25]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، 1728/4: رقم الحديث 2203].

(2) [المصدر السابق، الإيمان/ بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، 119/1: رقم الحديث 209]

(3) [ابن حنبل: مسند أحمد، 10/4: رقم الحديث [2097]،"إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(4) النووي، المنهاج (ج154/2).

(5) الْعِيِّ: الجهل بالأمر. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث (ج287/1).

(6) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج173/5)]،"حسن".

(7) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج93/19، 96). ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (ج362/4). ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص227). ابن القيم، مدارج السالكين (ج470/2) الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص69).

لذا كان من منهج الصحابة ﷺ في طلب العلم الشرعي البدء بعلم الإيمان، علم العقيدة أولاً، ومبكراً لمن كان إسلامه وهو صغير، فعن جُنْدُبِ بنِ عبد الله ﷺ، قَالَ: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا".(1) والحزاورة: جمع الْحَزْوَر، وهو الغلام إذا اشتدَّ وقوي، وقارب البلوغ(2)، وهذا يفيد أن تعلُّم علم الإيمان والعقيدة؛ يكون قبل تعلّم علم الفقه والقرآن.(3)

والناظر لأحوال الناس عبر تاريخ الأمة يجد مدى خطورة تخليهم عن منهج السلف وعقيدتهم وما ترتب على ذلك من انحرافهم العقدي من فسادٍ في كل المناحي، ومن صور ذلك:

أولاً: انحطاط الأخلاق

كانحطاط الأخلاق وضياع الأعراض بحيلة إباحة الزنا بالمتعة عند الروافض، الذين تشبهوا باليهود والنصارى وأهل الإلحاد بشيوعية النساء(4)، وما كان تبرج نساء المسلمين في عصرنا؛ إلا بضعف الإيمان الناتج عن الجهل بحقيقته.

وما كان انحطاط الأخلاق عند بعض المتكلمين إلا بالانحراف عن المنهج العقدي الصحيح، فقد اشتهر عن بعضهم إدمان شرب الخمر، والوقوع في المنكرات، وأكل أموال الناس بالباطل والجور في ولاية القضاء.(5)

ثانياً: الضعف العلمي

لقد بدأ نزول الوحي على النبي ﷺ، بقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:1]، ثم بين أن من ثمار القراءة إكرام الله تعالى عبده بالفتح عليه بالعلم والمعرفة، فقال ﷻ:﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾[العلق:3]

وهذا لا يفيد اقتصار القراءة على العلوم الشرعية؛ بل يُقرأ في كل علمٍ تحتاجه الأمة، قال الشوكاني رحمه الله تعالى(6):"لا بأس على من رسخ قدمه في العلوم الشرعية؛ أن يأخذ

(1) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، أبواب السنّة/الْإِيمَان، 42/1: رقم الحديث 61]،"إسناده صحيح".
(2) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج380/1). ابن منظور، ولسان العرب (ج187/4).
(3) انظر: محمد بن موسى، مشارق الأنوار(1427) و(ج255/2).
(4) انظر: الكليني، الكافي (ج270/5) وما بعدها.
(5) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص177)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج541،542/10) و(ج63/15)، العسقلاني، لسان الميزان، (ج386/3)، الزركلي، الأعلام (ج295/3).
(6) هو الفقيه المجتهد العلامة: محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني، من كبار علماء اليمن، له أكثر من مئة مؤلف، ولي قضاء صنعاء حتى مات بها. الزركلي، الأعلام (ج298/6).

بطرف من فنونٍ هي من أعظم ما يصقل الأفكار ويصفي القرائح ويزيد القلب سروراً والنفس انشراحاً كالعلم الرياضي والطبيعي والهندسة والهيئة والطب".[1]

وقد اشتهرت الأمة زمن مجدها وعلوها عندما كانت على عقيدتها الصحيحة ببراعتها في العلوم الدنيوية إلى جانب العلوم الدينية، وكان من إبداعاتها أن يجمع العالم من أبنائها بين علم الدين وعلمٍ من علوم الدنيا أو أكثر، لخدمة الأمة والرقي بها.[2]

لكن هذا العز وهذه البراعة لم تتواصل في فترات انحراف العقيدة التي مرت بالأمة، ومن أمثلة ذلك؛ عندما أصبح من الغريب الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا في المساجد أو دور العلم، ويحتاج من يريد إدخال علم من علوم الدنيا الضرورية إلى هذه الأماكن لينفع الأمة ويرقى بها؛ أن يرجع لكبار أهل الفتوى في بلده، لأنهم يرون أن العلوم الدنيوية تصدهم عن الحق وتحرمهم سعادة الدنيا والآخرة، حتى العلوم العسكرية، لأن النصر بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء، فلا حاجة للعلوم العسكرية لذلك!![3]، والمصيبة أن هذه الأباطيل قد خرجت من مؤسسة لها شهرتها، ويتفاخر القائمون عليها وأهل بلدها بمكانتها ومجدها.

والأغرب من ذلك أن الدولة في تلك الحقبة لم تكن ترى قدر العلوم الدنيوية، ولا تدعمها ولا تحُثُّ عليها، بل كانت تقف كسدٍ أمام من يحاول إدخالها على المسلمين، كما حدث للمدرسة الوطنية الإسلامية في لبنان، التي أغلقت بأنظمة الدولة العثمانية تجاهها[4]، ولم يكن هذا الواقع المرير إلا عندما بُسط سلطان الصوفية وقت إذ، التي لا تعرف قدر العلم، ولا تدعو إليه، لا في علم الدين وفي علم الدنيا، فهذا شيخهم الكبير الشعراني صاحب كتاب الطبقات الذي جمع فيه من الخرافات ما يستقبحه من يعقل من البُلَه، أخذ علم طريقه الصوفي عن أميين، لا يعرفون القراءة ولا الكتابة [5]، فإن كان هذا حال الشيخ الكبير، فكيف بالتلاميذ والأتباع!!.

---

(1) الشوكاني، أدب الطلب (ص156).

(2) انظر: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، الأزهر تاريخه وتطوره (ص244). الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر وآثارهما في حياة (ج8/1).

(3) انظر: وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر، الأزهر تاريخه وتطوره (ص248) وما بعدها. رضا، مجلة المنار (ج822/1) و(ج547/3). الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية (ج12،15،18/2).

(4) انظر: أرسلان، إخاء أربعين سنة (ص31). وزارة الوقاف وشؤون الأزهر، والأزهر تاريخه وتطوره (ص242).

(5) انظر: الطويل، التصوف في مصر إبان العصر العماني (ص47،48)، والشعراني هو أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراني (المتوفى:973هـ)، من أئمة الصوفية، صنف كتاباً عديدة في التصوف جمع فيها الترهات والأباطيل الكثيرة. الزركلي، الأعلام (ج180/4).

فقد انتشرت الصوفية في أغلب البلاد الإسلامية، وبلغت مكاناً مرموقاً عند حكام الدولة العثمانية في آخر عهد خلافتهم، وخلافة المسلمين[1]، فكان الانحطاط العلمي نتيجةً طبيعيةً لذلك الواقع، سواء في علوم الدين والعقيدة، أو في علوم الدنيا، وقد ترتب على هذا تردي أحوال الأمة وتأخرها إلى يومنا هذا.

مع أن الدين يدعو الناس أن يعملوا على إعمار دنياهم وآخرتهم، لا أن يعيشوا جهلة، وعالةً على أنفسهم، وعلى الناس، كالمتصوفة، وقد بين الشوكاني رحمه الله فضل علوم الدنيا وأنها لا تعارض الشرع بقوله: "ولقد وجدنا لكثير من العلوم التي ليست من علم الشرع نفعاً عظيماً وفائدةً جليلةً".[2]

ثالثاً: التعصب المذهبي

ثبت عبر تاريخ الأمة بالوقائع أن التعصب المذهبي أحد نتائج الانحراف في المنهج العقدي، والجهل بالعقيدة الصحيحة ومنهجها، ومن ذلك ما كان من المعتزلة عندما قالوا بخلق القرآن، وألزموا الناس بذلك وامتحنوهم، وكان على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، الذي كانوا يطلبون رأيه وفتواه بالسجن والسوط، وسطوة السلطان.[3]

وبالتعصب المذهبي اشتغل الروافض بتلفيق المثالب المفتريات على الصحابة الكرام ﷺ وجعلوا ذلك ديناً يبدعون من خالفهم فيه، وشابههم النَّظام المعتزلي بالطعن على بعض الصحابة ﷺ بالتعصب لمذهبه[4]، وعند جماعة من جماعات الزيدية يرون نصب العداء لمن خالفهم في بعض سنن الصلاة، يعادونه أشد من عداء اليهود والنصارى، ويرون أنه على دينٍ آخر، ويحرضون العوام عليه بأنه ناصبي.[5]

---

(1) انظر: الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار(ج28/2)، الطويل، التصوف في مصر (ص11،54،164).

(2) الشوكاني، أدب الطلب (ص157).

(3) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج210/14)، السفاريني، لوامع الأنوار (ج21/9/1).

(4) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص133).

(5) انظر: الشوكاني، أدب الطلب (ص84،85)، والناصبي هو من من والى الصديق والفاروق رضي الله عنهما ونصب العداء لآل البيت بزعم الرافضة الشيعة.

ومما مر بالأمة بسبب التعصب المذهبي تفرقهم في صلاتهم، كل متبع لمذهب يصلي خلف إمامٍ من مذهبه، ولا يرى صحة الصلاة خلف صاحب مذهبٍ آخر، بل يرى أحدهم مقاتلته لأخيه المسلم من الدين، لأنه رآه يخالفه في بعض هيئات الصلاة.(1)

ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ بل زاد إلى الحرب والخراب، فهذه مدينة أصبهان التي امتازت بكثرة حفاظها وعلمائها وعلو إسنادهم، وبراعتهم في كل فنون العلم، قد فشا فيها الخراب وقُلِّبتْ نواحيها ما بين أواخر القرن السادس الهجري، وأوائل السابع، زمن ياقوت الحموي، لكثرة الفتن واتصال الحروب بالتعصب المذهبي، كلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى وأحرقتها.(2)

وهذه الأحوال تفيد أن حدوثها لا يكون إلا باستباحة ما حرمه الله تعالى من المسلم، عافانا الله، وهو مخالفٌ للعقيدة، ولا يكون إلا في حال خللها.

وذكر صاحب تفسير المنار عند ذمه للتعصب المذهبي، وما بلغ بأهله، عن بعض من يلَقَّبون بكبار العلماء والمشايخ في زمنه؛ تقديمه لأقوال الفقهاء على نصوص الكتاب والسنة تعصباً لمذهبه، وأن خلاف رأيه هذا زندقة، ويطعن على علماء الحديث، ليقدم أقوال الفقهاء، بقوله: "من يعمل بالحديث فهو زنديق".(3)

وما هذا القول إلا ردٌ للشرع، واستخفافٌ بصاحب الحديث ﷺ، والسلف وسائر الأمة، وابتداعُ دينٍ جديدٍ، ما دام بناء الأحكام على الحديث زندقة.

ومما يشبه التعصب المذهبي في عصرنا هذا؛ تضارب الفتوى في وقائع الأمة وأمورها العامة، التي تكتوي بنارها، ولا خروج من ذلك إلا بالوقوف على الدليل الشرعي، والعمل بمنهج السلف رحمهم الله تعالى.

وقد أنكر الإمام الشوكاني التعصب المذهبي وذمه وبين سببه بقوله: "وسبب ذلك أنهم اعتقدوا أن إمامهم الذي قلدوه ليس في علماء الأمة من يساويه أو يدانيه، ثم قبلت عقولهم هذا الاعتقاد الباطل، وزاد بزيادة الأيام والليالي، حتى بلغ إلى حد يتسبب عنه أن جميع أقواله صحيحة جارية على وفق الشريعة، ليس فيها خطأ ولا ضعف، وأنه أعلم الناس في الأدلة

---

(1) انظر: المكي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص162). الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية (ج72/2).

(2) انظر: الحموي، معجم البلدان (ج209/1).

(3) رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (ج232/4) و(ج368/11).

الواردة في الكتاب والسنة، على وجه لا يفوت عليه منها شيء، ولا تخفى منها خافية"[1]، وهذا مخالفٌ للعقيدة التي تفيد عصمة الأنبياء وحدهم، ومن سواهم من المسلمين يؤخذ منه ويرد عليه.

ثم حذر رحمه الله تعالى من عواقب التعصب؛ بأنه يجلب طبع الله على قلب أهله، ويسلب منهم نور التوفيق، فينحرفوا عن سبيل الرشاد والحق، ولا ينالون بركة العلم، ويصبحوا من أسباب تفرق المسلمين، ودواهيهم العظيمة.[2]

رابعاً: الْوَهْنَ

مما خص الله تعالى به نبيه محمداً ﷺ وزاده عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام النصر بالرُّعْب، وما يترتب عليه من الظفر بالعدو[3]، قال عليه السلام:{نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ}.[4] وهذا الخير سارٍ في أمته كذلك، بدليل قوله ﷺ :{ وَأَعْطَانِي الْعِزَّ وَالنَّصْرَ، وَالرُّعْبَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْ أُمَّتِي شَهْرًا}.[5]

وقد عاشت الأمة هذا الواقع في مواطن كثيرة، منها: ما كان في موقعة اليرموك، حيث كان عدد المسلمين وعتادهم ومؤنتهم لا تذكر مقابل ذلك عند الروم، وظهر الخوف والإرباك من الروم قبل تقابل الجيشان، حتى قال ملكهم هرقل:" إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنهم لا قبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحونهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم، وإن أنتم أبيتم ذلك؛ أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم"، ولما حدثت المعركة ومني الروم بهزيمة كبيرة، تتالت بعدها هزائمهم بحمد الله وكرمه، فقال هرقل: "عليك السلام يا سورية، سلاماً لا اجتماع بعده".[6]

ولما تجرأ نقفور ملك الروم وأرسل إلى خليفة المسلمين هارون الرشيد رحمه الله، يطلب فيها ما قدمته الملكة التي كانت تحكم الروم قبله من أموالٍ للمسلمين، ويتوعد على التأخر عن

---

(1) الشوكاني، أدب الطلب (ص70).

(2) انظر: المصدر السابق، ص83، 113.

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج437/1) و(ج128/6).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/ قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، 95/1: رقم الحديث رقم 438].

(5) [ابن حنبل: مسند أحمد، 362/38: رقم الحديث 23336]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد:"إِسْنَادُهُ حَسَنٌ"، (ج68/10) برقم(16711).

(6) ابن كثير، البداية والنهاية (ج545/9-552).

ذلك، فرد عليه خليفة المسلمين على ظهر رسالته بقوله:" بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام"، وسار إليه، فهزمه شر هزيمة، حتى نزل نقفور على الصلح، ودفع الجزية.[1]

لكن هذا العز لم يدم للمسلمين في كل حين، بل مرت على الأمة أوقاتٌ لاقت فيها من الهوان ما لاقت؛ لأن النبي ﷺ ناط عز الأمة، ورعُب الأعداء منها بصحة العقيدة وسلامتها، وبين أنها ستتعرض لمحنٍ جسامٍ بانحرافها عن جادة الصواب، فقال ﷺ:{ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ}.[2]

والحديث يفيد أن الأمم الكافرة سيدعو بعضُها بعضاً لكسر شوكة المسلمين، وسلب ما يملكون من الديار، دون خوفٍ أو ضررٍ يلحقهم، أو بأسٍ يمنعهم، مع كثرة عدد المسلمين الذي لا ينفعهم بشيء، لحبهم للدنيا، وكراهيتهم الموت، اللَّذان يدعوان لإعطاء الدَّنية في الدِّين أمام العدو.[3]

وقد وقع ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، ومن ذلك: ما كان في الأندلس لما تفرقت إلى دولٍ شتى، وتفاخر ملوكها بالألقاب، واستبدوا بالحكم، وجعلوه ميراثاً، وتخاذلوا عن نصرة الإسلام بينهم، وكان فيهم من رفض الصلح والاجتماع على خلافة واحدةٍ تعتصم بها الأمة من عدوها؛ عربد عليهم ملوك الروم، فكان بعضهم ينتظر الفرج في سِلْمِ الروم ومهادنتهم، وبعضهم خرج من مملكته لما استباحها الروم في حالٍ عجب منها المسلمون، وضحك منها الكافرون، وآخر كان يدفع المال للروم طلباً للسلامة، حتى عربد الروم، ورفضوا المال، وطلبوا تسليم الأماكن الحيوية في المدينة، وكان من شدة الهوان في ذلك الوقت أن بعض المدن تحاصر لسبع سنين، ولم يصلها المدد والنصرة من المسلمين[4]، وهذا مخالفٌ لعقيدة الولاء التي توجب النصرة للملهوف والمكروب من أهل الإسلام، كما أن تقديم المصالح الخاصة بالحفاظ على السلطة على حساب الأمة ودينها مما يناقض الولاء للإسلام وأهله، ويا ليت القوم تأسَّوا بعثمان

---

(1) انظر: الفيروز آبادي، عون المعبود (ج1364/9).

(2) [أبو داود، سنن أبي داود، الملاحم/ في تداعي الأمم على الإسلام، 354/6: رقم الحديث 4297]، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة، برقم(958)،(647/2):"صحيح".

(3) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج333/5).

(4) التلمساني، نَفْح الطِّيب من غُصن الأندلس الرَّطِيب (ج313،201/1) و(ج77/2) و(ج356،424،447/4).

ﷺ عندما قدَّم مصلحة الأمة على مصلحته فيمن خرجوا عليه، ومنع الصحابة من قتالهم واستئصالهم، مع أن له الحق في ذلك، لكنه تركه؛ لأن في القوم من خدع من أهل الباطل.[1]

وهذه الأحوال تتكرر في زماننا بتكالب أعداء الإسلام من كل حدبٍ وصوب على المسلمين، من اليهود في فلسطين وما يعانيه أهلها، ثم توالى البلاء على أهل العراق ثم الشام من الروافض وحلفائهم، وتُرِك الروافض في اليمن حتى قويت شوكتهم، فاحتلوا البلاد، وآذوا أهلها، ورغم إعلان الحرب عليهم لتخليص اليمن وأهلها من احتلالهم وفسادهم، وتوالى القصف عليهم من الجو والبر؛ لازالت شوكتهم تؤذي المسلمين، نسأل الله الفرج.

خامساً: تحريف الدين

من أمثلة تحريف الدين التي نتجت عن الانحراف العقدي ما أحدثه المتكلمة، الذين لا يجعلون النصوص الشرعية هي العمدة في تلقي العقائد بحجة ظنيتها، فيسلطون عليها قواعدهم العقلية، ويخضعونها للتحريف بالتأويل، أو يردونها إذا خالفت معقولاتهم الفاسدة، أو بتفويض معناها إلى الله تعالى إن أعيتهم، وما وافقهم منها قبلوه اعتضاداً، فكان من عواقب تحريفهم أنهم جعلوا ثبوت قواعدهم العقلية محكمة لا يسع المسلم ردها، وثبوت نصوص الشرع ظنية، كما عبدوا عدماً بتعطيلهم صفات الرب ﷻ.[2]

وهؤلاء الباطنية القائلون بأن للنصوص ظاهراً وباطناً، فيأخذون بالباطن ويزعمون أنه المراد، ويرون الأخذ بالظاهر للجهال، فحرفوا النصوص وأولوها بما يُبعد الناس عن المراد بها، فقالوا أن المراد بالصلاة؛ موالاة شيوخهم، والحج قصدُهم بالزيارة، وإدمان خدمتهم، والصوم عدم افشاء سرِّهم، وقصدوا بباطلهم هذا العامة من الناس، وبثوا لمن يوافقهم نسخ الشريعة الإسلامية، وحرضوهم على المسلمين بالنزعة العرقية، وما قصدوا بذلك إلا تشتيت الأمة، ودعوتها لاستثقال العبادة، وتهوين ارتكاب المحظور، وأن لا يبقى للنصوص الشرعية زمامٌ بقولهم بالباطن، فيُهدم الإسلام[3]، وأنَّا لهم ذلك، قال تعالى:﴿ ...وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[آل عمران:69].

أما الرافضة الذين كفروا الصحابة ﷺ، ومن نقل عنهم وضبط علمهم، فردوا بذلك الشرع جملة وتفصيلاً، فابتدعوا ديناً، نسبوه إلى الأئمة من آل البيت بهتاناً وزورا، والنصوص فيه عن

---

(1) انظر: ابن الأثير،الكامل في التاريخ(ج48/3)وما بعدها،ابن كثير،البداية والنهاية(ج363/10)وما بعدها.

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج142/13).

(3) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص280) وما بعدها.

النبي ﷺ قليلة، ولا يُجزم بصحتها، فمنها ما يخالف الشرع، ومنها ما يفتقر لضوابط قبول الرواية الصحيحة عند أهل الإسلام، حتى نصوص القرآن الكريم فيه مفسرةٌ على مذهبهم الباطل.(1)

سادساً: موالاة الأعداء

الولاء هو النصر والتعاضد، والأصل أن يصرف المسلم ولاءه لأهل الإسلام(2)، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ...﴾[التوبة:71]، وأن يعادي من يعاديهم، لقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾[المجادلة:22]، ومن مظاهر موالاة الكفار؛ عونهم على المسلمين بأي عونٍ كان، قل أم كثر، "لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئا فشيئا، حتى يكون العبد منهم"(3)، قال الله تعالى:﴿...وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:51]

ومن حوادث موالاة الأعداء على المسلمين في تاريخ الأمة؛ ما حدث في الأندلس أواخر القرن الخامس الهجري، عندما مكن القادر بن ذي النون ملك الإفرنج الأذفونش من طليطلة، وفي نفس العام حرَّض والي سرقسطة يوسف بن أحمد بن هود طاغية الإفرنج ردريق للاستيلاء على بلنسية.(4)

وقبل منتصف القرن السابع الهجري بقليل، تحالف كلٌّ من: الصالح إسماعيل والي دمشق، والناصر داود والي الكرك، والمنصور والي حمص مع الإفرنج على الخوارزمية الذين استقدمهم الصالح أيوب بن الكامل والي مصر ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل، فتقابل الفريقان واقتتلوا قتالاً شديداً، نتج عنه أن ألحق الخوارزمية بالحلفاء هزيمةً شديدةً، ذاق فيها الإفرنج الذين جاؤوا يرفعون صلبانهم، وحلفاءهم من المسلمين ألوان العذاب، حتى قال أسيرٌ من أمراء المسلمين:" قد علمت أنا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلح".(5)

---

(1) انظر: المصدر السابق(ص307). ومن كتب الرافضة الكليني، الكافي. المجلسي، بحار الأنوار.

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج174/4).

(3) السعدي، تفسير السعدي (ص235).

(4) انظر: التلمساني، نفح الطيب (ج4/ 455).

(5) ابن كثير، البداية والنهاية (ج274/17).

هذا مما كان في الجانب العسكري، أما ما كان في جانب الغزو الفكري، ما كان من ولاء الأعداء بعونهم في مشاريعهم التي قصدوا بها إبعاد الأمة الإسلامية عن دينها، فكان انعقاد أول مؤتمر من نوعه للتبشير يرأسه القس صموئيل زويمر يعقد في منزل زعيم ثورةٍ عربيٍ سنة (1906م)، قام الحاضرون فيه بدراسة عوامل نجاح مشروعهم الهدام، فكان من القضايا الملفتة في هذا المؤتمر أن كان في منزل زعيم ثورةٍ قامت للتعبير عن إرادة شعب!!.[1]

كما قام بعض من باعوا دينهم وآخرتهم بدنيا غيرهم من أبناء المسلمين بعون حركات التنصير في البلاد الإسلامية بتعليم المبشرين علوم الدين الإسلامي حتى يتمكنوا من أداء مهامهم بشكلٍ أكبر، فكان هذا العمل بالنسبة للغرب أعظم من جهود المستشرقين، حتى شبه أحد قادة التبشير هؤلاء الأعوان بعملهم هذا أنهم: "بمثابة سيل طام صب على الدين المسيحي الحي".[2]

ولما سقطت الخلافة العثمانية؛ تعاطف معها أهل بلدٍ إسلاميٍ عربي، فكان مشايخه وكتابه يُرثونها، ويحرضون الناس على نصرة العثمانيين بأُخوة الدين، وعلى إيجاد الحلول لإعادة الخلافة، فكان يخرج عليهم من بني جلدتهم من يخالفهم ويرد عليهم، حتى كان أحدهم من أهل ألقاب المشيخة، كان يقلل من شأن الخلافة، ويزعم أن الدين فقط عبادات، وآخر ينحى منحى الغرب، فيزعم أن العمل لقضية الوطن أولى من قضية الخلافة ونصرة الغير، وأن الناس ليسوا بحاجة إلى الدين ليجمعهم، لأن الدين لا يجمع الناس، بل المنفعة هي التي تجمعهم.[3]

وكان من أعظم الوسائل التي استخدمها الغرب لأسقاط الخلافة العثمانية هم أصحاب الأفكار والاتجاهات الدخيلة على الأمة، فكان"ظهور وبلورة العديد من الاتجاهات والأفكار الوطنية والقومية والطائفية والمذهبية، والتي برزت على شكل مؤسسات أو منظمات أو حركات أو جمعيات أو أحزاب سياسية، لعبت أدواراً هامة في معظم الولايات العثمانية، وكان بعضها يستند في تأييده ودعمه على المصادر الأجنبية التي ما لبثت أن أصبح لها شأنها في البلدان العربية".[4]

---

(1) انظر: المرجة، صحوة الرجل المريض (ص171).

(2) ألفريد، الغارة على العالم الإسلامي (ص243).

(3) انظر: المرجة، صحوة الرجل المريض (ص150) وما بعدها.

(4) المرجة، صحوة الرجل المريض(ص162).

سابعاً: ضياع الملك

وعد الله نبيه محمداً ﷺ أن يجعل أمته خلفاء الأرض، لإمامة الناس وولايتهم، وإصلاح الدنيا بهم، وأن يبدلهم أمنا من بعد خوفهم، وقد كان ذلك ولله الحمد، بدأ بعضه في حياة النبي ﷺ وأكثره بعد انتقاله للرفيق الأعلى، على يد صحابته الكرام ﭫ، وهذا الوعد باقٍ في الأمة طالما قاموا بالإيمان والعمل الصالح[1]، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [النور:55].

ولما تأخر المسلمون عن أمر ربهم، وخالفوا عقيدتهم، جرى لهم من الويلات ما تقشعر له أبدان الناظرين، ويستفظعه السامعون، وكان من ذلك أن جعلوا بعض الولاية والبطانة لأعدائهم، وفي هذا إذلالٌ للمسلمين، وتسليطٌ للكافرين عليهم، وهو خلاف أمر الله تعالى[2]، قال ﻷ:﴿ ...**وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾[النساء:141]، وقال ﻷ:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا** ...﴾[آل عمران:118]

وقد أنكر أمير المؤمنين عمرﭬ بشدة على أبي موسى الأشعري ﭬ عندما اتخذ كاتباً نصرانياً، ولامه عن عدم أخذه كاتباً مسلماً، فأخرجه أبو موسىﭬ، فإن كان هذا في مجرد كاتب؛ فكيف بما هو أكبر من ذلك.[3]

ومما حدث من ولاية الأعداء على المسلمين في تاريخهم؛ استوزارُ ابن العلقمي الرافضي الخبيث زمن الخليفة العباسي المستعصم بالله، حيث قام ابن العلقمي بتقتير النفقة على الجند والتضييق عليهم في أرزاقهم، وتقليص عددهم وعدتهم ومؤنتهم، وقام في المقابل بترغيب التتار واستثارتهم على غزو المسلمين ففعلوا، فسلم لهم البلاد والعباد، حتى خليفة المسلمين وعلمائهم وكبرائهم، فخربت دار الخلافة بالقتل والحرق والدمار، وعم البلاء والوباء من كثرة

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج77/6)، السعدي، تفسير السعدي (ص573).

(2) انظر: ابن العربي، أحكام القرآن (ج641/1). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج178/4) و(ج425/5،421). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (د437/2).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج132/3). والأثر حسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل،(ج256/8) برقم(2630).

القتلى الذين لم يجدوا من يدفنهم حتى وصل أثر ذلك لبلاد الشام، ولم يُمهل الله تعالى ابن العلقمي ولم يُهمله، فقد أُذل زمن التتار ولم تكن حظوته عندهم كبيرة، فمات حسرةً وذلاً.[1]

وعندما تأثرت الحكومة العثمانية بالتغريب، وبدأ الزحف نحو العلمانية[2]، التي تسوِّي بين الأديان[3]، وبين المسلمين وغيرهم في المكانة والحقوق لدى الدولة[4]، ففتحت لهم مجال التجنيد، والدخول في نظام الدولة، ودخل المشئوم اليهودي مصطفى كمال أتاتورك في الجيش وترقى فيه، بتسهيلات بريطانيا التي جعلت منه بطلاً ومخلصاً للأمة من مشكلاتها، حتى وصل به الأمر لتولي زمام الأمور، فقام بإلغاء الخلافة وعزل السلطان، وعلمنة الدولة، والاستبداد بالمسلمين، ومنعهم من دينهم، وضاع الأقصى، وتفرقت بلاد المسلمين، فقدم بذلك خدمة عظيمة للغرب، وقطع عليهم الشُّقة، فكان قدر انجازه في اليوم الواحد؛ ما لا يستطيع تحقيقه الغرب في سنة، وبقي على دربه الخبيث حتى أخذه الله تعالى بمرض عضال.[5]

وعادت الكرة على المسلمين في زماننا هذا عندما غزا الأمريكان العراق فخرَّبوا ودمروا واغتصبوا، وقتلوا الرئيس والعلماء والوجهاء، ومن خالفهم من أهل السنة، وكان دور الشيعة الذين كان أبناؤهم من رجال الدولة وكبرائها الخيانة بالجملة، فتنكروا للرئيس وشعبه، ومالؤا الأعداء وحالفوهم، فكانوا لهم خير عونٍ ومطايا.

ومشهد أتاتورك مكذوب البطولة يتكرر في زماننا هذا بشخصية أمين حزب إيران وزمرته في لبنان، الذي نال التصفيق والتأييد من جمهورٍ غفيرٍ من المسلمين زمناً، بحربه التي خاضها مع اليهود لتأمين قيام قوةٍ للرافضة في الجنوب اللبناني، ومنها يسيطرون على لبنان، للقيام بمخططهم الإيراني، لكن الله تعالى بين عوار عقيدته الباطلة، وطويته الخبيثة هو وحزبه بما يجري الأن في الشام، ولو كان هؤلاء على الحق، أو على شيء منه؛ لجرى لهم ما جرى لغيرهم، ممن حملوا السلام في الجنوب اللبناني.

---

(1) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج17/356-364).

(2) انظر: ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث (ص170).

(3) انظر: الجندي، المذاهب الهدامة (ص155).

(4) انظر: حسون، عوامل انهيار الدولة العثمانية (ص294،289،155،150،81)، بني المرجه، صحوة الرجل المريض (ص265-268).

(5) انظر: حسون، عوامل انهيار الدولة العثمانية (ص289،269،265). العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر (ص344). التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون (ص73).

ثامناً: ظهور الشرك والدعوة إليه

من آفات انحراف العقيدة وآثاره السيئة ظهور الشرك، بشد الرحال للقبور والأضرحة والطواف حولها بدلاً من الطواف حول الكعبة، ودعاء الأموات بدلاً من دعاء الله تعالى[1]، كما يفعل الصوفية الذين يعتقدون أن الدعاء عند القبور والمشاهد أفضل من الدعاء في المساجد، وأن هذا يقتضي الإجابة[2]، والرافضة الذين عظموا المشاهد المبنية على القبور، وأماكن زعموا قدسيتها، فعمروها بكثرة الزيارة، وتركوا بيوت الله المساجد خاليةً. [3]

وأجاز المتكلمة دعاء أهل القبور بناءً على تفسيرهم لكلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" أن معناها لا خالق ولا قادر إلا الله[4]، بدلاً من معناها الصحيح لا معبود بحقٍ إلا الله[5]، لذا يجد الناظر لحال الناس في البلاد التي يسود فيها مذهب المتكلمة قديماً وحديثاً؛ انتشار الشرك بدعاء أهل القبور الأموات، والطواف حول قبورهم، ويبررون ذلك بقولهم: "إن هذا ليس بشرك وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطةً لم أكن مشركاً، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك". [6]

مما سبق يتبين أن الآثار المترتبة على انحراف العقيدة تفرق الأمة وتجعلها متناحرة، كما يطمس شخصيتها ويجعلها تتشبه بأهل الملل الكافرة، فتكون غثائية، مما يسهل على أعدائها السيطرة عليها، وتمرير مخططاتهم، وهذا هو الواقع في زماننا هذا إلا من رحم الله.

---

(1) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان (ج9/80).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج1/236)،(ج11/290).

(3) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج1/474)،

(4) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج7/7).

(5) انظر: ابن سحمان، الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية (ص315).

(6) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج1/ 227).

الفصل الأول

سمات المنهج النبوي في تصحيح العقيدة

المبحث الأول

أولوية تصحيح العقيدة

تصحيح الاعتقاد مقدم على كل عملٍ من أعمال الدين، فقبول الأعمال الصالحة متوقفٌ على صحة العقيدة، لذا كانت به تبدأ دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولعلنا في هذا المبحث نقف بإذن الله تعالى على ما يتيسر جمعه في بيان أهمية وأولوية تصحيح العقيدة، راجياً من الله العون والقبول والنفع.

المطلب الأول: أهمية التوحيد

المقصود بأهمية التوحيد هنا هو توحيد الألوهية، فإن أهمية هذا التوحيد عظيمة، وفوائده جليلةٌ على العبد في الدنيا والآخرة، فهو "أول ما يَدْخُلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا...–فهو– أول واجِبٍ وآخِرُ واجِبٍ"[1]، وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً: أن التوحيد هو حق الله تعالى على العباد: ودليل ذلك قول النبي ﷺ:{ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}.[2]

ومن حكمة الله تعالى أن جعل حقه على خلقه بتكاليف دينه والقيام عليها كيفما شرع أمانة[3]، فقال ﷻ: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾ [الأحزاب:72]، فجعل أداء الأمانة من أهل الإسلام واجبٌ للمسلم وغيره[4]، فقال تعالى:﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ ...** ﴾ [النساء:58] ، فإن كان أداء الأمانة واجبٌ بين الناس، فمن باب أولى أن يكون الوجوب في حق الخالق مقدماً؛ لأن من أدى أمانة الخالق أدى أمانة المخلوق، ومن فرط في أمانة الخالق فرط في أمانة المخلوق، ومن أمثلة ذلك: ما ترتب على تفريط أهل الكتاب في أمانة الله تعالى من تفريطهم في أمانة أهل الإسلام، قال تعالى:﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا**

---

(1) الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص78).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الاستئذان/ من أجاب بلبيك وسعديك، 60/8: رقم الحديث 6267].

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج489/6).

(4) انظر: ابن العربي، أحكام القرآن (ج571/1).

يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:75] ، وقوله تعالى في اليهود: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:100]

ثانياً: ومن أجل التوحيد أرسل الله ﷻ الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل الكتب، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]

أي: كل الرسل الذين أرسلهم الله تعالى قبل النبي محمد ﷺ زُبدة دعوتهم التوحيد، وبيان أنه لا معبود بحقٍ إلا الله، حتى شرائعهم المختلفة تجتمع في أنها لا تقوم إلا على الإخلاص والتوحيد لله تعالى.(1)

ثالثاً: وهو علامةٌ على حب الله تعالى، ودليل ذلك؛ ما رواه الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه:قال: قال رسول الله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ(2)إِلَّا مَنْ يُحِبّ}(3)، ومصداق هذا من كتاب الله تعالى، قوله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾ [المائدة:54]

رابعاً: وبالتوحيد تغفر الذنوب، وتحلُّ البركة، قال ﷻ في بيان مغفرة الذنوب بالتوحيد: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:9]، أما حلول البركة فيكون بنزول ماء السماء، وخروج خيرات الأرض من غير عناء ولا تعب(4)، قال ﷻ:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...﴾ [الأعراف:96]

خامساً: والتوحيد شرطٌ لقبول الأعمال، فمن كان يرجو ثواب الله تعالى؛ فلابد أن يعمل بما يوافق شرعه، وأن يخلص النية في عمله لربِّه ﷻ؛ لأن الله تعالى لا يقبل أي عملٍ إلا بهذين

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج280/11)، السعدي، تفسير السعدي (ص521).

(2) لفظ التوحيد له مرادفات عدة، اصطلح عليها علماء العقيدة، منها: الإيمان والشريعة والسُّنَّة. عاشور، التبيان شرح أركان الإيمان لسعد عاشور (ج7/1-9).

(3) [المستدرك للحاكم: الإيمان، 88/1 : رقم الحديث 94]،حديث صحيح. انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة برقم(2714)،(ج482/6).

(4) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص298).

الركنين[1]، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ ...فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110]، وأكد سبحانه في موضعٍ آخر أن الأعمال لا تصح إلا بالإيمان، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ...﴾ [التوبة:54]

سادساً: وبالتوحيد يتميز المؤمن من الكافر، ويكون الولاء والبراء، ويشرع الجهاد، أما التمييز بين المؤمن والكافر[2]، فلقول الله تعالى:﴿لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ...﴾[الأنفال:37]

وأما الولاء والبراء: فلابد من حب أهل الإيمان وبغض أهل الكفر؛ لأن ودَّ الكفار ينافي الإيمان[3]، قال تعالى:﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ...﴾ [المجادلة:22]

وشرع الجهاد بقتال عموم الكفار، بالأقرب فالأقرب[4]، بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ...﴾ [التوبة:123]

وقال رسول ﷺ:{أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ}.[5]

سابعاً: والتوحيد سبب للتمكين في الأرض، قال تعالى:﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ...﴾ [النور:**55**]

ثامناً: وبالتوحيد يكون الأمن والاهتداء والاطمئنان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:**82**] وقال ﷻ:﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج205/5).

(2) انظر: المصدر السابق، (ج54/4).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج147/7).

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج297/8).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، 50/1: رقم الحديث 36].

أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:28]، والمراد بالظلم في الآية الأُولى هو الشِّرْكُ، كما ثبت عن النَّبِي ﷺ[1]، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال:" لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾[الأنعام:82] ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: {لَيْسَ ذَلِكَ؛ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴿ ...يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:13]}".[2]

ويستفاد من الآيتين الكرمتين: أن هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده هم الآمنون من عذاب الله، المهتدون في الدنيا والآخرة، الذين تسْكُن قلوبهم وتستأنس، ويزول قلقها واضطرابها بذكر الله الناتج عن توحيده، فحقيق بها وحريٌّ أن تطمئن بذلك، وكلما زاد الإيمان زاد هذا الخير.[3]

ومن الأمثلة التي تُضرب حول هذه المعاني، حال المسلم وحال الكافر في المرض مثلاً، فالمسلم يطمئن ويأنس بأن هذا البلاء فيه عِوضٌ من الله تعالى وثوابٌ في الدنيا والآخرة، كما يجد من يعينه ويحثه على الصبر والثبات على هذا الحال من أهله وزواره من المسلمين الذين يزورونه بدافع الدِّين، أما غير المسلم فلا يجد ذلك، بل تضيق الدنيا في وجهه؛ لأنه لا يعرف إلا نعيم الدنيا، وقد فقده بهذا الحال، وزيارة المريض عند غير المسلمين ليست معهودةً بالحال الذي عند أهل الإسلام، وإن كانت فليس فيها ما في زيارة المسلمين لمرضاهم، بل قد تكون من أسباب حُزنه في أنه يفقد ما يتمتع به زوّاره، وربما أفزعهم بحاله، فلا يكررون عليه الزيارة حتى لا يذكرهم بالموت، وما لا يطيقون.

تاسعاً: وبالتوحيد يكون حسن الختام، والنجاة من فتنة القبر، أما حُسن الختام بالتوحيد فمأخوذٌ من قول النبي ﷺ: {مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ}[4]، والمقصود هنا ليس القول المجرد، بل هذا لمن كان من أهلها الذين يعيشون عليها بكمال التوحيد والتسليم

---

(1) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان (ج486/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ قول الله تعالى:{ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله} [لقمان:12]، 4/ 163: رقم الحديث رقم 3429].

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج30/7)، و(ج315/9). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج294/3)، السعدي، تفسير السعدي (ص417).

(4) [أبو داود: سنن أبي داود، الجنائز/ في التلقين، 34/5: رقم الحديث 3116]،حديثٌ صحيح.

والرضا[1]، ولو لم ينطق بها عند الموت عجزاً بسبب طريقة الموت، كالمسلمين الذين يُقصفون بالصواريخ في زماننا بغتةً، أو من يسقط على جسده شيءٌ فجأة فلا ينظره، ولا يُبْقى له أثر، فلا يتمكن من النطق بها، بدليل قول النبي ﷺ: {مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ}.[2]

وأما النجاة من عذاب القبر بالتوحيد؛ فمستفادةٌ من قول النبي ﷺ في إخباره عن الميت عندما يغلق عليه قبره، حيث قال ﷺ: {يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ قَالَ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ}. [3]

عاشراً: وهو شرط للشفاعة، ودخول الجنة، والنجاة من النار،: أولاً لا تكون الشفاعة إلا بإذن الله تعالى: ﴿...مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ...﴾ [البقرة:255] أي أن الله يأذن بالشفاعة لمن أراد، ولا يمكن لأحدٍ أن يشفع دون إذن الله تعالى[4]، ولا يكون الشفيع عنده إلا مؤمناً، كما في قول النبي ﷺ: {فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[5]، وكذا المشفوع له لا يكون إلا مؤمناً، قال الله تعالى:﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم:87] ، والمراد بالعهد: هو أن يكون المشفُوع له من أهل "لا إله إلا الله"؛ لأنه لا شفاعة لغير أهلها يوم القيامة.[6]

أما أن التوحيد سببٌ في دخول الجنة والنجاة من النار، فهو فيما جاء عن جابر رضي الله عنه أنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فقال:{مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ}.[7]

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج111/11).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، 55/1: رقم الحديث43].

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، السُنَّة/ المسألة في القبر وعذاب القبر، 131/7: رقم الحديث 4753]، وقال الألباني في مشكاة المصابيح برقم(131)،(ج28/1):"صحيح".

(4) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص110).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى:[وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ]، 9/ 129: رقم الحديث 7439].

(6) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج154/11).

(7) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار، 94/1، حديث رقم(151)] .

حادي عشر: وبالجملة فمن أجل التوحيد خلق الله تعالى الخلق، قال تعالى:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات:**56**]

المطلب الثاني: التربية العقدية بين العهدين المكي والمدني

اختلفت وتنوعت أساليب دعوة النبي ﷺ بين العهد المكي والعهد المدني حسب الظروف والوقائع التي كانت تمر بدعوته ، والإمكانيات المتاحة، لذا ترتب على ذلك اختلافٌ بين أساليب التربية النبوية العقدية بين العهدين، وإن كانت الغايةُ واحدةً في المرحلتين؛ وهي توحيد الله تعالى، فكان من ذلك.

أولاً: سمات التربية العقدية في العهد المكي

اتسمت هذه المرحلة من الدعوة الإسلامية بسمات توافق قدرات الدعاة وأحوال المدعوين، من ذلك:

1- **سرية الدعوة،** فالنبيُّ ﷺ في دعوته موحى إليه، وملهمٌ من ربه تبارك وتعالى، الذي قال: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)** ﴾[النَّجم].، وقال ﷻ آمراً وموجهاً لنبيه ﷺ في أُسلوب دعوته:﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(18)** ﴾ [القيامة]، فكانت هذه السرية استجابةً للوحي الإلهي أولاً، وثانياً جاءت بما يوافق حال الداعي، الذي لا يملك أسباب القوة في بداية دعوته، ويدعو في بيئة تربى أهلها على الوثنية التي تشربتها قلوبهم، والحمِيَّة العمياء للعادات والتقاليد، وما ورثوه عن الآباء، بالإضافة إلى ذلك العمل على الحفاظ على الكادر البشري؛ لأن ذلك من مقاصد الشريعة وضرورياتها الخَمْس[(1)]، وهذا لا يتنافى مع تقديم الدين على كل الضروريات عند المعارضة[(2)]، فإن الله تعالى قدر أن يُحفظ الدين ببقاء أهله وقيامهم عليه، بدليل دعاء النبي ﷺ يوم بدر:{اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْض}[(3)]، ولعل هذه الأمور كانت السبب أن بدأ النبي ﷺ بالدعوة السرية وكان يأمر من يؤمن بكتمان

---

(1) انظر: الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه (ج188/4).

(2) انظر: الحاج، التقرير والتحرير في علم الأصول (ج307/3).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، 1383/3: حديث رقم 1763].

إيمانه كأبي ذر ﷺ لما آمن قال له:{يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ}[1]،

وكان هذا معهود بين المسلمين في تلك المرحلة[2]، لكن هذه المرحلة لم تستمر، فقد زالت بعد مضي ثلاثة أعوام من عمر الدعوة، عندما أمره ربه تعالى[3] بقوله:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:94]

2- **انتقاء المدعوين،(الخطاب الفردي)** لمّا كانت الدعوة سريةً أول الأمر، كان لابد من اختيار المدعوين، من أهل الرأي والمكانة في مجتمعهم ممن يظهر منهم قَبول الدعوة لما لإسلامهم من أثرٍ عظيم في تقوية الدعوة ومواجهتها للصِّعاب، ومن أمثلة ذلك: دعوة النبي ﷺ لأبي بكرٍ الصديقﷺ، الذي كان من أصحابه قبل البعثة، ومن وجهاء قريش[4]، فكانت هذه الدعوة مباركةً وفاتحة خيرٍ حيث قام أبو بكرٍ بدعوة كل من: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص، وطلحة بن عبيد الله وغيرهم ﷺ[5]، ولا يخفى ما كان لهؤلاء من أثرٍ حسنٍ في الإسلام بعد ذلك، ولم تقتصر الدعوة على الرجال من أمثال هؤلاء في الناس، بل كانت عامة لمن يقبل بها، فدعوة المقبل أولى وأنفع من دعوة المعرض كما في كتاب الله تعالى[6]، فقد دخل في الإسلام وقتها من الصغار والكبار والنساء والعبيد[7]،وكل واحدٍ منهم قدم للإسلام ما في وسعه وله قدم صدقٍ.

3- **العمل على ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين في مقابل المشاق والإغراءات**

تعرض المؤمنون وعلى رأسهم النبي ﷺ للإيذاء الشديد من أهل قريش حتى يتركوا دينهم، فكان من ذلك: أن بعض صناديد الكفر وضعوا على ظهر النبي ﷺ سلى جزورٍ وهو ساجد في الكعبة، فبقي على ظهره الشريف حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فرفعته عن

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ قصة زمزم، 183/4: حديث رقم 3261].

(2) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية (ج440/1،439).

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج97/2)، الطبري، تاريخ الطبري (ج541/1).

(4) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية (ج439/1،437).

(5) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (90/2)، الطبري، تاريخ الطبري (ج541/1)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج446/1).

(6) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص910).

(7) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج92/2)، ابن كثير، السيرة النبوية (ج442/1،431).

ظهره، وهم يتمايلون من الضحك[1]، كما عملوا على إغرائه بمتاع الدنيا من المال والرياسة والنساء كي يرجع عن دعوته، ورسول الله ﷺ يرد على باطلهم بكلام الله تعالى[2]، فكان النبي ﷺ قدوةً لأصحابه في هذا، وزادهم بما يثبت به عقيدتهم عندما كان يجلس في ظل الكعبة فشكى إليه بعض أصحابه عما يلاقونه من المشركين[3]، فرد ﷺ بقوله:{قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ}.[4]

كما كان يواسيهم ويشد من عزيمتهم، كما حدث مع آل ياسر حين مرَّ عليهم وهم يعذبون برمضاء مكة[5]، فقال ﷺ: {أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ}.[6]

استخدام أُسلوب الحوار، والهجر الجميل: استخدم النبي ﷺ أسلوب الحوار في دعوته كان منها: حين اجتمع عليه أشراف قريش عند ظهر الكعبة وطلبوا منه حضوره ليكلموه، فجاءهم النبي ﷺ مسرعاً، ظن أن القوم قد بدا لهم في أمره خيراً، فلما اجتمع بهم، زعموا أنه فرق جمعهم، ولم يترك قبيحاً إلا جاءهم به، وعرضوا عليه إن كان قد جاء بذلك من أجل أمر يريده، كمالٍ أو شرف رياسةٍ، أو به مس الجن بذلوا لهم ما بوسعهم حتى يرجع عن دعوته، فأخبرهم النبي ﷺ أنه لم يأت بذلك إلا بأمر الله يدعوهم لما يصلح أمرهم في الدنيا والآخرة، فطلبوا منه أن يزيل الجبال من حولهم ويبسط الأرض لهم، ويجري الأنهار بأرضهم، وأن يحيي بعض الموتى، ليستدلوا بذلك على صدقه، كل هذا والنبي ﷺ يحاورهم ويناظرهم ليبين الحق، ويعلمهم أنه لم يبعث بهذا، بل بعث داعياً، وترفق وصبر عليهم ولم يدعُ ربه بما طلبوه فيقع عليهم العذاب؛ لأنهم لن يؤمنوا حتى لو وقع مطلوبهم، وهذا من أسباب الهلاك، ونزل قول الله

---

(1) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية (ج468/1)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج469/1).

(2) انظر: الأصبهاني، دلائل النبوة (ص221).

(3) انظر: الأصبهاني، دلائل النبوة (ص91)، ابن كثير، السيرة النبوية (ج496/1).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الإكراه/ من اختار الضرب والهوان على الكفر، 20/9: حديث رقم 6943].

(5) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج162/2).

(6) [الحاكم: مستدرك الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه 438/3]، والحديث ذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية(ص154).

تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآَيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآَيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾[الإسراء:59].[1]

فكان هذا الموقف النبوي من المواقف التي تقع امتثالاً لأمر الله تعالى في هذه المرحلة﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[المزمل:10]، هجراً يكون بلا عتاب[2]، ولا يوقف على أثره دعوته.[3]

4- **الجرأة في عرض الحق، وعدم المداهنة فيه**[4]، كان النبي ﷺ جريئاً في الدعوة إلى دين الله تعالى وقول الحق الذي أُرسل به، رغم ما كان يلقى من قومه من العنت، فقد صعد يوماً جبل الصفا ونادى في الناس قائلاً:{ يَا صَبَاحَاهْ، يَا صَبَاحَاهْ}، قَالَ: فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ ؟ فَقَالَ:{أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟}، فَقَالُوا: بَلَى قَالَ: فَقَالَ:﴿ إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ تَبًّا لَكَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[المسد:1]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ".[5]

وجاء في أسباب نزول سورة الكافرون، أنه لما عرض نفرٌ من كبار قريش على النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم مرة، ويعبدون آلهته مرة، صدح النبي ﷺ بقول الله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ(1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(3) ﴾ [الكافرون]، فلقبهم النبي ﷺ بالكفر وهو يعلم أنهم يغضبون بذلك ويترتب على غضبهم الأذى[6]، لكنه لم يمنعه ذلك من قول الحق، ودعوتهم بهذا اللفظ حتى يفكروا في مآلهم ويرجعوا إلى رشدهم، وأن الناس يميزون بتمييز الشرع.

وكانت هذه الجرأة في أصحاب النبي ﷺ، الذين تعلموا منه هذا الحق واتبعوه، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يصدح بالحق ويثبت عليه، فيعلن عن إسلامه لأهل قريش رغم ما لاقاه بذلك،

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج281/10)، ابن كثير، السيرة النبوية(ج478/1).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج256/8).

(3) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص892).

(4) المداهنة هي: "ترك الدين من أجل الدنيا". انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج454/10).

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد ج329/4]،"إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(6) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج225/20).

وعمرﷺ الذي قاتل أهل قريش من أول النهار إلى منتصفه من أجل دينه وجهره به، بل ويقوى أمر المسلمين بإسلامه.[1]

5- **السياحة للدعوة،** كان النبي ﷺ يطوف بالناس في أسواقهم وتجمعاتهم، ويستقبل الوفود من الحجيج، ويمر على القبائل ووجهائها، ويسأل عن القبائل ومنازلهم، يستقصيهم حتى لا يفوته أحد [2]، ويخرج من مكة إلى غيرها من البلاد كذهابه للطائف[3]، يدعوهم إلى الله تعالى، يقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا}[4]، ولا يبالى بمن خالفه منهم ورد دعوته، أو من كان يسير خلفه يحرض الناس عليه، وعلى رد دعوته[5]، وسياحة النبي ﷺ في دعوته حتماً موافقةٌ لشرع الله تعالى، لأنه مؤيدٌ بالوحي كما لا يخفى، وقد كان ذلك في أصحابه من بعده.[6]

6- **العمل على الإصلاح الفكري،** وذلك من خلال منهج النبي ﷺ الذي يتخلق بأخلاق القرآن[7]، وينتهج منهجه، حيث كان يقرأ آيات القرآن على من يدعوه، ممن وافقه وممن خالفه من أهل مكة وغيرهم، ومن المعلوم أن آيات القرآن وسوره التي كانت تنزل في ذلك الوقت كانت تتعلق بأمور العقيدة، كتوحيد الله تعالى، وإثبات الرسالة، والبعث والنشور، وتُعرف بالآيات والسور المكية، وهي الغالبة في القرآن الكريم، وتتميز بقصر آياتها مع قوة ألفاظها بما يشتدُّ قرعه على السامع ويهُزُّ قلبه[8]، والعرب أهل فصاحة وبلاغة نزل بها القرآن الكريم، لذا فهم يفهمون معانيه ودلالاته، وقد كان يدعوهم إلى إعمال العقل والتفكر فيما ينفعهم، وترك التبعية للمألوف والمتوارث من الأمور المخالفة للحق.

ومن أمثلة ذلك: "أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمّدٍ فَأُكَلّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ

---

(1) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية(ج439/1) وما بعدها.

(2) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية(ج155/2)، والحلبي، السيرة الحلبية(ج153/2).

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج266/2)، وما بعدها، والحلبي، السيرة الحلبية(ج61/2).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج148/27)]،"إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين".

(5) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج266/2)، ابن كثير، السيرة النبوية(ج166/4).

(6) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج244/2،343،494)، و(ج428/3،183).

(7) اشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها: "خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآن"، وهو في [مسلم: صحيح مسلم، صلاة المسافرين/ جامع صلاة الليل، 512/1، حديث رقم746].

(8) انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، (ص61-64)، وفهرس مُصحف المدينة (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف).

أُمورًا لَعَلّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا، فَنُعْطِيهِ أَيّهَا شَاءَ وَيَكُفّ عَنّا؟، وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إلَيْهِ فَكَلّمْهُ، فَقَامَ إلَيْهِ عُتْبَةُ حَتّى جَلَسَ إلَى رَسُولِ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إنّك مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النّسَبِ، وَإِنّك قَدْ أَتَيْت قَوْمَك بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، فَرّقْت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفّهْت بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْت بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفّرْت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنّي أَعْرِضْ عَلَيْك أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلّك تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ﷺ:{قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ}، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إنْ كُنْت إنّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا؛ جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا؛ سَوّدْنَاك عَلَيْنَا، حَتّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَك، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا؛ مَلّكْنَاك عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدّهُ عَنْ نَفْسِك؛ طَلَبْنَا لَك الطّبّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ غَلَبَ التّابِعُ عَلَى الرّجُلِ حَتّى يُدَاوَى مِنْهُ، أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، حَتّى إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ وَرَسُولُ اللّه ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ:{أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ}؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: {فَاسْمَعْ مِنّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿**حم(1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ(4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ...(5)**﴾[فصّلت]}، ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللّه ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ، فَلَمّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمّ انْتَهَى رَسُولُ اللّه ﷺ إلَى السّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ، ثُمّ قَالَ:{قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْت وَذَاكَ}".[1]

ثانياً: التربية العقدية في العهد المدني

1- **بناء المسجد**[2]، لما في ذلك من منافع باجتماع الناس، أكانوا من المصلين وهو الغالب، أو من الوفود، فيسهل تعليم الناس دينهم، وتثبيت عقيدتهم، ونشر خبر الدعوة بين المسلمين وغيرهم.

2- **القضاء على العصبية**، وذلك بالمؤاخاة بين الأنصار أنفسهم، والأنصار مع المهاجرين[3]، وبيان واجبات أخوة الإيمان التي قدرها الله تعالى في قوله:﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ...﴾ [الحجرات:10].

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج130/2)، وحسنه الألباني. انظر: تحقيق فقه السيرة للغزالي(ص106).

(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج24/3-22).

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج36،94/3)، ابن كثير، السيرة النبوية (ج319/2).

3- **بيان أن ميزان التفاضل بالتقوى، والحثُ على خلق التواضع**، وقد أكد النبي ﷺ على هذا لجمع المسلمين في حجة الوداع أيام التشريق[1]، حيث قال ﷺ:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى}.[2]

بين النبي ﷺ في هذا الحديث ميزان التفاضل بين الناس، وحذر عند قُرب أجله آخر العهد المدني من التعالي والكبر بين المسلمين، لأن أسبابهما أصبحت متوفرة في ذلك الوقت، حيث القوة والأمن والمال والجاه، ودخول الناس في الإسلام أفواجاً، وهم على قُرب العهد بفتح بلاد العجم ودخول أهلها في الإسلام.

4- **الحث على التكافل الاجتماعي**، ومن ذلك قوله ﷺ:{مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ}.[3]

5- **العدل والمساواة بين الرعية**، وذلك من خلال المساواة بين الناس بإقامة أحكام الإسلام على الحاكم والمحكوم والقوي والضعيف، ومن أمثلة ذلك ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ} ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: {إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا}.[4]

6- **تربية القادة لا العبيد**، وذلك من خلال مشاورة النبي ﷺ لأصحابه ﷺ في الأحداث والمواقف، حتى قال أبو هريرة: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ"[5]،

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج527/6).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد 474/38]،"إسناده صحيح"، وهذا الحديث يعتبر من العهد المدني وإن كان قاله في مكة؛ لأنه الضابط في ذلك أن ما كان قبل الهجرة من الشِّرعة فهو مكي، وما كان بعدها فهو مدني، ولو أُمر به في مكة. انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن (ص61).

(3) [البخاري، صحيح البخاري، المظالم والغصب/ لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، 128/3: حديث رقم 2442]، وظاهر الحديث يشمل العهدين المكي والمدني، وخُص الاستدلال به للعهد المدني هنا لما كان من حاجة المسلمين وشدتها بالهجرة التي تركوا فيها الأهل والمال وأسباب الغنى عن حاجة الناس.

(4) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ حديث الغار، 175/4: حديث رقم 3475].

(5) [ابن حبان: صحيح ابن حبان السير/باب الموادعة والمهادنة، 11/ 216: حديث رقم 4872]، وقال الألباني في التعليقات الحسان(222/7)، حديث رقم (4852): "صحيح".

وكان هذا دأب الأمراء من بعده[1]، ولا يخفى ما لهذا السلوك من أثر في صقل شخصية المُربى.

7- **بناء الدولة،** بتحول الخطاب من فردي إلى مجتمعي للمسلمين وغيرهم[2]، واستعمال القوة بإرسال السرايا والغزوات، لمن يتعرض للمسلمين، أو يرفض الإسلام.[3]

8- **تأمين الدولة من الداخل،** بموادعة غير المسلمين الذين يعيشون فيها، كاليهود.[4]

أما المنافقون فبالغلظة وإقامة الحجة، وإجراء أحكام الإسلام، وبيان الوعيد بعواقب نفاقهم.[5]

9- **العمل على تقوية الروابط بين الدولة وحاكمها، وأن مرد الخلاف بين المسلمين للشرع،** قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء:59]

المطلب الثالث: العلاقة بين العقيدة، والعقوبات الشرعية

من المعلوم أن العقيدة أولاً وقبل كل شيءٍ؛ لأن العقيدة إذا رسخت في نفوس الناس قاموا بعمل ما يترتب عليها، وأدلة الشرع ذاخرةٌ بذلك، منها: قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ{ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ ".[6]

قال ابن حجر رحمه الله:" أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام".[7]

---

(1) انظر:[صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة، ترجمة باب قوله تعالى: وشاورهم في الأمر 113/9].

(2) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج468/6)، القطان، مباحث في علوم القرآن (ص64).

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج42/5)، الطبري، تاريخ الطبري (ج207/2)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج71/2،75،81،172)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج561/6).

(4) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية (ج319/2).

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج201/18).

(6) [صحيح البخاري، فضائل القرآن/ تأليف القرآن، 185/6: حديث رقم4993].

(7) ابن حجر، فتح الباري (ج40/9).

وهذا جليٌ في دعوة النبي ﷺ الذي عاش في مكة أكثر من عقدٍ يدعو الناس إلى العقيدة الإسلامية، وما أقام عقوبةً على أحدٍ، وما دعا لإقامة حدٍ على أحد، ولما ذاع سيط الإسلام وأصبح للمسلمين دولة في المدينة أقام الحدود وأنزل بالمخالفين العقوبة الشرعية وفق ضوابطها[1]، ولم يكن همه بذلك النيل من الخلق، بل العمل على إقامة شرع الله تعالى، وقد كان يحث الناس على العفو قبل رفع الأمر إليه، فقال ﷺ:{تَعَافُّوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ}[2]، وبين أن الحدود تدرأ بالشبهات[3]، فقال ﷺ:{ادْرَءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ لِمُسْلِمٍ مَخْرَجًا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ بِالْعُقُوبَةِ}[4]، وهذا يفيد أن الذي يقيم العقوبات هو السلطان أو نائبه، لا غيرهم من آحاد الناس.[5]

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال :"كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ" فَقَالَ:{ بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا...فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ}.[6]

في هذا الحديث رتب النبي ﷺ الواجب على المكلف، فنهى عن الشرك أولاً، وهو يفيد وجوب إخلاص التوحيد، ثم ذكر ما يترتب على ذلك من أوامر الدين، وبين أن الحد مكفرٌ لما كان من خطيئة العبد التي سببته، ما لم يتعلق ذلك بحقوق الخلق، أو أن الحد كان بسبب الشرك والردة، فهذا لا يكفر، بل هو من قبيل زيادة النكال، وبين أن من أصاب حداً ولم يظهر أمره، فهو تحت مشيئة الله تعالى، بالعفو أو العقوبة[7]، وهذا بخلاف الشرك، فإن من لقي الله

---

(1) انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن (ص52،63،64).

(2) [أبو داود: سنن أبي داود، الحدود/ العفو عن الحدود ما لم يبلغ السلطان، 429/6: حديث رقم4376]، صحيح لغيره.

(3) انظر: الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، (ج15/4).

(4) [الحاكم: المستدرك للحاكم، الحدود، 426/4: حديث رقم8163]، وقال:"صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وصححه جلال الدين السيوطي. انظر: الجامع الصغير من حديث البشير النذير(ج22/1).

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج256/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج373/2).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الحدود/ الحدود كفارة، 159/8: حديث رقم6784].

(7) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج65،68/1) و(ج84/12).

عليه خُلِّد في النار، قال تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[النساء:48].

ولم يكن من منهج النبي ﷺ اظهار السرور والبشاشة عندما يُخبر بوقوع ما يوجب الحد، أو يقرُّ عنده أحدٌ بما يوجب عليه الحد أو التعزير، ومن أدلة ذلك:

عن صفوان بن أمية ﷺ، قال :"إِنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ قُطِعَ فِي الْإِسْلَامِ – أَوْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ – رَجُلٌ أُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا سَرَقَ، فَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَمَادًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْ يَقُولُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ:{وَمَا يَمْنَعُنِي؟ وَأَنْتُمْ أَعْوَانُ الشَّيْطَانِ عَلَى صَاحِبِكُمْ، وَاللهُ ﷻ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ، وَلَا يَنْبَغِي لِوَالِي أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَى بِحَدٍّ إِلَّا أَقَامَهُ}، ثُمَّ قَرَأَ:﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور:22]}".(1)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً:" جاء مِن أرضهِ عِشاءً فَوَجَدَ عند أهلِه رجلاً، فرأى بعينه وسَمِعَ بأُذنَيه، فلم يُهِجْهُ حتى أصبَح، ثم غدا على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، إني جئتُ أهلي عِشاءً فوجدتُ عندَهم رجلاً، فرأيت بعينيَّ وسمعتُ بأذنيَّ، فكره رسولُ الله ﷺ ما جاء به، واشتدَّ عليه}.(2)

بل وحث النبي ﷺ على العفو بين الناس فيما يوجب الحد من الأعمال المنكرة قبل رفعها للسلطان، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال:{ تَعَافُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ}.(3)

كما لم يرد أن النبي ﷺ كان يرفع صوته بالتكبير أو الهُتَافِ عند إقامة الحد ولم يأمر بذلك أصلاً، وكل ما ورد في هذا الباب أنه ﷺ كان ينكر سب المَحْدُودِ أو المُعذَّر، ومن ذلك: ما رواه أبو هريرة ﷺ قال:" أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ قَالَ: {اضْرِبُوهُ}، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَخْزَاكَ اللَّهُ"، قَالَ:{لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ}.(4)

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد 84/7]،"حسن بشواهده".

(2) [أبو داود: سنن أبي داود، الطلاق/ في اللعان، 569/3: حديث رقم2256]،حديث صحيح.

(3) [النسائي: السنن الكبرى، قطع السارق/ ما يكون حِرْزًا وما لا يكُونُ، 12/7: حديث رقم7332]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(2954)،(568/1):"حسن".

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الحدود/ ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة، 159/8: حديث رقم6781].

وقد نهى النبي ﷺ عن المثلة في كل الأحوال، ولم يأمر بحز الرؤوس ولا بالحرق ولا بغير ذلك من المُثلة.

أما حز الرؤوس، فلم يرد فيه حديثٌ صحيح، بل ما ورد في ذلك من أحاديث كلها مضطربة، قد تكلم العلماء في أسانيدها، أكان ذلك من فعل ابن مسعود ﷺ مع أبي جهل، أو ما ورد عن غيره[1]، قال أبو داود السجستاني رحمه الله:" في هذا أحاديث عن النبي ﷺ لا يصح منها شيء".[2] وهو يختلف عن ضرب الرقاب الذي في قول الله تعالى:﴿ **فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ** ...﴾[محمد:4]، لأن هذا الضرب يكون بحز الرؤوس وحصدها بالسيف[3]بضربة سريعة تختلف عن الحز بسكين أو غيره.

ولم يكن التمثيل بحز الرؤوس ونقلها من منهج الخُلفاء الراشدين ولا من منهج الصحابة الكرام ﷺ، لأن ذلك ليس من منهج الإسلام، بل من منهج الكفار العجم، فعن عُقْبَة بن عامر ﷺ[4]، "أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَشُرَحْبِيلَ ابْنَ حَسَنَةَ، بَعَثَاهُ بَرِيدًا بِرَأْسِ يَنَّاقٍ الْبِطْرِيقِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالرَّأْسِ أَنْكَرَهُ فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِنَا، قَالَ: أَفَاسْتِنَانًا بِفَارِسَ وَالرُّومِ؟ لَا يُحْمَلَنَّ إِلَيَّ رَأْسٌ، فَإِنَّمَا يَكْفِينِي الْكِتَابُ، والْخَبَرُ".[5]

ولا يستدل على حز الرؤوس أو أي نوعٍ من المثلة بحديث أنس ﷺ في قصة النفر من عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ الذين أكرمهم النبي ﷺ بالطعام والشراب والدواء ثم عدوا على إبل الصدقة فقتلوا الراعي، وساقوا الإبل فأمر النبي ﷺ بملاحقتهم وإحضارهم ثم" أَمَرَ بِهِمْ فَسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ"، لأن البخاري بعد أن ساق هذا الحديث

---

(1) انظر: ابن حجر، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (ج286/4).

(2) أبو داود، المراسيل، الجهاد/ ما جاء في حال الرؤوس(ص230).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج304/7).

(4) هو الصحابي الجليل عقبة بن عامر الجهني المصري، كان عالماً فقيهاً فرضياً شاعراً فصحياً، حسن الصوت بالقرآن، شارك في فتح الشام ومصر وكان بريد عمر بفتح دمشق، ممن روى عنه سعيد بن المسيِّب، ولي إمرة مصر ومات بها 58هـ ودفن في المقطم. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج467/2).

(5) [النسائي: السنن الكبرى، السير/ حمل الرؤوس، 51/8: حديث رقم 8620]، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير برقم (1875)، (201/4): "إسناده صحيح".

ألحقه مباشرة بقول التابعي الذي نقل الحديث عن أنس ﷺ فقال:" قَالَ قَتَادَةُ[1]بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ يَحُثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَى عَنْ الْمُثْلَةِ".[2]

والمثلة هي: العقوبة والتنكيل بالتشويه وقطع الأطراف[3]، وما رواه قتادة رحمه الله هذا يفيد عدم جواز العمل بما ورد في الحديث من العقاب، وهذه الرواية صحيحه، وهي بنفس سند الحديث المذكورة معه، قال ابن حجر رحمه الله: "هو موصول بالإسناد المذكور إليه"، وأنه جاء بأسانيد متصلة صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ[4]، ثم ذكر أن ذلك منسوخٌ، وأنه كان قبل أن تنزل الحدود، وستدل أيضاً بما نقل عن أبي هريرة ﷺ الذي أسلم بعد قصتهم وقد سمع الإذن بذلك ثم النهي عنه[5]، كما ذكر النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم نحو كلامه من القول بالنسخ، وأن ذلك كان قبل نزول الحدود[6]، وقد جلَّى الصحابي الجليل عمران بن حصين ﷺ هذا فقال: "مَا قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا إِلَّا أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ، وَنَهَانَا عَنِ الْمُثْلَةِ"[7]، وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أنكر المثلة على الحيوان، وذلك لما رأى غلاماً يربط دجاجة ويرميها، فذهب إليه وحلها وقال أن النبي ﷺ :"نَهَى أَنْ تُصْبَرَ بَهِيمَةٌ أَوْ غَيْرُهَا لِلْقَتْلِ"[8]، والمراد بالصبر في الحديث: هو الحبس بالربط أو غيره حتى الموت[9]، فإن كان هذا حكم الإسلام في الحيوان؛ فمن باب أولى أن يكون ذلك مع الأدمي.[10]

أما قول الله تعالى:﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل:126]، قال ابن العربي رحمه الله: "الصحيح من أقوال علمائنا أن المماثلة واجبة، إلا أن

---

(1) هو التابعي قتادة بن دِعَامَة بن السَّدُوْسِيُّ (60-118هـ)، كان كفيف البصر، لكنه اشتهر بقوة الحفظ وجمع أصناف العلوم. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج269/5).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ قصة عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ، 129/5 : حديث رقم 4192].

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج294/4)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج854/2).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج459,458/7).

(5) انظر: المصدر السابق(ج340،341/1)، (ج142/10)، (ج200/12).

(6) انظر: النووي، المنهاج (ج153/11).

(7) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج90/33)]،"صحيح".

(8) [البخاري: صحيح البخاري، الذبائح والصيد/باب ما يكره من المثلة والمصبورة،94/7:حديث رقم5514].

(9) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج643/9).

(10) قدم الباحث هذا الرأي لأنه أنسب لسماحة الإسلام ورحمة النبوة التي تظافرت بها الأدلة.

تدخل في حد التعذيب فلتترك إلى السيف ... وإن كانت الضربة بالحجر مجهزة قتل بها، وإن كانت ضربات فلا".[1]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "أما التمثيل في القتل فلا يجوز إلا على وجه القصاص ...والترك أفضل كما قال الله تعالى:﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾[النحل:126]،﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ ... ﴾ [النحل:127]".[2]

وأما الحرق فلا يجوز بحالٍ، لأنه على خلاف الدليل، فعن أبي هريرة ﷺ، قال:" بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْثٍ فَقَالَ:{إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ}، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ:{إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا}".[3]

وفي رواية "أَنَّ عَلِيًّا ﷺ حَرَّقَ قَوْمًا فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ {لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ}[4]، وفي رواية":" فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَقَالَ: صَدَقَ ابْنُ عَبَّاس".[5]

ولو سلمنا جدلاً بجواز التمثيل بحز الرؤوس والحرق وغيرها فلابد من النظر في اعتبار مآلات الأمور أخذاً بهدي النبي ﷺ كما سيأتي، لأن أعداء أُمة الإسلام المتربصين بها يملكون الإعلام المرئي والمسموع، ويستخدمونه لنشر الأخبار الكاذبة لتشويه صورة الإسلام وأهله والصد عن دين الله تعالى.

المطلب الرابع: خطر الفساد العقدي

إن كل خيرٍ في الوجود هو من جهة الشريعة التي مصدرها الوحي والرسالة، وكل شر مختصٌ بالعبد فهو بسبب مخالفة الشريعة، أو الجهل بها، وعليه فحاجة العباد للشريعة فوق كل حاجة، فهي أهم لهم من الطعام والشراب، بل ومن التنفس؛ لأن غاية ما يحدث بعدمها موت البدن، أما ما يكون بعدم الشريعة هو فساد القلب والبدن والروح، فيترتب على ذلك فساد

---

(1) ابن العربي، أحكام القرآن (ج162/1) بتصرف يسير.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج314/28).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ لا يعذب بعذاب الله، 61/4: حديث رقم3016].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ لا يعذب بعذاب الله، 61/4: حديث رقم3017].

(5) [الترمذي: سنن الترمذي، الحدود/ ما جاء في المرتد، حديث رقم 1458]، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة مختصرة، برقم(487)،(878/1):"صحيح".

وخُسران الدنيا والآخرة، لذلك لابد من معرفة الشريعة، والعمل بها، والدعوة إليها، وقتال المخالف لها، وتكليلُ ذلك بالصبر.[1]

ورأس الأمر في الشريعة هو التوحيد كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله:{رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَام}[2]، أي: شهادة التوحيد[3]، وما يترتب عليهما من أمور العقيدة.

والفساد العقدي يترتب عليه خسران الدنيا والآخرة، وقد سبق الحديث عن ذلك عند الحديث عن الآثار المترتبة على انحراف الناس في المنهج العقدي، ويترتب عليه خسران الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:85]، أي:" ومن يطلب دينًا غير دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والعبودية، ولرسوله النبي الخاتم محمد ﷺ بالإيمان به وبمتابعته ومحبته ظاهرًا وباطنًا، فلن يُقبل منه ذلك، وهو في الآخرة من الخاسرين الذين بخسوا أنفسهم حظوظها".[4]

المطلب الخامس: تقديم الأهم على المهم

تقديم الأهم على المهم من الأولويات في دين الله تعالى، وهذا واضحٌ في دعوة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، فقد كانوا يبدؤون دعوتهم بالتوحيد فهو رأس الأمر[5]، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:25]، وقد تكرر في القرآن الكريم على ألسنة جميع الأنبياء أنهم قالوا لأقوامهم:﴿... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾[الأعراف:59]، وتقديم الأهم على المهم يسري على ما دون التوحيد من أحكام الإسلام.[6]

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج93/19)، ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ج319/2).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج345/36)] حديثٌ صحيح.

(3) انظر: الأرناؤوط وآخرون، حاشية التحقيق على سنن ابن ماجة (ج117/5).

(4) التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص61).

(5) انظر: الأرناؤوط وآخرون، حاشية التحقيق على سنن ابن ماجة (ج117/5).

(6) انظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، (ص34)، النووي، المنهاج (ج73/4)، ابن حجر، فتح الباري(ج529/2) و(ج448/3).

ومن أمثلة تقديم الأهم على المهم في السُّنَّة النبوية:

أن النبي ﷺ لما بعثه الله تعالى في مكة يدعو إلى الإسلام كانت الأصنام منصوبةً حول الكعبة، وكان يصلي في البيت وهي من حوله، لكنه لم يتعرض لها في شيءٍ، لما لها في قلوب الناس من تعظيمٍ بجهلهم، بل كان يدعو الناس إلى التوحيد، لأن التوحيد إذا دخل قلوب الناس أبغضوا المنكر وأزالوه.[1]

وهذا يفيد أن هدم أصنام الكفار قبل دعوتهم للتوحيد وإظهار الحق لهم، لاسيما في حالة ضعف المسلمين، ليس على هدي النبي ﷺ، وأن نتائجه لن تكون حميدة، كما حدث عندما هُدمَ صنم بوذا، فقد شاهدنا على القنوات الإعلامية تعرض مساجد المسلمين للحرق في تلك البلاد، ثم إن الله تعالى نهانا أن نسب آلهة الكفار حتى لا يسبوا الله تعالى بجهلهم، مع أن سب آلهتهم وتنقيصها مشروع لإظهار بطلان عبادتها[2]، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ [الأنعام:108]، فإن كان النهي موجهٌ للمسلمين بعدم سب آلهة الكفار لما يترتب على ذلك من مفاسد، فمن باب أولى أن لا يفعلوا ما هو فوقه، وهذا يفيد أن السنة في الدعوة إلى الله تعالى تحرص على مراعات أحوال الداعي والمدعو، وهو من تقديم الأهم على المهم في الإسلام.

ولما أرسَلَ النبيُ ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن داعياً إلى الإسلام قال له:{ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ}.[3]

---

(1) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية(ج468/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج571/6)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(ج461/2)، ابن القيم، إعلام الموقعين(ج4/3).

(2) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص268).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، 114/9: حديث رقم 7372].

رتب النبي ﷺ في هذا الحديث بين الواجبات على المكلفين، فبدأ بالأهم وهو التوحيد، ثم رتب عليه ما يلحق به، وهي الصلاة، لأن التوحيد إذا دخل قلوب الناس كان دافعاً لفعل ما يتبعه.(1)

ولما كان بناء الكعبة قاصراً؛ ليس له إلا باب واحد، ترك النبي ﷺ فتح الباب الآخر تقديماً للأهم على المهم، فعبر عن ذلك بقوله عليه السلام:{يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ}.(2)

وقد أدرج البخاري رحمه الله هذا الحديث تحت عنوان: "بَاب مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الِاخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ".(3)

وهذا يؤكد أن على الداعي مراعاة أحوال المدعوين، وتقديم الأولى، حتي لا يُنَفِّرَ الناس من دين الله تعالى، قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه:" حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُه".(4)

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج358/3) وما بعدها.

(2) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، 37/1: حديث رقم126].

(3) انظر: المصدر السابق (ج37/1).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، 37/1: حديث رقم 127].

المبحث الثاني

تصحيح العقيدة على بصيرة

تعريف البصيرة لغةً: العلم بالشيء بالبرهان القاطع.(1)

تعريف البصيرة شرعاً: هي إدراك الحق ومعرفته بالحجة والدليل الشرعي القاطع الذي لا يترك في الحق لبساً.(2)

قال الله تعالى:﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف:108]، فالمراد بالآية الكريمة: يا محمد ﷺ قل للناس: هذه حدود منهجي وطريقتي، التي أدعو بها إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ببرهان شرعي وعقلي، أنا ومن اتبعني وسار على منهجي وطريقتي ندعوا إلى الله تعالى، وأن هذه الدعوة لا تصلُح ولا تجوز إلا بذلك فقط.(3)

وفي هذا المبحث نقف بإذن الله تعالى وعونه على ما يتيسر جمعه من منهج النبي ﷺ في دعوته إلى الله تعالى، والله أسأل التوفيق والثواب.

المطلب الأول: الوحي مصدر العلم والمعرفة

العلم المراد هنا هو العلم الشرعي، الذي هو سيد العلوم، وأصله معرفة الإيمان بالله تعالى ورسولهﷺ، معرفةً مقرونةً بالخضوع والانقياد(4)، الحاصل بدليل الوحي.(5)

وتمام عبادة الله ﷻ متوقفٌ على العلم والمعرفة، فكلما ازداد العبد معرفة بربه كلما كانت العبادة أكمل.(6)

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج253/1)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج59/1).

(2) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج284/4)، الشنقيطي، أضواء البيان(ج201/7)، أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3873/7).

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج179/18)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج422/4)، السعدي، تفسير السعدي (ص406)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص248).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج2/2-4)، و (ج397/7).

(5) انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين(ج7/1).

(6) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص35،813).

وقد بين الله سبحانه فضله على النبي محمد ﷺ بالعلم الذي ناله بالوحي، وأنه كان قبل ذلك لا يعرف شيئاً مما نال بهذا الوحي، وسمَّى القرآن روحاً؛ لأن أرواح العباد تحيا به من موت الجهل، وأنه يهدي به من يشاء من عباده إلى خير الأحوال والعواقب[1]، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشُّورى:52]، وقال تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ﴾ [يوسف:3]، والمراد بالغفلة هنا: الغفلة عن قصة يوسف عليه السلام، وإخوته، أو عن نعمة الإسلام ومعالم شريعته، كقوله تعالى:﴿... مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ...﴾ [الشُّورى:52] ، وليست الغفلة المذمومة، بالغفلة عن ذكر الله تعالى، أو غفلة الكفر.[2]

وقال الله ﷻ آمراً نبيه عليه السلام:﴿...اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ...﴾ [يونس:109]، فرد النبي ﷺ: ﴿... إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ...﴾ [الأعراف:203]

ولأهمية العلم عند السلف بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بقوله:" بَاب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...﴾ [محمد:19]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وقال النبي ﷺ: {مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ}[3]، وعلق ابن حجر رحمه الله على هذا التبويب بقوله :"أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل".[4]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :"ابتدأ البخاري صحيحه ببدء الوحي ونزوله؛ فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول أولاً، ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بما جاء به، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به، فرتبه الترتيب الحقيقي، وكذلك الإمام أبو محمد الدارمي

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج55/16)، التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص 489).

(2) انظر :الرازي، مفاتيح الغيب (ج69/18) و(ج196/31)، الشنقيطي، أضواء البيان(ج89/6) و(ج79/7).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ العلم قبل القول والعمل، 24/1: حديث رقم67].

(4) ابن حجر، فتح الباري (ج160/1).

صاحب المسند[1]: ابتدأ كتابه بدلائل النبوة، وذكر في ذلك طرفاً صالحاً، وهذان الرجلان–أي: الدارمي والبخاري–: أفضل بكثير من مسلم؛ والترمذي ونحوهما، ولهذا كان أحمد بن حنبل: يعظم هذين ونحوهما؛ لأنهم فقهاء في الحديث أصولاً وفروعاً".[2]

من هذا يعلم أن سبيل طلب العلم قبل الدعوة إلى الله تعالى واجبٌ على كل داعٍ، وإلا ضل وأضل، وكان كجهال آخر الزمان الذين قال فيهم رسول الله ﷺ:{اتَّخَذَ النَّاسُ رؤوساً جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا}.[3]

المطلب الثاني: الرجوع إلى الوحي في الحكم على كلِّ أمور العقيدة

إن كل مسائل العقيدة الإسلامية هي حقائق غيبية، والغيب لا سبيل لمعرفته إلا عن طريق النص الشرعي، من الكتاب أو السُّنَّة، فيجب على المتكلم في مسائل العقيدة الاستدلال بالنصوص الشرعية، وإن فقد النص وجب عليه التوقف عن القول، فلا يصح القول بالرأي والاستدلال بالعقل في هذا الباب تأسياً بالنبي ﷺ فقد كان منهجه ﷺ إذا سأله الناس عن أمور غيبيةٍ عقدية، الرجوع في جميعها إلى الوحي، ومن ذلك:

1- معرفة كُنه الروح

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ، فَنَزَلَتْ:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[الإسراء:85]"[4]، وفي رواية ابن مسعود ﷺ قال:" فَسَأَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ؛ قَالَ: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[الإسراء:85]"[5]، أفاد

---

(1) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي السمرقندي (المتوفى:255هـ)، صاحب المسند والتفسير، ركن الدين، وشيخ الأئمة مسلم وأبوداود والترمذي وغيرهم، أثنى عليه العلماء الثقات في زمانه وبعده. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ج224/12).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج4/2).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، العلم/ رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، 2058/4: حديث رقم2673].

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج154/4)]، قال الألباني في التعليقات الحسان برقم(99)،(209/1):"حسن صحيح".

(5) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ {ويسألونك عن الروح} [الإسراء: 85]، 87/6: حديث رقم4721].

الحديث التوقف عن الفتوى في أمور الغيب بغير دليل، وعدم الاجتهاد فيما ورد فيه النص، وأن الله تعالى استأثر بعلم الغيب وحده.(1)

2- الكلام في القدر

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: "خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ، -وفي رواية- خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُم يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدَرِ(2)- قَالَ: وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ:{مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ}".(3)

قول ابن عمرو رضي الله عنهما: "يَتَكَلَّمُونَ- ورواية-يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدَر"، أي: يتناظرون في مسائل القدر، وقوله: "كَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ"، أي: كأنما يتشقق وجهه إحمراراً يشبه احمرار حب الرُّمَّان من شدة غضبه لكلامهم في هذا الأمر بغير برهان، وقول النبيﷺ:{مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ}، أي: تعارضون بعض آيات القرآن ببعضها، كأنكم تدَّعون تناقضها، وقوله ﷺ:{بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ}، أي: إنما ضلت الأمم السابقة بالخوض في مثل هذه الأمور، وقد أفاد الحديث أن العباد يجب عليهم أن يقوموا على ما أُمروا به من أوامر الشرع، وأن يدعوا ما نهوا عنه، وما لم يكلفوا به، وألا يبحثوا عن معرفة علَّة ما لا يمكن معرفته من أحكام الشرع الغيبية، وأن القدر من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، ومن يبحث فيه دون الوقوف على الدليل الشرعي لم يأمن أن يصير قدريّا، أي: ينكر تقدير الله تعالى وعلمه بما يكون في خلقه، أو جبريّا، أي: يعتقد أن الله تعالى أجبر العباد على أفعالهم، فمن يفعل خيراً فبتقدير الله عليه، ومن يعمل شراً فبتقدير الله عليه.(4)

3- معرفة وقت قيام الساعة

سُئل النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة، فنزل قول الله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[الأعراف:187]

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج404/8).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد(435/11)]، حديث صحيح.

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد(250/11)]، حديث صحيح.

(4) انظر: محمد بن موسى، مشارق الأنوار (ج531/2)، وما بعدها.

أي: يسألك يا محمد كفار مكة عن الساعة متى ستكون، قل لهم: لا يعلم ذلك إلا الله وحده، ولا تأتيكم إلا فجأة، يسألونك عنها كأنك حريصٌ على استقصاء علم وقتها، وأكد لهم أن علمها عند الله وحده، وأن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم إيمانهم[1]، وقد كان النبي ﷺ أوَّلَ مقيمٍ لهذا الأمر، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يذكر من أسئلة جبريل عليه السلام لما أتى النبي ﷺ في صورة رجلٍ يسأله، فكان من أسئلته أن قال: "أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ–النبيﷺ–:{مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ}[2]، أي: لا علم لي ولا لك، بل هي مما استأثر الله تعالى بعلمه، وقد أفاد الحديث أن المفتي وغيره إذا سئل عما لا يعلم؛ أن يقول لا أعلم، وأن ذلك لا يُعِيبُه، بل يدل على وفرة علمه وورعه وتقواه.[3]

4- معرفة صفة الرب تبارك وتعالى

مما جاء في سؤال النبي ﷺ عن صفات الله تعالى، ما ذكره أُبَيِّ بن كَعبٍ رضي الله عنه حيث قال:"أَنَّ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ:﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾[الإخلاص:2،1]، قال:{الصمد الذي:﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[الإخلاص: 3]، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ،﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[الإخلاص:4]، قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ، وَلَا عَدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}".[4]

5- بيان استئثار الله تعالى بعلم الغيب

أجمل الله تعالى الأمر في الأمور الغيبية لقطع الطمع والتكهن بمعرفتها، إلا بما جاء به الوحي، فقال ﷻ آمراً نبيه ﷺ وأمته:﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**... ﴾[النمل:**65**][5]، وقال سبحانه:﴿ **قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ**﴾[الأنعام: **50**]، أي: لا أملك مفاتيح رزق الله ﷻ ورحمته، ولا

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج518/3)، السعدي، تفسير السعدي (ص311).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، 37/1: حديث رقم8].

(3) انظر: النووي، المنهاج (ج158/1)، ابن رجب، جامع العلوم والحكم(ص39).

(4) [الحاكم: مستدرك الحاكم، التفسير/تفسير سورة الإخلاص، 589/2: حديث رقم3987]، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، وقال الذهبي :"صحيح".

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج207/6).

أعلم من الغيب شيئاً؛ إلا ما يعلمنيه ربي، ولست ملكاً من الملائكة، إنما أنا بشرٌ أتبع ما يوحى إليَّ من ربي، ولست أخرج عنه قيد شبرٍ، ولا أدنى منه.[1]

فهذا هو السبيل الحق الذي ينبغي أن يكون عليه من أراد الرشاد في الدارين، ومعلومٌ أن سبيل الحق واحدٌ لا يتعدد، قال تعالى:﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...**﴾[يوسف:108].

وهناك صورٌ أحدثها الناس تخالف منهج النبي ﷺ في أمور العقيدة الغيبية، منها:

1- ضلال كفار مكة، حيث أنكروا البعث باعتمادهم على تصورهم الناتج عن كفرهم بأمور الغيب[2]، فقالوا مستغربين:﴿...**أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ(10) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً(11)**﴾[النَّازعات]، والمراد بالحافرة، الحالة التي كانت أجسادهم عليها قبل موتهم، ونخرة أي بالية.[3]

2- ضلت المعتزلة بمخالفتهم منهج النبي ﷺ، واعتمادهم على عقولهم في حقائق الإيمان الغيبية، فانكروا عذاب القبر[4]، والشفاعة يوم القيامة[5]، وعطلوا صفات الرب تبارك وتعالى.[6]

3- بعض العامة من المسلمين لضعف إيمانه وجهله بسنة نبيه ﷺ، اعتقد أن غير الله تعالى يكشف الضُر، أو يعلم الغيب، فتعامل مع المنجمين، وقد قال النبي ﷺ: {مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}[7]، والعراف: هو اسمٌ عامٌ لمن يزعمون معرفة أمور الغيب[8]، فيزعم أحدهم أنه يدل على المسروق، أو الضالة، وهو اعتداءٌ على حق الله الذي استأثر بعلم الغيب.

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج258/3)، السعدي، تفسير السعدي (ص257).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج313/8).

(3) انظر: التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص583).

(4) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين(ج318/2)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج284/4).

(5) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين(ج354/2)، ابن حجر، فتح الباري (ج436/11).

(6) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين(ج363/2)، البغدادي، الفرق بين الفرق (ص322)، الشهرستاني، الملل والنحل (ج42/1).

(7) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ تحريم الكهانة وإتيان الكهان، 1751/4: حديث رقم2230].

(8) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج173/35).

وفي رواية:{مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ}[1]، والكاهن: من التكهُّن، أي الذي يزعم علم الكائنات في المستقبل بالرؤيا، أو تلقين الجن.[2]

4- من المسلمين في زماننا من يقسم بقوله:" فزت ورب الكعبة يا فلان بالشهادة"، وقد نهى النبي ﷺ عن مثل هذا وبين أن علمه لله ﷻ، فعن أم العلاء الأنصارية[3]،لما توفي عثمان بن مظعون، قالت:" قُلْتُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَّا هُوَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَاذَا يُفْعَلُ بِي فَقَالَتْ وَاللَّهِ لَا أُزَكِّي بَعْدَهُ أَحَدًا أَبَدًا".[4]

فينبغي على كل من يتصدر للقول في دين الله تعالى؛ أن يتعلم سنة نبيه ﷺ، وأن يعمل بمنهجه، قال الإمام أحمد رحمه الله: "إنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ".[5]

المطلب الثالث: إنكار المنكر بغير منكر

سبق الحديث عن بيان معنى المنكر وحكمه[6]، والمقصود هنا هو بيان منهج النبي ﷺ في انكار المنكر بغير منكر، وأمثلة ذلك في السنة كثيرة، منها:

1- **عدم مقابلة سِباب الكفار بالسب،** عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُنَاسٌ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ:{وَعَلَيْكُمْ} قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَالذَّامُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَاحِشَةً} فَقَالَتْ مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا فَقَالَ:{أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ الَّذِي قَالُوا قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ} وفي رواية قال:{مَهْ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد331/15]، حديثٌ حسن.

(2) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج214/4)، ابن منظور، لسان العرب(ج363/13).

(3) أم العلاء الأنصارية الصحابية رضي الله عنها: هي بنت الحارث بن ثابت بن خارجة الأنصارية الخزرجية". انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج265/7).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التعبير/ رؤيا النساء، 34/9: حديث رقم 7003].

(5) ابن القيم، إعلام الموقعين (ج44/1).

(6) انظر: (ص4).

اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ}[1]، وفي رواية ثالثة، قال:{مَهْلًا يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّه}.[2]

الذَّامُ: كلمة تقال للذم مقابل المدح[3]، والْفُحْش: هو مجاوزة الحد بالقبيح من القول أو الفعل، وقوله ﷺ: "مه" هي كلمة زجرٍ تقال للنهي عن الشيء[4]، والسام: هو الموت العاجل، وقيل مرادهم تُسَامُونَ دينكم، أي: يُصبكم منه سآمة وملل، لذلك بالغت عائشة رضي الله عنها في الإنكار عليهم، فكان رد النبي ﷺ عليها، وحثه ﷺ على الرفق في الرواية الثالثة لأن الرفق يتأتى معه من الأمور ما لا يكون مع ضده.[5]

يستفاد من الحديث: أن قول اليهود من المنكر الذي ينبغي رده، فقامت عائشة رضي الله عنها برده بمثل ما قالوا وزياده، فنبهها النبي ﷺ، وبيَّن أن المنكر لا يزال بمنكر مثله.

وهذا التعامل لا يخص اليهود وحدهم، بل لكل كافر، قال الله تعالى:﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ...﴾ [الأنعام:108]، نهى الله تعالى في هذه الآية عن أمر مشروعٍ، وهو سب آلهة الكفار، مع أن سبهم وآلهتهم مما يتقرب به إلى الله تعالى[6]، فمتى كان رد الكافر فيه تعرضٌ لله تعالى أو رسوله ﷺ أو شعائر الإسلام، لاسيما إذا كان ذا منعة، فلا يحل لمسلم الوقوع فيهم أو في أوثانهم بالسب.[7]

2- **إنكار منكر الحكام بغير برهان شرعي**[8]، قال الله تعالى:﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾[العنكبوت:2]، أي: "أظَنَّ الناس إذ قالوا: آمنا، أن الله يتركهم بلا ابتلاء، ولا اختبار؟"[9]، ومن الابتلاء؛ الابتلاء بالحكام وما يحدثوه من منكرٍ ومخالفة للشرع، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك لما بين طبيعة الحُكَّام وحكمهم على الأمة عبر تاريخها،

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، 1706/4: حديث رقم2165].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الاستئذان/ كيف يرد على أهل الذمة السلام، 57/8: حديث رقم 6256].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج42/11).

(4) انظر: النووي، المنهاج(ج147/14).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج449/10)، و(ج43/11).

(6) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج258/3)، السعدي، تفسير السعدي(ص268).

(7) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج61/7).

(8) تفصيل هذا الموضوع في المبحث الخامس من الفصل الثاني.

(9) التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص396).

حيث قال:{تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا ، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ ثُمَّ سَكَتَ}.[1]

قول النبي ﷺ:"مُلْكًا عَاضًّا"، العضوض هو ما يُعْضُ عليه ليؤكل، وهو من باب المبالغة في بيان التمسك بالإمارة، التي جمعت بين التعسف والظلم[2]، وقد بدأ زمانها بحكم بني أمية[3]، عدا معاوية ﷺ، وعمر بن عبد العزيز رحمه الله، ومن سار على طريقهما[4]، وقوله ﷺ:" مُلْكًا جَبْرِيَّةً"، أي: ملك غلبةٍ وتسلطٍ وإكراهٍ[5]، وهو الواقع في زماننا، حيث بدأ بسقوط الخلافة العثمانية، فهذا زمان حكم الجبر- والله أعلم- وهذا الجبر وما فيه من منكر ينبغي أن يكون انكاره والعمل على تغييره من منطلقٍ شرعيٍ، وعلى منهج النبي ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله: "إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإن كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله تعالى يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر".[6]

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج355/30)] حديث حسن.انظر:السلسلة الصحيحة للألباني برقم(5)،(1ج/34).
(2) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج607/2).
(3) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج388/12).
(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج527/4) و(ج356/10).
(5) انظر: الكفوي، الكليات(ص353)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج105/1).
(6) ابن القيم، إعلام الموقعين(ج4/3).

المطلب الرابع: العمل على ترابط المجتمع المسلم وحمايته من التنازع والفرقة

عمل النبي ﷺ على ترابط المجتمع المسلم وحمايته من التنازع والفرقة في شتى نواحي الحياة، ويمكن إبراز بعض النماذج في النقاط التالية:

1- **المؤاخاة بين المسلمين**، صالح النبي ﷺ بين الأنصار[1]، وحالف وآخى بينهم وبين المهاجرين[2]، وهذه المؤاخاة ليست خاصة بهم، بل عامة بين جميع المسلمين في كل عصرٍ ومصر، بما جاء به النبي ﷺ عن ربه تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...﴾ [الحجرات:10]

2- **الحث على إفشاء السلام**، وهو كثيرٌ في أحاديث النبي ﷺ، لما لذلك من تآلف القلوب، ورفع الوحشة بين المسلمين، من ذلك قوله ﷺ: { إنَّ أولى النَّاسِ بالله مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلام}.[3]

3- **الحث على حُسْنِ الجوار**، لما لذلك من إشاعة الاستقرار الاجتماعي بين المسلمين، والشعور بأُخوة الدين، فقال ﷺ:{خَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ}[4]، وقال أيضاً:{ مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ}.[5]

4- **بيان لزوم صلة الرحم**، حيث قال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى:{أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ يَصِلْهَا أَصِلْهُ، وَمَنْ يَقْطَعْهَا أَقْطَعْهُ، فَأَبُتُّهُ}.[6]

5- **الحث على التواضع**، قال ﷺ:{إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ}.[7]

6- **ذم الحسد وأسباب الفرقة**، قال ﷺ: {لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا

---

(1) انظر: الكامل في التاريخ (ج538/1).

(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج36/3)،ابن كثير، السيرة النبوية(ج320/2)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(ج349/2).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، الآداب/ فضل من بدأ بالسلام،493/7:حديث رقم5197]، صحيح. انظر: صحيح الجامع للألباني برقم(2011)،(ج403/1).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج162/11)]، صحيح. انظر: صحيح الجامع للألباني برقم(3270)،(ج620/1).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الآداب/ الوصاة بالجار، 10/8: حديث رقم6014].

(6) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج286/16)]، حديثٌ صحيح.

(7) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها، 197/2: حديث رقم2865].

يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا- وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ}.(1)

الحسد: هو تمني زوال النعمة عن الغير، والنجش: الزيادة في ثمن السلعة بقصد الضرر بالغير لا بقصد شرائها، والتدابر: هجران الرجل لأخيه والتولي عنه بالالتفات إلى ناحية أُخرى حين يراه(2)، وقوله ﷺ:{لَا يَخْذُلُهُ}، أي: لا يترك نصرته عند الحاجة لذلك مع قدرته عليها، وقوله ﷺ:{وَلَا يَحْقِرُهُ}، أي: لا يستصغره ويستقله.(3)

7- **بيان وجوب لزوم جماعة المسلمين،** قال ﷺ:{إِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ}(4)، ولبيان عاقبة الفرقة وترك الجماعة قال ﷺ:{عليك بالجماعةِ فإنَّما يأكُلُ الذِّئبُ القاصِيَةَ}(5)، وفي بيان فضائل لزوم الجماعة قال ﷺ:{إِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ}.(6)

8- **وجوب الاعتصام بالكتاب والسنَّة،** قال النبي ﷺ:{ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي}.(7)

9- **الأمر بوجوب اجتماع الأمة على ولاة الأمر وطاعتهم في المعروف، ووجوب قيام الأمراء على أمر الأمة بالحق،** قال النبي ﷺ في بيان وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:{أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ}(8)، وقال ﷺ في بيان جزاء من يدعو للفرقة:{مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ}(9)، وفيما يجب على

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، 1986/4: حديث رقم 2564].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج484/10،482).

(3) النووي، المنهاج(ج120/16).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج358/36)]، حديثٌ حسن.

(5)[أبو داوود: سنن أبي داوود، الصلاة،باب التشديد في ترك الجماعة،410/1:حديث رقم547]، إسناده حسن.

(6) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، السير باب طاعة الأئمة،438/10: حديث رقم4577]، وقال الألباني في التعليقات الحسان(ج23/7):"صحيحٌ لغيره".

(7) [الحاكم: مستدرك الحاكم، العلم، 172/1: حديث رقم 319]، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع رقم (2937)،(566/1).

(8) [أبو داود: سنن ابي داود، السنة/باب في لزوم السنة، 16/7: حديث رقم4607]، حديث صحيح.

(9) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، 1478/3: حديث رقم1852].

الولاة نحو الرعية، قال ﷺ:{اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ}.[1]

وقد أثمرت دعوة النبي ﷺ لهذه الواجبات والفضائل، بدليل قول الله تعالى:﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ...﴾[الفتح:29].

أخيراً: يستفاد مما سبق أن النبي ﷺ، كان الرسول الموحى إليه من ربه تعالى، قال الله ﷻ:﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ** ...﴾[الفتح:29]، وأيضاً والي أمر المسلمين وراعيهم، بدليل تسمية من جاء يلي أمر المسلمين بعده خليفة؛ لأنه ينوب عن صاحب الشريعة بحراسة الدين وسياسة الدنيا[2]، وهذا يبين أهمية السلطان في توجيه الرعية وإلزامها بشرع الله تعالى، وأن الأمة ملزمةٌ بطاعته ما أطاع الله تعالى فقط، قال النبي ﷺ:{السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ}[3]، وإن كان ولِيُّ الأمر مفرطٌ، فعلى الأمة الاستقامة على سنة رسولها ﷺ، فما تغير حال الولاة إلا بتغير حال الرعية، وهذا مشاهدٌ في واقع الأمة، إلا من رحم الله وعصم، فالراعي بالرعية، والرعية بالراعي، فما ترك عظيم الروم هرقل الإسلامَ واتباع النبي محمد ﷺ، وهو يؤمن بصدقه؛ إلا باتباع رغبة رعيته في ذلك.[4]

المطلب الخامس: الحرص على هداية الناس

جعل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، فقال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[الأنبياء:107]، فكان من هذه الرحمة حرصه على هداية الناس أشد الحرص، والحرص هو شدة الرغبة والجد في نفع الغير وهدايته[5]، قال الله تعالى:﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[التوبة:128]، وقد بلغ من شدة حرص النبي ﷺ أن الله تعالى أنزل آياتٍ عدة يهون بها عليه من إعراض الناس وحزنه لذلك، منها قوله

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، 1458/3: حديث رقم1828].

(2) انظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (ص191).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ السمع والطاعة للإمام، 50/4: حديث رقم2956].

(4) انظر: (ص42).

(5) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (166/1).

تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6] ، "أي: مهلكها، غماً وأسفاً عليهم".(1)

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: "إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلاَّ من سبق له من الله السعادة، ولا يَضِلُّ إلاَّ من سبق له من الله الشقاء، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:3]".(2)

ومن أمثلة حرصه عليه السلام على هداية الناس:

1- حرصه ﷺ على تخفيف تكليف الصلاة على الناس يوم معراجه إلى السماء، حيث قال ﷺ:{فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا... قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ}.(3)
2- حرصه على أن يُخْتَمَ للناس بالتوحيد حتى ينجوا من النار ويدخلوا الجنة، كما فعل ذلك مع الغلام اليهودي، فعن أنس رضي الله عنه قال: "كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ:{ لَهُ أَسْلِمْ} فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ}" (4)، وهذا يفيد أن حرصه شمل جميع أطياف الناس، حتى الغلمان.
3- حرصه ﷺ على هداية الناس بالدعاء لهم، من ذلك ما رواه عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ أَبَوَيْهِ اخْتَصَمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَحَدُهُمَا كَافِرٌ وَالْآخَرُ مُسْلِمٌ، فَخَيَّرَهُ فَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَافِرِ، فَقَالَ: {اللَّهُمَّ اهْدِهِ" فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُسْلِمِ، فَقَضَى لَهُ بِهِ}(5)، من فوائد الحديث "اهتمام

(1) السعدي، تفسير السعدي (ص470).

(2) ابن الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (ج276/6)، رواه الطبراني ورجاله وثقوا.

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، 145/1: حديث رقم162].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، 94/2: حديث رقم1356].

(5) [ابن ماجة: سنن ابن ماجه، الأحكام/ تخير الصبي بين أبويه، 439/3: حديث رقم2351، حديث صحيح.

النبيّ ﷺ بهداية أمته، حيث لم يترك هذا الولد يختار الكافر من أبويه، بل دعا اللّه تعالى أن يهديه للحقّ، ومنها أن فيه علمًا من أعلام النبوّة، وهو استجابة دعاء النبيّ ﷺ لهذا الولد بالهداية".[1]

وعن أبي هريرة ﷺ قال:" كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ} فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ"[2]

4- استمرار حرص النبي ﷺ على هداية الناس حتى في أوقات العسر والشدة، فقد سألته عائشة رضي الله عنها فقالت:"هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ" قَالَ: {لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا}.[3]

كما كان من شفقته ﷺ واحتياطه لأمته واعتنائه بمصالحهم ورغبته بكل ما ينفعهم، تحرَّزه فيما كان يجرى على لسانه من دعاءٍ بغير نية ولا قصد، جرياً على عادة العرب في كلامهم[4]، سأل

(1) الوَلَّوِي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن علي الإثيوبي (ج204/29).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة ﷺ/ فضائل أبي هريرة ﷺ،1938/4: حديث رقم2491].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الخلق/ إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، 115/4: حديث رقم3231].

(4) انظر: النووي، المنهاج(ج151/16).

ربه تعالى، فقال: {اللهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.[1]

المطلب السادس: الأخذ باعتبار المآلات والعواقب في الأمور

معلومٌ أن طريق الدعوة إلى الله تعالى صعبٌ وشاقٌ، لذا أمر الله نبيه ﷺ فقال:﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾ [الأحقاف:35]، وكان من صبر النبي ﷺ النظر في مآلات الأمور وعواقبها قبل القضاء والفصل فيها، طاعةً لله تعالى، وحثَ الأمةَ من بعده على العمل بهديه إرضاءً لله ﷻ، فقال ﷺ:{وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ}.[2]

ويمكن إبراز أخذ النبي ﷺ باعتبار المآلات والعواقب في الأمور بالأمثلة التالية:

1- النهي عن قطع الأيدي في السفر والغزو

قال النبي ﷺ{ لَا تُقْطَعُ الْأَيْدِي فِي الْغَزْوِ}[3]، وفي رواية:{لَا تُقْطَعُ الْأَيْدِي فِي السَّفَرِ}[4]، والسفر المذكور في الرواية الثانية مقيد بسفر الغزو، وتعليل عدم القطع مخافة أن يفتتن من يقام عليه الحد فيلحق بالعدو، أو لا يتمكن من القتال وهم متوجهون للعدو إذا أقيم عليه الحد[5]، فيكون قد ترتب على إقامة الحد ما هو أبغض إلى الله تعالى من تركه، أو تأخيره.[6].

2- ترك إقامة الحد على المنافقين

ترك النبي ﷺ قتل ابن سلول المنافق الذي كان يعمل على زعزعة صف المسلمين، وإضعاف جبهتهم، عندما استأذنه عمر بن الخطاب ﷺ في قتله، وعلل ذلك بقوله:{لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ}[7]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة، 2007/4: حديث رقم2601].

(2) [المصدر السابق، الجمعة/ تخفيف الصلاة والخطبة، 592/2: حيث رقم867].

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، الحدود/ ما جاء ألا تقطع الأيدي في الغزو، 120/3، رقم الحديث 1450]، وقال الألباني في مشكاة المصابيح برقم(3601)، (319/2):"صحيح".

(4) [أبو داود: سنن أبى داود، الحدود/ الرجل يسرق في الغزو أيقطع، 458/6: حديث رقم4408]، صحيح. انظر: الجامع الصغير من حديث البشير النذير للسيوطي(ج394/2).

(5) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج1552/9).

(6) انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين(ج5/3).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ ما ينهى من دعوة الجاهلية، 183/4: حديث رقم3518].

ولم يكن هذا الحال مع ابن سلولٍ وحده، بل كان مع عموم المنافقين للمصلحة الراجحة في تركهم، قال ابن العربي رحمه الله[1]، عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة:8]، الحكم المستفاد هاهنا؛ "أن النبي ﷺ لم يقتل المنافقين مع علمه بهم، وقيام الشهادة عليهم أو على أكثرهم...لمصلحة تألف القلوب عليه، لئلا تنفر عنه".[2]

وقال ابن القيم رحمه الله :"النبي ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه وقولهم إن محمداً يقتل أصحابه، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام، ممن دخل فيه ومن لم يدخل فيه، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل"[3]

3- ترك بناء الكعبة على أساسها الصحيح

بناء الكعبة لم يكن كاملاً على عهد النبي ﷺ على قواعده الأصلية التي بناها ابراهيم عليه السلام ، وكان النبي ﷺ يتمنى بناءها على قواعدها الأصلية لكنه ترك ذلك لحكمة ذكرها لعائشة رضي الله عنها، بقوله:{أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ} قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :{لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ}.[4]

قال ابن حجر رحمه الله عند ذكر فوائد الحديث:" فيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره، وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا، وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه أمر واجب".[5]

---

(1) هو الامام العلامة محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي الأندلسي، من أشهر علماء الأندلس، جمع شتى فنون العلم، رحل للمشرق في طلب العلم فدخل الحجاز والشام والعراق، وولي القضاء بإشبيلية، وكان ذا مالٍ وافر بنى على إشبيلية سوراً من ماله، مات بفاس(573هـ)، ودفن بها رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج197/20).

(2) ابن العربي، أحكام القرآن (ج20/1).

(3) ابن القيم، إعلام الموقعين (ج138/3).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ نقض الكعبة وبنائها، 968/2: حديث رقم1333].

(5) ابن حجر، فتح الباري (ج448/3).

وبين الإمام مالك رحمه الله تعالى حكمة أُخرى من عدم التعرض للكعبة عندما استفتاه الخليفة هارون الرشيد رحمه الله في هدم الكعبة وبنائها على قواعدها الأصلية، فقال:" نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت لعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه فتذهب؛ هيبته من صدور الناس".[1]

4- العمل بالمداراة[2]تأليفاً للقلوب

عن عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ:{بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ} فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ {يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ}[3]

هذا الحديث أصلٌ في بيان جواز المدارة، وبيان جواز غيبة أهل الفساد والكفر ونحوهم لإظهار أمرهم للناس ليعرفوهم ويتقوا شرهم، وأن ذلك من باب النصيحة، لكن النبي ﷺ ترك ذلك مع هذا الرجل؛ لأنه كان سيداً مطاعاً في قومه على سوء حاله وحماقته، وأقبل عليه وتألفه؛ رجاء أن يسلم قومه بذلك.[4]

فهذا هو منهج النبي ﷺ، وهديه الذي ينبغي أن يُعلم ويُتبع، قال شيخ الإسلام:" إنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يُكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته".[5]

---

(1) العيني، عمدة القاري (ج204/2).

(2) المداراة:هي بذل الدنيا من أجل الدين أو الدنيا أو هما معاً بلين الجانب وإحسان العشرة لشخص من أجل دفع شره أو ترغيبة في الخير. انظر:ابن منظور، لسان العرب(ج71/1)، وابن حجر، فتح الباري(ج454/10).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا، 13/8: حديث رقم6032].

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج454/10).

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج298/11).

المبحث الثالث

تنوع الوسائل والأساليب

تعريف الوسائل والأساليب لغةً: الوسائل: جمع وسيلة، وهي الذريعة للشيء، والأساليب: جمع أُسلوب وهو الطريق والمذهب.(1)

تعريف الوسائل والأساليب شرعاً: من خلال تعريف الوسائل والأساليب في اللغة: يتبين أن تعريفهما شرعاً: هو ما يسلكه الداعي إلى الله تعالى من السُبلِ المشروعة بقصد الوصول بالمدعوين لنيل خيري الدنيا والآخرة.

وقد تنوعت وسائل النبي ﷺ وأساليبه في دعوته، وكلها موقوفة، قد أقره ربُّه تعالى عليها، قال تعالى:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4) ﴾ [النَّجم].

وفي هذا المبحث نقف مع بعض وسائل النبي ﷺ وأساليبه عسى الله تعالى أن يفتح علينا، وأن ينفعنا بهدي نبينا ومنهجه.

المطلب الأول: الحكمة والموعظة الحسنة

تعريف الحكمة لغةً: المعرفة التي تمنع صاحبها من الجهل وأخلاق الأراذل.(2)

تعريف الحكمة شرعاً: هي "فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي".(3)

تعريف الموعظة لغةً: هي نصح الإنسان وتذكيره بالعواقب.(4)

تعريف الحسنة لغةً: هي ضد السيئة، والمراد هنا ما سَهُلَ على النفس قبوله من قولٍ أو فعل.(5)

تعريف الموعظة الحسنة شرعاً: نصح الناس وتذكيرهم بالعواقب بدعوتهم إلى الله تعالى بأدلةٍ من شرعه بأُسلوبٍ مرغوبٍ مؤثر، يغلب عليه عدم الإغلاظِ والتعنيف.(6)

---

(1) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج441/1،311).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج91/2)، والفيومي، المصباح المنير(ج145/1)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج190/1).

(3) ابن القيم، مدارج السالكين (ج479/2).

(4) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج466/7).

(5) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير(ج4304/8)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج174/1).

(6) انظر: صديق خان، فتح البيان(ج340/7)، أبو زهرة، زهرة التفاسير(ج4304/8).

والفرق بين الحكمة والموعظة الحسنة: هو أن الحكمة: ذكر الأدلة على التوحيد وأحكام الشرع الحنيف بإنزالها على الواقع حسب الاحتياج، أما الموعظة الحسنة: فهي التذكير بذكر العواقب في الأمور التي عليها الناس، كالتذكير بأحوال أهل الضلال وما انتهوا إليه بعصيانهم، وذكر أهل الإيمان، وما انتهوا إليه من الخير بطاعتهم.(1)

وقد جمع الله تعالى وزاد عليها بقوله ﷻ: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ... ﴾ [النحل:**125**]

ففي هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو الناس للإسلام بتلطف ولين بما أنزله عليه من الترغيب والترهيب في الكتاب والسنة، وأن يخاطب الناس على قدر أفهامهم، حتى يبلغ المراد بدعوته(2)، وهكذا ينبغي أن يكون أُسلوب الدعاة من المسلمين بعده، مع عصاة الأمة، ومع الكفار ما أمكن؛ لأنه الأمر في الآية للنبي ﷺ ومن تبعه(3)، أما عن المجادلة(4)في الآية بالتي هي أحسن، فالعطف في الآية يفيد المغايرة، وعليه فتكون المجادلة بالتي هي أحسن للمعاند الذي يغلب على طبعه المخاصمة لا بقصد الوصول إلى الحق، فهذا يجادل بالتي هي أحسن بالمجادلة التي تفيد الإفحام والإلزام.(5)

واللين الذي هو ما يرجى به الصلاح من الرفق وما ترغبه النُّفُوس من الأقوال والأفعال(6)هو الغالب في الدعوة إلى الله تعالى، فالله تعالى أرسل موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام إلى فرعون الذي كان يزعم أنه الإله الأوحد، قال تعالى مبيناً شدة كفره: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ... ﴾[القصص:38]، رغم هذا أمرهما أن يدعوانه بالرفق واللين، فقال ﷻ: ﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(44)** ﴾ [طه]

---

(1) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين(ج479/2)، أبو زهرة، زهرة التفاسير(ج4304/8).

(2) انظر: المقدسي، الآداب الشرعية (ج88/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج613/4)، السعدي، تفسير السعدي (ص452).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج200/10)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص281).

(4) المجادلة: هي المناظرة بإظهار الحجة مقابل الحجة، وهي نوعان، نوعٌ يراد به طلب الحق وإظهاره، ونوعٌ يراد به مغالبة الخصم، والدفاع عن فكرة ولو كانت خلاف الحق. انظر: ابن منظور، لسان العرب(105/11)، أبو زهرة، زهرة التفاسير(ج1152/3).

(5) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج111/20).

(6) انظر: صديق خان، فتح البيان(ج339/7)، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط(ج362/1) و(ج998/2).

قال ابن القيم رحمه الله:" أمر تعالى أن يُلِيْنا القول لأعظم أعدائه وأشدهم كفراً، وأعتاهم عليه؛ لئلا يكون إغلاظ القول له مع أنه حقيقي به ذريعة إلى تنفيره وعدم صبره لقيام الحجة، فنهاهما عن الجائز لئلا يترتب عليه ما هو أكره إليه تعالى".(1)

وقد بين النبي ﷺ فضل الرفق وحث عليه، وأنه يكون في شتى جوانب حياة المسلم، فقال ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ}(2)، وقال في رواية أُخرى{ حُرِّمَ عَلَى النَّار كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ}.(3)

ومن أمثلة إقامة النبي ﷺ للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمره ربُّه تعالى، ما قاله للأنصار ﭫ لما قَسَمَ فيءَ حنينٍ ولم يُعْطِهم شيئاً، فكأنهم وجدوا من ذلك، فقال ﷺ:{ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ}.(4)

في هذا الحديث لما رأى النبي ﷺ موقف الأنصار ﭫ، لان لهم القول، وذكرهم بفضله عليهم، وبين لهم مكانتهم وفضلهم وحبه لهم، وحثهم على الصبر والثبات على الدين إلى يوم القيامة يوم الجزاء، فتغير موقفهم ونزلوا عند نصح النبي ﷺ وتوجيهه لهم.

ومن أمثلة المجادلة بالتي هي أحسن، ما كان من صبر النبي ﷺ على مكر اليهود المعاندين، حيث جادلهم بما يرد كيدهم ويلزمهم بما عليهم وذلك فيما يرويه أبو هريرة ﭬ، حيث قال: "زنى رجُلٌ من اليهود وامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبيِّ، فإنه نبيٌّ بُعِثَ بالتخفيف، فإن أفتانا بِفُتيا دُونَ الرجمِ قبلناها واحتججنا بها عندَ الله، قلنا: فُتيا نبيٍّ مِن أنبيائِك، قال: فأتوا النبيَّ ﷺ وهو جالسٌ في المسجد في أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم،

(1) ابن القيم، إعلام الموقعين(ج138/3).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ إذا عَرَّضَ الذي وغيره بسب النبيﷺ ولم يصرح نحو قوله: السام عليك، 16/9: حديث رقم6927].

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد(53/7)]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(3135)،(600/1):"صحيح".

(4) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ غزوة الطائف، 157/5، حديث رقم4330].

ما ترى في رجلٍ وامرأةٍ منهم زنيا؟ فلم يُكلِّمهم كلمةً حتى أتى بيت مِدْرَاسِهم[1]، فقام على البابِ، فقال:{أنْشُدُكم باللهِ الذي أنْزَلَ التوراةَ على موسى ما تجدونَ في التوراةِ على من زنَى إذا أحصن؟} قالوا: يُحمَّمُ [2]، ويُجبَّهُ ويُجلَدُ، والتجبيهُ: أن يُحملَ الزانيانِ على حِمارٍ، وتُقابلَ أقفيتُهما، ويُطاف بهما، قال: وسكَتَ شابٌّ منهم، فلما رآه النبي ﷺ سكت ألظَّ به النِّشدَةَ[3]، فقال: اللهم إذ نشدْتَنَا فإنا نجِدُ في التَّوراةِ الرجمَ، فقال النبيُّ ﷺ :{ فما أوَّلُ ما ارتخصتم أمرَ الله؟}، قال: زَنَى ذو قرابةٍ من ملك مِن مُلوكنا، فأُخِّر عنه الرجمُ، ثم زَنَى رجلٌ في أسرةٍ مِن النَّاسِ، فأراد رجمه، فحالَ قومُه دونه، وقالوا: لا يُرجَمُ صاحبُنا حتى تجيءَ بصاحبِك فترجمَه، فاصطلحوا على هذه العقوبةِ بينَهم، فقال النبيُّ ﷺ:{ فإني أحكُمُ بما في التوراة}، فأمَرَ بهما فرُجِما".[4]

المطلب الثاني: الحوار والمناظرة

تعريف الحوار في اللغة والشرع: هو ما يدور من حديثٍ بين شخصين أو أكثر في أمر هام.[5]

تعريف المناظرة لغةً: هي التفاوض في أمر لإظهار الصواب والحق فيه.[6]

تعريف المناظرة شرعاً: هي محاورة المدعوين بالحجة الشرعية من غير تعنيف للوصول بهم للحق.[7]

يؤخذ من التعريفات أن الحوار والمناظرة متقاربات في المعنى ويكمل بعضها البعض، وقد كان من منهج النبي ﷺ وهديه حوار ومناظرة الموافق والمخالف بهدف تبليغ الحق ووصوله للمخاطب، وكثر ذلك منه عليه السلام، ومن ذلك ما كان مع الأنصار رضي الله عنهم، لما فتح الله عليه مكة، فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، إذ يقول: قال رسول الله ﷺ:{مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ}، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:

(1) مدراسهم: هو البيت الذي يدرسون فيه. انظر: قول المحققين بهامش سنن أبي داود (ج6/498).

(2) التحميم: تسويد الوجه. المصدر السابق(500/6).

(3) ألَظّ به النشدة، معناه: "القسم، وألح عليه في ذلك، ومنه قوله: "ألِظوا بياذا الجلال والإكرام" أي: سلُوا الله بهذه الكلمة وواظبوا على المسألة بها". المصدر السابق(ج500/6).

(4)[أبو داود:سنن أبي داود، الحدود/ في رجم اليهوديَّين،499/6: حديث رقم4450]، صحيح لغيره.

(5) انظر: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط(ج205/1).

(6) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج219/5).

(7) انظر: صديق خان، فتح البيان(ج340/7).

"وَجَاءَ الْوَحْيُ وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا، فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْوَحْيُ، فَلَمَّا انْقَضَى الْوَحْيُ"، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ} قَالُوا: "لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ"، قَالَ: {قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ؟}، قَالُوا:" قَدْ كَانَ ذَاكَ"، قَالَ:{كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ}، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: "وَاللهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضِّنَّ(1)بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ"، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ، وَيَعْذِرَانِكُمْ}.(2)

والمراد بقول الأنصار ﷺ"أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ"، أنهم لما رأوا رأفة النبي ﷺ بأهل مكة وكفه للقتل عنهم، ظنوا أنه سيرجع إلى مكة للمقام والسكنى فيها، ويترك المدينة فيرحل عنهم، فشق ذلك عليهم، فقالوا هذا القول، فأخبره الوحي، فراجعهم، وطمأنهم وأخبرهم أنه هاجر إليهم لله تعالى، وأنه لن يرجع عن هجرته، وأن حياته عندهم ومماته كذلك، فاعتذروا، وبينوا أنهم ما قالوا ذلك إلا حرصاً عليه وعلى دوام صحبته والبركة بمقامه، فصدقهم بما قالوا، فبكوا فرحاً بما أخبرهم، وهذا الحوار من دلائل النبوة، حيث وقع ما أخبر به عليه السلام.(3)

ومن حوارات النبي ﷺ، ومناظراته مع أهل الباطل ما رواه ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال:" قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: {لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ}، قال ابنُ عبَّاس: "فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّكَ أُرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أَرَيْتُ فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ". (4)

بين هذا الحديث مناظرة النبي ﷺ لمسيلمة الكذاب، حيث ذهب إليه لمَّا نزل المدينة ولم يفد على النبي تكبراً، فدعاه إلى الله تعالى رغم باطله عساه أن يرجع، وبين أنه لن يظفر بما

---

(1) الضِّنَّ: هو الشُّح. انظر: النووي، المنهاج (ج129/12).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ فتح مكة، 1405/3: حديث رقم1780].

(3) انظر: النووي، المنهاج (ج128/12).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ وفد بني حنيفة، 170/5: حديث رقم4373].

يريد من طلبه الأمر بعد النبي ﷺ، وأنه إن لم يرجع عما افتراه يهلكه الله تعالى، ثم غادر النبي ﵇ المكان، ولم يغلق باب الحوار معه، بل ناب عنه من يحاوره ويناظره رجاء رجوعه عما افتراه(1)، وهذا يظهر أدب النبي ﷺ في حواره ومناظرته، وأن القصد من ذلك الوصول بالناس للحق، وترك مجالٍ للرجوع لمن يحاوره وإن لم يكن ذلك وقت الحوار.

المطلب الثالث: أسلوب القصة

القصة من الأمور المحببة للنفوس، ولها آثارها، لذا جعل الله تعالى لها نصيباً من كتابه، وبين أنها حقيقية، ولها فوائدها، فقال ﷻ: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف:111].

وأمر نبيه ﵇ أن يقص القصص بقوله:﴿ ...**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[الأعراف:176]، فاستخدم النبي ﷺ أسلوب القصة، فكان منها: قصة الذي قتل مائة نفس، حيث قال النبي ﷺ: {كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ "، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ }.(2)

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج159/1) و (ج90/8).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، التوبة/ قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، 2118/4: حديث رقم 2766].

المطلب الرابع: الترغيب والترهيب

الإنسان بطبعه مفطورٌ على حب ما ينفعه، والنفور من كل ما يفزعه[1]، لذلك جعل الله تعالى أسلوب الترغيب والترهيب من أساليب شرعه التي يدعو بها عباده إلى طاعته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ(49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ(50)** ﴾ [الحجر].

قال الشوكاني رحمه الله:"إنه سبحانه لما أمر رسوله بأن يخبر عباده بهذه البشارة العظيمة، أمره بأن يذكر لهم شيئاً مما يتضمن التخويف والتحذير، حتى يجتمع الرجاء والخوف، ويتقابل التبشير والتحذير، ليكونوا راجين خائفين، فقال:﴿ **وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ** ﴾، أي الكثير الإيلام، وعند أن جمع الله لعباده بين هذين الأمرين من التبشير والتحذير صاروا في حالة وسطاً بين اليأس والرجاء، وخير الأمور أوساطها؛ وهي القيام على قدمي الرجاء والخوف وبين حالتي الأنس والهيبة".[2]

وقد اتبع النبي ﷺ أسلوب الترغيب والترهيب في دعوته، كما فعل الرسل عليهم السلام من قبله، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ** ...﴾[الكهف:56]، فقال ﵇ مرغباً في الجنة:

{قَالَ لِي جِبْرِيلُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ لَمْ يَدْخُلْ النَّارَ، قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ}.[3]

ومما ذكر عن النبي ﷺ في الترهيب؛ يحث به أمته على وجوب إخلاص النية، وتجنب الرياء عند الجهاد في سبيل الله، وفي كل عمل مما يبتغى به وجه الله، وبيان شدة حرمة ذلك وعقوبته[4]، قوله ﵇:{إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ}.[5]

---

(1) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص 506).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج167/3).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي/ ذكر الملائكة، 113/4، حديث رقم 3222].

(4) انظر: النووي، المنهاج (ج51/13).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، 1513/3: حديث رقم 1905].

المطلب الخامس: الأسلوب المباشر

كان من أُسلوب النبي ﷺ أحياناً توجيه الخطاب مباشرة إلى الشخص المراد دون تورية، ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ:{ يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ}، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ".[1]

في هذا الحديث عمد النبي ﷺ إلى الأسلوب المباشر على سمع ونظر أصحابه ﷺ دون تورية، ولعل ذلك لبيان شدة حرمة لبس الرجال للذهب، وإباحة انتفاعهم به في غير ما حُرِّم[2]، كما أن سياق الحديث يفيد أن الفعل لم يكن مع إنسان جديدٌ عهده بالإسلام، بل من الراسخين في الإيمان، بدليل أنه ترك الخاتم ولم ينتفع به لشيءٍ آخر مع إباحة ذلك، وعليه فيكون عمل الدعاة بالأُسلوب المباشر وفق ما تقتضيه المصلحة والحكمة أمر جائز.

المطلب السادس: إكرام ذوي الهيئات

كان من منهج النبي ﷺ وهديه في دعوته إكرام ذوي الهيئات والشرف في أقوامهم، لما لذلك من أثرٍ في نفوسهم ونفوس أقوامهم رجاء أن يسلم الناس لربهم ﷻ، ويبن للناس كافة أن هذا الدين ما جاء ليلغي الواجهة والمناصب عن أحدٍ من الخلق، بل جاء ليُعبد الله تعالى وحده، ولا يُشركُ به شيئاً، وقد تكرر من النبي ﷺ إكرام ذوي الهيئات والشرف في أقوامهم، وكان لذلك الأثر الكبير في الناس، ومن ذلك لما فتح الله تعالى عليه مكة جاء أبو سفيان ﷺ يقول من هول الموقف: "يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ"، فرد النبي ﷺ بقوله:{مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ}[3]، وفي هذا القول يظهر النبي ﷺ شرف أبي سفيان في مكة، ليألف قلبه[4]، وقلوب الناس في مكة للإسلام، وقد كان.

ولم يكن إكرام ذوي الهيئات والشرف لغير المسلمين في السُّنَّة النبوية، بل كان للمسلمين أيضاً، فقد كان من هديه ﷺ إكرام أصحابه ﷺ، ومن ذلك ما جاء عن أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنها، قالت: "لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ، فَلَمَّا

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، اللباس والزينة/ طرح خاتم الذهب، 1655/3: حديث رقم2090].

(2) انظر: النووي، المنهاج (ج65/14).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ فتح مكة، 3/ 1405: حديث رقم1780].

(4) انظر: النووي، المنهاج(ج127/12).

رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: {هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ}، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ أَنْتَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:{أَسْلِمْ}، فَأَسْلَمَ".[1]

في هذا الحديث بيَّن النبي ﷺ للصديق ﷺ أنه لو دعاه أن يأتي أباه في بيته تيسيراً عليه لفعل، ثم أجلسه بين يديه، وقام بمسح صدره رجاء إسلامه، وكرامةً للصديق ﷺ، فكان الخير بعد.

المطلب السابع: العطاء والبذل

كان من وسائل النبي ﷺ في دعوته أن يعطي المال ولا يمنع شيئاً، ولا أحداً في سبيل الله تعالى، فكان لذلك الأثر الكبير على ميل الناس للإسلام، ومن ذلك قول أنس ﷺ: "مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ".[2]

من فوائد هذا الحديث أن النبي ﷺ دعا إلى الله تعالى بالعطاء والبذل فقط، ووظف من ينوب عنه في الدعوة كذلك، حيث خرج الرجل داعياً في قومه، وهذا يدل على فطنة النبي ﷺ وفراسته، وينبغي على كل داعيةٍ إلى الله أن يعمل على اكتساب هذه المهارات الدعوية ليقتفي أثر النبي عليه السلام، وتثمر دعوته.

ولم ينقطع العطاء النبي ﷺ حتى بعد أن مكن الله له، فبعد غزوة حنين: "أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ[3]، مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً، قال صَفْوَانَ: "وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ".[4]

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج518/44)]،حسن.انظر: التعليقات الحسان للألباني برقم(7164)،(ج273/10).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/ ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطاء، 1806/4: حديث رقم2312].

(3) هو الصحابي صفوان بن أمية بن خلف الجُمحي من كبراء قريشٍ وساداتها، شهد حنين والطائف كافراً، وأسلم بعد ذلك وحسُن إسلامه، وروى حديث النبي ﷺ، وروى عنه جمعٌ من التابعين منهم عطاء بن أبي رباح، وقد شهد اليرموك، ومات 41هـ ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج562/2).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/ ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، 1806/4: حديث رقم2313].

المطلب الثامن: الدعاء بالهداية

من المعلوم أن النبي ﷺ كان مستجاب الدعوة، وكان من هديه الدعاء للناس بالخير، حتى طمع اليهود في دعائه، فعن أبي موسى ﷺ، قال: "كَانَتْ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجَاءَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ".(1)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: "قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ"، فَقَالَ: {اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ}.(2)

يؤخذ من الحديث حرص النبي ﷺ على هداية الناس للإسلام، حيث دعا لمن أبي الإسلام، فهداهم الله بدعائه، فجاء الطفيل ﷺ بأعدادٍ كبيرة منهم إلى المدينة قد أسلموا، وكان أبو هريرة ﷺ منهم، كما أسلم غيرهم ممن دعا لهم النبي ﷺ(3)، فإن كان النبي ﷺ قد دعا للكفار بالهداية؛ فمن باب أولى أن يُدْعى لعصاة المسلمين بالهداية بدلاً من سبهم والدعاء عليهم، وقد دعانا الله تعالى للتأسي بنبيه ﷺ، فقال ﷻ:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:21]

المطلب التاسع: إنكار الخطأ وقبول الصواب

عن الرُّبيع بنت معوذ رضي الله عنها، قالت: "جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ"، فَقَالَ: {دَعِي هَذِهِ وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ}.(4)

لأن علم الغيب لله وحده الذي قال:﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:65]،

فلما زعمت الجارية أن النبي ﷺ يعلم الغيب بقولها: "وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ"، أنكر النبي ﷺ قولها هذا، وأمرها أن ترجع إلى ما كانت تقول من ندب قتلى بدر، وقال في رواية

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج356/32)]، صحيح. انظر: أنيس الساري للبصارة الكويتي(ج3926/6).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الدعوات/ الدعاء للمشركين، 84/8: حديث رقم6397].

(3) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج114/5)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج70/2).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، النكاح/ ضرب الدف في النكاح والوليمة، 19/7: حديث رقم5147].

أُخرى:{ أَمَّا هَذَا فَلَا تَقُولُوهُ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّه}[1]، فأنكر الخطأ ورده، وبيَّن سبب ذلك، وقبل بقية الصواب وأقره.

المطلب العاشر: القتال

الغاية من القتال في الإسلام؛ أن يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً، قال النبي ﷺ:{أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ}[2]، قال ابن تيمية رحمه الله:" مراده: قتال المحاربين الذين أذن الله في قتالهم، لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم".[3]

وقد يكون أحياناً لدفع شر وفتنة الكفار عن الإسلام وأهله[4]، قال تعالى:﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[الأنفال:39].

ولا بد من توفر أسباب القوة للمسلمين عند العزم على القتال، وإلا لا قتال، كما كان الحال في العهد المكي.[5]

وإن كان للمسلمين القدرة على القتال وعزموا عليه فلابد لهم من الأخذ بوصايا النبي ﷺ عند ذلك، حيث كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ:{ اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي

---

(1) [ابن ماجة: سنن ابن ماجة، النكاح/ الغناء والدف، 91/3: حديث رقم1896]، إسناده صحيح.

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/{فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}، 14/1: حديث رقم25].

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج21/19).

(4) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص321).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج359/2).

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ}.[1]

هذا الحديث يفيد أن القتال في الإسلام ليس لسفك الدماء وإحلال الخراب كما هو عادة غير المسلمين، وعادة الغرب في زماننا، بل هو دعوة للفوز بالدارين لمن أراد ذلك من الناس، فإن أبي ذلك مُنح فرصة بإعطاء الجزية عسى الله أن يشرح صدورهم للإسلام فيما بعد، فإن أبى إلا القتال قوتل بالضوابط الأخلاقية الشرعية التي بدأ النبي ﷺ وصاياه بها، وهي تحريم الغدر، وقتل الصبيان والمثلة[2]، وفي رواية أبي داود، قال ﷺ:{وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا، وَلَا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً...وَأَصْلِحُوا﴿ ...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[البقرة:195]}.[3]

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها، 3/ 1356: حديث رقم1731].

(2) انظر: النووي، المنهاج (ج12/37).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، الجهاد/ في دعاءِ المشركين،256/4: حديث رقم2614]،حسن لغيره.

المبحث الرابع
الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله

للنبي ﷺ أسماء سماه الله تعالى بها، منها المتوكل، حيث قال: "أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّل"[1]، والمراد بالمتوكل هو المعتمد على الله تعالى في كل أمره، المتيقن بما عنده[2]، والتوكل لابد أن يكون معه الأخذ بالأسباب، فقد تواتر عن النبي ﷺ فعل ذلك[3]، ولعلنا في هذا المبحث نبين ذلك من خلال منهج النبي ﷺ، مع بيان بطلان مذهب من خالفه.

المطلب الأول: الأخذ بالأسباب

الأسباب جمع سبب، وهو كل طريقٍ يتوصل به إلى الشيء[4]، كالأكل يتوصل به إلى الشبع، والبقاء على قيد الحياة، والعلاج يتوصل به إلى الشفاء من السقم، والعمل الصالح طلباً للفوز بالجنة والنجاة من النار، وكل الأسباب في كل شيء هي من قدر الله تعالى في خلقه.

وترك الأخذ بالأسباب قدح في الشرع، ولا تتم للعبد حقيقة توحيد الله تعالى إلا بمباشرة الأخذ بالأسباب التي قدرها الله تعالى في كونه، مع الاعتماد على الله وحده، لا على الأسباب، لأن ذلك من الشرك.[5]

وقد جاءت أدلة الشرع في الكتاب والسنة تبين أن الله تعالى قدر على خلقه الأخذ بالأسباب في كل شيء، من ذلك الأخذ بالأسباب في طلب الرزق، قال الله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ [الملك:15]

وقال النبي ﷺ:{لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُوَ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ فَيَبِيعَ فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاس}.[6]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري: البيوع/ كراهية السخب في الأسواق، 67/3: حديث رقم2126].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج586/8)، العيني، عمدة القاري(ج243/11).

(3) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين(ج134/2)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية(ص270)، ابن حجر، فتح الباري(ج306/11).

(4) انظر: الكفوي، الكليات(ص166)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج411/1).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج528/8)، ابن القيم، زاد المعاد(ج15/4).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الزكاة/ قوله: {لا يسألون الناس إلحافا}، 125/2: حديث رقم1480].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه، فإن كان قد تقدم بأنه يرزق العبد بسعيه واكتسابه، ألهمه السعي والاكتساب، وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب، وما قدره له بغير اكتساب؛ كموت مورثه يأتيه به بغير اكتساب".(1)

وقال الله ﷻ:﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ [الأنفال:60]، ففي هذه الآية يأمر الله تعالى أهل الإسلام أن يفعلوا ما في حدود إمكاناتهم مما يقدرون على فعله، ولو كان ذلك دون إمكانات أعدائهم، فهو من باب الأخذ بالأسباب على قدر الوسع، ثم يكون خوف عدوكم ونصركم عليه بعد ذلك بإخلاص التوكل على الله تعالى والتمسك بشرعه، فهو ﷻ بهذا تكفل بنصركم.(2)

لذلك قام النبي ﷺ يوم تحزب الأحزاب من كفار الجزيرة العربية على المسلمين في المدينة بأخذ ما استطاع من الأسباب لمقابلة مكرهم، فكان ذلك بحفر الخندق حمايةً للمدينة.(3)

المطلب الثاني: التوكل على الله، وعلاقته بالأخذ بالأسباب

التوكل: هو لزوم اظهار العجز لله ﷻ؛ بالاعتماد عليه، والثقة به، وتفويض الأمر إليه(4)، بعد الأخذ بالأسباب المشروعة(5)، مع اليقين أن لا مانع ولا معطي إلا هو ﷻ.(6)

فالمراد بالتوكل: هو الاعتقاد بما دل عليه قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا...﴾[هود:6]، وليس المراد به ترك الأخذ بالأسباب، والاعتماد على غير الله تعالى.(7) وعليه يكون التوكل والأخذ بالأسباب صنوان، لا يكون أحدهما دون الآخر، ومن أدلة

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج541/8).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج35/8)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج80/4)، التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص 184)، الشنقيطي، أضواء البيان(ج38/3)، الشنقيطي، العذب المنير(ج546/1) و(ج185/2) و(ج232/3). .

(3) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ حفر الخندق (ج25/4)]، و ابن هشام، السيرة النبوية(ج170/4) وما بعدها.

(4) انظر: الكفوي، الكليات(ص 630)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج1055/2).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج384/3).

(6) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي (ج8/7).

(7) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج305/11).

ذلك ما رواه ابن حبان رحمه الله في صحيحه، قال: "قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ" قَالَ:{اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ}.[1] فالشاهد من الحديث أن النبي ﷺ أمر الرجل أن يأخذ بالأسباب أولاً، وذلك بتقييد ناقته وربطها بقوله: {اعْقِلْهَا}، ثم أمره بالتوكل بعد ذلك.

وقال أيضاً ﷺ:{لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ؛ تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا}.[2]

أفاد الحديث أهمية التوكل مع الأخذ بالأسباب، وحث عليهما، وذلك من قوله :"تَغْدُو خِمَاصًا"، أي تذهب أول النهار لطلب الرزق وهي جائعة، وقوله: "تَرُوحُ بِطَانًا"، أي ترجع آخر النهار وقد امتلأت بطونها[3]، قال الإمام أحمد رحمه الله: "ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب؛ بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد: لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم، وعلموا أن الخير بيده؛ لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير".[4]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "من أخذ يدخل في التوكل تاركاً لما أمر به من الأسباب فهو أيضاً جاهل ظالم؛ عاصٍ لله بترك ما أمره؛ فإن فعل المأمور به عبادة لله، وقد قال تعالى: ﴿ ...فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ...﴾ [هود:123] ".[5]

ولقد قسم الشيخ العثيمين رحمه الله التوكل إلى ثلاثة أقسامٍ:

فجعل الأول منها: أن يكون التوكل بالإخلاص مع الخضوع والاعتماد المطلق على الله تعالى الذي بيده كل شيءٍ، ومن صرف هذا التوكل بهذه الصورة لغير الله تعالى فقد أشرك شركاً أكبر، كمن يعتمد على أهل القبور الأموات في جلب المنافع أو دفع المضار.

والثاني: أن يكون التوكل في جلب الرزق وأسباب العيش بالاعتماد على البشر، وهذا النوع من التوكل يكون من الشرك الأصغر، أو الشرك الخفي، كمن يعتمد على وظيفته في حصول رزقه، فتظهر منه محاباة صاحب عمله ووظيفته لذلك.

أما الثالث: هو من يتوكل على الله تعالى موقناً أن الأمر كله بيده، لكنه لم يباشر العمل الذي توكل فيه على ربه بنفسه، بل وكل شخصاً آخر قد اعتمد عليه لينوب عنه لسبب منعه من

---

(1) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، الرقائق/ الورع والتوكل، 510/2: حديث رقم731]،حديث حسن.

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج438/1)]، حديث صحيح.

(3) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي (ج9/7).

(4) المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير (ج594/2).

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج180/18).

ذلك، وهذا النوع كان يفعله النبي ﷺ، فيوكل بعض الصحابة الكرام ﷺ لينوبوا عنه في بعض الأعمال، مثل ما وكَّلَ علياً ﷺ أن يذبح ما بقي من هديه، ووكل أبا هريرة ﷺ على الصدقة.[1]

المطلب الثالث: إبطال المعتقدات المخالفة للأخذ بالأسباب

وجِدت عبر تاريخ الأمة معتقدات فاسدة في أمر الأخذ بالأسباب ووجوبه، من هذه المعتقدات:

1- معتقد الجبرية

سموا بهذا الاسم لمخالفتهم منهج أهل السنة، وقولهم: إن العبد مجبرٌ على فعله بخلق الأسباب التي يقدرها الله عليه بالخير أو الشر[2]، وهذا محض افتراءٍ منهم على الله تعالى، وقد عطلوا به اختيار العبد وعمله، والأخذ بالأسباب التي تنجي من النار بعمله بمقتضى أحكام الشريعة، بل وعطلوا التوحيد الذي جعله الله تعالى أعظم الأسباب للفوز بالدارين.[3]

والحق أن أفعال العبادة مخلوقة لله تعالى خالق كل شيء، ومكان العبد من ذلك أنه مريدٌ مختارٌ لأفعاله وفاعلٌ لها حقيقة، يستحق بحسبها المدح أو الذم[4]، أي أن الله تعالى يخلق الفعل للعبد بناءً على اختياره وفعله، ويكتب عليه ذلك في الدنيا دار العمل، حتى يوافيه يوم القيامة يوم الجزاء على الأعمال، فيجازي العبد بما كسب، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

كما أن كتابة كل شيء على العبد قبل أن يكون في الدنيا؛ ليس المراد منه الجبر كما زعموا، بل هو دليلٌ على قدرة الله تعالى وعلمه للغيب، وحال العبد معه ينبغي أن يكون وفق منهج النبي ﷺ، فعن جابرٍ ﷺ قال: قال سُراقة بن مالك:" يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: {لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ}، قَالَ: "فَفِيمَ الْعَمَلُ"؟ ، فقال: {اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ}.[5]

---

(1) انظر: ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (ج99/3).

(2) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل(ج84/1)، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(ص68)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج235/16)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية(ص447،113).

(3) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج495/3،415).

(4) انظر: الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص438،437).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، القدر/ كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، 2040/4: حديث رقم2648].

يستفاد من هذا الحديث وأحاديث الباب: أن تفسير القدر، والقول فيه، والعمل به؛ يكون وفق نصوص الكتاب والسنة لا بالقياس ومجرد الرأي، كما أفاد الحديث النهي عن ترك العمل بالاتكال على القدر السابق، وبين وجوب العمل بمقتضى التكاليف الشرعية.[1]

قال شارح الطحاوية: "قد يظن بعض الناس ...أن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب".[2]

2- معتقد الصوفية:

التوكل عند الصوفية ينقسم إلى قسمين: الأول توكل العوام، والثاني توكل الخواص، والتوكلان باطلان، أما الأول: قال النقشبندي في جامعه[3]: "توكل العوام: هو تفويض أمر الرزق إلى الله تعالى، وترك التعلق بالأسباب ثقةً بوعد الله اعتماداً على كرمه".[4]

وبطلان هذا القول من وجوه، منها:

أولاً: إن قَصْدَ بقوله ترك التعلق بالأسباب بعد الأخذ بها؛ فهو صحيح من جانب، وباطلٌ من جانبٍ آخر؛ في أنه جعله للعوام، فهذا افتراءٌ على النبي ﷺ وتقليلٌ لشأنه؛ لأنه كان يأخذ بالأسباب ويأمر بها، ومن ذلك؛ أنه أمر بحفر الخندق يوم غزوة الأحزاب ليتقي به شر الكفار، وكان يحفر فيه بيده ترغيباً للمسلمين[5]، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ"[6]، ومن أمره أيضاً بأخذ الأسباب قوله ﷺ:{الطَّاعُونُ آيَةُ

---

(1) انظر: النووي، المنهاج (ج196/16).

(2) الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص270).

(3) هو أحمد بن مصطفى عبد الرحمن النقشبندي الخالدي الكمشخانوي(ج1812م-1893م)، صوفي تركي الأصل والمنشأ، ولد في كمشخانه بولاية طرابزون بتركيا، وتعلم في الأستانة، وتوفي بها، له مصنفات عدة، منها كتاب جامع الأصول في الأولياء الذي اشتمل على ترهات وأباطيل الصوفية. انظر: الزركلي، الأعلام (ج257/1).

(4) النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء (ص323).

(5) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج172/4).

(6) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ غزوة الأحزاب وهي الخندق، 1430/3: حديث رقم1803].

الرِّجْزِ، ابْتَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ}.(1)

قوله ﷺ:{الطَّاعُونُ}، هو مرضٌ فتاك يلوث البيئة ويحصد أرواح الناس، وهو عذابٌ على من نزل بهم من الأمم السابقة، ورحمة لأُمة الإسلام وشهادة، وقوله ﷺ:{آيَةُ الرِّجْزِ}، أي: دليلٌ على قدرة الله تعالى، وعظة للناس بمآل العصاة.(2)

ونهيُ النبي ﷺ في الحديث عن دخول الأرض التي وقع فيها لمن كان خارجها وعدم الخروج لمن كان بها، هو من باب الأمر بالأخذ بالأسباب، فالذي في داخل البلد التي أصابها الطاعون إن كان مصاباً أو سليماً فإن خروجه قد يؤدي لنقل أسباب المرض خارج بلده، فيعرض الناس للوقوع في الأوهام والحرج، ومن كان خارجها فقد يتعرض للأذى بدخوله، فنهى عن دخول مكان الوباء أخذاً بالأسباب المأمور بها شرعاً، وهو ما يعرف في زماننا بالحجر الصحي، ولا يتعارض ذلك مع حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:{لَا عَدْوَى}، وَيُحَدِّثُ مَعَ ذَلِكَ:{لَا يُورِدُ الْمُمْرِضُ عَلَى الْمُصِحِّ}(3)، لأن المراد به لا عدوى بطبعها، بل بقدر الله تعالى، رداً على اعتقاد أهل الجاهلية والكفر النافين للقدر المتوعدين بقوله تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ(47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ(48) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(49)** ﴾[القمر]، وهذا مؤكدٌ بأنه ختم الحديث بقوله{لَا يُورِدُ الْمُمْرِضُ عَلَى الْمُصِحِّ}، أي: لا يُؤْتى بالإبل المصابة السقيمة على السليمة المعافاة، أخذاً بالأسباب التي أمر الشرع بها، خوفاً من إصابتها بالأذى الذي قدره الله تعالى، فيتضرر أصحابها بمرضها، وربما حدث لهم ما هو أعظم من ذلك؛ وهو اعتقاد وقوع العدوى بطبعها دون قدر الله فيكفروا بهذا الاعتقاد، فسد باب الذريعة بالأمر بأخذ الأسباب.(4)

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، 1737/4: حديث رقم 2218].

(2) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج131/7)، النووي، المنهاج(ج204/14).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، 1743/4: حديث رقم2221].

(4) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار،(ج99/5-104)، النووي، المنهاج(ج217/14)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج482/7)، الألباني، موسوعة الألباني في العقيدة، (ج1142/3،1141)، الولَّوي، ذخيرة العقبى (ج271/32-274).

ثانياً: أنه ردٌ لنصوص الشرع التي أمرت بالأخذ بالأسباب، وجعلته منهج أفضل خلق الله تعالى، وهم الأنبياء عليهم الصلاة السلام، فهذا إبراهيم عليه ﵇ لمَّا تمكن منه قومه وأرادوا أن يلقوه في النار أخذ بالأسباب التي يستطيعها وقتها، وهي الدعاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿...**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾[آل عمران:**173**]، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﵇ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"[1]،﴿...**فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ** ...﴾ [العنكبوت:24][2]، وموسى ﵇ لما خرج من مصر ببني إسرائيل باتجاه البحر ولم يجد لهم مخرجاً، وقد اتبعه فرعون بجنوده للبطش بهم؛ قدر الله تعالى نجاته وقومه بأن أمره أن يأخذ بالأسباب المقدورة له وإن صَغُرت، فقال ﷻ مخبراً عن ذلك:﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ...وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ(65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآَخَرِينَ(66)** ﴾[الشعراء].[3]

ثالثاً: أنه خص التوكل بالرزق فقط، ومقصوده من خلال معرفتنا بالصوفية وسماعنا لكلامهم هو ما يتعلق بتوفير الطعام والشراب والملبس والمسكن فقط، وهذا تفريط بدين الله تعالى؛ حيث يجعل التوكل عليه في هذه الأمور فقط، فأين التوكل في طلب العلم، والدعوة إلى الإسلام، والجهاد في سبيل الله ﷻ، وغيرها من أوامر الشرع في شتى مناحي حياة المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الذي ظن أن التوكل من المقامات العامة؛ ظن أن التوكل لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا، وهو غلط، بل التوكل في الأمور الدينية أعظم، وأيضاً: التوكل من الأمور الدينية التي لا تتم الواجبات والمستحبات إلا بها، والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه"[4]، وعلى هذا القول يكون تقسيمهم للتوكل بهذين القسمين يدل على جهلهم في الدين، ومن جهل الدين فلا يحق له أن يتصدر للفتوى وتوجيه النصوص الشرعية، ولا يحق له نصح الناس في دينهم، بل عليه أن يلزم أهل العلم من أهل السنة ليتعلم منهم دين الله ﷻ، ويكون عندهم كأي أحدٍ من عامة المسلمين، لأن هذه مرتبته، وهذا حقه وشأنه.

أما النوع الثاني من التوكل عندهم فهو توكل الخواص، عرَّفه النقشبندي بقوله:" وتوكل الخواص: هو تفويض الأمر إلى الله في كل شيءٍ، حتى يبقى العبد تحت أحكام القضاء والقدر

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/{إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم}[آل عمران:173]، 39/6: حديث رقم 4563].

(2) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص629).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج100/13).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج20/10).

عديم الحركة والاختيار، كالميت بين يدي الغاسل".[1]

وبطلان هذا التوكل ظاهرٌ من خلال ما أدرج النقشبندي تحته بقصد بيان هذا التوكل وتوضيحه بذكر نماذج لبعض مشايخهم في تطبيقه فذكر: أن بعضهم كرر الحج حافياً وكان لا يلتفت لإخراج الشوك الذي يدخل في قدمه، لأن ذلك ينافي توكل الخواص، وهذا مخالفٌ لأمر الله تعالى الذي نهى عن تعريض النفس لأي أمرٍ يضر بها، قال ﷻ:﴿ ...**ولَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**...﴾[البقرة:195][2]، وقال النبي ﷺ:{تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ}[3]، وقيام الإنسان بإخراج الشوك من قدمه، ورفع الأذى عن جسده من التداوي المأمور به، ثم ذكر عن شيخٍ آخر من شيوخهم يزعم أن الخروج لسفر الحج دون متاعٍ أو طعامٍ وعونٍ من أحد من التوكل، وقد أنكر الله تعالى على بعض أهل اليمن خروجهم للحج دون زادٍ بزعم التوكل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ ...**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**...﴾[البقرة:197]".[4]

وقال النقشبندي بعد ذلك:" وعلامة توكل الخواص أن يكون ساكناً؛ بحيث: أنه لو أحاطت به السباع والأفاعي لا يتحرك لها قلبه".[5] **وهذا باطلٌ من وجوه؛ منها:**

أولاً: لأن الخوف طبيعةٌ بشرية قدرها الله على خلقه، قال تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام:﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾[طه: 67][6]، وإبراهيم عليه السلام لما جاءته الملائكة صنع طعاماً ظناً منه أنهم أضيافٌ من البشر ينبغي إكرامهم، فلما رأى أنهم لا يأكلون من طعامه خافهم ولم يبين لهم ذلك، فطمأنوه لما رأوا خوفه، قال الله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ(70)**﴾[هود].[7]

---

(1) النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء (ص323).

(2) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص90).

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج398/30)]، حديث صحيح.

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الحج/ قول الله تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى}، 134/2: حديث رقم1524].

(5) النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء (ص324).

(6) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج73/22)، السعدي، تفسير السعدي (ص508).

(7) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج188/4).

ثانياً: لا يعقل من إنسان أن يفعل ذلك في مثل هذا الموطن، بل بالطبيعة البشرية يقوم بالبحث عن المخرج، وقد تَصْدُر منه أفعالٌ وتظهر قوة في بدنه ليست معتادة عنده من قبل، كي يخرج من مثل هذا البلاء، فالله ﷻ أخبرنا عن حال موسى ﷺ لما ناداه ربه بالواد المقدس ليكلفه بدعوة فرعون وقومه، وجعل له آيات، كان منها عصاه التي تنقلب حيَّة بإذن الله خاف موسى وهرب بمقتضى الطبيعة البشرية، ولم يلتفت إليها ويرجع لها حتى طمأنه ربه ﷻ، فقال تعالى:﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ(9) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ(10) ﴾[النمل].[1]

فهذا التوكل الصوفي مبتدع لم يكن من منهج النبي ﷺ وهديه، ولا صحابته الكرام ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله مبيناً مدى بطلان معتقد الصوفية وأقوالهم في التوكل:"مدعين لأنفسهم حالاً أكمل من حال رسول الله وأصحابه، إذ لم يكن فيهم أحدٌ قط يفعل ذلك، ولا أخل بشيءٍ من الأسباب...ولم يحضر الصف قط عرياناً، كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة... وقد هدى الله به العالمين، وعصمه من الناس أجمعين، وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين، وكان إذا سافر في جهادٍ أو حجٍ أو عمرةٍ حمل الزاد والمزاد، وجميع أصحابه وهم أولو التوكل حقاً، وأكمل المتوكلين بعدهم".[2]

ثم بين رحمه الله أن ميزان الحق في بيان هذا الأمر هو النبي ﷺ، وأصحابه الكرام ﷺ الذين انتهجوا نهجه، فقال:"فحال النبي وحال أصحابه محك الأحوال وميزانها، بها يعلم صحيحها من سقيمها... فإن توكلهم كان في فتح بصائر القلوب، وأن يعبد الله في جميع البلاد، وأن يوحده جميع العباد، وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد، فملؤا بذلك التوكل القلوب هدى وإيماناً، وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها دار إيمان".[3]

---

(1) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص600)، التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص377).

(2) ابن القيم، مدارج السالكين(ج134/2).

(3) ابن القيم، مدارج السالكين (ج135/2).

المبحث الخامس

اغتنام المواقف لتثبيت العقيدة

كان النبي ﷺ كثير الرأفة والرحمة بالمؤمنين، حريصاً على إيمانهم وصلاح شأنهم، وقد بيَّن الله تعالى هذه الصفات وأكدها بقوله ﷻ:﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[التوبة: 128][1]، ولم تقتصر رحمته بالمؤمنين فحسب؛ بل جعله الله رحمةً للخلق كافة، من قبلها سعد، ومن ردها تعس، فقال ﷻ:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[الأنبياء: 107][2]، فكان من هذا الحرص وهذه الرحمة حرصه ﷺ وفطنته في اغتنام المواقف والأحوال التي تكون فيها نفوس العباد متهيئةً، وقلوبهم متهيئةٌ لسماع الخير وقبول الحق، فعن ابن مسعودٍ ؓ، قال:"كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا"[3]، "والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل".[4]

وفي هذا المبحث نقف بإذن الله تعالى مع ما يتيسر من منهج النبي ﷺ وهديه في اغتنام المواقف لتثبيت العقيدة في نفوس المدعوين، والله أسال التوفيق والنفع والقبول.

المطلب الأول: بيان سعة رحمة الله تعالى، ودفع القنوط

ذم الله تعالى القنوط من رحمته، وهو اليأس وقطع الرجاء والأمل فيما يأمله العبد من رحمة ربه ﷻ فقال تعالى: ﴿ ...**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُون** ﴾ [يوسف: 87]، ورغب في الرجوع إليه وطلب القرب منه، بالاستقامة على منهجه ببيان سعة رحمته فقال ﷻ: ﴿ ...**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**... ﴾ [الأعراف: 156] ، وقد مثل النبي ﷺ ذلك في دعوته من خلال اغتنام المواقف، وضرب الأمثال، ليصحح العقيدة ويبين شرعة ربه تعالى، ومن ذلك:

ما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ، قال: "قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا

---

(1) انظر: التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص207).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج385/5).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ ما كان النبيﷺيتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، 25/1: حديث رقم68].

(4) ابن حجر، فتح الباري(ج162/1).

وَأَرْضَعَتْهُ"، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ:{أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ}؟" قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ"، فَقَالَ:{لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا}.(1)

في هذا الحديث اغتنم النبي ﷺ حدثاً ملفتاً في الدعوة إلى الله تعالى، حيث ضرب المثل بالمُشاهد المؤثر عن الغائب الذي لا يدرك بالعقل؛ لتحصل الفائدة للمدعوين، فيعرفوا سعة رحمة ربهم، ويندفع عنهم القنوط منها، فتتعلق قلوبهم بخالقهم، ويثبتون على عقيدتهم فينالون هذه الرحمة التي أخبر الله تعالى أنه قصرها على المتقين بقوله تعالى: ﴿...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ [الأعراف: 156] (2)

وعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: {جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ}.(3)

بين النبي ﷺ أن الرحمة في الدنيا على عِظمِها هي واحدة، خص الله تعالى تمامها بالمئة يوم القيامة لعباده المؤمنين فقط، بدلالة قوله: ﴿...وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: 43] ، مستخدماً ضرب المثل بأشد مألوفٍ مشاهدٍ من الخلوقات التي يعاينها المدعوون، ليدفع عنهم القنوط، ويبين لهم سعة رحمة الله ﷻ، ويرغبهم في الاستقامة على توحيده والعمل بمقتضاه.(4)

فحريٌ بكل داعٍ إلى الله تعالى أن يستن بالنبي الكريم ﷺ، فيغتنم الفرص، أو يصنعها إن لم تكن في اجتماع الناس، فيضرب لهم المثل ليدعوهم إلى الله تعالى، لكنه ينبغي أن يُعلم أن الدعوة لا تكون إلا بعلم ويقين(5)، قال تعالى:﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾[يوسف:108]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، 8/8: حديث رقم5999].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج432/10).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ جعل الله الرحمة مائة جزء، 8/8: حديث رقم6000].

(4) انظر: النووي، المنهاج(ج68/17)، ابن حجر، فتح الباري(ج432/10).

(5) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص406).

المطلب الثاني: الدعوة للزهد في الدنيا، والحث على التزود للآخرة

زهد الله تعالى عباده في الدنيا بتعزيتهم جميعاً دون استثناء في عدم بقائهم فيها، وبين أنها بمتاعها الزائل تخدع وتغُر، وحث على التزود للآخرة بتقواه، لنيل الفوز والسعادة الأبدية، فقال تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[آل عمران: 185].[1]

وقد انتهج النبي ﷺ منهج القرآن للتزهيد في الدنيا، والحث على التزود للآخرة مغتنماً ضرب المثل في بعض المواطن والأحوال، ومن ذلك:

أولاً: الدعوة للزهد في الدنيا

وذلك ببيان قدْرِ الدنيا عند الله ﷻ: عن سَهْل بن سعد ﷺ[2]، قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا[3]، فَقَالَ: {أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا}[4]، بين النبي ﷺ بهذا المثل هوان الدنيا وحقارتها عند الله تعالى، وأنها لو كان لها أدنى قدر ما سقى منها كافراً شيئاً من الماءِ.[5]

ومثل لحال وجوده المؤقت في الدنيا بقوله ﷺ: {مَا لِي، وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ، قَالَ[6]فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا}.[7]

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج177/2)، السعدي، تفسير السعدي (ص159)، التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص74).

(2) هو أبو العباس سهل بن سعد بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري الساعدي، الصحابي بن الصحابي، كان من المعمرين في الصحابة ﷺ، وهو آخر من مات منهم بالمدينة ﷺ، توفي سنة إحدى وتسعين من الهجرة، له أحاديث، روى عنه ابن شهاب الزهري. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج422/3).

(3) شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا: "أي: رافعة رجلها من الانتفاخ". السندي، انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (ج526/2).

(4) [ابن ماجة: سنن ابن ماجه، الزهد/ مثل الدنيا، 230/5: حديث رقم4110]،حديث حسن.

(5) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج611/6).

(6) قَالَ: من القيلولة، وهي الاستراحة بالنوم في النهار. انظر: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط(ج770/2).

(7) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج259/7)]، صحيح.

ومعلومٌ أن هذا المثل يشمل كل الخلق من الإنس والجن وغيرهم من المخلوقات، جميعهم يفنى ويموت[1]، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: 26]، فيكون الخطاب بالمثل المشاهد لأنه أبلغ في النفس، للحث على التقوى، والزهد في الدنيا.

وأكد على الصدق وترك الكذب؛ لأن هذا الحال هو الأليق بالزاهد، فقال ﷺ:{عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا}.[2]

في الحديث حثٌ على تحري الصدق والاعتناء به، وأنه يهدي للعمل الصالح الخالص من كل ذم، والترغيب في البر، وهو اسمٌ جامعٌ للخير كله، والتنبيه على شر الفجور، وهو الميل عن الاستقامة، وبيان أن من أسبابه الكذب[3]، ومناسبة الحديث لعنوان المطلب أن بعض الناس قد يكذب من أجل الحصول على الرزق المكفول قدراً مع أنه يحافظ على الصلاة في جماعة، وصيام الفريضة والنافلة، وقراءة القرآن، وهذا ينافي الزهد والعمل للآخرة، بل وينافي الإيمان.

ثانياً: الحث على التزود للآخرة

1- **التزود للآخرة بالحث على شدة الحرص في طلب العلم:** عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ[4] "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "، قَالَ: {أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ}.[5]

---

(1) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص830).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والأدب/ قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، 2012/4: حديث رقم 2607].

(3) انظر: النووي، المنهاج(ج160/16).

(4) أبو واقد الليثي هو: الصحابي الجليل الحارث بن عوف، شهد بداً وفتح مكة والمشاهد بعدها مع النبي ﷺ، له أحاديث في الكتب الستة، ممن روى عنه من التابعين: عروة بن الزبير وسعيد بن المُسيِّب رحمهما الله، سكن مكة بعد الفتح ومات بها سنة ثمان وستين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج575/2).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، 24/1: حديث رقم66].

جمع النبي ﷺ في هذا الحديث فوائد كثيرة يرغب بها أمته في التزود للآخرة بطلب العلم، منها: الترغيب في وجود حلق العلم والذكر لنشر العلم والخير، والمزاحمة عليها، وأن جلساءها في كنف الله تعالى وقبوله وممن تضع الملائكة أجنحتها لهم، واستحباب بروز الشيخ ليراه تلاميذه وغيرهم فيسمعوه ويفهموا عنه، والحث على قرب طالب العلم والسائل من الشيخ ليسمع كلامه ويتأدب بأدبه، وفيه ذم من قصد مجالس العلم ثم تركها بغير حاجةٍ وعذر، وأنه قد عرض نفسه لسخط الله تعالى القائل:﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين**﴾[الأعراف: 175].[1]

2- الحث على التزود للآخرة بمدح الأدنى من نعيم الجنة: عن أنسٍ ﷺ قال: "أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةُ سُنْدُسٍ وَكَانَ يَنْهَى عَنْ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا"، فَقَالَ: {وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا}.[2]

المناديل: جمع منديل، وهو ما يُمْسَحُ به ما تعلق باليد من الطعام بعد أكله[3]، والداع لقول النبي ﷺ هذا؛ أنه لما رأى إعجاب الناس بجبة السندس خاف أن يميلوا للدنيا، فأراد أن يزهدهم فيها ويرغبهم في الآخرة ببيان أن ما أعد للبس الملوك في الدنيا؛ لا يساوي المناديل التي أعدت لإزالة فضل الطعام عن اليد في الجنة، أي أن ما فوق هذه المناديل من نعيم الجنة بطريق الأولى أعلى منها.[4]

3- الحث على التزود للآخرة بنصرة الإسلام، وذلك من خلال بيان فضل الرباط والجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى، حيث قال سلمان ﷺ حيث قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ" يَقُولُ:{رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ}.[5]

رغب الحديث في الرباط ببيان جريان عمل المرابط بعد موته وأن ذلك فضيلة تخصُّه لا يشاركه فيها أحد، وأنه يُجْرى عليه رزقه، لأنه حيٌّ في الجنة يأكل من ثمارها، وأنه يجار من

---

(1) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج148/1) والنووي، المنهاج (ج158/14)، ابن حجر، فتح الباري (ج175/1)].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الهبة/ قبول الهدية من المشركين، 3/ 163: حديث رقم2615].

(3) انظر: العيني، عمدة القاري (ج173/23).

(4) انظر: العيني، عمدة القاري (ج14/22)، السندي، حاشية السندي على سنن النسائي (ج199/8).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ فضل الرباط في سبيل الله ﷻ، 3/ 1520: حديث رقم1913].

فتنة القبر[1]، ولا شك أن ثبات المسلمين على أرضهم في زماننا مقابل ما يشنه أعداء الإسلام من حربٍ بوسائل شتى لإخراجهم منها من الرباط في سبيل الله تعالى لمن نوى ذلك وقصده، لقول النبي ﷺ:{ لاَ أَجْرَ لِمَنْ لاَ حِسْبَةَ لَه}[2]، كأهل فسلطين بما يلاقونه من اليهود، وأهل العراق وسوريا واليمن مؤخراً بما يعانونه من الرافضة، فينبغي على أهل هذه البلاد العيش فيها بنية الرباط لرد كيد هؤلاء الماكرين وإحسان الظن بالله بالثواب وتعجيل الفرج، فالنبي ﷺ قال:{قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي}.[3]

وقال ﷺ في بيان فضل الجهاد والترغيب فيه: {إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}.[4]

وفي الترغيب للثبات أمام العدو لحماية الإسلام وأهله قال ﷺ :{ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ}.[5]

وعن أنس بن مالك ﷺ" أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ[6]، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ"، قَالَ: {يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى}.[7]

---

(1) انظر: النووي، المنهاج (ج61/13).

(2) شرح السنة للبغوي برقم(ج4137)،(ج325/14)، وذكر الألباني في صحيح الجامع برقم(ج7164)، (ج1203/2) أنه مرسل حسن.

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى:{يريدون أن يبدلوا كلام الله}، 145/9: حديث رقم7505].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ درجات المجاهدين في سبيل الله، 16/4: حديث رقم2790].

(5) [الترمذي: سنن الترمذي، فضائل الجهاد/ ما جاء في ثواب الشهيد، 292/3: حديث رقم1663]، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم(1375)،(ج67/2):"صحيح".

(6) سَهْمٌ غَرْبٌ: أي سهمٌ طائشٌ، لا يُعلم من رماه. انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج25/5).

(7)[البخاري:صحيح البخاري، الجهاد والسير/ من أتاه سهم غرب فقتله، 20/4:حديث رقم 2809].

ولما سئل ﷺ "أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ:{ الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ، فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ}.[1]

قوله ﷺ:" يَتَلَبَّطُونَ": "أي يتمرغون"[2]، وهو لفظٌ يدل على شدة النعيم، ويرفع الهمم في سبيل الله تعالى مقابل أعدائه.

يستفاد مما سبق:

- ضرورة فطنة الدَّاعِ والمرَبِّ وفراستهما، واغتنامهم للمواقف في الدعوة إلى الله، حتى ولو كانت سلبية؛ بتحويلها إلى غرضٍ إيجابي.
- عدم تأخير البيان عن وقت الحاجة.
- الترغيب على الاستقامة ببيان ما أعده الله تعالى لعباده في الجنة.
- تنبيه الدعاة بالموازنة في دعوتهم بين الترغيب والترهيب، وعدم العكوف على جانبٍ واحدٍ.
- بيان فضل العلم وحلقه، وثواب العالم والمتعلم وآدابهما، والتحذير من الإعراض عن طلب العلم الشرعي.
- بيان سبل الخير وضرورة التمسك بها، وبيان سبل الغي والوقوع فيها.
- بيان قصر أجل الإنسان في الدنيا، وحتمية رحيله عنها.
- تعزية أهل الإيمان بما يلاقون في الدنيا بسبب إيمانهم.
- بيان هوان الدنيا عند الله تعالى، وأن الساعي لها دون الآخرة خاسر.
- التأكيد على نصرة الإسلام وأهله ببيان فضل الجهاد وثواب المجاهدين، وأن العمل للدين لا يكون بالدعوة وحدها.

المطلب الثالث: بيان الأحكام الشرعية، العقدية والفقهية

نهى النبي ﷺ عن التماثيل والتصاوير نهياً شديداً يدل على التحريم، ومن أدلة نهيه: قوله ﷺ: {إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ}.[3]

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج144/37)]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج1107)،(ج249/1): "صحيح".

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج226/4).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، اللباس/ عذاب المصورين يوم القيامة، 167/7: حديث رقم5951].

وعن أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ[1]، قَالَ:" قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَه".[2]

وقد حذر عليه الصلاة والسلام من اقتناء مثل هذه الأمور في البيوت، فقال: {لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةُ تَمَاثِيلَ}.[3]

ومن أقوال العلماء في شرح هذه الأحاديث وبيان أحكامها:

ما قاله ابن القيم رحمه الله: "التماثيل جمع تمثال، وهو الصور الممثلة"[4]،وبين تلاعب الشيطان بالنصارى بسببها، فقال:" وتلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس وعبادتها، فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو عن صورة مريم والمسيح وجرجس وبطرس وغيرهم من القديسين عندهم والشهداء، وأكثرهم يسجدون للصور ويدعونها من دون الله تعالى."[5]

وقال النووي رحمه الله: " قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر؛ لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره، فصنعته حرام بكل حال؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وسواء ما كان في...حائط أو غيرها".[6]

وعن سبب امتناع الملائكة من دخول البيوت التي فيها الصور والتماثيل قال: "قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة؛ كونها معصيةٌ فاحشةٌ، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى... فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه...فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار ".[7]

لكن نبي الرحمة ﷺ اغتنم الموقف عندما رأى لُعَبَاً لعائشة رضي الله عنها على شكل دمى، فاستثنى من هذا النهي لعب الصغار، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت:" كُنْتُ أَلْعَبُ

---

(1) أبو الهياج الأسدي الكوفي، هو التابعي الجليل الثقة حيَّان بن حصين، روى عن علي وعمار رضي الله عنهما، وممن روى عنه الشعبي. انظر: العسقلاني، تهذيب التهذيب (ج59/3).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجنائز/الأمر بتسوية القبر، 666/2: حديث رقم969].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي/ إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، 114/4: حديث رقم3225].

(4) ابن القيم، الفوائد (ص196).

(5) ابن القيم، إغاثة اللهفان(ج292/2).

(6) النووي، المنهاج(ج81/14).

(7) النووي، المنهاج (ج84/14).

بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي".(1)

قولها رضي الله عنها:" كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ"، البنات هنَّ: التماثيل الصغيرة التي تلعب بها الجواري(2)، و "صَوَاحِبُ": يعني من أقرانها، و" يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ": أي يختفين من النبيﷺ وراء ستر إذا دخل بيته،" فَيُسَرِّبُهُنَّ": أي يرسلهن لي.(3)

قال ابن الملقن رحمه الله(4):" والذي يراد من الحديث: الرخصة في اللعب التي يلعب بها الجواري وهي البنات، فجاءت فيها الرخصة وهي تماثيل، وليس وجه ذلك عندنا إلا من أجل أنها لهو الصبيان، ولو كان للكبار لكان مكروهًا، كما جاء النهي في التماثيل كلها وفي الملاهي".(5)

وقال ابن حجر رحمه الله:" اسْتُدِلَّ بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب، من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض، ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن".(6)

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً، قالت: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ"، فَقَالَ: {مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ}، قَالَتْ:" بَنَاتِي وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ" فَقَالَ: {مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ}، قَالَتْ:" فَرَسٌ"، قَالَ:{ وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ}، قَالَتْ:" جَنَاحَانِ"، قَالَ: {فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ}، قَالَتْ:" أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ، قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ".(7)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ الانبساط إلى الناس، 31/8: حديث رقم6130].

(2) انظر: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ج511/28).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج527/10).

(4) هو أبو حفص ابن النحوي عمر بن على بن أحمد الأنصاري الشافعي، من أكابر العلماء في الحديث والفقه ومعرفة الرجال، وله مصنفاته كثيرة، منها: شرح صحيح البخاري، وخلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي- في الفقه-، وطبقات المحدثين، ولد بالقاهرة (ج723هـ) ومات بها(ج804)، وأصله من الأندلس ويعرف بابن الملقن، نسبة لزوج أمه الذي رباه وكان يلقن القرآن. انظر: الزركلي، الأعلام(ج74/5).

(5) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ج509/28).

(6) ابن حجر، فتح الباري (ج527/10).

(7) [أبو داود: سنن أبي داود، الأدب/ اللعب بالبنات، 292/7: حديث رقم4932]، حديث صحيح.

قال الخطابي رحمه الله:" في هذا الحديث أن اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد...والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه ما يحرم اقتناؤه وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن"[1]، أما "إن كانت صورة كالوثن"[2]، أو صورة على شكل إنسان صنعت بالنحت والتجسيد أو من البلاستيك تتضح فيها معالم الإنسان، كالتي توضع في البيوت في مكانٍ مشرف، أو التي يستخدمها أصحاب محلات الملابس–الملكان– فهذا غير سائغٍ ويدخل في النهي، لأن لعب الصغار التي أقرها النبي ﷺ، كانت تصنع من القماش المحشو بالقطن ونحوهما، ولا تظهر فيها ملامح الإنسان الواضحة، كالوجه وما فيه وبقية الأعضاء، وهي مهانة غير مكرمة في أيدي الأطفال، فهذه لا يقال لها صورة.[3]

يستفاد مما سبق:

- ضرورة نباهة الداعي وفقهه، واغتنام المواقف لبيان أحكام الشرع العقدية والفقهية؛ لإزالة اللبس ودفع الوهم بالتعارض بين نصوص الوحي عند المدعوين.
- أن لعب الصغار بالدمى على الهيئة المشروعة؛ غير داخل في النهي، ما دامت مهانة بلعب الصغار بها وتقليبها بين أيديهم، أما إذا كُرِّمتْ برفعها في مكانٍ مكرم في البيت، أو بوضعها في مقدمة السيارة كما يفعله بعض الناس في زماننا لم يجز.
- أن ما جاز اقتناؤه واستعماله جازت صناعته وبيعه وشراؤه، وهو ما ينطبق على لعب الصغار بالضوابط المذكورة أعلاه.
- حسن العشرة ولين الجانب للزوجة والأبناء والصغار عامة، ومراعاة أحوالهم النفسية والعمرية ومتطلباتها من المربين.
- استحباب ممارسة التعليم للزوجة والأبناء والصغار عامة، من خلال اللعب بما يهوون ما لم يكن محرماً شرعاً.
- التأكيد على أن يكون اللهو بالمباح النافع، حتى لا يضيع الوقت والمجهود بغير فائدة.

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج382/10،527).

(2) المباركفوري، تحفة الأحوذي (ج429/5).

(3) انظر: العباد، شرح سنن أبي داود (ج229/28).

المبحث السادس

مراعاة الفروق الفردية والعمرية والأجناس

قدر الله تعالى على الناس تفاوتهم واختلافهم في كل شيء، فجعل من ذلك تفاوتهم واختلافهم في القوة والضعف، والجُبن والشجاعة، والغنى والفقر[1]، ويقاس على ذلك تفاوتهم في العقول والأفهام، وقوة الإيمان وقبول الحق كما هو معلوم، وتفاوتها جمعياً بين الأعمار والأجناس أيضاً، وقد راعى النبي ﷺ في دعوة لتصحيح العقيدة ذلك كله، ومن أمثلة ذلك:

المطلب الأول: مخاطبة الناس بما يعرفون

المراد من مخاطبة الناس إيصال فكرة المخاطب إليهم ليفهموا مراده، لذا أرسل الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام من جنس المدعوين وأبناء جلدتهم، لمعرفتهم بأحوال القوم وأعرافهم، ولدعوتهم بما يفهمون، فقال ﷻ:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾[إبراهيم:4]، أي :"وما أرسلنا مِن رسولٍ قبلك -أيها النبي- إلا بلُغة قومه؛ ليوضِّح لهم شريعة الله"[2]، فيفهموا عنه ما أرسل به إليهم، ويأُمن من الغلط والخطأ.[3]

كما قال تبارك وتعالى:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:2]، وقال: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. [الزُّمر:28]، أي: أن الله تعالى أنزل القرآن بأشرف لغةٍ؛ لأنها أبين اللغات وأكثرها تأديةً للمعاني المؤثرة في النفوس بكل ما يحتاجه العباد بسهولة، من غير خللٍ ولا نقصٍ بوجه كان، ليعقلوا ويؤمنوا.[4]

وما كان هذا إلا لمخاطبة الناس بما يعرفونه ويفهمونه لينتفعوا بكلام ربهم ﷻ، فيسعدوا في الدارين، لذا كان من منهج النبي ﷺ مخاطبة الناس بما يعرفون، حتى يبْلُغوا الخير بدعوته، فهو رحمة الله لهم، قال تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]، ومن منهجه في ذلك:

---

(1) انظر: التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص491،284،150)، ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج233/9).

(2) التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص255).

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج63/19)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج477/4).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج365/4)، السعدي، تفسير السعدي(ص723،393).

4- **وضوح الكلام وتكراره عند الحاجة ليعي السامع ويفهم عنه**، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت :"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ"[1]،أي: لو أراد أحدٌ أن يعد كلماته أو حروفه لاستطاع، وذلك لحرص النبي ﷺ، على المبالغة في التفهيم[2]، وعن أَنس ﷺ: "عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ".[3]

وفوائد التكرار: للمبالغة في التعليم، وفيما يكون مهتماً بشأنه من الكلام، ولأجل تفهيم من يقصر فهمه من السماع بالمرة الواحدة[4]، ولم يكن يكرر كلامه دائماً، قال المباركفوري رحمه الله:"والمراد أنه كان يكرر الكلام ثلاثاً؛ إذا اقتضى المقام ذلك لصعوبة المعنى، أو غرابته أو كثرة السامعين لا دائماً، فإن تكرير الكلام من غير حاجةٍ لتكريره ليس من البلاغة".[5]

5- **بيان معاني الكلمات الغريبة على السامعين،** عن أبي موسى ﷺ قال: قال النبي ﷺ{إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ}.[6]

فسر النبي ﷺ اللفظ الغريب في كلامه وهو يتحدث عن أمرٍ غيبي سيحدث في مستقبل الأمة ليُفْهم عنه، قبل أن يتكلف بعض السامعين بالسؤال، مما يفيد تيسيره عليهم، وحرصه على معرفتهم بدينهم.

6- **بيان ما يستشكل على السامع من ألفاظ الوحي،** عن عائشة رضي الله عنها أنها :"كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: {مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ}، قَالَتْ: عَائِشَةُ فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾[الانشقاق:8]"، قَالَتْ: فَقَالَ: {إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ}.[7]

قال ابن حجر رحمه الله :"في الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معاني الحديث وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم".[8]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ صفة النبيﷺ، 190/4: حديث رقم(3567)].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج578/6).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، 30/01: حديث رقم95].

(4) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود (ج543/9).

(5) المباركفوري، تحفة الأحوذي (ج124/10).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الفتن/ ظهور الفتن، 48/9: حديث رقم7062].

(7) [البخاري: صحيح البخاري، متاب العلم/ من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه، 32/1: حديث رقم103].

(8) ابن حجر، فتح الباري (ج197/1).

7- **الأمر بالكتابة لمن لا يمكنه الحفظ، أو لا يوثق بحفظه**[1]، لما فتح الله تعالى مكة على النبي ﷺ، وصحابته الكرام ﷺ، قام في الناس خطيباً، فلما انتهى جاءه رجلٌ من أهل اليمن، فقال: "اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ:{اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ}[2]، قَالَ: الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: مَا قَوْلُهُ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ".[3]

8- **تخصيص بعض الناس دون غيرهم ببعض العلم**، حيث قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: {مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ}، قَالَ:" يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا فَيَسْتَبْشِرُوا؟"، قَالَ:{إِذًا يَتَّكِلُوا}،" فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا"[4]، أفاد الحديث أن معاذاً كان يحفظ علماً خصه به النبي ﷺ، وذكره عند موته ﷺ لبعض الناس خوفاً من الإثم بكتم العلم وضياعه، ممن يأمن عليه من الاغترار والاتكال من أهل المعرفة كما فعل معه النبي ﷺ.[5]

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: "وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: {مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ}، قَالَ حُذَيْفَةُ: "فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي".[6]

أشار حذيفة ﷺ أن النبيﷺ خصه ومن معه بإخبارهم عن الفتن التي ستمر بها الأمة، والتي منها مقتل عثمان ﷺ ووقعتي الجمل وصفين، ولعل حذيفة رأى ألا يذيعه من باب أن

---

(1) انظر: النووي، المنهاج (ج18/ 130).

(2) لم يعرف اسم هذا الرجل إلا بما ورد في الحديث، وأنه من أهل اليمن. انظر: النووي، المنهاج(ج9/ 129).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ تحريم مكة، 2/ 988: حديث رقم1355].

(4) [المصدر السابق، الإيمان/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، 61/1: حديث رقم32].

(5) انظر: النووي، المنهاج (ج241/1).

(6) [مسلم: صحيح مسلم، الفتن/ إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، 2216/4: حديث رقم2891].

الصلاح في كتمه، لكن كتمه زال لحرمة كتم العلم، وتهيء الحال بوجود من يعيه وينتفع به وينفع، ولا يفتتن[1]، فيفهم من هذا أن النبي ﷺ خص بعض أصحابه بمثل هذه الأحاديث لذلك.

9- دعوة العجم إلى تصحيح عقيدتهم بما يزيل عنهم الوهم، وما يفهمونه، وتقام به عليهم الحجة، عن أنس ﷺ قال :"لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ قِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ".[2]

أفاد الحديث أن من الحكمة في الدعوة لتصحيح العقيدة، وتعليم شريعة الإسلام مُخالَقةُ المدعوين بأخلاقهم وما اعتادوا عليه من عرف ليحصل لهم الأمن من اعتقاد التغيير والتزوير، وتكون الدعوة أرجى في القبول، ما لم يخالف ذلك شرع الله تعالى.[3]

وعن أبي سفيان ﷺ يخبر عما سمعه من كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم قال فيه:{مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّوم سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ و﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:64]}.[4]

قول النبي ﷺ:{إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّوم}، هو من باب الإكرام والتألف لمصلحة الدعوة[5]، وليكون أرجى في استمالة المدعو، وقوله ﷺ:{فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ}، الأريسيين كلمة شامية[6]، وهي نسبة إلى أتباع عبد الله بن أريس، وهو رجلٌ مشهور عند النصارى خالف ومن تبعه من قومه نبيهم وقتلوه، فإن توليت مثلهم، فإن عليك مثل إثمهم، كما أنه بمقتضى إيمانك بعيسى ﷺ، الذي بشركم بمحمد ﷺ، أن تؤمن بي وقومك وتتبعوني[7]، وقيل أن المراد

---

(1) انظر: القاضي عياض، إكمال المُعلم بفوائد مسلم (ج428/8)، الذهلي، الإفصاح عن معاني الصحاح (ج248/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه، وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى، وقيصر، والدعوة قبل القتال، 45/4: حديث رقم293].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج608/6)، ابن حجر، فتح الباري(ج156/1)].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، 1/ 9: حديث رقم7].

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج38/1).

(6) انظر: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ج29/18).

(7) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج233/5)، البيضاوي، تحفة الأبرار (ج15/3).

بالأريسيين: هم الرعية من الأتباع وعامة الناس تحت ملك هرقل، الذين يتبعونه ويأتمرون بأمره، فيكون بعدم إسلامه واتباعهم له، كما هو الغالب في حال الرعية والأتباع، قد صدَّهُم عن الدين الحق، فنال إثمه بذلك وإثمهم.[1]

وبأي معنى كان الكلام؛ فإن من لوازم التصديق بأن النبي ﷺ رحمة للعالمين، وأن الله لا يظلم أحداً يعذبه، لابد من التيقن أن هرقل كان يفهم المراد من كتاب النبي ﷺ، وأنه مرسلٌ من ربِّه، وهذا ظاهرٌ مما سبق ذكره في فصل التمهيد من عرض هرقل الإسلام على خاصته ورعيته، بعدما وصله كتاب النبي ﷺ وخبره لمعرفته بالحق، فردوا بنخرةٍ خرجوا بها من برانسهم، وفي مرةٍ أُخرى غاروا عليه بسيوفهم لما أمر مناديه وهو بقصره في حمص أن ينادي: أن هرقل آمن بنبي العرب، فكان يخرج في كل مرةٍ من هذه المواقف بإخبارهم أنه يريد اختبار صلابتهم في عقيدتهم، كما أن حديثه لأبي سفيان ﷺ يدل على علمه واطلاعه بأمر النبوات، حيث قال: بعدما سأله عن أوصاف النبي ﷺ:" وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ[2]، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ".[3]

كما استدل العلماء الذين شرحوا حديث كتاب النبي ﷺ لهرقل، وحواره مع أبي سفيان ﷺ، على جواز تعليم العجم من غير المسلمين نصوص الشرع ليفهموا شرع خالقهم، وتقام عليهم الحجة، مستدلين بمضمون الكتاب ومعانيه، ومن هؤلاء العلماء: ابن الملقن رحمه الله حيث قال:"وأما تعليمهم الكتاب فاستدل الكوفيون على جوازه بكتابه إليهم أنه من كتاب الله بالعربية، فعلمهم كيف حروف العربية؟ وكيف تأليفها؟ وكيف إيصال ما اتصل من الحروف وانقطاع ما انقطع منها؟ فهذا تعليم لهم؛ لأنهم لم يقرءوه حَتَّى ترجم لهم، وفي الترجمة تعريب ما يوافق من حروفنا حروفهم وما يعبر عنه".[4]

---

(1) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج14/3)، ابن حجر، فتح الباري(ج39/1).

(2) لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ: أي لتحملت المشقة والكُلفة للوصول إليه. انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج219/8).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسيرة/ دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، 47/4: حديث رقم294].

(4) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج27/18).

وقال ابن حجر معلقاً على ترجمة البخاري للحديث رحمهما الله:"وأما تعليمهم الكتاب؛ فكأنه استنبطه من كونه كتب إليهم بعض القرآن بالعربية، وكأنه سلطهُم على تعليمه، إذ لا يقرؤونه حتى يترجم لهم، ولا يترجم لهم حتى يعرف المترجم كيفية استخراجه".[1]

وهناك شُبْهة قُصد بها الفرار من الإسلام، وذلك بالقول أن دعوة النبي ﷺ مقصورةٌ على العرب، بدليل قول الله ﷻ:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ ...﴾[إبراهيم:4]، والرد عليها يدحضها، ويؤكد فهم العجم لدعوة النبي ﷺ ومراده، وتقام عليهم الحجة أمام الله تعالى بها، وذلك بما قاله القرطبي رحمه الله[2]:"ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من تُرْجِمَ له ما جاء به النبي ﷺ تَرْجَمةً يفهمها لزمته الحُجة، وقد قال الله تعالى:﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[سبأ: 28]، وقال ﷺ:{أُرْسِلَ كُلُّ نَبِيٍّ إِلَى أُمَّتِهِ بِلِسَانِهَا وَأَرْسَلَنِي اللَّهُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ مِنْ خَلْقِهِ}[3]، وقال ﷺ:

{وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}".[4]

يستفاد مما سبق:

- ضرورة تأني الدعاة والمربين في حديثهم للناس، ومخاطبتهم بما يعرفون من الكلام.
- تكرار الكلام إذا دعت الحاجة إليه.
- ضرورة دفع اللبس وما يوهم تعارض نصوص الوحي عند المدعوين.
- مراعاة الفروق الفردية والقدرات.
- ضرورة الصبر واللين من الدعاة لحصول المقصود والمحمود من الدعوة.
- أنه ليس كل ما يُعلم يقال، وليس كل ما يقال حان وقته، وليس كل ما حان وقته حضر أهله.

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج107/6).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج340/9).

(3) لم أقف على هذا الحديث بهذا المتن، ووقفت على رواية بنحوه، وهي:"بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَكَانَ النَّبِيُّ إِنَّمَا يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً" في مسند أحمد (ج165/22)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ وجوب الإيمان برسالة نبينا محمدﷺإلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، 134/1: حديث رقم153].

- ضرورة معرفة لغات العجم وثقافاتهم وإعداد النخب لدعوتهم.
- وجوب العمل على دفع الشبه عن الإسلام وأهله، وتحسين صورتهما خاصة في زماننا هذا الذي طغت فيه المادية وهجمة الإعلام الغربي الصهيوني التشويهية على الإسلام والمسلمين للصد عن دين الله تعالى.

المطلب الثاني: تحديد قدرات الناس وإنزالهم منازلهم

جعل الله تعالى وقَدَّرَ التفاوت بين العباد في القوة والرزق، والخَلْق والخُلق، والمحاسن والفضل والعلم، فتفاوتت بذلك قُدراتهم وأعمالهم، ليختبرهم بها ويجازيهم بما كسبوا[1]، فقال تعالى﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...**﴾[الأنعام: 165]، ثم خص أهل الإيمان والعلم بالرفعة والثواب ومراتب الرضوان[2]، فقال تعالى:﴿ **...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...**﴾[المجادلة: 11]، وقد كان من منهج النبي ﷺ التفرس لأحوال أصحابه ﷺ وتحديد قدراتهم وإنزالهم منازلهم من خلال اختلاطه بهم وتربيتهم، فحدد لهم منازلهم التي بها ينفعون أنفسهم، ويقدمون لدينهم وأمتهم الخير، فكان من ذلك:

1- تحديد القدرات واغتنامها للمصلحة العامة، عن زيد بن ثابت ﷺ قال: "ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ:{ يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي}، قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ"[3]، وفي رواية قال ﷺ:"أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ"[4]،..."كانت تأتيه كتب لا يشتهي أن يطلع عليها إلا من يثق به".[5]

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج158/7)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج384/3)، السعدي، تفسير السعدي (ص282).

(2) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص846)، التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص543).

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج490/35)]،إسناده حسن.

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، الاستئذان/ ما جاء في تعليم السريانية، 439/4: حديث رقم2715]، حديث صحيح. انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة برقم(187)،(ج364/1).

(5) [ابن حبان: صحيح ابن حبان (ج85/16)]، وهو قولٌ أدرجه ابن حبان رحمه الله تحت الحديث يقصد به سبب الأمر بتعلم السريانية.

بين الحديث جواز اتخاذ الحاكم مترجماً له يثق به كي يكون حلقة وصلٍ دعوية بينه وبين الأعاجم، حتى إن دعت الحاجة إلى تعدد لغات المترجم، أو تعدد المترجمين، خاصة إذا كان في القوم أناسٌ كاليهود الماكرين المحرفين[1]، كما بين فراسة النبي ﷺ في تحديد قدرات زيد ﷺ وتوظيفها فيما ينفع الدعوة الإسلامية، وما تحفظ به عقيدة الأمة من تعرض أعدائها بالباطل، وأنزله منزلة يستحقها بثقته به وقربه منه واطلاعه على أمور الدعوة.

2- الثناء على المواقف والملكات الإيجابية الظاهرة من التلاميذ للحث على أرفع أبواب الخير باب: العلم وحمل مصادر التشريع، عن أُبي بن كعب ﷺ قال: {قال رَسُولُ اللَّهِ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ}؟ قَالَ: "قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"، قَالَ: {يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ}؟ قَالَ: قُلْتُ:﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة:255]، قَالَ{ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ}.[2]

قال النووي عند شرحه لهذا الحديث: "فيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة ولم يخف عليه إعجاباً ونحوه؛ لكمال نفسه ورسوخه في التقوى"[3]، فكان من رسوخ أُبيٍ ﷺ وتقواه بعد: أنه سيد المسلمين وقُرَّائهم وكاتب الوحي، ورأساً في العلم والعمل، بشهادة أقرانه الصحابة ﷺ، حتى أنه كان يفتي الناس في دينهم على عهد النبي ﷺ ولم ينكر عليه، وهذا اقرارٌ منه ﷺ بذلك مما يدلل على رسوخه في العلم، وعرض النبي ﷺ عليه القرآن، وأوكله عثمان ﷺ في خلافته بجمع المصحف الذي بين أيدينا اليوم.[4]

وعن أبي هريرة ﷺ قال:" قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"؟ فَقَالَ:{لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ}.[5]

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج186/13)، المباركفوري، تحفة الأحوذي (ج497/7).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة المسافرين/ فضل سورة الكهف وآية الكرسي، 556/1: حديث رقم 810].

(3) النووي، المنهاج (ج93/6).

(4) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ج389/1)، الزركلي، الأعلام(ج82/1).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الرقاق/ صفة الجنة والنار، 117/8: حديث رقم 6570].

أثنى النبي ﷺ في الحديث على أبي هريرة ﷺ لاجتهاده في طلب العلم، وبين فضله وفضل الحرص على طلب العلم(1)، وقد أثمر هذا الثناء على أبي هريرة ﷺ، فزاد حرصه على طلب حديث النبي ﷺ، حتى نفع الله به الإسلام والمسلمين، ففاق أقرانه من الصحابة ﷺ، فكان عدد ما أُحصي له من الرواية في كتب الحديث (5374) حديثاً، بينما كان من يليه في الرواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي روى (2630)(2)، فانظر إلى هذا الفارق الكبير الذي نتج عن منهج نبي الرحمة ﷺ وهديه في تعامله مع أصحابه ﷺ.

3- **تحديد التخصصات والتوجيه لتوزيع المهام بناءً على ذلك،** حيث وجه ﷺ أبا ذر ﷺ قبل الهجرة إلى قومه لتصحيح عقيدتهم، فقال ﷺ: {إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ}؟ قال أبو ذر ﷺ:" فَأَتَيْتُ ... قَوْمَنَا غِفَارًا فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ ... وَقَالَ نِصْفُهُمْ إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ الْبَاقِي"(3)، وفي المقابل لم يولِّه النبي ﷺ، ونهاه عن طلب الولاية أيضاً، وبين له علة ذلك، حيث قال أبو ذرٍ ﷺ: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي" ثُمَّ قَالَ: {يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا}(4)، وفي رواية قال ﷺ:{يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ}.(5)

ولبيان الإسراع في أمر الله لنصرة دينه بقتال الكفار، قالﷺ في خالد بن الوليد ﷺ:{نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ}(6)، ولما نعى قادة غزوة مؤتة قال:{أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}.(7)

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج193/1).

(2) انظر: الطحان، تيسير مصطلح الحديث(ص155).

(3) [مسلم:صحيح مسلم، فضائل الصحابة ﷺ،باب من فضائل أبي ذر ﷺ،2473/4:حديث رقم2473].

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ كراهة الإمارة بغير ضرورة، 1457/3: حديث رقم1825].

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ كراهة الإمارة بغير ضرورة، 1457/3: حديث رقم1826].

(6) [الترمذي: سنن الترمذي، المناقب/ مناقب خالد بن الوليدﷺ، 159/6: حديث رقم3846]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج6776)،(ج1147/2):"صحيح".

(7) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ غزوة مؤتة من أرض الشأم، 143/5: حديث رقم4262].

قال المناوي رحمه الله[1]:"أي هو في نفسه كالسيف في إسراعه لتنفيذ أوامر الله تعالى لا يخاف فيه لومة لائم".[2]

فنفع الله تعالى بخالدٍ ﷺ الإسلام وأهله، فالصديق ﷺ"عَقَدَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّة"[3]، وقال لما استعصى أمر الروم على المسلمين:" والله لأُنسِينَّ الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد".[4]

وقال ﷺ في جماعة من الصحابة ﷺ:{ أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ}.[5]

أفاد الحديث تعدد جهات الخير في الصحابة ﷺ، وجواز تفضيل أعيانٍ منهم، كل واحدٍ في أمرٍ مخصوصٍ قد غلبت عليه أوصافه، وإن كانوا جميعاً فضلاء[6]، وأن من علت رتبته في شيءٍ كان أفضل الناس فيه، وإن كان في الناس من هو مثله أو فوقه.[7]

ولا يخفى ما كان لهؤلاء النفر الذين أشار إليهم النبي ﷺ في هذا الحديث من شأنٍ بعد؛ في نشر عقيدة التوحيد، وقيام دولة الإسلام وحمايتها، وفتح البلاد وقلوب العباد، وهذا يفيد أن الأمة إذا أرادت الرفعة في الدنيا بنشر التوحيد والفضيلة وقمع الشرك والرذيلة، ينبغي عليها أن تتقي خالقها وتنتهج منهج نبيها ﷺ بتقديم مصلحة دينها على دنياها، فتجعل الرجل المناسب في المكان المناسب وفق ضوابط الشرع، فإن فعلت ذلك؛ علت في الدنيا، وفازت بالآخرة، وإلا كان الوبال والبلاء في الدارين عياذاً بالله.

---

(1) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي القاهري(952-1031هـ)، كان من كبار العلماء في عصره، جمع فنوناً عديده من فنون العلم، وأكثر من التصنيف حتى كانت مصنفاته نحواً من ثمانين مصنفاً. انظر: الزركلي، الأعلام(ج204/6).

(2) المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج345/10).

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج216/1)]، حديث صحيح بشواهده.

(4) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم (ج294/1).

(5) [ابن ماجة: سنن ابن ماجه، المقدمة، فضائل زيد بن ثابتﷺ، 107/1: حديث رقم154]، إسناده صحيح.

(6) انظر: حاشية السندي على ابن ماجة(ج68/1)، محمد بن موسى، مشارق الأنوار (ج296/3،23).

(7) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار (ج281/2).

يستفاد مما سبق:

- أن تحديد القدرات والطاقات واغتنامها بالعدل يوفر الوقت والإمكانات.
- أن العدل في تقييم الناس وإنزالهم منازلهم عبادة يوجبها الله تعالى ويحبها.
- أن العدل في توزيع الأدوار والمنازل يجنب النكسات والضياع.
- وجوب الاعتناء بالنشء وأصحاب الملكات والتفرس فيهم لخدمة الإسلام والمسلمين.
- أن تقديم العبد للفعل المُتَعدِّ الذي ينتفع به وينفع به غيره مقدمٌ حسب الحاجة على الفعل القاصر الذي ينفع العبد به نفسه فقط، وهو مستفادٌ من أقوال النبي ﷺ في تحديد قدرات أصحابه ﷺ وبينان براعة كل واحد في مجاله.
- بيان فضل وجود الإمام العادل العالم على الأمة.

المطلب الثالث: العناية بتصحيح عقيدة النِّساء

كرَّم الإسلام المرأة وجعل لها شأناً في المجتمع يناسب فطرتها وقدراتها، وجعلها مكلفةً بالخطاب الشرعي كالرجل[1]، قال الله تعالى:﴿...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾[البقرة:228]، وقال النبي ﷺ:{إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ}[2]، فكان من هذا التكريم العناية بتعليمها شِرْعة ربها تبارك وتعالى، خاصةً العقيدة منها، وقد قام أسوة الموحدين ونبي الرحمة ﷺ بإقامة التكريم الشرعي للنساء في دعوته، من خلال عمله على تصحيح عقيدة النساء، فكان من ذلك:

1- العناية بتصحيح عقيدة النساء من الأهل والأرحام والأقارب وأهل الأصحاب، ومن ذلك:

- العناية بتصحيح عقيدة الأهل من النساء: أجمع علماء المسلمين على أن أول من آمن ببعثة النبي ﷺ زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[3]، كما آمنت بناتها الأربع من رسول ﷺ، وهنَّ رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن[4]،ومعلومٌ بالضرورة أن إيمانهن لم يكن بغير دعوة وتعليم وإرشادٍ من النبي ﷺ إلى تصحيح عقيدتهن، وهو أول من يقيم دين الله تعالى القائل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ...﴾[التَّحريم:6]

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج143/3)، السعدي، تفسير السعدي (ص101).

(2)[ابن حنبل،مسند أحمد(ج265/43)]،وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(2333)،(ج461/1):"صحيح".

(3) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج582/1)، ابن كثير، السيرة النبوية(ج462/1،432)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج431/1).

(4) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية(ج431/1)، و(ج9/2).

-العناية بتصحيح عقيدة الأرحام والأقارب من الرجال والنساء، عن الْمُسَيَّبِ ﷺ[1]قال: "لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ...قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ:{يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ}.[2]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: "قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ:﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214]، قَالَ: {يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا}.[3]

قول النبي ﷺ:{اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ}، أي: اعتقوا أنفسكم من عذاب الله بالإيمان به[4]، وقوله ﷺ: {لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا...لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا}، أي: لا تنفعكم قرابتي إن لم تؤمنوا بربكم، وتستقيموا على دينه[5]، والحكمة في تخصيص الأقارب بالدعوة وتقديمهم قبل غيرهم: " أَنَّ الْحُجَّة إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِمْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرهمْ، وَإِلَّا فَكَانُوا عِلَّة لِلْأَبْعَدِينَ فِي الِامْتِنَاع، وَأَنْ لَا يَأْخُذهُ مَا يَأْخُذ الْقَرِيب لِلْقَرِيبِ مِنْ الْعَطْف وَالرَّأْفَة فَيُحَابِيهِمْ فِي الدَّعْوَة وَالتَّخْوِيف، فَلِذَلِكَ نَصَّ لَهُ عَلَى إِنْذَارهمْ".[6]

- العناية بتصحيح عقيدة أهل الأصحاب من النساء، لما نال كفار قريشٍ من الصديق ﷺ، وكادوا أن يقتلوه، حتى أنه نقل إلى بيته من غير وعيٍ، فكان أول ما تكلم به عندما أفاق السؤال عن سلامة رسول الله ﷺ، حتى كان من إشفاق أمه عليه بذلك؛ أن ذهبت تسأل عن رسول الله ﷺ، حتى عرفت مكانه، فخرجت بأبي بكر ﷺ رغم ما به إليه، فلما رآه النبي ﷺ

---

(1) هو أبو سعيد، الْمُسَيِّب بن حَزْن المخزومي، صحابي جليل، كان ممن بايع تحت الشجرة. انظر: لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي،(ج2598/5).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، 95/2: حديث رقم1360].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/{وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك}[الشعراء: 215] ألن جانبك، 111/6: حديث رقم4771].

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج503/8).

(5) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج125/6)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج14/5).

(6) ابن حجر، فتح الباري(ج503/8).

رقَّ له رقةً شديدة، وأكب عليه وقبله[1]، فقال الصديق ﷺ:"بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِي، وَهَذِهِ أُمِّي بَرَّةٌ بِوَالِدَيْهَا، وَأَنْتَ مُبَارَكٌ، فَادْعُهَا إِلَى اللهِ ﷻ، وَادْعُ اللهَ لَهَا عَسَى أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَاهَا إِلَى اللهِ ﷻ، فَأَسْلَمَت".[2]

وأبو هريرة ﷺ لما شكا للنبي ﷺ إصرار أمه على الكفر، كان عمله لتصحيح عقيدتها أن دعا لها بقوله ﷺ:{اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ}، فآمنت رضي الله عنها بعد ذلك.[3]

2- تخصيص يومٍ لدعوة النساء وتعليمهن

خصص النبي ﷺ يوماً للنساء يعلمهن فيه دين ربهن تبارك وتعالى وذلك فيما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ، حيث قال: "جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، قَالَ: {اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا} فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ:{مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا، مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ}، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ}.[4]

أفاد الحديث حرص النساء على تعلُّم أمور دينهن، وأن هذا مرغوبٌ شرعاً؛ بدليل إقرار النبي ﷺ بذلك، وقبوله لطلبهن، وهو من حرصه ﷺ على تصحيح عقيدة جميع الناس، بما فيهن النساء، وتخصيص تصحيح العقيدة بالذكر هنا دون غيرها من الأحكام؛ لأن العقيدة أول وأهم الواجبات على المسلم، وهو ظاهرٌ في الحديث من تعزيتهن بوفاة الأبناء بذكر الثواب، وهو الوقاية من النار، والإيمان بالنار أمرٌ غيبيٌ عقديٌ، وأيضاً الصبر على موت الأبناء وغيرها من المصائب، ما هو إلا من باب الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، وهو أمرٌ عقدي، وركنٌ من أركان الإيمان بالله تعالى.

---

(1) انظر: الأصبهاني، معرفة الصحابة (ج3491/6)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج77/4)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج476/1).

(2) الأصبهاني، معرفة الصحابة (ج3491/6)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج77/4)، والحديث صحيح. انظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، دراسة موثقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علمياً، مرتبة على أعوام عُمْرِ النبي ﷺ"العهد المكي"، لمحمد إلياس عبد الرحمن الفالوذة، (ص420).

(3) حديثٌ صحيح سبق تخريجه (ص110).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة/ فضل من يموت له ولد فيحتسبه، 2028/4: حديث رقم2633].

3- الحث على تقوية الإيمان والعمل بمقتضاه

وذلك بالحث على إدامة الذكر وعمل البر، وتقوية الروابط الزوجية بحسن عشرة النساء لأزواجهن، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: قال{ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ}، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ[1]: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ:{ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ}.[2]

قوله ﷺ{أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ} لا يفيد الخلود فيها، بل يفيد أن العصاة يدخلون النار، ثم يخرجوا منها برحمة الله ﷻ، و{ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ}، أي تطلبن الطرد من رحمة الله{ تَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ}، أي: إنكار فضل الزوج فهو من الكبائر، ومن أسباب دخول النار.[3]

حث النبي ﷺ النساء على أعمال البر في هذا الحديث؛ لأنها تقوي الإيمان بالله تعالى، فإذا قوي الإيمان استقام الإنسان على أمور دينه، وعرف ما له وما عليه، خاصة في الحقوق الزوجية التي خص بها النساء في هذا الحديث؛ لأن صلاح المرأة هو صلاح أمن الرجل واستقراره في بيته، وهذا ينعكس على الأبناء عماد مستقبل الأمة الإسلامية.

4- الحث على حسن القيام على الذرية والصبر على ضيق الحال بما عند الله من الثواب

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ"، فَقَالَ:{ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّارِ}.[4]

إن الصبر على البلاء واحتساب الثواب عند الله تعالى من الإيمان، لأن الثواب والعقاب وكل أمور الآخرة بعد الموت من الغيب، وإن فقد العبد الإيمان بهذا، أو ضعف إيمانه؛ فربما يؤدي ذلك به إلى انحلال الأخلاق وألوان الفجور، كما يحدث في البلاد التي لا يدين أهلها بالإسلام، فحصن نبي الهدى والرحمة ﷺ المجتمع المسلم ببيان فضل الإيمان، والصبر به على ضيق الحال، والبذل على النفس والذرية بما أحل الله تعالى، حتى تنمو الأجساد بغير سحت.

---

(1) جزلة: أي ذات عقلٍ ورأيٍ ووقار. انظر: النووي، المنهاج(ج66/2).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، 86/1: حديث رقم79].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج337/1)، والنووي، المنهاج(ج66/2)، وابن الملقن، التوضيح (ج127/19).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة/ فضل الإحسان إلى البنات،2027/4: حديث رقم2630].

يستفاد مما سبق

1- وجوب دعوة الأهل من النساء إلى الإيمان، وتعليمهم دين ربهم تبارك وتعالى، وهو مستفاد من دعوة النبي ﷺ لزوجته وبناته رضي الله عنهن.

2- أهمية التناصح والتعاون على الإيمان بين الأقارب والأصحاب فيما ينفعهم في آخرتهم، كما فعل النبي ﷺ مع القريبة – العمة أو الخالة، في رواية الواقدي-، ودعوته ودعائه لأمهات أصحابه ﷺ.

3- ضرورة التفاف الناس حول العلماء الربانيين في أوقات الفتن وغيرها، وهو مستفادٌ من حرص الصديق ﷺ على سلامة النبي ﷺ وملازمته، حتى في أشد الظروف، لأن العلماء كما وصفهم النبي ﷺ بقوله:{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ}.(1)

4- جواز تخصيص زمان ومكان لتعليم النساء، ولو كان المعلم رجلاً، دون اختلاطهن بالرجال لما يترتب على ذلك من مفاسد، قال ابن القيم رحمه الله: "ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال: أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العامِّ والطَّواعِينِ المُتَّصِلَة".(2)

5- ضرورة توعية المجتمع المسلم بما يقوي الروابط الأُسرية لما يترتب على ذلك من نفعٍ وصيانة له من الانحراف ووجود الآفات.

6- ضرورة عمل الأمة على إيجاد الدعاة والعلماء، لحفظ العقيدة وما يترتب عليها.

7- وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، اعتقاداً وقولاً وعملاً.

المطلب الرابع: العناية بتصحيح عقيدة الصغار

تتميز مرحلة الطفولة في حياة الإنسان عن غيرها من مراحل عمره؛ لما له فيها من سلامة الفطرة وطهارة القلب وصفاء النفس، وأنها مرحلة بناء شخصيته وتحديد مكانه بين الناس ورسوخ معتقده، لذا كان النبي ﷺ شديد الاهتمام والحرص على الصغار، فكان بهم رحيماً أكثر من الأب الحنون، ومعلماً مربياً، حتى قال خادمه وصاحبه أنس بن مالك ﷺ:"مَا رَأَيْتُ أَحَدًا

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، العلم/ ما جاء في فضل الفقه على العبادة، 414/4: حديث رقم2682]. وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج6297)،(ج1079/2):"صحيح".

(2) ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (ج724/2).

كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ"[1]، وما كان ذلك منه إلا لينالوا السعادة في الدارين، ومن المسلمات أن ذلك لا يكون إلا بصحة العقيدة وسلامتها، لذا كان أكثر محل اهتمام النبي ﷺ وحرصه هو أمر العقيدة؛ لأنها أول ركنٍ على العبد من دينه، وقد نوَّع النبي ﷺ وسائله وأساليبه في توجيهه للصغار لتصحيح عقيدتهم والثبات عليها، فكان من ذلك:

1- الرحمة بهم والعطف عليهم

عن أنس ﷺ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُ الْأَنْصَارَ فَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ بِرؤوسِهِمْ وَيَدْعُو لَهُمْ".[2]

قال ابن حجر رحمه الله:" وهو مشعر بوقوع ذلك منه غير مرة"[3]، لأن كلمة "كان" في الحديث تفيد الدوام، وإعراب كلمة "يَزُورُ" فعل مضارع تفيد التجدد، وهو ما يبين أن أفعاله المذكورة في الحديث سنة كان يواظب عليها ﷺ.

وعن جابر بن سَمُرَةَ ﷺ، قال:"صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا قَالَ وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ[4]عَطَّارٍ".[5]

أفاد الحديث: أن من تواضع النبي ﷺ، وحُسن خُلقه، وكمال شفقته على العالمين؛ رحمته بالصغار، وملاطفته لهم.[6]

كما يستفاد من أفعال النبي ﷺ المذكورة في الحديثين؛ حرصه على تعليم الصغار وتعلقهم بشخصه، لما لذلك من أثرٍ في طاعته والأخذ بسنته، حتى يشبوا على العقيدة الصحيحة ويثبتوا عليها، كما أن مسحه على رؤوسهم وخدودهم له الأثر في نيل البركة، وهو مما تعارف

---

(1) [مسلم:صحيح مسلم، الفضائل،باب رحمته الصبيان والعيال وتواضعه،1808/4:حديث رقم 2316].

(2) [النسائي:السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة،باب التسليم على الصبيان والدعاء لهم وممازحتهم، 131/9:حديث رقم10088]، والحديث في صحيح ابن حبان، البر والاحسان،باب الرحمة، ذكر ما يستحب للمرء استعمال التعطف على صغار أولاد آدم، برقم(ج6247)،(ج205/2)، دون لفظ "وَيَدْعُو لَهُمْ"، وإسناده صحيح.

(3) ابن حجر، فتح الباري (ج33/11).

(4) الجُؤْنَة: هي حقيبة العطار التي يحمل فيها متاعه. انظر: النووي، المنهاج(ج85/15).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/ طيب رائحة النبيﷺولين مسه والتبرك بمسحه، 1814/4: حديث رقم2329].

(6) انظر: النووي، المنهاج (ج149/14)،(ج85/15).

عليه الصحابة ﷺ، وأقرهم عليه النبي ﷺ، ومن أدلة ذلك: قول أُمنا عائشة رضي الله عنها عن رُقْيَةِ النبي ﷺ:"كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا".(1)

وعن أبي جُحيفة ﷺ(2)، يخبر بما رآه من الناس لما أنهى النبي ﷺ صلاته مرة، قال: "وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ".(3)

فكان من نتائج بركة النبي ﷺ ورحمته بالصغار أن كانوا في شبابهم من خير الناس لحمل الدين ونشره ونصرته، كابن عباس وأبي جحيفة، وغيرهم من صغار الصحابة ﷺ، وأن أسلم بعض أبناء اليهود وهو في مرض الموت، كما قال أنس بن مالك ﷺ:" كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: {أَسْلِمْ} فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ}.(4)

حتى كان من رحمته ﷺ وشدة حرصه على الخير للصغار، أنه دعا لتصحيح العقيدة من الصغار من يشتبه به أنه الدجال رغم سوء تصرفه معه(5)، فعن ابن مسعود ﷺ، قال:"كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَرَرْنَا بِصِبْيَانٍ فِيهِمُ ابْنُ صَيَّادٍ، فَفَرَّ الصِّبْيَانُ وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ، فَكَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَرِهَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «تَرِبَتْ يَدَاكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فَقَالَ: لَا، بَلْ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ذَرْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَى، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ}.(6)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، فضائل القرآن/ فضل المعوذات، 190/6: حديث رقم5016].

(2) هو وهب بن عبد الله أبو جحيفة السُّوَائِيُّ الكوفي الصحابي الجليل، وكان يقال له :"وهب الخير"، من عُمْرِ ابن عباس ﷺ، ولي أمر الشرطة لعلي بن أبي طالب ﷺ، توفي في سنة أربع وسبعين للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج202/3).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ صفة النبي ﷺ، 188/4: حديث رقم 3553].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، 94/2: حديث رقم1356].

(5) انظر: النووي، المنهاج(ج46/18).

(6) [مسلم: صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة/ ذكر ابن صياد، 2240: حديث رقم2924].

2-العناية بإسماع الصغار القرآن

عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: {إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ[1]مِنْ بُكَائِهِ}.[2]

أفاد الحديث جواز إحضار الصغار للمسجد ليشهدوا صلاة الجماعة مع المسلمين، ليعتادوا عليها ويستأنسوا بها، ويسمعوا القرآن الذي يتلى في الصلاة الجهرية[3]، لتوطئتهم على الإيمان وإن كانوا رُضَّعاً، لأن القرآن كلام ربهم الذي خلقهم وفطرهم على معرفته وتوحيده ﷻ، قال ابن خلدون رحمه الله: اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل المِلَّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات".[4]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:" رَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِهَذَا حَجٌّ" قَالَ:{ نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ}.[5]

مما ذكر الشراح تحت هذا الحديث؛ أن منهج السلف وإجماع الأمة: أن الصغار دون سن البلوغ لا وجوب للحج عليهم، وأكثر العلماء يرى أن من حج من الصغار كُتب له الثواب، لأنهم تكتب لهم الحسنات ولا تكتب عليهم السيئات، ولكن لا يغنيه حجه هذا عن حَجَّة الإسلام بعد البلوغ، وما جوَّزَ النبي ﷺ حجهم ولا رغَّب بثواب القائمين عليهم في الحج إلا لينالوا البركة بمشاهدة مشاعر وشعائر الحج، واكتساب حُب عقيدتهم، وبيان أحكام الشريعة وآدابها؛ ليعتادوا عليها من نعومة أظفارهم.[6]

---

(1) وجد أمه: أي: حزنها لبكائه وهي في الصلاة لا تتمكن من رعايته. انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج573/6).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الأذان/ من أَخَفَّ الصلاة عند بكاء الصبي، 143/1: حديث رقم710].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج173/1)، المباركفوري، عون المعبود(ج162/2).

(4) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (ص537).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ صحة حج الصبي، وأجر من حج به، 2/ 974: حديث رقم1336].

(6) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج441/4)، والنووي، المنهاج(ج99/9)، وابن الملقن، التوضيح (ج473/12)، العيني، عمدة القاري(ج218/10).

3- العناية بتصحيح وتعليم عقيدة الولاء والبراء

عَنْ أَبِي عُقْبَةَ[1]، وَكَانَ مَوْلَى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْفَارِسِيُّ ، فَبَلَغَتِ النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ: هَلَّا قُلْتُ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ".[2]

قال شيخ الإسلام في تعليقه على هذا الحديث:" حضه رسول الله ﷺ على الانتساب إلى الأنصار وإن كان بالولاء، وكان إظهار هذا أحب إليه من الانتساب إلى فارس بالصراحة، وهي نسبة حق ليست محرمة، ويشبه والله أعلم أن يكون من حكمة ذلك: أن النفس تحامي عن الجهة التي تنتسب إليها كان ذلك لله كان خيراً للمرء، فقد دلت هذه الأحاديث على أن إضافة الأمر إلى الجاهلية يقتضي ذمه والنهي عنه، وذلك يقتضي المنع من كل أمور الجاهلية مطلقاً وهو المطلوب في هذا الكتاب، ومثل هذا...ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{إن الله ﷻ قد أذهبَ عنكم عُبِّيَّة[3]الجاهِليَّةِ وفَخْرَها بالآباء، مُؤمِنٌ تقيٌّ، وفَاجِرٌ شقيٌّ، أنتم بنو آدَمَ، وآدمُ مِن تُرابٍ، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ، إنما هم فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جهنمَ، أو ليكونُنَّ أهونَ على الله من الجِعْلانِ، التي تدفَعُ بأنْفِهَا النتْنَ}.[4]

4- تصحيح العقيدة بتعليم مراقبة الله تعالى والتوكل والإيمان بالقضاء

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:" أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ:ﷺ: {يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ. احْفَظِ اللَّهِ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ. وَإِذَا سَأَلْتَ فَسَأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ

(1) أبو عقبة الفارسي مولى الأنصار، قيل اسمه رشيد، وهو صحابيٌّﷺ.انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر(ج153/12).

(2) [ابن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة(ج37/2)]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد برقم(10087)، (ج115/6):"رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ".

(3) عُبِّيَّة الجاهلية: أي كبر الجاهلية وفخرها ونخوتها. انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج2394/9).

(4) اقتضاء الصراط لابن تيمية (ص73)، والحديث في سنن أبي داود، الأدب/ التفاخُر بالأحساب، حديث رقم(ج5116)، (ج438/7)، صحيح لغيره.

اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ}[1]، وفي رواية: {وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.[2]

جمع النبي ﷺ في هذه الوصية أصولاً عظيمة في منهج تصحيح العقيدة وتثبيتها، حيث بدأ كلامه بما يلفت انتباه المخاطب: "يَا غُلَامُ"، وقال:" إِنِّي مُعَلِّمُكَ"، ولم يقل آمُركَ، ليبين لأمته مهارة الاتصال الإيجابي الفعال، ثم دل المخاطب على أمورٍ عظيمةٍ من أمور العقيدة، حيث حثه على مراقبة الله تعالى، وأن ذلك يفيد حفظ الله ﷻ ورعايته، وأن يتوكل على الله تعالى في جميع أموره، ويفرده بالدعاء والاستعانة، مع مراعاة الأخذ بالأسباب المشروعة، وأن الضر والنفع بيد الله تعالى خالق كل شيء ومدبره، ولا يكون في ملكه إلا ما أراد، وأن قدر الله قُدِّر قبل خلق الخلق، فلا يُزاد فيه، ولا ينقص منه، وأن الكرب ليس وحده بل يحفه الفرج، وأن الرضا بقضاء الله بما يحب العبد ويكره من أسباب الظفر بالنصر والتمكين والثواب.[3]

5- العناية بتصحيح عقيدة الصغار من خلال إظهار الآيات على أعينهم

عن ابن مسعودٍ ﷺ، قال: "كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ"، فَقَالَ: {يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟}، قَالَ: قُلْتُ:" نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ"، قَالَ:{ فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟}، "فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ":{اقْلِصْ فَقَلَصَ}، قَالَ: "ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي"، وَقَالَ:{ يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ}.[4]

أراد النبي ﷺ بواقعة هذا الحديث أن يري ابن مسعودٍ ﷺ آية تقوم بها عليه الحجة، ومن يبلغه خبرها على وجوب تصديقه واتباعه، فانتفع ابن مسعودٍ وجاء يسأل النبي عما قرأه حتى حدثت الآية، فأثنى عليه النبي ﷺ وشجعه، فكان له الحظ الوافر في الإيمان بالله تعالى، والعلم بدينه، كما أقره على أمانته، مما يبعث في النفس الحث على دوام العيش عليها.[5]

---

(1) [أبو يعلى: مسند أبي يعلى، (ج430/4)]، إسناده صحيح.

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج19/5)]، حديث صحيح.

(3) انظر: شرح الأربعين النووية، للنووي، وابن دقيق العيد، والسعدي، وابن باز، وابن عثيمين، وصالح آل الشيخ، رحمهم الله جميعاً، خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان، (ص164)، وما بعدها.

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج82/6)]، إسناده حسن.

(5) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار (ج280/11).

يستفاد مما سبق

- أن الدعوة إلى الإسلام لا تتقيد بمرحلة عمرية وجنسية من حياة البشر، ولا تمنع بالشُّبَهِ كما هو مستفادٌ من دعوة النبي ﷺ لابن صياد مع شكه في كونه الدجال.
- وجوب الاعتناء بالصغار والعناية بصحة عقيدتهم وسلامتها.
- أن من أساليب دعوة الصغار، العطف والحنان والملاطفة.
- ضرورة عمل الدعاة والمربين علاقة مودة بينهم وبين تلاميذهم خاصة، ومن يدعون عامة، لما لذلك من أثرٍ في إيجابية الدعوة، وأن ذلك من السنة.
- جواز إحضار الصغار للمسجد[1]وإن كانوا من الرُضع لشهود صلاة الجماعة وسماع قرآن الصلاة لما لذلك من أثرٍ طيب على نشأتهم، وجواز مكوث الصغار في المسجد لتعليمهم علوم الكتاب والسنة.
- ضرورة إعمار البيوت بتلاوة كتاب الله تعالى؛ لما لذلك من نفعٍ على ساكنيها في الدنيا والآخرة.
- أن اجتهاد الأهل والدعاة والمربين لتعويد الصغار على أعمال البر من السنة، وهم مثابون عليها.
- أن الصغار ما داموا دون سن البلوغ تكتب لهم الحسنات بفعل الخير، ولا تكتب عليهم السيئات بفعل الشر.
- ضرورة الاهتمام بالنابغ من الصغار ورعايته لما يترتب على ذلك من نفعٍ له ولأهله ولأمته، كما فعل النبي ﷺ مع ابن مسعودٍ رضي الله عنه.
- أن من أساليب الدعوة لتصحيح العقيدة، أو تعليم غيرها من أمور الدين الاستعانة بالوسائل المادية المشروعة المتاحة للداعي على أعين المدعوين، وهو مستفادٌ من إظهار النبي ﷺ آية تدل على صدق دعوته على عين ابن مسعودٍ رضي الله عنه.
- ضرورة انتقاء الداعي للألفاظ المشوقة والملفتة للانتباه لما يترتب عليها من نفعٍ في التواصل مع المدعوين، كما فعل النبي ﷺ في تعليمه لابن عباس رضي الله عنهما.
- أهمية عقيدة الولاء والبراء في حياة المسلم، وضرورة وجودها بين المسلمين، لما لها من منافع عظيمة، منها: ترك التفاخر بالجاهلية، أو الانتساب لغير المسلمين.
- أن العلم والإيمان بقضاء الله تعالى وقدره المبرم الذي لا يتغير يورث المؤمن الطمأنينة والقوة في العقيدة ونصرتها، والفوز والظفر في الدارين.

---

(1) انظر: العيني، عمدة القاري (ج5/246)، المناوي، التيسير (ج1/746).

المطلب الخامس: العناية بتصحيح عقيدة الجنِّ

رسالة النبي ﷺ رسالة عامة، تشمل جميع من يقع عليه التكليف من الخلق، وهم الإنس والجن، ولم يرسل الله تعالى أحداً غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الثقلين مثله، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:1][(1)]، وأمره أن يبلغ ما أنزل إليه، فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾[المائدة:67]، فقام النبي ﷺ بالتبليغ، حتى أتم رسالة ربه، قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ...﴾[المائدة:3]، فكان من تمام تبليغ النبي ﷺ دعوة ربه؛ دعوته الجن لتصحيح عقيدتهم، وتبليغهم شرعة ربهم تبارك وتعالى، كما دعا وبلَّغ الإنس، وكان من تمام الكلام على منهج النبي ﷺ، وبيان فضله؛ ذكر شيء من دعوته للجن.

أولاً: تعريف الجن

تسمية الجن بهذا الاسم مأخوذةٌ من حال طبيعتهم، وهي الاستتار عن أنظار الإنس[(2)]، قال ابن عقيل رحمه الله[(3)]: "إنما سُمِّي الجِنُ جناً لاسْتِجنانهم واستتارهم عن العيون، ومنه سُمِّي الجنين جنيناً، والمجن مجناً لستره للمقاتل في الحرب".[(4)]

ثانياً: أصل الجن

وهم من ذرية إبليس فهو أبوهم كُلُّهم[(5)]، قال الحسن البصري رحمه الله:" ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قَط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس"[(6)]، قال الله تعالى:

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج40/24)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج138/1)، الشوكاني، فتح القدير (ج76/4)، والشنقيطي، أضواء البيان(ج3/6).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج406/1،41)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج140/1).

(3) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي (431هـ:513هـ)، شيخ الحنابلة، كان حاد الذكاء لا يلوي عمن لام عليه، بدء طلب العلم صغيراً، ولم يلتفت للهو في صباه، فكان كثير العلم حسن الخلق كثير الإنفاق، فساد على أهل زمانه وفات أقرانه، مال إلى الكلام وأهله ثم تاب وصحت توبته، من أشهر كتبه وأكبر الكتب كتابه الفنون، جمع فيه التفسير والفقه واللغة والتاريخ وغيرها حتى بلغ أربع مائة مجلد. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج443/19).

(4) الحنفي، كتاب آكام المرجان في أحكام الجان (ص23).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج369/6).

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج231/1) وقال ابن كثير: "وهذا إسناد صحيح عن الحسن".

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ...﴾ [الكهف:50] وبين الله تعالى سبب هذا العصيان من إبليس بقوله:﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:12]، كما بين الله تعالى طبيعة النار التي خلقوا منها، فقال ﷻ:﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرَّحمن:15] ، وقال النبي ﷺ:{خُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ}[1]، والمارج هو: اللَّهَب شديد الحرارة الْمُخْتَلِط بسواد النار من غير دخان[2]، ويتناسل الجن كما يتناسل الإنس، لذا سميا بالثقلين لكثرة أعدادهم الناتجة عن التناسل[3]، وخَلْقُ الجنِّ ووجودهم كان قبل الأنس[4]، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(27)﴾[الحجر].

وجود الجن حقيقة إيمانية

فإنكار وجود الجن كفرٌ؛ لأنه ردٌ للنصوص الشرعية الصريحة الصحيحة، وإجماع الأمة.

- **من أدلة الكتاب**

قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرَّحمن:33]، وقال ﷻ:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]

ومن أدلة السُّنَّة

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:{ إِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ}.[5]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الزهد والرقائق/ في أحاديث متفرقة، 2294/4 : حديث رقم2996].

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج23/10)، النووي، المنهاج (ج123/18)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص263).

(3) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج382/1)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج186/7)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص153).

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج23/10)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج128/1)، السعدي، تفسير السعدي (ص430).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الخلق/ ذكر الجن وثوابهم وعقابهم، 126/4: حديث رقم3296].

وقال ﷺ:{إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.[1]

- **وإجماع الأمة**

وقد انعقد إجماع الأمة "في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكه من الدين".[2]

والجن مكلفٌ بتوحيد الله تعالى وعبادته

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، أي أن الغاية التي خلق الله تعالى من أجلها الخلق وأرسل لهم الرسل هي إفراده بالتوحيد والعبادة وحده لا شريك[3]، وقد بين الله تعالى عقاب المخالفين منهم يوم القيامة[4]، فقال ﷻ:﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[الأنعام:**130**]، وقال ﷻ:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:179].

أقسام الجن من حيث الإيمان بالله تعالى

الجن منهم المؤمن ومنهم الكافر، قال تعالى إخباراً عنهم:﴿وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا(**14**) وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(**15**)﴾[الجنّ]، وفيهم من غير المؤمنين، أي فساقاً وفجاراً وكفاراً، ومن الاختلاف والفرقة والأهواء مثلما في الإنس[5]، قال ﷻ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجنّ:11]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، التوبة/ في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، 2108/4: حديث رقم2752].

(2) الشبلي، آكام المرجان (ص19).

(3) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص813).

(4) انظر: تفسير القرآن العظين (ج340/3).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج241/8)، السعدي، تفسير السعدي (ص890).

دعوة النبي ﷺ للجن

مرت دعوة النبي ﷺ للجن بمرحلتين، المرحلة الأولى كانت دعوته فيها غير مباشرة، أما الثانية فكانت دعوة مباشرة.

- **المرحلة الأولى:**

كانت هذه الدعوة غير مباشرة، أي: لم يقصد فيها النبي ﷺ دعوتهم للإسلام، وإنما قصد إقامة عبادة ربه تعالى كما أمره، فكان في هذا الخير لهم، ودليل ذلك ما جاء عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: "مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَآهُمْ انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا مَا لَكُمْ قَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالُوا مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ وَهُوَ بِنَخْلٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ وَقَالُوا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا يَا قَوْمَنَا:﴿ ...**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا(2)** ﴾[الجنّ]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ** ... ﴾ [الجنّ:1]".(1)

"وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما، إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ وعلمت حاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله ﷻ، كما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ".(2)

- **المرحلة الثانية:**

وهي دعوة النبي ﷺ للجن بشكلٍ مباشرٍ، حيث اجتمع بهم ودعاهم إلى التوحيد، وبين لهم أمر دينهم، ودليل ذلك: ما رواه ابن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:{أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة/ الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، 331/1: حديث رقم449].

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج291/7).

لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ}.(1)

وفي رواية، قال ﷺ: إِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْجِنُّ فَسَأَلُونِي الزَّادَ فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا}.(2)

نصيبين: بلدة مشهورة شمال جزيرة العرب، تمُرُّ منها قوافل التجار والمسافرين على الموصل والشام(3)، وكونهم سألوا النبي ﷺ عن زادهم يفيد اهتمامهم بالحلال والحرام في شرع الله تعالى، وطلبهم البركة بدعائه ﷺ.

حال الجن مقابل دعوة النبيﷺ

من الجن من آمن بالنبي ﷺ، ومنهم من لم يؤمن به، ودليل ذلك ما سبق من الأدلة، ويضاف إليها:

- **أدلة إيمان من آمن من الجن بدعوة النبي ﷺ**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا}(4)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه،:"كَانَ نَفَرٌ مِنْ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنْ الْجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ فَنَزَلَتْ:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ** ...﴾[الإسراء:57].(5)

- **أدلة كفر من كفر من الجن بدعوة النبي ﷺ**

حاول من لم يؤمن من الجن إيذاء النبي ﷺ، ومما ورد في ذلك: ما جاء عن أَبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: "قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: {أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثُمَّ قَالَ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ ثَلَاثًا}، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ الصَّلَاةِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ:{إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة/ الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، 332/1: حديث رقم450].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ ذكر الجن، 46/5: حديث رقم3860].

(3) انظر: الحموي، معجم البلدان(ج288/5)، ابن حجر، فتح الباري(ج172/7).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ قتل الحيات وغيرها، 1756/4: حديث رقم2236].

(5) [المصدر السابق، التفسير/في قوله تعالى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة}، 2321/4: حديث رقم3030].

بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللَّهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ}.[1]

وفي رواية قال النبي ﷺ:{إِنَّ عِفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَإِنَّ اللَّهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ فَذَعَتُّهُ فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ أَوْ كُلُّكُمْ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ:﴿...**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**...﴾[ص:35]، فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا}.[2]

المراد بالفتك في الحديث: هو الأخذ في غفلة وخديعة عن الصلاة، والعفريت: هو الكافر المارد العاتي من الجن، وفذعته: أي خنقته، ورده الله خاسئاً: يعني ذليلاً، لم ينل ما أراد.[3]

ولم يقف شرُّ الجن الكافر عند محاولة أذى النبي ﷺ، بل يعملون على إيذاء المسلمين؛ بإغوائهم وإضلالهم بمعصية الله تعالى، فعن ابن مسعودرضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: {مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ}[4]،"في هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الامكان"[5]، وهو ما يدل على أن القرين الجني الملازم للإنسان كافر، لم يؤمن بالله.

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة/ جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة، 385/1: حديث رقم542)].

(2) [المصدر السابق، بنفس الكتاب والباب، 384/1: حديث رقم541].

(3) انظر: النووي، المنهاج (ج29/5).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، صفات المنافقين/ تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، 2167/4: حديث رقم 2814].

(5) النووي، المنهاج (ج158/17).

دعوة الجن بعد عصر النبوة، واتصال الإنس بهم

دعوة الجن من غير النبي ﷺ، وبعد عصره تكون على ضربين، بشكلٍ مباشر، وبشكلٍ غير مباشر.

أما ما تكون بالشكل المباشر، فهي إذا دخل الجني بدن الإنسي، فإنه تقرأ عليه الرقي ليخرج، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال ابن القيم رحمه الله:" وشاهدتُ شيخنا- ابن تيمية رحمه الله- يرسلُ إلى المصروع مَن يخاطبُ الرُّوحَ التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرُجي، فإن هذا لا يحِلُّ لكِ، فيُفِيقُ المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردةً فيخرجها بالضرب، فيُفيق المصروعُ ولا يُحِس بألمٍ، وقد شاهدنا نحن وغيرُنا منه ذلك مراراً".[1]

وقال أيضاً أن شيخه حدثه مرةً وهو يُخرج جنيةً من جسد رجلٍ فأمرها بالخروج: "فقالت: أنا أدَعُه كرامةً لك، قال...لا ولكنْ طاعةً لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرُجُ منه".[2]

وما يكون بشكلٍ غير مباشر، فيكون بالصلاح والاستقامة على دين الله بأداء الواجبات وترك المنكرات، فيحفظ العبد نفسه من الجن المارد، ولعله يُعلِّم المسلم منهم، ويدعو الفاسق والكافر، مثلما حدث في دعوة النبي ﷺ للجن أول الأمر، كما ذكر سابقاً في حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأما ما يزعمه بعض الناس في زماننا من أخوةٍ بينه وبين جني مسلم، لا يكون بينهما إلا الخير ونفع المسلمين، فهو باطلٌ مردود، فقد وقفت على بعض الأشخاص من هؤلاء فرأيت منهم الجهل بالدين، بل وفي أبسط أمور العبادة، وسمعت من أحدهم تكفيره للمسلمين بغير حق، وما خرج ذلك منه إلا بجهله الذي رأيت، فكيف يقبل منه ومن أمثاله ما يزعمون من أُخوة الجن وتعاونهم معه على الخير، والظاهر منهم الفسق لا الاستقامة، ثم إننا لم نسمع عن أشهر علماء زماننا يدَّعون مثل هذا؟!.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :"لا ينبغي...اللجوء إلى الجن...لأنه وسيلة إلى عبادتهم وتصديقهم، لأن في الجن من هو كافر ومن هو مسلم ومن هو مبتدع، ولا تُعرفُ أحوالُهم، فلا

---

(1) ابن القيم، زاد المعاد (ج68/4).

(2) المصدر السابق (ج68/4).

ينبغي الاعتماد عليهم ولا يُسألون، ولو تمثلوا لك...وقد ذم الله المشركين بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجنّ:6]، ولأنه وسيلة للاعتقاد فيهم والشرك، وهو وسيلة لطلب النفع منهم والاستعانة بهم، وذلك كله من الشرك".[1]

وقال الميداني رحمه الله:" وليس ببعيد أن يوجد في الجن كذابون، وقد أثبت الله أن منهم العصاة والكافرين، ومن جهة ثانية فإنه لا يصح الثقة بشيء من أخبارهم، لانعدام مقاييس تحديد الصادقين والكاذبين فيهم بالنسبة إلينا".[2]

وأما ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى من جواز التعامل مع الجن بضوابط وشروط، منها العلم، والولاية الصادقة[3]، فقد قال شيخ الإسلام نفسه في موضع آخر:" والنبي -ﷺ-... لم يستخدم الجن أصلاً، لكن دعاهم إلى الإيمان بالله وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة، وبايعهم كما فعل بالإنس، والذى أوتيه أعظم مما أوتيه سليمان -عليه السلام- فإنه استعمل الجن والإنس في عبادة الله وحده، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لا لغرض يرجع إليه إلا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته".[4]

والله تعالى قد أمرنا بالتأسي بالنبي ﷺ في هذا الباب وكل بابٍ من أبواب الدين في مواضع كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21]

---

(1) عسيري، منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص210).

(2) الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص257).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج307/11).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج89/13).

الفصل الثاني

المنهج النبوي في تصحيح العقيدة لحقائق الغيب، والشعائر التعبدية

المبحث الأول

المنهج النبوي في تصحيح العقيدة لأقسام التوحيد

أقسام التوحيد ثلاثة، هي توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الأُلوهية، والمراد بهذا التقسيم هو بيان أن توحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله، كالخلق والرَّزق ووغيرها مما يقدره الله تعالى في خلقه، وتوحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له نبيه محمد ﷺ من أسماء الجلال وصفات الكمال على الوجه الذي شرعه، من غير تأويلٍ ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف، وتوحيد الأُلوهية هو توحيد الله بأفعال العباد في كل أنواع العبادة، وهذا التقسيم حقيقةٌ شرعيةٌ مأخوذة بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة، تكلم فيه علماء الأمة وعرفوه قديماً، لا كما يزعم البعض؛ أن هذا العلم من اجتهاد شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم يعرف في الأمة من قبل.[1]

وفي هذا المبحث نقف بإذن الله على ما يتيسر جمعه من السنة، أثبت وبين فيها النبي ﷺ أقسام هذا التوحيد لله تعالى، موجهاً بذلك أمته لعبادة ربها تبارك وتعالى بعلمٍ وإخلاص.

المطلب الأول: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة بتوحيد الربوبية

أولاً: تعريف الربوبية لغةً وشرعاً

الرب لغةً: يطلق لفظ الرب في اللغة لمعانٍ عدة، منها: المالك والسيد والمربي والمصلح، ولا يطلق على غير الله تعالى إلا بالإضافة وحذف التعريف –الألف واللام– لأن المخلوق لا يمكن له أن يملك جميع المخلوقات.[2]

توحيد الربوبية شرعاً: هو توحيد الله بأفعاله، أي: الاعتقاد والإقرار الجازمان بأن الله ﷻ رب كل شيءٍ وخالقه ومالكه ورازقه، لا يعجزه فيه شيءٌ، وهو المتصرف به كيفما يشاء بعدله ورحمته.[3]

---

(1) انظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، (ج346/260/125/122/1)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية(ص78)، والقول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، لعبد الرزاق البدر (ص19–29).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج399/1)، والفيومي، المصباح المنير(ج214/1)، الكفوي، الكليات(ص465)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج382/2).

(3) انظر: آل الشيخ، تيسير العزيز الحميد (ج24/1).

وهذا التوحيد لا يكفي في حصول الإسلام للعبد؛ بل لابد من لازم توحيد الربوبية، وهو توحيد الألوهية.[1]

ثانياً: من أدلة الكتاب والسنة على توحيد الربوبية

أ- أدلة الكتاب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف:**172**]

ففي هذه الآية الكريمة بين الله تعالى أنه أخرج ذرية آدم عليه السلام كلها قبل أن يخلقهم على الأرض بقدرته تعالى وقررهم بربوبيته التي أودعها في فطرهم، ليقيم عليهم الحجة ولا يبقى لهم العذر إن خالفوا دعوة رسله عليهم الصلاة السلام.[2]

وقال ﷻ:﴿ قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ(**59**) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ(**60**) ﴾. [النمل].

وفي هذه الآية يثني الله تعالى على نفسه ليبين لعباده ويدلهم على عظمته وحقه عليهم وكبير نعمائه التي لا تحصى، وينكر عليهم شركهم به، ويبين أنه الرب الخالق المتفرد بكل شيء.[3]

ب- أدلة السُّنَّة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: {كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ}.[4]

والمراد بالفطرة في الحديث الإسلام: أي: إسلام نفس المولود وإقرارها بتوحيد الربوبية، وأهليتها لقبول الحق الذي تدعو إليه الرسالة وهو توحيد الألوهية وما يترتب عليه.[5]

---

(1) انظر: آل الشيخ، تيسير العزيز الحميد (ج24/1).

(2) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص308).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج201/6).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ ما قيل في أولاد المشركين، 100/2: حديث رقم1385].

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج348/3).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قال:{ أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ – يَعْنِي عَرَفَةَ – فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا " قَالَ: ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ(172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ(173)** ﴾[الأعراف]. }.[1]

ثالثاً: منهج النبي ﷺ في تصحيح العقيدة بتوحيد الربوبية

كان الناس في الجاهلية قبل دعوة النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية، فيؤمنون بأن الله خالقهم، قال الله تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [الزُّخرف:87]، بل ويؤمنون بالقدر كذلك، لكنهم لم ينقادوا إلى ما يلزمهم به توحيد الربوبية من الإقرار بتوحيد الألوهية.[2]

لذا لم يبدأ النبي ﷺ بدعوتهم للإيمان بتوحيد الربوبية، بل بدأ بدعوتهم لتوحيد الألوهية، حيث كان يقول:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا}[3]، وهذا لا يعني أن الخلل عندهم في توحيد الألوهية فقط، بل كان الخلل أيضاً في توحيد الربوبية في بعض جوانبه[4]، قال الله تعالى:﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾[يوسف:106]، قال القرطبي رحمه الله:" ومعناها أنهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا... فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان"[5]، فينسبون نعمة الله تعالى إلى غيره، كمن يدعون أصحاب القبور ويعتقدون أن النفع والضُّر بأيديهم، ومن يأخذون بالأسباب ويعتمدون عليها ويعطلون التوكل، وغير ذلك مما يكون من شرك الربوبية الذي كان يعيشه أهل الجاهلية[6]، ويقع فيه مع الأسف بعض العوام من المسلمين في زماننا، فعمل النبي ﷺ على طمس ما بقي من أثر الجاهلية في حياة المسلمين، حتى يكون توحيدهم لربهم خالياً من الشرك، كاملاً في كل جوانبه.

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج267/4)]، صحيح. انظر: مشكاة المصابيح للألباني برقم(121)،(ج26/1).

(2) انظر: ابن تيمية، العقيدة التدمرية لشيخ الإسلام،(ص180)، السعدي، تفسير السعدي (ص770).

(3) حديث صحيح، سبق تخريجه (ص9).

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج64/13).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج273/9).

(6) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج273/9)، الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ج67/13)، الشوكاني، فتح القدير(ج73/3).

ومن الأمثلة في السنة لتصحيح العقيدة في جانب الربوبية.

1. **إبطال كُفر النعمة**

عمل النبي ﷺ على ترك الناس ما اعتادوا عليه من القول عند نزول الغيث في الجاهلية، حيث استثمر الموقف بنزوله، وذلك فيما يرويه زيد بن خالد الْجُهنِي[1]أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ:{هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ}.[2]

قال ابن حجر رحمه الله:"كانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء– وهو نجم أحمر صغير منير– إما بصنعه على زعمهم، وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفراً".[3]

وقال السعدي رحمه الله:"وقوله:﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة:82]،أي: تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب والكفر لنعمة الله، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وتضيفون النعمة لغير مسديها ومواليها، فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله، فإن التكذيب والكفر داع لرفع النعم وحلول النقم".[4]

2. **ترك الاستعاذة بالجنِّ**

الاستعاذة عبادة لا ينبغي أن تصرف لغير الله ﷻ، وقد كان من عادة الجاهلية صرفها للجن، قال الله تعالى:﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجنّ:6]

---

(1) هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن المدني، شهد الحديبية، وحامل لواء جهينة يوم الفتح، وحديثه في الصحيحين، توفي في المدينة عام(ج78هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (ج603/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجمعة/ قول الله تعالى: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}، 33/2: حديث رقم1038].

(3) ابن حجر، فتح الباري(ج524/2).

(4) السعدي، تفسير السعدي(ص836)

كان من عادة الناس في الجاهلية إذا نزلوا وادياً أو منزلاً استعاذوا واستجاروا بسيد الجن في المكان الذي نزلوا فيه، فتطاول عليهم الجن بذلك، فزادوهم فزعاً وطغياناً وكفراً[1]،لأن"هذه الاستعاذة...من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة النصوح منه، وفي الآية تحذير شديد من اللجوء إلى السحرة والمشعوذين وأشباههم".[2]

ومن صور الاستعاذة بالجن؛ التعامل مع أوليائهم المشعوذين وأشباههم، قال النبي ﷺ محذراً من ذلك:{مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}[3]، وقوله ﷺ:{مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ}.[4]

وتحذير النبي ﷺ هذا لرد ما كانت عليه العرب من اللجوء لأمثال هؤلاء الذين يزعمون معرفة الغيب بعلاقتهم بالجن، وقرائن أحوال سائِليهم، فيدلون بزعمهم على الضالة والمسروق ونحو ذلك، فيصدقهم الناس[5]، وتصديقهم هو تصديقٌ للجن؛ لأنهم ينقلون عنهم الأخبار وما يزعمون وينقادون لهم في ذلك، وذلك من الإيمان بهم وعبادتهم، وهو في قول الله تعالى[6]:﴿... كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[سبأ:41]

3. رد الشرك بتعليق المشيئة لغير الله تعالى

عن ابن عباس ﷺ، قال: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرَاجِعُهُ الْكَلَامَ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ"، فَقَالَ: {جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا ، مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ؟}[7]، ثم دل ﷺ أمته على الصواب بقوله: {لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ}.[8]

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: "أن يقول ما شاء الله وشاء فلان فهذه محرمة ولا تجوزذلك؛ لأن الإنسان جعل المخلوق مساوي للخالق ﷻ في المشيئة...وفي هذا الحديث دليل على أن الإنسان إذا ذكر للناس شيئاً لا يجوز فليبين لهم ما هو جائز؛ لأنه قال:{لَا تَقُولُوا مَا

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج239/8).

(2) التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص572).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ تحريم الكهانة وإتيان الكهان، 1751/4: حديث رقم2230].

(4) [الحاكم: مستدرك الحاكم، العلم،49/1: حديث رقم15]، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع برقم(5939)،(ج1031/2).

(5) انظر: تحفة الأحوذي للمبارك فوري(ج419/1).

(6) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص681).

(7) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج297/5)]، صحيح لغيره.

(8) [أبو داود: سنن أبي داود، الأدب/ لا يقال خَبُثَتْ نفسي،334/7: حديث رقم4980]، صحيح.

شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ}، وهكذا ينبغي لمعلم الناس إذا ذكر لهم الأبواب الممنوعة فليفتح لهم الأبواب الجائزة".[1]

4. رد تعليق الدعاء بالمشيئة

من المسلمين من يدعو لنفسه فيقول: الله يكتب لنا الحج هذا العام إن شاء الله، وغير ذلك من الأدعية ويعلقها بالمشيئة، أو يدعو لغيره بالخير ويعلق دعاءه بالمشيئة، كمن يزور مريضاً فيقول: الله يشفيك الله يعافيك إن شاء الله، والمريض يرد عليه بقوله: إن شاء الله ويكررها، فهنا جمع من يدعو ويعلق دعاءه بالمشيئة له أو لغيره بين أمرٍ مقبولٍ مشروع، وأمرٍ مردود غير مشروع؛ وذلك أنه دعا، والنبي ﷺ قال:{الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ}[2]، أي أن الدعاء مأمورٌ به، والمأمور به عبادة تدل على إقبال العبد على خالقه، معرضاً عما سواه، قائماً بحق الربوبية.[3]

كما أن الدعاء للغير فيه نفع للداعي والمدعو له، قال النبي ﷺ:{ مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ}.[4]

فالدعاء من هذا الوجه مقبولٌ مشروع، أما من الوجه المردود غير المشروع هو تعليق الإجابة بالمشيئة، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، حيث قال: {إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ وَلَا يَقُولَنَّ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ}[5]، وفي رواية أخرى قال:{لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ}.[6]

والنهي في الحديث عن تعليق الدعاء بالمشيئة للحرمة؛ لأن قول القائل في دعائه " إِنْ شِئْتَ " كأنه يقول: اللهم إن شئت أعطني أو ارحمني أو اغفر لي وإلا لا أبالي ولا يهمني، كأنه يقول أنا في غنى عنك، وذلك صورة من صور الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه، وهو قدحٌ في صدق التوجه للرب تبارك وتعالى، ومثله من يقول: "اللهم إني لا أسألك رد القضاء بل

---

(1) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج308/4).

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات/ ما جاء في فضل الدعاء، 5/ 386: حديث رقم3372]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج3407)،(ج641/1):"صحيح".

(3) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج352/4)، المباركفوري، تحفة الأحوذي (ج308/8).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، 2094/4: حديث رقم2732].

(5) [البخاري:صحيح البخاري، الدعوات/ ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له،74/8:حديث رقم6338].

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الدعوات/ ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له،74/8:حديث رقم6339].

اللطف فيه"، فهو يقول: اللهم خذ عافيتي أو أهلي أو مالي ولكن ارفق بي، أي: اجعل ذلك بالتدرج لا مرة واحدة، وكل ذلك مردود.[1]

أما ما رواه ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان" إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ" قَالَ:{لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّه}[2]، فليس فيه دليلٌ على جواز تعليق الدعاء بالمشيئة؛ لأن المراد بقوله:{إِنْ شَاءَ اللَّه}، هو بمعنى الدعاء والرجاء لا الخبر[3]، أي: "أرجو أن يكون طهوراً".[4]

وأما وضعها الصحيح فهو في قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا(23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ...(24)﴾[الكهف]، وهو من منهج النبي ﷺ وسنته[5]، وإيمانٌ بربوبية الخالق ﷻ، وعملٌ بأمر الله تعالى، ولما في ذكر المشيئة وتعليق الأمر بها من نيل التيسير وحصول البركة والاستعانة بالرب تعالى.[6]

5. **بيان أن النفع والضر بيد الله تعالى**

كان من عادات الناس ومعتقداتهم في الجاهلية لبس الخيط والحلقة في اليد، وتعليق التمائم، وهي خرزات تعلق على الأبناء، والتبرك بالأشجار والأماكن وغيرها، والتبرك هو طلب الزيادة والسعادة حسيةً كانت أو معنوية، وفعلهم لهذه الرُّقَى، كان اعتقاداً منهم أنها تدفع الضُر أو تجلب النفع أو البركة، وحكمها يتردد بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر على حسب اعتقاد فاعلها، وهي باقية مع الأسف عند بعض الناس إلى يومنا هذا بعد أن أكرمنا الله تعالى بالإسلام.[7]

---

(1) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (ج196/9)، ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج306/4).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ علامات النبوة في الإسلام، 202/4: حديث رقم3616].

(3) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج200/20)،ابن حجر، فتح الباري(ج119/10)، العيني، عمدة القاري (ج149/16)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج63/6)، الصنعاني، التنوير (ج389/8).

(4) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج308/4).

(5) انظر: شفاء العليل لابن القيم(ص46).

(6) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص474).

(7) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج196/10)، الفوزان، الإرشاد(ص99)، الكفوي، الكليات(ص348)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج52/1).

لهذا أمر النبي ﷺ الناس بعرض رقاهم عليه؛ حتى يدلهم على صحيحها، ويرد باطلها، ويُخلِّصهُم من رقى الجاهلية، بقوله:{اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ}.[1]

وتعريف الرُّقَي لغةً: ما يُستعمل لحفظ وعلاج الإنسان من الآفات والأمراض.[2]

وتعريفها شرعاً: التعوذ بصنع شيءٍ لرفع الأذى من الحمى أو الصرع أو العين أو غيرها من الآفات، والرقى منها المشروع ومنها غير المشروع[3]، والمراد بالحديث أنها جائزةٌ لكل الآفات؛ إذا لم يكن فيها شرك، وعدم اعتقاد نفعها بتأثيرها وطبعها وحدها من دون الرب تبارك وتعالى، وأن تكون بما يفهم من الكلام العربي، ولا ممنوع فيها، وأفضلها وأنفعها: ما كان بأسماء الله تعالى وكلامه، وكلام النبي ﷺ.[4]

ومن الناس من يعتقد تأثير الأشخاص في القدر المكتوب، فإذا رأى شخصاً اشتُهر عنه بين الناس أن من لقيه يصاب بالأذى تطير: أي تشاءم، وقد يؤدي به ذلك للرجوع عن أمره الذي هم به وسار لأجله، وهذا التشاؤم سوء ظنٍ بالله تعالى وهربٌ من قضائه وهو محال، وشركٌ في الربوبية؛ لأن النفع والضُر بيد الله تعالى، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال:{مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ}، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ:{أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ}[5]،ومثل هذا زجر الطير أو الحيوان فإذا تحرك جهة اليمن تفاءل زاجره وتحرك لأمره، وإن تحرك جهة الشمال تشاءم ورجع، وهذا أيضاً محرمٌ كسابقه، أكان هذا العمل والمعتقد بحركة الطير أو بحركة غيره.[6]

ومن الناس من يعتقد أن في التِّوَلَة الخير وأنها تؤثر في تقوية الروابط بين الزوجين، والتولة نوعٌ من السحر، تصنع لتحبيب المرأة إلى زوجها[7]، وقد حذر النبي ﷺ من التعاطي بها بقوله:{إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ}.[8]

---

(1) [مسلم:صحيح مسلم، السلام/ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك،1727/4:حديث رقم2200].

(2) انظر: النهاية لابن الأثير(ج254/2)، ابن منظور، لسان العرب(ج332/14).

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج332/14)، وابن حجر، فتح الباري(ج196,195/10).

(4) انظر: النووي، المنهاج(ج168/14)، وابن حجر، فتح الباري(ج196,195/10).

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج623/11)]، حديثٌ حسن.

(6) انظر: المعتصر من المختصر من مشكل الآثار لأبي المحاسن يوسف بن موسى المَلَطي الحنفي، (ج259/1)، العيني، عمدة القاري(ج151/14)، الصنعاني، التنوير(ج186/7).

(7) انظر: شرح السنة للبغوي(ج158/12).

(8) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج110/6)]، صحيح لغيره.

المطلب الثاني: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة بتوحيد الأسماء والصفات

إن أشرف العلوم وأنفعها علم التوحيد، ومنه علم الأسماء والصفات؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والعلم بالرب تبارك وتعالى أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه وصفاته[1]، "يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه".[2]

وأسماء الله تعالى كلها حسنى، وصفاته صفات كمالٍ، وهي توقيفية فلا يسمى الله ولا يوصف إلا بنصٍ شرعي، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ لأن كل اسم يتضمن صفةً ولا عكس[3]، وأن النبي ﷺ دعا للإيمان بها، وأثبتها بالمعنى ومفهومه من غير لبسٍ أو إبهام، ولم يتكَلَّف أو يُكلِّف أحداً معرفتها على حقيقتها، والأمثلة في السنة على ذلك كثيرة، منها:

أولاً: في أسماء الله تعالى الحسنى

قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[الأعراف:180]

أي: ولله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى، الدالة على كماله وعظمته، وكل أسمائه حسنى، فاطلبوا منه ما تريدون متوسلين بأسمائه، واتركوا منهج من مال عن الحق في أسمائه فغير، وهم أصناف: فمنهم من ألحد في أسماء الله تعالى بأن أطلقها على آلهته التي يعبدها من دون الله، أو أطلقها على بعض الناس بغير حق، ومنهم من ألحد بتسمية الله بما لا يليق بجلاله، كالنصارى الذين سموه أباً، والفلاسفة الذين سموه بالعلة الفاعلة، واليهود الذين زعموا فقره واستراحته بعد خلقه للخلق، ومنهم من ألحد بأن زعم أنها مجرد ألفاظٍ لا تتضمن صفاتٍ، فأنكر حقيقتها بذلك، فأصبح يزعم أنه سميعٌ بلا سمع وهكذا في كل اسمٍ، وهناك إلحادٌ بتشبيه الخالق بخلقه، وأهل السنة والحمد لله ليسوا على شيءٍ مما سبق من الإلحاد، بل هم على الحق في توحيد الأسماء والصفات؛ لأنهم أخذوا عقيدتهم من نبيهم ﷺ، فصحت بذلك، واستقام منهجهم.[4]

---

(1) انظر: ابن العربي، أحكام القرآن(ج338/2).

(2) السقاف، صفات الله(ص11).

(3) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم(ص172).

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج328/7)، وبدائع الفوائد لابن القيم(ج179/1)، الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص171)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص174).

ومما صحح النبي ﷺ به العقيدة في توحيد الأسماء:

1. التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحُسْنى كما أمر سبحانه

حيث قال ﷺ:{اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ...اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ}.(1)

أثبت النبي ﷺ لله تعالى بهذا التوسل اسم الأول واسم الآخر، فأفاد أن لكل شيءٍ في الوجود أولٌ وآخرٌ، لكن الله تعالى أوليَّته سابقة لكل شيء، وآخريَّته ثابتة بعد أوليته، وهي بقاؤه بعد كلِّ شيءٍ، فهو ربُّ كل شيءٍ ومليكه.(2)

2. إزالة الإلحاد عن كُنى وأسماء العباد

عن هانئ بن يزيد،:"أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ فَسَمِعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وهم يكنونه بِأَبِي الْحَكَمِ فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تَكَنَّيْتَ بِأَبِي الحكم؟}، قال:"لا، لكن قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. قَالَ:{مَا أَحْسَنَ هَذَا!}، ثم قال:{مالك من الولد؟}، قُلْتُ:"لِي شُرَيْحٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَمُسْلِمٌ؛ بَنُو هَانِئٍ"، قَالَ:{فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟} قُلْتُ:" شُرَيْحٌ"، قَالَ: {فَأَنْتَ أبو شريح}، "ودعا له ولولده، وسمع النَّبِيَّ ﷺ قَوْمًا يُسَمُّونَ رَجُلًا مِنْهُمْ: عَبْدَ الْحَجَرِ"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{مَا اسْمُكَ؟ } قَالَ: "عَبْدُ الْحَجَرِ"، قَالَ:{لَا. أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ}.(3)

3. بيان ما هو وصفٌ واجبٌ لله وما هو واجبٌ على العبد من خلال بيان أفضل الأسماء

قال النَّبِيِّ ﷺ {أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ}.(4)

لعل الحكمة في اقتصار النبي ﷺ على هذين الاسمين أنهما ذكرا في القرآن الكريم ولم تكن فيه تسمية بالإضافة إلا بهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ...**﴾ [الجن:19]، وقوله ﷻ:﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...**﴾[الفرقان:63]، لكنه يلحق بهما ما كان مثلهما كعبد الرحيم وعبد الملك ونحو ذلك، وكانت التسمية بمثل هذه الأسماء أحب إلى الله؛ لأنها تضمنت ما هو وصف وواجب لله وهو الأُلوهية، وما هو وصف للإنسان وواجب له؛ وهو العبودية، ثم أضيف العبد إلى

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الذكر/ ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، 2084/4: حديث رقم2713.

(2) انظر: ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين.

(3) الألباني، صحيح الأدب المفرد للبخاري (ص301)، صحيح.

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، الأدب/ ما جاء ما يستحب من الأسماء، 520/4: حديث رقم 2833]، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة برقم(ج904)،(ج572/2):"صحيح".

الرب إضافة حقيقية، فصدقت أفراد هذه الأسماء وشرفت بهذا التركيب فحصلت لها هذه الفضيلة.[1]

4. التبرك والتعبد بذكر الله تعالى وأسمائه عند كتابة العهود، وبدء كل عمل

ومن ذلك: ما كان من أمر النبي ﷺ لعلي ؓ؛ وكان كاتبُ العهد بينه وبين قريشٍ أن يكتب البسملة أول الكتاب، حيث قال: {اكْتُبْ الشَّرْطَ بَيْنَنَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ}[2]، وكانت هذه سُنَّته ﷺ عند إرساله الكتب للملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام[3]، منتهجاً في هذا منهج القرآن الكريم، حيث أن أوَّل آية في سورته الأولى سورة الفاتحة تبدأ بالبسملة[4]، ومفتاح القراءة لكل سورة من القرآن كله سوى براءة.[5]

ثم أصبح بعد تصدير الكتب بالبسملة سُنَّة انتهجتها الأمة حتى يومنا هذا، من ذلك أن أصحاب كتب السُنَّة يبدؤون بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم عند كتابة تراجم كتبهم وأبوابها في مؤلفاتهم، كصحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرها من كتب السُنَّة النبوية.

ثانياً: صفات الباري تبارك وتعالى

منهج أهل السُنَّة والجماعة في توحيد أسماء الرَّبِ ﷻ وصفاته الواردة في الكتاب والسُنَّة هو الإقرار بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، بلا تكييف ولا تعطيل ولا تأويل، مع نفي مشابهة الله بخلقه، وأنه تعالى: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:**11**]، وهذا ما ورثوه عن النبي ﷺ الذي تعبد الله به، ودعا إليه، وعلمه أصحابه.[6]

---

(1) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج123/8)، بتصرف.

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ صلح الحديبية في الحديبية، 1409/3: حديث رقم1783.

(3) انظر: النووي، المنهاج(ج107/12)، ابن حجر، فتح الباري(ج220/8).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج102/1).

(5) انظر: [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة، عند التبويب بقول: "باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة"(ج299/1)، والنووي، المنهاج(ج113/4).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج198/5)، و(ج515/6)، و(ج479/11).

ومن أمثلة ذلك:

1. إثبات صفة الحياة

أثبت الله تعالى لنفسه الحياة فقال الله تعالى:﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾[آل عمران:2]، وقال ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:58]

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ"، قال:{يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ}.[1]

"ومعنى الحي: الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية، التي لا يلحقها موتٌ ولا فناء، لأنها ذاتية له سبحانه، وكما أنَّ قيوميته مستلزمة لسائر صفات الكمال الفعلية؛ فكذلك حياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعزة والكبرياء والعظمة ونحوها".[2]

2. إثبات صفة الوجه

أثبت الله تعالى لنفسه صفة الوجه في آياتٍ عدةٍ في كتابه، منها قوله ﷻ:﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد:22]

وأثبت النبي ﷺ لربه ﷻ صفة الوجه في أحاديث كثيرة، منها قوله: {إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ}.[3]

وقوله ﷺ:{جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ}.[4]

---

(1) [الترمذي:سنن الترمذي، الدعوات،باب "ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث"،497/5: حديث رقم3524]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(4777)،(ج868/2):"حسن".

(2) هراس، شرح القصيدة النونية (ج112/2).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/ المساجد في البيوت، 93/1: حديث رقم 426].

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان،باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ،163/1:حديث رقم180].

قوله ﷺ:{رِدَاءُ الْكِبْرِيَاء عَلَى وَجْهِهِ}، أي: صفة كبريائه تعالى التي هي من لوازم ذاته العلية، وقوله ﷺ:{جَنَّةِ عَدْنٍ}، أي: دار الإقامة والثبات الدائم في نعيم الجنة، والمراد: أن نظر أهل جنة عدن لا يدوم؛ لمانع النقصان في أبصار العباد، وعظمة الخالق سبحانه، حتى يمن عليهم بالنظر لوجهه في حينٍ دون حين، والحديث يفيد إثبات صفة الوجه لله تعالى الذي ليس كمثله شيء، كما يدل على أن أعظم نعيمٍ في الجنة هو النظر لوجه الله تعالى.(1)

قال ابن خزيمة رحمه الله(2):"نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر؛ مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين".(3)

3. إثبات صفة الكلام

أثبت النبي ﷺ صفة الكلام لله تبارك وتعالى، فالله تعالى يتكلَّمُ بحرف وصوت، لا كأصوات المخلوقين، فهو ﷻ ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ...﴾[الشُّورى:11]، والقرآن كلامه ﷻ وليس مخلوقاً، وهذا هو الصواب الذي عليه سلف الأمة، وجاءت به الأحاديث الصحاح(4)، ومما جاء في أن الكلام بحرفٍ؛ فما رواه ابن مسعودٍ ؓ عن النبي ﷺ قال:{مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ}.(5)

وأما الكلام بصوت فدليله؛ قوله ﷻ لموسى ؑ:﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى(13) إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(14)﴾[طه].

---

(1) انظر: تحفة البرار للبيضاوي(ج421/3)، محمد بن موسى، مشارق الأنوار(ج68/4).

(2) هو الحافظ إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري(ج223هـ:311هـ)، شيخ الإسلام محيي السنة، جامع عقيدة السلف، كان شجاعاً في قول الحق وسداً منيعاً في وجوه الرافضة والمبتدعة. انظر: المغراوي، موسوعة مواقف السلف(ج22/5).

(3) ابن خزيمة، كتاب التوحيد(ص18).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد، ترجمة باب قول الله تعالى:{ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...}،(ج141/9)]، والبخاري، خلق أفعال العباد(ص98)، وابن تيمية، درء التعارض(ج93/2)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج243/12).

(5) [الترمذي: سنن الترمذي، فضائل القرآن عن رسول اللهﷺ، ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، 33/5: حديث رقم 2910]، وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة برقم(3327)،(ج970/7).

ومما جاء في الكلام بالجملة ما يرويه النبي ﷺ عن ربِّ العزة يوم القيامة:{يَقُولُ اللَّهُ يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ}.(1)

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: إن نبي الله ﷺ قال:{إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا﴿ ... فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا – لِلَّذِي قَالَ– الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾} [سبأ:23].(2)

4. إثبات صفة السمع والبصر

عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ: "يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا– إلى قوله تعالى– سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[النساء: **58**]، رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَضَعُ إبهامَه على أُذُنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَقرؤُها ويضع إصبعيه".(3)

"والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله ﷻ بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا، لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، كما يقال: قبض فلان على مال فلان، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب؛ لأنه محل العلوم منا"(4)، وأن سمعه وبصره من الصفات الثابتة على ما يليق بجلاله، من غير تمثيل ولا تعطيل، وينبغي أن يُعلم هنا؛ أن الإشارة إلى صفات المخلوقين عند ذكر صفات الرب تعالى لا تكون إلا فيما أشار إليه النبي ﷺ فقط.

5. إثبات صفة العلو

العلو شرعاً: هو أن الله تعالى مستوٍ على عرشه، فوق جميع خلقه، بائن منهم، يرى أعمالهم وأحوالهم، ويعلم سرهم وجهرهم لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، الجليل منها والدقيق.(5)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...}، 141/9: حديث رقم 7483].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/{حتى إذا فزع عن قلوبهم}، 6/ 122: حديث رقم6800].

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، السُنَّة/ في الجهمية، 110/7: حديث رقم4728]، إسناده صحيح.

(4) البيهقي، الأسماء والصفات (ج462/1).

(5) انظر: السَّقَّاف، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص257).

وقد أثبت الله تعالى لنفسه علوه في كتابه، فقال ﷻ:﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5]
وقال ﷻ:﴿ ...لله العِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ... ﴾[فاطر:10]

كما أثبت النبي ﷺ لربه تبارك وتعالى صفة العلو من غير إبهامٍ وتأويلٍ، مستثمراً أحياناً بعض المواقف، فمن ذلك: عندما جاءه رجلٌ من أصحابه يسأله عن جواز عتق جاريته، فسألها النبي ﷺ بقوله:{أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ}.[1]

ولما طلب يهود قريظة حُكْمَ سعد بن معاذ ﷺ بينهم وبين النبي ﷺ، وقضى سعدٌ قضاءه، قال له النبي ﷺ :{حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ}.[2]

6. إثبات صفة النزول

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الرب سبحانه إذا وصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج...لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر"[3]، بل هو نزولٌ حقيقيٌ، نفهمه من حيث معناه، ونجهل كيفيته، ونؤمن أنه يكون على ما يليق بجلال ربنا تبارك وتعالى، "وأحاديث نزول الباري تعالى متواترة، تفيد القطع"[4]منها: ما ذكره أبو هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال:{يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ}.[5]

أفاد الحديث إثبات صفة النزول للرب تبارك وتعالى، وقد ورد في القرآن ما يصدقه، كما أفاد دوام نزول الرب في كل ليلة، والنبي ﷺ قال: "يَنْزِلُ رَبُّنَا"، ولم يقل كيف ينزل، ولم تكلفنا أدلة الشرع معرفة كيفية النزول؛ لأنه أمرٌ وإن فهمنا معناه لكننا لا نعقل كيفيته، فالله

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة/ تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، 381/1: حديث رقم537].

(2) [النسائي:السنن الكبرى، القضاء،باب إذا نزل قوم على حكم رجل فحكم فيهم وفي ذراريهم،403/5: حديث رقم 5906]، صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة المختصرة للألباني، برقم(ج2745)،(ج248/6)].

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج350/17).

(4) الذهبي، العلو للعلي الغفار (ص91).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، التهجد/ الدعاء في الصلاة من آخر الليل، 53/2: حديث رقم1145].

تعالى﴿ ...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾، والإيمان بصفة النزول وغيرها من الصفات واجبٌ على هذه الكيفية.[1]

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة بتوحيد الألوهية

المراد بتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا معبود بحق إلا الله، وهو المراد بقول: "لا إله إلا الله"، وهذا التوحيد فيه إجمالٌ وتفصيل، وقد دعا النبي ﷺ لتصحيح العقيدة بتوحيد الألوهية إجمالاً وتفصيلاً.

أولاً: دعا النبي ﷺ لتصحيح العقيدة بتوحيد الألوهية إجمالاً؛ بأن أمر الناس بقوله:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا}[2]، ولما أرسل معاذاً ﷺ إلى أهل اليمن، قال له:{ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّه}[3]، وفي رواية:{فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى– وهذه دعوة للتوحيد مجملاً، ثم رتب عليها دعوة التوحيد مفصلاً إن أطاعوه في دعوته للتوحيد مجملاً، بقوله: – فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ}.[4]

المراد بالعبادة في الرواية الأولى من حديث معاذ ﷺ: هو توحيد الله تعالى، ونفي الألوهية عن غيره، والمراد بالتوحيد في روايته الثانية: هو الإقرار بالشهادتين، والمراد بالمعرفة في قوله :"عَرَفُوا ذَلِكَ"، أي أقروا وأطاعوا، فمن أتى بهذا من الكفار حكم بإسلامه، وقد تكررت دعوة النبي ﷺ إلى تصحيح العقيدة بطلب الإقرار بالشهادتين، وقبولهما ممن نطق بهما[5]، لأنهما "أصلٌ لا يصح شيءٌ من فروعه إلا به"[6]، وهذا هو المراد بالدعوة إلى تصحيح العقيدة إجمالاً.

---

(1) انظر: الدارمي، الرد على الجهمية (ص93)، العيني، عمدة القاري(ج199/7).

(2) حديثٌ صحيح، سبق تخريجه (ص9).

(3)[البخاري:صحيح البخاري، الزكاة/ لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة،119/2:حديث رقم1458].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، 114/9: حديث رقم7372)].

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج354/13)، العيني، عمدة القاري(ج25/9).

(6) ابن الملقن، التوضيح (ج221/10).

ثانياً: الدعوة لتصحيح العقيدة بتوحيد الألوهية تفصيلاً

من منهج النبي ﷺ لتصحيح العقيدة بتوحيد الألوهية تفصيلاً:

1- بيان أن الإيمان نيةٌ وقولٌ وعملٌ

منهج النبي ﷺ الذي انتهجه السلف في بيان مفهوم الإيمان وأركانه أنه" تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح ... دل على ذلك القرآن، والسنة"[(1)]، ولا فرق بين قولهم هذا، وقول من قال منهم أن الإيمان: قول وعمل، لأنهم أرادوا بقولهم "قول": الجمع بين اعتقاد القلب، ونطق اللسان، ومن فرط في أحد هذه الأركان فقد اختل إيمانه.[(2)]

ومن أدلة هذا التقسيم:

أ- التصديق بالقلب

قال النبي ﷺ: {يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ}.[(3)]

المراد بقوله: {مِنْ خَيْرٍ}، هو ما يُقرِّبُ العبد من ربه، والمقصود به هنا الإيمان[(4)]، والخروج من النار لهؤلاء الناس يكون بعد استيفاء العقوبة على ذنوبهم، لاعتقادهم معنى كلمة التوحيد بقلوبهم[(5)]، قال ابن حجر رحمه الله: "المراد بالقول هنا القول النفسي، فالمعنى من أقر بالتوحيد وصدق، فالإقرار لا بد منه، فلهذا أعاده في كل مرة، والتفاوت يحصل في التصديق على الوجه المتقدم، فإن قيل فكيف لم يذكر الرسالة؛ فالجواب أن المراد المجموع، وصار الجزء الأول علما عليه، كما تقول: قرأت قل هو الله أحد، أي: السورة كلها".[(6)]

---

(1) الآجري، كتاب الشريعة (ج611/2).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج170/7).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ زيادة الإيمان ونقصانه، 17/1: حديث رقم44].

(4) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج124/3)، العيني، عمدة القاري(ج260/1).

(5) انظر: قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (ج129/1).

(6) ابن حجر، فتح الباري (ج104/1).

ب- الإقرار باللسان

الإقرار باللسان: هو ما يقوم به اللسان يجري عليه من ذكر الله تعالى وتعظيمه، والصلاة على نبيهﷺ، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(**41**)وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(**42**)﴾ [الأحزاب]، وقال النبي ﷺ:{أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ}.[1]

وقال ﷺ:{أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟} " قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟"، قَالَ:{ذِكْرُ اللَّهِ}.[2]

ت- عمل الجوارح

من أدلة الإيمان الذي فُرِض على الجوارح تصديقاً بما آمن به القلب، ونطق به اللسان، قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:77]،...فمن لم يصدق إيمانه بعمل جوارحه مثل: الطهارة، والصلاة والزكاة، والصيام والحج والجهاد وغيرها من الأعمال؛ كان تركه للعمل بها تكذيباً منه لإيمانه، وفي المقابل عمله إذا عمل بها كان ذلك تصديقاً منه لإيمانه، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يبين للناس كيفية الإيمان بعمل الجوارح ببيان هذه العبادات وأحكامها، فقال ﷻ:﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:44][3]، فكان من بيانه قوله ﷺ:{صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي}[4]، وتحذيره من تركها بقوله ﷺ:{إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ}[5]، وقد أجمع الصحابة ﷺ على قتال الممتنع عن الصلاة[6]، وهذا يفيد اختلال ركن العمل في الإيمان عند من ترك الصلاة.

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الآدب/ كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه، 1685/3: حديث رقم2137].

(2) [ابن ماجة: سنن ابن ماجه، أبواب الأدب/ فضل الذكر، 706/4: حديث رقم3791]،حديث صحيح.

(3) انظر: الآجري، الشريعة (ج613/2).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب، باب رحمة الناس والبهائم،9/8:حديث رقم 6008].

(5)[مسلم:صحيح مسلم، الإيمان،باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة،88/1:حديث رقم82].

(6) انظر: النووي، المنهاج(ج302/1).

2- بيان أسباب قَبول العمل

قال الله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110]

بيَّن الله تعالى في هذه الآية ركنا العمل المقبول، وهما:﴿ ...عَمَلًا صَالِحًا...﴾، أي: موافقاً لشرعة الله الذي جاء به وعلَّمَهُ للناس نبيه محمد ﷺ، وهذا مؤيدٌ بما سبق ذكره أنفاً من تعليمه الصلاة وبيانه لكيفيتها، وينسحب ذلك على سائر أمور الدين[1]، حيث قال ﷺ:{مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ}.[2]

قال النووي رحمه الله: "هذا الحديث قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات...و... دليلٌ لمن يقول من الأصوليين: أن النهي يقتضي الفساد".[3]

وقوله تعالى:﴿ ...وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا...﴾، أي: عملاً خالصاً لله تعالى يراد به وجهه، لا للرياء والسمعة، وهو ما أكده النبي ﷺ عند ما جاءه فقال: "أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {لَا شَيْءَ لَهُ}،"فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ" يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{لَا شَيْءَ لَهُ}، ثُمَّ قَالَ:{إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ}.[4]

أفاد الحديث: أن من خرج للجهاد، وأراد بخروجه الجمع بين ثواب الله تعالى ومدح الناس له؛ فقد بطل عمله وضاع ثوابه، وأن هذا الحكم لا يقتصر على الخروج للجهاد فقط؛ بل ينسحب على كل عمل يخالطه الرياء الذي يندرج تحت الشرك الأصغر.[5]

3- بيان أسباب الانحراف العقدي

يعود الانحراف العقدي الذي يقع فيه المسلمون إلا من رحم الله قديماً وحديثاً لأسبابٍ، منها:

---

(1) انظر: ابن القيم، كتاب الفوائد (ص88).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الأقضية/ نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، 1343/3: حديث رقم1718].

(3) النووي، المنهاج (ج16/12).

(4) [النسائي: السنن الكبرى، الجهاد/ من غزا يلتمس الأجر والذكر، 286/4: حديث رقم4333]، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة برقم(52)،(ج118/1):"صحيح".

(5) انظر: المناوي، التيسير (ج536/1)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(264/2).

أ- التشبه بالكفار

حذر النبي ﷺ من اتباع سُبل الأمم الضالة، فقال:{لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ}.[1]

قوله ﷺ: "سَنَنَ" أي: طُرق، وذكره الشبر والذراع وجحر الضب: هو من باب التمثيل على شدة موافقتهم في المعاصي والمخالفات الشرعية، والضب حيوان بري يشبه الورن، وخصَّ جحره لضيقه ورداءته[2]، وهذا إخبارٌ من النبي ﷺ باتباع بعض أمته للبدع والأهواء المُضِلَّة؛ بموافقتهم للأمم الضالة قبلهم، حتى يتغير الدِّين عند كثيرٍ من المسلمين، ولا يبقى الحق إلا في قلةٍ وخاصةٍ من الأمة يثبتون على دينهم، لا يضرهم من عاداهم لقيامهم على المنهج الصحيح[3]، وليس المراد بالحديث الاستسلام للواقع والقبول به؛ بل التحذير من ذلك والحرص على التمسك بالدين.[4]

ومن مظاهر التشبه بأهل الكتاب في الأمة:

- الاحتفال بالمولد النبوي، وهو من عادات النصارى الذين يحتفلون بميلاد عيسى عليه السلام، وقد غيروا دينه[5]، وحلق الذِّكر الصوفية[6]، وأناشيدها التي تشبه ترانيم رهبان النصارى.
- والبناء على القبور، مع أنه منهيٌ عنه[7]، وقد أصبح ظاهراً في مجتمعنا؛ حيث يرفع بعض الناس قبور ذويهم من الشهداء وغيرهم بالرخام ونحوه بما يكلف الكثير من المال، بزعم تقدير الميت، ويا ليتهم أنفقوا المال في وجوه الخير المشروعة عن أولئك الأموات لكان خيراً لهم.
- ومن مظاهر إتباع أهل الكتاب أيضاً؛ ما نراه من بعض أبناء المسلمين في زماننا من تقليد

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ قول النبي ﷺ:{لتتبعن سنن من كان قبلكم}، 103/9: حديث رقم7320].

(2) انظر: النووي، المنهاج(ج219/16)، ابن حجر، فتح الباري(ج498/6)، و(ج301/13)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج422/5).

(3) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج366/10)، وابن الملقن، التوضيح (ج94/33).

(4) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج492/3).

(5) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ص294).

(6) انظر: الفوزان، الإرشاد(ص398).

(7) انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان(ص362،210).

أهل الكتاب في قصات شعر الرأس، واللباس الضيق للشباب والنساء، والحديث عن إعجابهم بحياة المجتمع الغربي وأحكام تشريعاتهم الوضعية الوضيعة، والأدهى من ذلك ما يجري من تطبيقها في بلاد المسلمين، وما علم أولئك المعجبون بأهل الكتاب أن مظاهرهم زائفة لم يسعدوا بها، وأنهم ملُّوا تلك المظاهر، ويبحثون دائماً دائبين عن الطمأنينة والاستقرار النفسي، وما علموا أنه في دين الله تعالى القائل:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:82]

ب- الغلو في الصالحين

نهى النبي ﷺ عن الخروج عن نصوص الشرع في مدحه، فقال ﷺ:{لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ}.(1)

الإطراء: هو الإفراط في المدح الباطل، وإطراء النصارى لعيسى عليه السلام أن زعموا أُلوهيته، وغيرها من أباطيلهم، وقول النبي ﷺ هذا لخوفه عليهم من الفتنة بالإفراط في تعظيمه، فأراد أن يعلمهم ويحذرهم، ويبين أن تعظيمه يكون بطاعته واتباعه، ولزوم ذلك في كل حال، ومن ذلك وصفه وتشريفه بما شرع الله تعالى من ألفاظٍ في مدحه والثناء عليه.(2)

وفي هذا توجيهٌ للأُمة ببيان حق النبي ﷺ عليهم، وواجبهم نحوه، كما فيه ردٌ على الصوفية الذين جعلوا الذكر والعبادة بالضرب على الدفوف والغناء في مدح النبي ﷺ وحُبَّه بزعمهم.

ويدخل في هذا الباب أيضاً توقير العلماء، فلا يزاد فيه على فهم السلف الذين تعلموا الأدب من النبي ﷺ، وكيفية توقير الناس وإنزالهم منازلهم، فمن الناس من يوالي و يعادي في شيخه أو مذهبه أو جماعته بغير مستندٍ شرعي، بل قد يكون رأيه على خلاف النص بغير لبسٍ، والأصل في هذا الباب قد عين الحق فيه الإمام مالك بن أنس رحمه الله إذ قال:" كل الناس يؤخذ منه ويؤخذ عليه إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ".(3)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ قول الله:{واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، 167/4: حديث رقم3445].

(2) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج401/28)، ابن حجر، فتح الباري(ج79/1)،و(ج490/6)،و(ج53/11)، و(ج155/12)، العيني، عمدة القاري(ج37/16)، والصواعق المرسلة الشهابية لابن سحمان(ج30/1).

(3) المغراوي، موسوعة مواقف السلف(ج416/9).

ت- سوء الفهم عن الله ورسوله

عن ابن مسعود ﷺ "لَمَّا نَزَلَتْ﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ [الأنعام:82]، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ"، قَالَ:{لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ:﴿ ...لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ؟:﴿ ...يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:13]}.[1]

لما وقع فهم الصحابة ﷺ بأن المراد في الآية الظلم على إطلاقه، وهو وضع الشيء في غير موضعه، بظلم النفس بارتكاب المعاصي والاعتداء على حقوق الناس، فأشفقوا من ذلك، لأن ورود الظلم في الآية كان دون قرينة أو بيان يصرفه عن ظاهره إلى بعض محتملاته، وأن مسائل الشرع التي تقْصُر عنها الأفهام وتحتاج إلى بيانٍ ترد إلى الوحي، خاصةً مسائل الاعتقاد؛ لأنها لا تدرك بالعقل، بين لهم النبي ﷺ مراد ربه ﷻ ليزيل عنهم اللبس ويحفظهم من سوء الفهم[2]، لأن سوء الفهم وعدم الفقه عن الله تعالى ورسوله ﷺ أصل كل منكرٍ وضلالةٍ نشأت في الإسلام، فبه اسْتَحَلَّ بعض الناس المنكرات، فشربوا الخمر بتسميته بغير اسمه، أو مزجه بما يخرجه عن اسمه بزعمهم، واستُحل سُحْتُ الرَّشوة باسم الهدية، وقيل بتعارض الكتاب والسنة، وظهر التعصب للرأي والمذهب والتقليد الأعمى، وفسد التوكل على الله تعالى والثقة بنصر دينه وعباده بظن بعض أبناء الأمة أن أهل الإسلام في الدنيا يكونون أذلاء مغلوبين دائماً، وهُجِر فهم الصحابة ﷺ ومن تبعهم عن الله ورسوله؛ فكانت فتنة الخوارج والمتكلمة وغيرهم، ممن نشر الضلال وأجاز الشرك والإلحاد باسم الدين وزعم حفظ المعتقد.[3]

لذلك ينبغي على طلبة العلم أن لا يستعجلوا المبادرة بالدعوة إلى الله تعالى قبل إتمام الطلب، ونيل التزكية من أهل العلم والاختصاص، وعدم التصدُّر للمسائل العظام وردها للعلماء، مع بيان أمور الدين بطريقةٍ تناسب أفهام المدعوين، فمراعاة أفهام الناس من منهج النبي ﷺ، فقد أقرَّ مثل ذلك من سائلٍ قال له:" قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ:{قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ}.[4]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ قول الله تعالى:{واتخذ الله إبراهيم خليلا}، 141/4: حديث رقم3360]

(2) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج418/1)، وابن الملقن، التوضيح (ج383/19)، ابن حجر، فتح الباري(ج88/1).

(3) انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين(ج116/3)، لابن القيم، إغاثة اللهفان (ج183/2)، كتاب الروح لابن القيم،(ص150،138،63)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص400).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ جامع أوصاف الإسلام، 65/1: حديث رقم38].

كما ينبغي على عامة المسلمين تعلم ما لا يمكن للمسلم جهله من أمور دينهم[1]، وقد قال النبي ﷺ:{طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ}[2]، والسؤال عما غمض عليهم من أمور دينهم، لقول النبي ﷺ:{شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ}[3]، والمراد بالْعِيِّ: هو الجهل بالأمر وعدم الاهتداء إلى معرفته[4]

وعدم إفتاء أنفسهم أو غيرهم من المسلمين بغير علم لحرمة ذلك.

ث- اتباع الهوى

تعريف الهوى لغةً: هو ميل النفس للشيء، ويكون في الخير والشر.[5]

تعريف الهوى شرعاً: هو ميل النفس بطبعها إلى ما يناسبها وما تهواه، وهو فطرة في الإنسان[6]،"وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقًا، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه".[7]

والمقصود هنا هو الهوى المذموم الذي يكون لغير الحق، وهو ينقسم إلى قسمين

القسم الأول: الهوى الذي يكون باتباع الشهوات، وحكمه أنه يفسق فاعله.

القسم الثاني: الذي يكون للابتداع في الدين، وهو الأخطر والأعظم شراً.[8]

والمراد منهما هنا الثاني: وهو ميل النفس باتباع هواها المذموم الذي يهوي بصاحبه، فيؤدي إلى حدوث البدع والمخترعات في الدِّين، فالله تعالى لم يذكر الهوى في كتابه إلا ذمه، وكذلك النبي ﷺ إلا ما قيده[9]، فلم تنشأ البدع بين المسلمين إلا لما ظهر بينهم من يقدم هواه على أدلة الشرع، ولم يأخذها مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها ثم العمل بتوجيهها، بل جعل

---

(1) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج442/1).

(2)[الطبراني، المعجم الأوسط(ج245/4)]،صحيح.انظر:صحيح الجامع للألباني برقم(3913)،(ج727/2).

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج173/5)]، حديثٌ حسن.

(4) انظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث (ج287/1).

(5) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج1001/2).

(6) انظر: ابن الجوزي، ذم الهوى (ص12)، ابن القيم، روضة المحبين (ص469).

(7) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (ص390).

(8) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج132/28).

(9) انظر: ابن القيم، روضة المحبين (ص469).

أولئك النظر للأدلة من وراء قواعد وأصول هواهم، فإن وافقت الأدلة هواهم استعانوا بها دون جعلها أصلاً، وإن خالفت هواهم ردوها بالتأويل أو التضعيف.[1]

وقد حذر النبي ﷺ من اتباع الهوى في أحاديث عدة، منها: قوله ﷺ{ إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى}.[2]

بين هذا الحديث أن فتنة الهوى تفتح أبواب الغي والبدع على المسلمين، فيتفرقون ويصبحون شيعاً وأحزاباً، يتحاسدون ويتباغضون ويتقاطعون، بعد أن يكونوا على قلب رجل واحد، فلا ينجوا منهم إلا أصحاب المنهج النبوي الغرباء[3]، وقد أكد النبي ﷺ حدوث ما حذر منه في هذا الحديث فقال ﷺ:{وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ، وَاللهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ}.[4]

المراد بالْكَلْبُ: هو مرض يصيب الكلاب، فيصبح كمجنون، فلا يعض أحداً إلا حدثت له أحوال مرضية غريبة شديدةٌ مميتة، والمراد: أن البدع ستدخل وستسري في الأمة بسبب اتباع الهوى كما يدخل داء الكَلْب ويسري في صاحبه فيفتك به.[5]

وقد حذر الله تعالى نبيه عليه السلام من شر هوى أعدائه وفتنته، فقال جل جلاله:﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ...﴾[المائدة:49]، وبيَّن تعالى أن من أسباب مخالفة النبي ﷺ وعصيانه اتباع الهوى، فقال تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ...﴾[القصص:50]، وقال تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ...﴾[الجاثية:23]، الاستفهام في الآية للتعجب ممن جعل هواه إلهه يعبده، بأن يتخذ ما يستحسنه وينقاد إليه[6]، وهذا يشبه من يرد حكم الشرع، ويفضل أحكام البشر؛ لأنها تناسب هواه، ومن أمثلة ذلك بين المسلمين أكل حقوق النساء في الميراث، بحججٍ منها: أن العُرفَ عند أهل بلدهم لا يورث

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج142/13)، الشاطبي، الاعتصام (ج683/2)، ابن رجب، وجامع العلوم والحكم (ص390).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج18/33)]، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(3) انظر: المغراوي، موسوعة مواقف السلف (ج50/9)، وما بعدها.

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج135/28)]، إسناده حسن.

(5) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج1806/9).

(6) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج166/16).

النساء، أو أنهم يرون أن ميراث النساء يضيع مالهم، ويدخل الغريب بينهم، ونحو ذلك مما يُحَكَّمُ به الهوى من دون الله تعالى.

وقد كان من هدي النبي ﷺ وتحذيره من فتنة الهوى، دعاؤه:{اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ}.(1)

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات/ دعاء أم سلمة، 544/5: حديث رقم3591]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(1298)، (ج278/1):"صحيح".

المبحث الثاني

المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الشعائر التعبدية

أمر الله تعالى عباده بالعمل بمقتضى إيمانهم، وذلك بالقيام بالشعائر التعبدية حتى يكتمل إيمانهم الفطري والعملي وتصح عقيدتهم ظاهراً وباطناً(1)، فقال ﷻ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ...﴾ [النساء:**136**]

والمتتبع لهذه الشعائر يجد أنها تقوم على إفراد الله بالعبادة، فيبقى العبد متصلاً بقلبه ولسانه وجوارحه بربه ﷻ فيثبت على دينه حتى يلقاه، ويدعو إلى توحيد الله من خلال ذلك، وهذا هو منهج النبي ﷺ، وفيما يلي نقف مع ما تيسر جمعه من منهجه لتصحيح العقيدة من خلال تلك الشعائر.

المطلب الأول: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الذكر والدعاء

أولاً: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الذكر.

أ- إثبات تنزيه الرب وما يقتضي ذلك من توحيده من خلال الذكر

قال النبي ﷺ:{خُذُوا جُنَّتَكُمْ}، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ:{لَا، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ؛ قَوْلُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}.(2)

قول النبي ﷺ:{خُذُوا جُنَّتَكُمْ}، أي: خذوا ما يقيكم ويستركم، وقوله:{فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، أي: ثواب قول وتكرار هذه الكلمات المذكورة في هذا الحديث، وقوله:{مُجَنِّبَاتٍ}، أي: المتقدمات أمامكم للحماية من العذاب بالشفاعة، وقوله:{مُعَقِّبَاتٍ}، أي: أن هذه الكلمات التي يعقب بعضها بعضاً في الذكر تأتي من ورائكم ومن أمامكم يوم القيامة لحراستكم من هول ذلك اليوم لتشفع لكم، وقوله:{هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}، أي: ما يبقى من العمل لفاعله بعد فناء الدنيا يوم القيامة في الجنة.(3)

---

(1) انظر: ابن تيمية، درء التعارض(ج80/6)، السعدي، تفسير السعدي(ص209).

(2) [النسائي: السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة/ ثواب من سبح الله مائة تسبيحة وتحميدة وتكبيرة، 313/9: حديث رقم10617]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(3214)،(ج612/1):"صحيح".

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية (ج303/1)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج164/5)، المناوي، التيسير (ج1041/1) و(ج729/2)، الصنعاني، التنوير(ج469/5).

ووجه التصحيح العقدي من خلال الذكر بهذه الكلمات: هي أنها نالت شرفاً عظيماً باشتمالها على جملة أنواع الذكر من التنزيه والتحميد والتوحيد وإثبات صفات الكبرياء لله تعالى، ودلالتها على جميع المطالب الإلهية إجمالاً، فهي تبدأ بقول:{سُبْحَانَ اللهِ}، التي تفيد تنزيه الرَّبِ سبحانه وتعالى عما لا يليق به، فكانت مستحقةً للتقديم لأنها تفيد كماله ﷻ بصفات الجلال والكمال التي لا يشوبها نقص، وعطف بعدها بما يليق بذلك التنزيه من استحقاق المنزه من الثناء بقول:{الْحَمْدُ لِلَّهِ}، وعطف بعدها بما يوجب ذلك التنزيه والثناء بنفي الشركاء والأنداد والآلهة عن الله تعالى، المستحق للعبادة وحده بقول:{لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ}، وختم نظام هذا الإجلال والتعظيم بقول:{اللهُ أَكْبَرُ}، التي تفيد قهره وعلوه، وهلاك كل شيءٍ إلا وجهه، وأنه سبحانه أكبر من أن ينزه غيره ويحمد ويعبد ويعظم مثله.[1]

ب- إثبات البعث والنشور والثواب والعقاب من خلال الحث على الذكر

حث النبي ﷺ على ذكر الله تعالى وبيَّن ثوابه، ومما ذكره في ذلك قوله ﷺ:{أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى}.[2]

قوله:{خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ}، أي: أفضلها، وقوله:{أَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ}، أي: أنماها وأطهرها عند ربكم، وقوله:{وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ}، أي: أكثر الأعمال التي ترفع الدرجات في الجنة، وقوله:{الْوَرِقِ}، أي الفضة، وقوله:{فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ}، أي تقتلوهم ويقتلوكم، وقد أفاد الحديث تفاوت رتب الأعمال في الشرف، وأن الذكر أرفعها ولا يعدله شيء، وأنه يلازم كل الأعمال، وليس المراد بالذكر هو ذكر اللسان المجرد فقط؛ بل المراد به الذكر الكامل الذي اجتمع فيه حضور بالتفكر، واستحضار عظمة الله تعالى وخشيته، وأعظم ذلك الذكر هو قول : "لا إله إلا الله"[3]التي خلق الله الخلق لأجلها، وأرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب.

---

(1) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح (ج60/8)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج486/10)، والمناوي، التيسير (ج377/1)، الصنعاني، التنوير (ج270/2).

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات/ ما جاء في فضل الذكر، 389/5: حديث رقم3377]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(2629)، (ج513/1):"صحيح".

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج210/11)، والمناوي، التيسير (ج814/1)، الصنعاني، التنوير (ج382/4،381).

أما ما في الحديث من الدعوة إلى تصحيح العقيدة فهو ظاهرٌ من خلال الترغيب بذكر الله والذي أرفعه قول :"لا إله إلا الله"، حيث دأب المسلمون عند قراءة الحديث على مسامعهم في المساجد وغيرها من أماكن اجتماعهم أنهم بمجرد سماعهم قول قارئ الحديث آخر كلمة فيه {ذِكْرُ اللَّهِ} يقولون :"لا إله إلا الله"، وهذه الكلمة هي أساس العقيدة، ورأس الأمر في الإسلام، كما أنه دعا إلى تصحيح العقيدة من خلال الدعوة للإيمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب، كما حث على الإكثار من ذكر الله تعالى والمداومة عليه؛ لأن ذلك يحجب العبد عن الوقوع في الآثام، ويحفظه من كيد الشيطان الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وهذا أيضاً من الإيمان ودليلٌ على صحة الاعتقاد.

ثانياً: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الدعاء

قال القاضي عياض رحمه الله: "أذن الله في دعائه، وعلَّم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلَّم النبيُ ﷺ الدعاء لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ"[1]، ويمكن إبراز بعض ذلك من السُنَّة فيما يلي:

أ- الدعوة إلى توحيد الله تعالى والتحذير من الشرك

فِطَرُ الناس تدفعهم نحو ربهم ﷻ لدعائه، خاصةً عند الضيق وشدة الحاجة، حتى الكفار منهم[2]، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الأنعام:63]، أي يا أيها الرسول قل للمشركين: من ينقذكم من شدائد وكربات البر والبحر، تلجؤون إليه بالدعاء عندها بقلوبٍ خاضعةٍ وألسنةٍ لا تفتر عن دعائه، فإذا نجاكم وأصبحتم في حالة الرخاء دعوتم معه غيره؟!.[3]

والنبي ﷺ الذي بعثه ربه ﷻ ليصحح الاعتقاد في كل نواحيه؛ كان من منهجه استثمار المواقف لتصحيح العقيدة وبيان أحكام الشريعة وآدابها في مواطن عدة منها، أنه ﷺ سمع رجلاً يدعو، يقول:"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أُشهدك أَنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

(1) ابن علان، الفتوحات الربانية على الأذكار النووية(ج15/1).

(2) انظر: ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص96).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج8/7)، السعدي، تفسير السعدي(ص260).

يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِل بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعي بِهِ أَجَابَ}.[1]

قوله في الحديث: {اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أُشهدك}، هذا توسلٌ بالإيمان بالله تعالى، وهو توسلٌ مشروع[2]، ومعنى {الصَّمَدُ}، أي: السيد الذي يقصد في قضاء الحوائج على الدوام[3]، و{كُفُوًا}، أي: الذي لا مثيل له في أسمائه وصفاته وأفعاله[4]، واسم الله الأعظم هو{الله} كما دلت على ذلك الآثار، والتي منها هذا الحديث.[5]

ووجه التصحيح العقدي في الحديث: هو بيان فضل التوحيد وحث المسلمين على إخلاص النية لله تعالى في أعمالهم، وأن التوسل المشروع[6] يكون بمثل هذا لا بدعاء أصحاب القبور، ونحو ذلك من التوسل البدعي، كما فيه دعوة الكافر إذا سمع بالحديث بالإيمان من خلال ترغيبه ببيان ما يكون سبباً في قضاء حوائجه.

ب- الدعوة للتوحيد من خلال الصلاة على النبي ﷺ

أمر الله ﷻ عباده بالصلاة على النبي محمد ﷺ، فقال تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56]

المراد بصلاة الله تعالى في الآية: هي ثناؤه على النبي ﷺ عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء والاستغفار[7]، والعبد كلما صلى على النبي ﷺ فإنه يدعو ربه تعالى أن يثني على حبيبه وخليله ويزيد في تكريمه وتشريفه، وهذا من محابِّ الله تعالى[8]، قال ابن كثيرٍ رحمه

---

(1) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، الرقائق/ الأدعية، 174/3: حديث رقم892]، وقال الألباني في التعليقات الحسان(247/2)، حديث رقم(889):"صحيح".

(2) انظر: ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص295).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج528/8)، المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج445/9)، السعدي، تفسير السعدي (ص937).

(4) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج445/9)، السعدي، تفسير السعدي(ص937).

(5) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج161/1)، ابن القيم، مدارج السالكين(ج32/1).

(6) التوسل: هو ما شرعه الله تعالى لعباده بقصد التقرب إليه من الأعمال الواجبة والمستحبة. انظر: ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص82).

(7) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، التفسير، ترجمة باب قوله:{إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي}،(ج120/6)]، العيني، عمدة القاري(ج126/19).

(8) انظر: ابن القيم، جلاء الأفهام (ص454).

الله:" المقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً".[1]

وحُكم الصلاة على النبي ﷺ منها ما هو واجبٌ، ومنها ما هو مستحب، أما الواجب فمرة في عمر العبد امتثالاً للأمر في الآية، وواجبٌ في التشهد الأخير من الصلاة، وأما المستحب فهو من سنن الإسلام وشعار أهله مرغبٌ في الإكثار منه[2]حث عليه النبي ﷺ، وجعل منه ما هو مقيدٌ في أوقاتٍ مخصوصةٍ، ومنه ما أطلقه، أما المقيد فمثل قول النبي ﷺ:{إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا}.[3]

وأما المطلق فمثل ما رواه أُبي بن كعب ﷺ قال :"قلت يا رسول الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي"، فَقَالَ:{مَا شِئْتَ}، قَالَ: "قُلْتُ: الرُّبُعَ"، قَالَ: {مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ}، قُلْتُ: "النِّصْفَ"، قَالَ:{مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ}، قَالَ: "قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ"، قَالَ:{مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ}، قُلْتُ :"أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا"، قَالَ:{إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ}.[4]

قول أُبي ﷺ:"فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي"، المراد بالصلاة هنا الدعاء، والمقصود من قوله هذا أن له ورداً من الدعاء في يومه أو ليلته، فأراد أن يجعل جزءاً من وقت ورد الدعاء صلاة على النبي ﷺ، فحثه النبي عليه السلام على الزيادة من الصلاة عليه في ورده ذلك حتى قال أبيٌ ﷺ:"أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا"، أي كل وقت ورد الدعاء يجعله صلاة على النبي ﷺ، فبدلاً من أن ينشغل مثلاً بطلب الرزق والعافية وكل خيرٍ في الدنيا، وطلب المغفرة وسؤال الجنة من أمور الآخرة، فإنه يستبدل ذلك بالصلاة على النبي ﷺ، فأخبره النبي ﷺ عن جزاء ذلك بقوله:{إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ}، أي: أن الله يكفيه ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة، لأنه كلما صلى على النبي ﷺ مرة صلى عليه الله بها عشراً، ثم إن المسلم إذا دعا لأخيه المسلم فإن

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج457/6).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج469/6،460).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة/ استحباب القول مثل قول المؤذن، 288/1: حديث رقم384].

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، صفة القيامة/ ما جاء في صفة أواني الحوض، 245/4: حديث رقم2457]، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم(ج1670)،(ج137/2):"حسنٌ صحيح".

الملائكة تقول:{آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ}[1]، فإن كان هذا في حق آحاد المسلمين، فكيف إذا كان في حق من كان أولى بذلك؛ وهو النبي ﷺ.[2]

ووجه التصحيح العقدي من خلال الصلاة على النبي ﷺ أنها متضمنة لأُصول الإيمان، قال ابن القيم رحمه الله :"إنها متضمنة لذكر الله تعالى وشكره ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله، فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته على ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله...فهي متضمنة لكل الإيمان، بل هي متضمنة للإقرار بوجوب الرب المدعو، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وحياته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان، فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك وتصديقه به ومحبته له فكانت من أفضل الأعمال".[3]

المطلب الثاني: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الصلاة وبناء المساجد

أولاً: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الصلاة

الصلاة ركنٌ من أركان الإسلام، وهي مفروضة على العبد في أوقاتٍ محددةٍ تقام فيها، لا تصح إلا بذلك[4]، قال الله تعالى:﴿ ...إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء:103]

والصلاة من شعائر الإسلام التي تدل على صحة العقيدة وتوحيد الله تعالى، لذلك كان من منهج النبي ﷺ الاهتمام بها لتصحيح العقيدة وتوحيد الخالق ﷻ من خلال شعائرها، ومن ذلك:

أ- أن الصلاة لها نداء، وهو الأذان يعرف من خلاله دخول وقتها، ويدعى الناس به للاجتماع لأدائها في جماعة.

تعريف الأذان لغةً، وشرعاً

الأذان لغةً: هو النداء والإعلام.[5]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الذكر والدعاء/ فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، 2094/4: حديث رقم 2733].

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج193/1)، المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج153/7).

(3) ابن القيم، جلاء الأفهام (ص453).

(4) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص198).

(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج9/13)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج11/1).

الأذان شرعاً: هو الإعلام بدخول وقت الصلاة، والدعاء لأدائها في جماعة، وإظهار شعائر الإسلام، بألفاظٍ مخصوصةٍ مثناةٍ، قد عيَّنها الشرع.[1]

وقت مشروعية الأذان

شرع الأذان في المدينة النبوية بعد الهجرة ولم يكن مشروعاً قبل ذلك[2]، قال ابن عمر رضي الله عنهما:" كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ}.[3]

وعن عبد بن زيد ﷺ[4]، قال:" طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قَالَ: تَقُولُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، فَقَالَ:{إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ}، قَالَ :"فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ، قَالَ: فَسَمِعَ بِذَلِكَ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ يَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي أُرِيَ"، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ}.[5]

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج2/77)، العيني، عمدة القاري(ج5/102).

(2) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج2/376).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الأذان/ بدء الأذان، 124/1: حديث رقم604].

(4) هو الصحابي الجليل: عبد بن زيد بن عبد ربِّه بن ثعلبة الأنصاري، من سادة الصحابةﷺ، شهد العقبة وبدراً، وأُري الأذان في السنة الأولى من الهجرة، من المقلين لرواية الحديث، توفى(32هـ) من الهجرة، ممن روى عنه سعيد بن المسيِّب رحمه الله. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج2/375).

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج26/402)]، وقال الألباني في التعليقات الحسان برقم(1677)، (ج3/230): "حسنٌ صحيح".

ومما لا شك فيه ولا خلاف عند أهل الإسلام أن إقرار النبي ﷺ هذا، وهذه الشِّرعة لألفاظ الأذان ليس فقط بمجرد الرؤيا المنامية من بعض أصحابه ﷺ؛ بل هو الوحي الإلهي.[1]

وجه التصحيح العقدي في الأذان

الأذان هو الإعلان الرسمي الذي يدل على أن هذه الدار التي ينادى به فيها هي من دور الإسلام[2]، الذي يعصم البلاد ويحرم دماء العباد وما دونها، وقد جمعت ألفاظه كل مسائل الاعتقاد، قال القرطبي رحمه الله وغيره :"الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة؛ لأنه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد ونفى الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة؛ لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول، ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيداً".[3]

كما أن لفظ أشهد في الأذان عند قول المؤذن: {أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ}، يقال في اللغة للشيء المعاين المنظور، ومن ذلك الشهادة التي تكون من الشاهد العالم بالشيء الذي يخبر عما علمه ورآه بالحقيقة القاطعة[4]، وهذا يدل على صحة الاعتقاد وقوة الإيمان وصلابته إذا كان ترداد الأذان من المؤذنين ومن سامعيهم بحضور القلب المتدبر لألفاظ الأذان مع اللسان، وبموافقة منهج النبي ﷺ في عبادة ربه ﷻ.

ب- تصحيح العقيدة من خلال الصلاة المكتوبة

الصلاة هي دليل التوحيد ومقتضاه؛ فهي الجانب العملي الظاهر من الإيمان الذي عرَّفه العلماء بأنه نية وقول وعمل[5]، وهي علامةٌ تميز أهل الإيمان عن غيرهم، فهذا نبي الله شعيب عليه السلام لما أمر قومه بتوحيد الله تعالى، ونهاهم عن الاحتيال بأكل أموال الناس بالباطل، وأن يكفوا عن نشر الفساد في الأرض، حتى يتجنبوا عقاب ربهم ﷻ؛ لأن التمادي في المعاصي يفسد الدين والعقيدة، فتفسد عليهم دنياهم وآخرتهم، فاعترضوا عليه بما كانوا يرون منه من كثرة

---

(1) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج239/2)، والنووي، المنهاج(ج76/4)، البصارة الكويتي، أنِيسُ السَّاري(ج3283/5).

(2) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج239/2).

(3) ابن حجر، فتح الباري(ج77/2)، العيني، عمدة القاري(ج102/5)، الصنعاني، التنوير (ج486/4).

(4) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج221/3)، ابن منظور، لسان العرب(ج239/3)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج497/1).

(5) انظر: الآجُرِّي، الشريعة(ج611/2).

صلاته، قال الله تعالى إخباراً عنهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ...﴾ [هود:87]، أفادت الآية أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولا منكر ولا فحشاء أكبر من الشرك بالله تعالى، ثم التمادي في المعاصي ونشر الفساد في الأرض حتى تفسد العقيدة[1]، لذا أمر الله ﷻ بإقامة الصلاة مبيناً ثمارها بقوله:﴿...أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ [العنكبوت:45].

وقد بيَّن النبي ﷺ أهمية الصلاة، وأن الدوام عليها يضمن صحة العقيدة حيث قال:{رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ}.[2]

قوله ﵇:{رَأْسُ الْأَمْرِ}، أي: أساس الدين والعبادة، وقوله:{الْإِسْلَامُ}، أي: الانقياد لله تعالى بالتوحيد، وقوله:{عَمُودُهُ الصَّلَاةُ}، أي: أن مكانة الصلاة في الدين كمكانة العمود الذي يحمل الخيمة من وسطها، فإذا سقط العمود سقطت الخيمة، وإذا بقي العمود بقيت الخيمة، وهكذا مكانة الصلاة في الإسلام.[3]

ووجه التصحيح العقدي في الحديث أنه خصَّ الصلاة وعظَّم شأنها من بين أركان الإسلام وسائر عباداته؛ لأنها المقيمة لشعائر الإسلام الرافعة لمنار التوحيد، وهي الركن العملي الذي يتكرر في كل يومٍ وليلة من بين سائر الأركان والشعائر، ليحصل به الامتثال لمقتضيات الإيمان العملية، فالعبد إذا أتى بالشهادتين حصل له أصل الدين دون كمالٍ، فإذا صلى وداوم على الصلاة كمُلَ دينه وقوي إيمانه.[4]

ثم إن الصلاة تبدأ بالأكبرية التي تتضمن وجود الله وكماله، وعلوه وقهره على كل شيء، وهي قول المصلي:{اللهُ أكبر}، وهو اسم تفضيلٍ، قد حُذف المفضل عليه ليفيد العموم والشمول لكل شيءٍ، وأن كل شيءٍ هالكٌ إلا وجه الله تعالى[5]، كما يرفع الصوت في الصلاة

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج9/87،85)، السعدي، تفسير السعدي(ص387).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج36/345)]، صحيح.

(3) انظر: الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (ج2/487)، ابن رجب، جامع العلوم والحكم الحنبلي(ص44)، الصنعاني، التنوير(ج6/206).

(4) انظر: الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (ج2/487)، الصنعاني، التنوير(ج6/206)، النووي وآخورن، شرح الأربعين النووية (ص235).

(5) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج8/60)، ابن حجر، فتح الباري(ج2/77)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج10/486)، ابن عثيمين، الشرح الممتع (ج3/24).

الجهرية منها بتلاوة القرآن، الذي أكثر آياته مكيةٌ تتميز بقصر آياتها مع قوة ألفاظها وشدة تأثيرها على القلوب؛ تدعو لتصحيح العقيدة؛ بتوحيد الله ﷻ، وإثبات رسالة النبي محمد ﷺ، وإثبات البعث والجزاء والجنة ونعيمها والنار وعذابها، وحتمية زوال الحياة، وبيان بطلان معتقدات وشرائع الجاهلية بالبراهين الواضحة[1]، ولعل هذا السبب الذي من أجله ربط النبي ﷺ بعض الأسرى في المسجد حتى يسمع تلاوة قرآن الصلاة فيهتدي، فعن أبي هريرة ﷺ قال:"بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:{مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟} فَقَالَ:عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ:{مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟} قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ:{مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟} فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ}، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ".[2]

أفاد الحديث أن من منهج النبي ﷺ السماح للكفار بدخول المسجد والمكوث فيه ليروا صلاة المسلمين واجتماعهم عليها؛ لما لذلك من أثرٍ في ترقيق القلوب، وأرجى لانتفاعهم وإسلامهم، وقد فعل النبي ﷺ هذا مع ثمامة ﷺ ومع غيره[3]، كما أنه أمهل ثمامة ﷺ ثلاثة

---

(1) انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن(ص63،55).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد/ ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، 1386/3: حديث رقم1764]، وقول ثمامة ﷺ"إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ"، أي: تقتل رجلاً صاحب رياسة وفضلٍ في قومه يتشفى بقتله. انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج98/6)، والنووي، المنهاج(ج88/12).

(3) انظر: العيني، عمدة القاري (ج237/4).

أيامٍ، ولم يكثر عليه الحديث بقوله:{مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟}، أي: ما الذي استقر في ظنك أن أفعل بك، تاركاً المجال لدعوته من خلال مشاهدته صلاة المسلمين وأحوالهم فيها، وسماع ما يتلى من القرآن الذي تغلب عليه الآيات المكية في الصلوات الجهرية منها، حتى لاحظ منه الخير وأنه لا يستجيب للدعوة بالشدة أطلق سراحه، فما كان من ثمامة ﵁ أن غاب عن المسجد فاغتسل وعاد لإعلان إسلامه، فبشره النبي ﷺ بما نال من الخير بإسلامه.(1)

ت- تصحيح العقيدة من خلال صلاة النافلة

عن جابر بن عبد الله ﵁ قال :"كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنْ الْقُرْآنِ"، {إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ}.(2)

قول جابر ﵁:"كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا"، فيه بيان شفقة النبي ﷺ بأمته وحرصه على مصالحهم وما ينفعهم في الدارين، وفضل التبرك بإتباعه(3)، وقوله:"الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا"، أي: طلب اختيار العبد من الله تعالى أن يختار له الخير في أمره(4)، وقوله :"كَالسُّورَةِ مِنْ الْقُرْآنِ"، أي: يعلمهم دعاءه وألفاظه(5)، وهذا للاستحباب لا للوجوب كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة(6)، ولا تكون الاستخارة فيما حرمه الشرع أو فيما أوجبه أو استحبه؛ وإنما تكون فيما يريد العبد الإقدام عليه من الأمور في المستقبل من الزمن، كالسفر أو عمارة بيت في مكانٍ ما أو شرائه، أو بالزواج من فلانةٍ من بين النساء، ونحو ذلك(7)، وقول النبي ﷺ :{وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ}، أي: طلب تقدير الله تعالى للعبد في أمره ما فيه الخير والعواقب الحميدة،

---

(1) انظر: النووي، المنهاج (ج89/12)، ابن حجر، فتح الباري (ج88/8)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج433/6).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الدعوات/ الدعاء عند الاستخارة، 81/8: حديث رقم6382].

(3) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج155/9) و(ج324/29).

(4) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج329/8)، وابن الملقن، التوضيح (ج324/29).

(5) انظر: الصنعاني، التَّحبير (ج147/6).

(6) انظر: العيني، عمدة القاري(ج223/7)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج332/2).

(7) انظر: الصنعاني، التحبير(ج146/6)، المباركفوري، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج361/4).

ودفع خلاف ذلك عنه[1]، وقوله:{وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}، فيه بيان فضل الله تعالى وإنعامه على عباده، وأن أفعالهم مخلوقةٌ، لكن ذلك لا يفيد أنه جبرهم عليها؛ بل يختار العبد ويفعل والله يخلق له بذلك، وفيه بيان الخضوع لله تعالى وإظهار العبودية والبراءة من الحول والقوة بالتوكل على الله تعالى وفق ما شرع، والرضا بقضائه[2]، وقوله:{فَاقْدُرْهُ لِي}، أي: قدره وقيضه ويسره لي[3]،وقوله:{ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ}، الرضى: مرتبته فوق مرتبة الصبر، وهو سكون النفس وقبولها لقضاء الله وقدره في أمره، فقد يُقدَّرُ الأمر للعبد ولا ترضى به نفسه ولا تسكن إليه، وهذا الحال من الفتن والبلاء.[4]

أما وجه التصحيح العقدي في حديث الاستخارة؛ فهو إبطال شرك الجاهلية وكل ما يشبهه من العادات الشركية، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا هم بالأمر فإنه يستقسم بالأزلام[5]، أو يقوم بتنفير طيرٍ؛ فإن طار وذهب يميناً تفاءل بالخير وعمل بما عقد عليه من أمره، وإن طار وذهب شمالاً توقف عن أمره، أو يذهب إلى الكاهن أو العرَّاف أو المنجم ليستعلم منهم ما غاب عنه علمه من أمره في الغيب، فرد النبي ﷺ كل هذا الضلال والشرك ودلهم على استخارة ربهم ﷻ بهذا الدعاء[6]، الذي جمع فيه إظهار التوحيد والعبودية مع الخضوع لله رب العالمين، صاحب أسماء الكمال وصفات الجلال[7]، قال ابن القيم رحمه الله:"تضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه، والإقرار بصفات كماله؛ من كمال العلم والقدرة

---

(1) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج330/8).

(2) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج156/9)، ابن حجر، فتح الباري(ج186/11)،(ج362/13)، العيني، عمدة القاري (ج225/7)، الصنعاني، التحبير (ج148/6).

(3) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج330/8،329).

(4) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج331/8)، وابن الملقن، التوضيح (ج158/9)، ابن حجر، فتح الباري (ج187/11)، العيني، عمدة القاري(ج225/7).

(5) الأزلام هي سهام ثلاثة مكتوب على أحدها: أمرني ربي، والثاني نهاني ربي، والثالث لم يكتب عليه شيء، كان الناس يستخيرون بها في الجاهلية، فإذا هم أحدهم بأمرٍ حركها وعمل بما كُتب على السهم الخارج منها، فإذا خرج السهم الخالي من الكتابة أعادها حتى يخرج سهم مكتوبٌ عليه، فأبدلهم الله عن هذا الضلال والشرك بالاستخارة. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج24/3)، ابن القيم، وإغاثة اللهفان (ج208/1)، السعدي، تفسير السعدي (ص219)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج310/36).

(6) انظر: اغاثة اللهفان(ج208/1) وزاد المعاد(ج443/2) وهما لابن القيم، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج264/4،262)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج311/36).

(7) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج156/9) و(ج227/33)، العيني، عمدة القاري(ج224/7)، ابن القيم، زاد المعاد(ج444/2)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج333/2،332)، محمد بن موسى، مشارق الأنوار (ج228/4).

والإرادة والإقرار بربوبيته، وتفويض الأمر إليه والاستعانة به والتوكل عليه، والخروج من عهدة نفسه والتبري من الحول والقوة إلا به، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها وإرادته لها، وأن ذلك كله بيد وليه وفاطره وإلهه الحق".[1]

ثانياً: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال بناء المساجد

إن المساجد هي قلاع التوحيد وحصونه، فيها تصحح العقيدة وترسخ في النفوس، وتُرَبَّى الأجيال وتبنى المجتمعات، وتجتمع الأمة للنظر فيما أهمَّها من أمر دينها ودنياها، ومنها تبعث البعوث وتعقد الألوية لنشر التوحيد والدفاع عن حياض الإسلام، وقد عُهد هذا في منهج النبي ﷺ [2]، حيث أنه لما هاجر إلى المدينة ودخلها من جهة قباء؛ كان أول شيءٍ صنعه في أيامه الأولى هو بناء المسجد[3]، فعن الشَّمُوس بنت النُّعْمان[4]رضي الله عنها قالت :"نَظَرْتُ إلى رسول اللَّهِ ﷺ حين قَدِمَ وَنَزَلَ وَأَسَّسَ هذا الْمَسْجِدَ؛ مَسْجِدَ قِبَاء".[5]

ولما غادر النبي ﷺ قباء وتوجه إلى أخواله من بني النجار، ونزل عند أبي أيوب الأنصاري ﷺ، وليس له إلا بضعة أشهر في المدينة، قام بشراء أرضٍ ليبني عليها مسجده؛ المسجد الثاني الذي بناه في المدينة قبل أن يبني بيتاً له ﷺ[6]، فعن أنس بن مالك ﷺ يخبر عما رآه لما دخل النبي ﷺ المدينة وأقام عند بني النجار، قال:" فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِينَ بِسُيُوفِهِمْ قَالَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِالْمَسْجِدِ"[7]، حتى أنه كان من هديه إذا عاد من سفرٍ يبدأ بالمسجد، فعن كَعْب بن مالك ﷺ قال :"كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا

---

(1) ابن القيم، زاد المعاد(ج444/2).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج39/35).

(3) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية(ج292/2)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج234/2-237).

(4) هي الصحابية الشَّمُوسُ بنت النُّعْمَان ابن عَامِر بن مُجَمِّع الأنصارية المدنية، حَضرت مع النبيﷺ حين أسَّس مسجد قباء، وكانت من المبايعات. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج204/8).

(5)[الطبراني،المعجم الكبير(ج318/24)]،قال الهيثمي في مجمع الزوائد برقم(5898)،(ج11/4):"رجاله ثقات".

(6) انظر: النووي، المنهاج(ج7/5)، ابن كثير، السيرة النبوية(ج202/2)، ابن حجر، فتح الباري(ج266/7)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج277/2،251).

(7) [مسلم: صحيح مسلم، المساجد/ ابتناء مسجد النبي ﷺ، 373/1: حديث رقم524].

قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ"[1]، مما يدلل على أهمية المسجد ومكانته في الإسلام، ولم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب؛ بل كان من هديه أن تؤسس المساجد على التقوى من أول يوم في كل شأنها، ومن ذلك:

أ- النهي عن بناء مساجد الضرار

قال الله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ(108) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[التوبة].

قوله تعالى:﴿ **اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا** ﴾، أي: بنوا مسجداً بقصد إلحاق الضرر بالمؤمنين لاختلاف الكلمة وبث العداوة، وقوله:﴿ **وَكُفْرًا** ﴾، أي قَصْدُهُم في بنائه الكفر لا الإيمان، وقوله: ﴿ **وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ** ﴾، أي: إعداداً وإعانةً لمن يعادي الإسلام، قوله: ﴿ **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى** ﴾، هذا ثناءٌ على تأسيس مسجد قباء الذي أسس على إخلاص الدين لله تعالى وإقامة شعائره، ويدخل في ذلك مسجد النبي ﷺ أيضاً، وقوله:﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا** ﴾، أي: يتطهروا الطهارة المعنوية من الشرك والرذيلة، والطهارة الحسية من الحدث ونجاسته، وقوله:﴿ **شَفَا جُرُفٍ هَارٍ** ﴾، أي: على طرفٍ مائلٍ أوشك على الانهيار والانهدام، وقوله:﴿ **فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ** ﴾، هذا الانهيار في جهنم على الحقيقة، وهو لمن أسس بناءه على النفاق والشرك.[2]

وأسباب نزول هذه الآيات أن أناساً من أهل النفاق في المدينة أرادوا أن يكيدوا للمسلمين، فرأوا أن حيلة بناء مسجد الضرار ناجعة لتفريق المسلمين وشق صفهم، فبنوه قرب مسجد قباء؛ ليستعدوا بما استطاعوا من مكرٍ وخديعةٍ وقوةٍ لحرب الإسلام وأهله، واتصلوا بقيصر ملك الروم ليعينهم على ذلك، فلما فرغوا من بناء مسجدهم أتوا النبي ﷺ وزعموا أنهم بنوا هذا

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/ الصلاة إذا قدم من سفر، 96/1: حديث رقم443].

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج154/16)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج265/8،253)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج213/4-217)، السعدي، تفسير السعدي(ص351).

المسجد تيسيراً على ذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة، وأنهم يحبون أن يصلي فيه ويدعو لهم بالبركة، وما قصدوا بذلك إلا أخذ إقراره ليستحكم كيدهم، وكان النبي ﷺ قد عزم على الخروج لتبوك، فوعدهم بالصلاة فيه بعد قدومه إن شاء الله، فأنزل الله ﷻ قوله:﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا...﴾، إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، فبين الله كيدهم وفضحهم، وأثنى على أهل مسجد قباء، فامتنع النبي ﷺ من الصلاة فيه، وأرسل نفراً من أصحابه ﵃ فهدموا مسجد الضرار هذا وأحرقوه، وأمرهم أن يجعلوا مكانه مكباً للنفاية.[1]

ما يستفاد من هذه الآيات الكريمات والواقع الذي نزلت فيه

1. أن الحكم المقضي على مسجد الضرار ينسحب على كل مسجدٍ بُني لنفس الغرض، فتحرم المساهمة فيه والصلاة وأي نوعٍ من العبادة ويجب هدمه، وأن كل عملٍ فيه مضرَّةٌ للمسلمين أو عوناً لأعدائهم عليهم فهو محرمٌ.[2]
2. أن كل عملٍ من الأعمال التي يبتغى بها وجه الله ﷻ لابد لها من نية صالحةٍ وعمل يوافق الشرع، حتى يكون مؤسساً على التقوى فيُقبل، ويؤدي بأهله إلى جنات النعيم، وأن كل عملٍ أُسس على سوء القصد والبدع والضلال يرد على أهله ويؤدي بهم إلى نار جهنم.[3]
3. بيان وجوب بناء المساجد وفضل تأسيسها على التقوى، والصلاة فيها مع الجماعة الصالحة العالمة بدين ربها ﷻ، العاملة به.[4]
4. أن الطاعة تؤثر في أماكن فعلها، والمعصية كذلك، وهذا مستفادٌ من ثناء الله تعالى على مسجد قباء وأهله؛ بإخلاصهم في بنائه وحرصهم على صحة عبادتهم، وذمه للمنافقين وفضحهم؛ بما قصدوا من الشر ببناء مسجدهم.[5]
5. أن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، فلا يجوز لأحد أن يعتدي على حقوق الآخرين بقصد فعل الخير، وهذا مستفادٌ من إصرار النبي ﷺ على دفع ثمن الأرض التي بنى عليها مسجده الذي أسسه على التقوى؛ لأنها كانت ليتيمين عزم أولياؤهما على أن تكون صدقة لله تعالى

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج154/16)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج210/4) وما بعدها.

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج265,253/8)، السعدي، تفسير السعدي(ص351).

(3) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص351).

(4) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج440/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج216/4).

(5) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص351).

بغير ثمن[1]، ويدخل تحت هذا بناء مسجد في أرض مسلوبة بأكل ميراث النساء أو غيره، أو بقصد إعاقة شق طريقٍ قُررت لمنفعة المسلمين والتيسير عليهم.

6. أنه لا يجوز بناء مسجدٍ إلى جنب مسجدٍ في حيٍ واحد إلا إذا كان الحيُ كبيراً ودعت الحاجة لذلك[2]؛ لما يترتب على ذلك من تفريق جماعة المسلمين وحلول البغضاء بينهم، كما هو حادثٌ في بعض الأحياء من مجتمعنا في هذا الزمان، فينبغي علاج ذلك.
7. أنه ينبغي على الأمة أن تعمل جاهدةً على الاجتماع على منهج واحد حتى تتخلص من تكالب أعدائها عليها، ويعلوا شأنها، ولا يكون ذلك إلا بالوقوف على نصوص الشرع عند الاختلاف كما كان يفعل الصحابة ﷺ في خلافاتهم.

ب- النهي عن بناء المساجد على القبور

نهي النبي ﷺ عن بناء المساجد على القبور في أحاديث كثيرة، مما يبين خطر هذا الفعل وما يترتب عليه من فساد العقيدة، ومن هذه الأحاديث؛ قوله ﷺ:{إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ}.[3]

الذي يمكن أن يفهم من النهي عن اتخاذ القبور مساجد في هذا النص؛ هو النهي عن الصلاة عندها أو السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء، والنهي عن بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها[4]، ويدخل في هذا النهي عن بناء المساجد بجوار قبور الأنبياء والصالحين قصد التبرك بهم، أو أخذ العون والمدد منهم على العبادة[5]؛ لأن هذه الأفعال محرمة مقطوعٌ بحرمتها وأنها خلاف دين الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ، ولم تكن في عهد الصحابة ﷺ، ولا في عهد تابعيهم، لذا فقد اتفق الأئمة المعتبرون على بطلانها وحرمتها، وأنه لا تجوز الصلاة عند القبور ولا العكوف عليها والنذر لها، ولا تشييد بناءٍ عليها ولا الإعانة على ذلك بأي نوع من الإعانة قلَّت أو كثُرت.[6]

وقد أكد النبي ﷺ حرمة هذا الأمر وأنه يجلب اللعنة في رمقه الأخير، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت :"لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا

---

(1) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج440/2).
(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج254/8).
(3) [مسلم: صحيح مسلم، المساجد/ النهى عن بناء المساجد على القبور، 377/1: حديث رقم532].
(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج201/3)، وتحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للألباني، (ص29).
(5) انظر: المباركفوري، مرعاة المفاتيح (ج420/2)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج62/20).
(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج11/31)، واقتضاء الصراط المستقيم(ص393،329).

اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِكَ{لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ}، يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا".[1]

قولها رضي الله عنها :"لَمَّا نُزِلَ"، أي: لما حضره الموت، وقولها: "طَفِقَ يَطْرَحُ"، أي: أخذ يضع[2]، و"الخَمِيصَةً": هي نوعٌ من الثياب، وقولها :"فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا"، أي: إذا اشتد عليه الأمر فاحتبس نفسه عن الخروج رفعها عن وجهه[3]، واللعنة في الحديث: هي الطرد والإبعاد من رحمة الله.[4]

بين هذا الحديث شدة حرص النبي ﷺ على أمته، حتى وهو يعاني من شدة الموت؛ كي لا تتشبه بالأمم الضالة وتعظم القبور، فيترتب على ذلك وقوعها في الشرك، فتفسد عقيدتها وتستحق اللعن[5]، فاليهود والنصارى أول ما بدأ بهم الأمر قصدوا عبادة الله تعالى، وتعظيم شأن أنبيائهم والتبرك بهم، فبنوا على قبورهم المساجد، وكانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا له الصور؛ ليتذكروا بها صلاحه وعبادته فيقتدوا به، فما لبثوا حتى آل بهم الأمر أن جعلوا تلك القبور وتلك الصور أوثاناً تعبد من دون الله ﷻ، فلذلك لعنهم، وسد باب الذريعة بالنهي وبيان حرمة ما يؤل فعله إلى تبذير المال بتلك الأبنية الخالية عن النفع بالكلية، والجالبة لإفساد العقيدة بعبادة غير الله تعالى.[6]

ومن المهم بيانه في هذا الباب أنه لا يستدل بجواز بناء المساجد على القبور أو قريباً منها وجود قبر النبي ﷺ وصاحبيه الصديق والفاروق رضي الله عنهما ملاصقاً للمسجد النبوي في المدينة النبوية، لأن هذا الفعل لم يقصد به التعظيم، وإنما كان اضطراراً من الصحابة والتابعين لما كثُر عدد المصلين واحتاجوا إلى توسعة المسجد، فادخلوا بيوت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها التي فيها القبور إلى ساحة المسجد، واحتاطوا أن تحدث البدعة فيصلي بعض العوام إلى القبور بوضع بناءٍ عليها يحجزها عن

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، المساجد/ النهى عن بناء المساجد على القبور، 377/1: حديث رقم531].

(2) انظر: النووي، المنهاج(ج13/5).

(3) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج256/1) و(ج663/2).

(4) انظر: العيني، عمدة القاري(ج135/8)، الولّوي، ذخير العقبى (ج622/20).

(5) انظر: الولّوي، ذخير العقبى (ج626/8).

(6) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم (ج450/2)، الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (ج937/3)، المباركفوري، مرعاة المفاتيح (ج419/2)، الولّوي، ذخير العقبى (ج62،69/20).

المسجد[1]، ومن الأدلة على ذلك: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ:{لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا}، قَالَتْ :"وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا".[2]

أي: لولا خشيتها والصحابة ﷺ من أن يُتخذ قبر النبي ﷺ مسجداً لرفع عنه البناء الذي جعلوه على حجرتها ولكشف وأبرز القبر، فستروا القبر وأخفوه سداً للذريعة.[3]

يستفاد مما سبق

1. أن أي بناءٍ على القبور كمسجدٍ أو قبةٍ أو نحوهما يعتبر حكمه حكم مسجد الضرار يجب هدمه وإزالته بلا خلافٍ بين العلماء المعروفين، وهو أولى من مسجد الضرار بذلك لأنه أشد فساداً.[4]
2. أنه لم يكن من منهج السلف ومن تبعهم دخول مسجد النبي ﷺ قصد الدعاء عند قبره أو الصلاة، ولم ينقل عن أحدهم أنه دخل عند القبر، مع أنهم يدخلون المسجد في اليوم خمس مراتٍ، بل كانوا يدخلون المسجد فيصلون فيه ويسلمون على النبي ﷺ وصاحِبَيْه رضي الله عنهما فقط، فلابد من الوقوف على منهجهم واقتفاء أثرهم فلا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.[5]
3. أن المسجد النبوي لم ينل فضل الصلاة فيه وزيادة ثوابها والحث على السفر إليه في الشرع لأن فيه قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما، بل لأنه أُسس على التقوى من أول يومٍ أقيم فيه، ومن اعتقد أنه نال هذا الفضل لوجود القبر فيه، أو أنه بُني تبعاً للقبر فهو ضالٌ قد جهل دين الإسلام.[6]

---

(1) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج451/2)، والنووي، المنهاج(ج13/5)، ابن حجر، فتح الباري (ج200/3).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، 88/2: حديث رقم 1330].

(3) انظر: العيني، عمدة القاري(ج135/8)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج430/2).

(4) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ص330)، ابن القيم، إغاثة اللهفان (ج210/1).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج414/27،309)، وابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ص394).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج254/27).

4. أنه لا يجوز شد الرحال للمسجد النبوي من أجل القبر فهذا من الجهل والضلال، بل يقصد بشد الرحال للمسجد والصلاة فيه، لترغيب الشرع في ذلك، وتكون زيارة القبر تبعاً بغرض السلام على النبي ﷺ وصاحِبَيْه رضي الله عنهما، والدعاء لهم.[1]
5. بيان بطلان ما نشاهده اليوم في بعض البلدان الإسلامية من سكوت علماء الأشاعرة أو إقرارهم على وجود القبور في المساجد وعكوف العامة عليها، وبطلان معتقد الصوفية والرافضة من باب أولى في أضرحتهم وما يبتدع من عبادةٍ باطلةٍ فيها.

ت- النهي عن زخرفة المساجد

نهى النبي ﷺ أمته عن التشبه بالكفار، خاصَّةً أهل الكتاب، اعتقاداً وقولاً وعملاً[2]، نهياً يفيد أمره الوجوب ويقتضي التحريم في كل ما كان من خصائصهم وشعائر دينهم، لما لذلك من أثرٍ سيء على العقيدة[3]، ومما ورد في ذلك:

قوله ﷺ:{لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى}[4]،وفي رواية قال:{مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ}.[5]

قوله عليه السلام في الرواية الأولى:{لَيْسَ مِنَّا}، أي: ليس من أهل سنتنا المقتفين لآثارنا، وقوله في الرواية الثانية:{مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ}، أي: من تشبه بقومٍ فهو مثلهم إن كانوا من أهل الصلاح والخير فهو كذلك في الخير والثواب، وإن كانوا على باطلٍ وإثمٍ فهو مثلهم في ذلك، والنهي عن التشبه بأهل الكتاب هو فيما يختصون به من أمر دينهم، لا فيما يشترك فيه الناس في عاداتهم، كما أن المراد بذلك الزجر وبيان شر الأمر لا الإخراج من الدين[6]، وعلة النهي عن مشابهة الكفار هي"أن المشابهة في الهدى الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل"[7]، فإذا حدث ذلك فيما كان حُكمه الخروج من الملَّة؛ وقع الكفر.

---

(1) انظر: المصدر السابق (ج232/1)، (ج292/27).

(2) انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين(ج137/3) وما بعدها، العيني، عمدة القاري(ج137/6)، الولَّوي، ذخيرة العقبى (ج1185/17).

(3) انظر: اقتضاء الصراط لابن تيمية(ص181)، ابن القيم، إعلام الموقعين(ج140/3).

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، الاستئذان/ ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام، 425/4: حديث رقم2695]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج5434)،(ج956/2):"حسن".

(5)الطبراني،المعجم الأوسط(ج179/8)، صحيح. انظر:صحيح الجامع للألباني برقم(6149)(ج1059/2).

(6) انظر: المناوي، التيسير (ج638/2)، الصنعاني، التنوير(ج280/9)، والعظيم أبادي، عون المعبود (ج1036/9).

(7) ابن القيم، إعلام الموقعين(ج140/3).

ومما يدخل تحت هذا النهي؛ النهي عن زخرفة المساجد، ومن أدلته ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال: قال رسولُ الله ﷺ:{ما أُمِرتُ بتَشْييدِ المساجِدِ}، قال ابنُ عباس: "لتُزَخرِفُنَّها كما زَخرَفَتِ اليهودُ والنَّصارى".[1]

المراد بالتشييد في الحديث هو: رفع البناء وتطويله وتزيينه بالشِّيد[2]، وقول ابن عباس رضي الله عنهما: "لتُزَخرِفُنَّها"، أي: التزيين، وأصل الزخرف الذهب ثم استعمل في كل ما يتزين به، فيكون المراد: لتزيننها ولتموهنها بالنقوش والتصاوير بالذهب ونحوه[3]، وكلام ابن عباس هذا يعتبر من كلام النبي ﷺ، رغم أنه جاء مفصولاً في هذا الحديث، لأن مثل هذه الأمور الغيبية لا تدرك بالرأي، بل بنص الوحي، وابن عباس لا يعلم الغيب ولا يوحي إليه[4]، فيكون معنى مجمل ألفاظ هذا الحديث: ما أُمرت بتشييد المساجد لأجل زخرفتها، ولا ليكون ذريعة لذلك.[5]

وضرب المثل باليهود والنصارى؛ لأنهم ما قاموا بزخرفة المساجد إلا لما حرفوا وبدلوا ما في كتبهم، فأنتم يا أمة الإسلام تصيرون مثلهم إذا تركتم إخلاص العمل لله وطلبتم الدنيا بالدين، وأصبح همكم من بناء المساجد المباهاة بفخامة بنائها وزخارفها[6]، ويؤكد هذا المعنى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:{لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَبَاهَى الناس بِالْمَسَاجِدِ}.[7]

هذا الحديث من دلائل النبوة، ومن علامات الساعة التي تظهر فيها المعصية في صورة الطاعة، وليس المراد به فقط الإخبار عن هذا الواقع، بل يحمل على التحذير من الوقوع في مثل هذا الأمر[8] من بناء الناس للمساجد من أجل التباهي بها والمفاخرة بزخارفها، كفعل

---

(1) [أبو داود: سنن أبي داود، الصلاة/ في بناء المساجد،336/1:حديث رقم448]،إسناده صحيح.

(2) انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي(ج940/3)، العيني، عمدة القاري (ج205/4)، الصنعاني، سبل السلام(ج158/1).

(3) انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي(ج940/3)، وابن الملقن، التوضيح (ج531/5)، ابن حجر، فتح الباري(ج540/1)، العيني، عمدة القاري (ج205/4)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج440/1).

(4) انظر: الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج440/8)، الصنعاني، سبل السلام (ج158/1).

(5) انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي(ج940/3)، العيني، عمدة القاري (ج205/4).

(6) انظر: الخطابي، معالم السنن (ج140/1).

(7) [الطبراني، المعجم الكبير (ج259/1)]،صحيح.انظر: صحيح الجامع للألباني برقم(7421)،(ج1237/2).

(8) انظر: الصنعاني، التنوير (ج133/11)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج492/3).

أهل الكتاب بمتعبداتهم، بدلاً من القصد في بنائها، والاشتغال بالطاعة فيها على الوجه المشروع.[1]

ووجه التصحيح العقدي في الأحاديث السابقة وما استنبط منها

1. التحذير من إتباع الأمم الضَّالة، خاصةً اليهود والنصارى، لما لذلك من أثرٍ سيء على الدين والعقيدة.[2]
2. التحذير من البدع والمحدثات في الدين التي تظهر من خلالها المعصية في صورة الطاعة، فيزداد بها أهلها تشبثاً واجتهاداً، ويفتتون بها الناس[3]، وهذا من أسباب الضلال الذي يتعذر تركه على فاعله، قال أيوب السختياني[4]رحمه الله:" ما ازداد صاحب بدعةٍ اجتهاداً؛ إلا ازداد من الله بعداً".[5]
3. بيان أن قبول أعمال العباد مرهونٌ بإخلاص النية واتباع منهج النبي ﷺ فيها.[6]
4. بيان أن الأصل في بناء المساجد القصد–وهو وضع ما تقتضيه الحاجة في بنائها– وترك الغلو، بحيث يتوفر المكان والواقع المناسبين للعبادة فيهما، قال أمير المؤمنين عمرﷺ: "أَكِنَّ النَّاسَ مِنْ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ"[7]، فالمراد بالإكنان: هو الصيانة والستر من المطر والشمس وما يؤذي المصلين، ونهيه عن التصفير والتحمير، أي: عن الزخرفة[8]، وهذا ما عليه السلف في بناء المساجد، ومن خالفهم لم يجد اجماعاً على فعله، ومن راعى تعظيم بيوت الله مقابل التطور العمراني لمساكن الناس استُدرك عليه بضبط ذلك بضابط النصوص الشرعية[9]، ويلحق بالزخرفة كتابة الآيات القرآنية على

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج540/1)، العيني، عمدة القاري(ج205/4)، والمناوي، التيسير (ج960/2)، الصنعاني، التنوير(ج133/11).

(2) انظر: الصنعاني، التنوير(ج133/11)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج492/3).

(3) انظر: الصنعاني، التنوير(ج133/11).

(4) هو أبو بكر بن أبي تميمة العنزي مولاهم البصري(66هـ-131هـ)، الإمام الحافظ سيد العلماء، من صغار التابعين، رأى أنس بن مالكﷺ ولم يرو عنه، سمع من سعيد بن جبير والحسن البصري، وحدث عنه الزهري وسفيان الثوري. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج15/6)، الزركلي، الأعلام(ج38/2).

(5) الشاطبي، الاعتصام (ج155/1).

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج205/5).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/ بنيان المسجد، بصيغة الجزم (ج97/1)].

(8) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج530/5)، العيني، عمدة القاري(ج205/4،204).

(9) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج97/2)، ابن الحاج، المدخل(ج214/2)، وابن الملقن، التوضيح (ج534/5)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج440/1)، والموسوعة الفقهية الكويتية (ج218/23).

جدران وأعمدة المسجد، فقد أنكره الإمام مالك، ولم يجيزه النووي رحمهما الله[1]، والعلة في النهي عن الزخرفة؛ أن هذا الفعل مما ابتُدع خلافاً للسُّنَّة ومنهج السلف، ولما فيه من اشغال المصلين عن عبادتهم، وسداً لذريعة التشبه بالكفار[2]، وأن المساجد أُقيمت لأمرٍ عظيم شرعه الله تعالى، لا للزخرفة والمباهاة.

5. بيان مشروعية بناء المساجد والقيام عليها وما لذلك من نفعٍ وثواب[3]، حيث قال النبي ﷺ:{مَنْ بَنَى مَسْجِدًا...يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ}.[4]
6. بيان أهمية الخشوع في الصلاة والحث على منع كل ما يشوش على المصلي في صلاته ويشغله عنها[5]، لأنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، فقد قال النبي ﷺ:{إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي، وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عُشْرُهَا، وَتُسْعُهَا، أَوْ ثُمُنُهَا، أَوْ سُبُعُهَا}.[6]
7. عدم جواز تعليق صور الشهداء وغيرهم في المساجد، لاشتراكه مع الزخارف في علَّة النهي، والتشبه بصور النصارى في كنائسهم[7]، ولا يدخل في هذا ما يوضع في جدار المسجد الخلفي من الملصقات التي تهدف إلى تعليم الناس دين ربهم ﷻ وتدعوا لجمع شملهم، مع الحفاظ على هيبة المسجد.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الأيمان والنذور والذبائح

أولاً: الأيمان

تعريف الأيمان

الأيمان في اللُّغة: هي جمع يمين، ولها في اللغة عدة معانٍ، المقصود منها هنا الحلف، ويسمى القَسَم أيضاً، وسمي يميناً؛ لأن الناس كانوا إذا حلفوا أو تعاقدوا على أمرٍ هامٍ؛

---

(1) انظر: المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني، تحقيق: زكريا عميرات، (ج197/1)، والتبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، (ص190).

(2) انظر: المدونة للإمام مالك(ج197/1)، ابن الحاج، والمدخل (ج214/2)، وابن الملقن، التوضيح (ج531/5)، العيني، عمدة القاري(ج204/4)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج441/8).

(3) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج36/2).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/ من بنى مسجداً، 97/1: حديث رقم450].

(5) انظر: شرح شحيح البخاري لابن بطال(ج97/2)، ابن حجر، فتح الباري(ج539/1).

(6) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج171/31)]، صحيح.

(7) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج531/1).

بسط كلٌّ واحدٍ منهم يده اليمني، ووضعها على يمين صاحبه للدلالة على جدِّيَّته وصدقه في عزمه على ما أجمعوا عليه[1]،

وقيل: سميت يمناً؛ لأنها تحفظ الشيء على الحالف كما تحفظ يده أشياءه[2]، وخصَّ الإطلاق على اليد اليمنى؛ لكثرة استعمال الناس لها.

والأيمان شرعاً: هي تأكيد أمرٍ غير ثابتٍ، ماضياً كان أو مستقبلاً، نفياً أو إثباتاً، ممكناً أو ممتنعاً[3]، صادقةً كانت أو كاذبة، مع العلم بالحال أو الجهل به[4]، وبتعريف آخر:" توكيد حُكمٍ بِذِكرِ مُعَظَّمٍ على وجهٍ مخصوص"[5]، أي: كأن الحالف يقول: بقدر عظمة الذي أحلف به عندي إني صادق، فالإنسان لا يحلف بشيءٍ إلا لعظمته في نفسه.[6]

عادة الناس فيما يحلفون به

الأيمان التي كان أهل الجاهلية يحلفون بها تعظيماً منهم لغير الله هي: الحلف بالآباء، والحلف بالكعبة، والمسيح، وما يعبدون من دون الله؛ كحلفهم باللات والعزى، وقد بقي من حلف الجاهلية هذا بعد الإسلام؛ الحلف بالآباء والكعبة، وزيد عليه الحلف بالنبي ﷺ، والأبناء، والحلف بالطلاق والحلف بالشرف، ونحوها، وجميعها منهيٌ عنها، وهي من الشرك، ولا تجب الكفارة للتوبة منها، بل يلزم الاستغفار والتوبة[7]، ويدخل في هذا الحلف بالبراءة من الإسلام أو من الدين، أو بأنه يهودي أو نصراني، إن كان كذا، أو فعل كذا.[8]

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج159/6)، ابن منظور، لسان العرب(ج460/3،297) و(ج463/13).

(2) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ج320/4).

(3) مثل الحلف على فعل شيءٍ غير مقدور، كالحلف على قتل ميت. انظر: حاشية المصدر السابق.

(4) الخطيب الشربيني، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع(ج600/2). بتصرف

(5) ابن النجار، منتهى الإرادات(ج209/5).

(6) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج287/4).

(7) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج300/2)، وابن الملقن، التوضيح (ج259/30)،ابن حجر، فتح الباري(ج535/11)، العيني، عمدة القاري(ج175/23)، والمناوي، التيسير (ج802/2)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج288/4).

(8) انظر: الصنعاني، سبل السلام (ج102/4).

التصحيح النبوي لحلف الأيمان

نهى النبي ﷺ عن الحلف بغير الله تعالى في أحاديث عدةٍ، ليحفظ على الأمة عقيدتها في كل شيءٍ من جوانب حياتها، ومن ذلك:

ما رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال:"سَمِعَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَحْلِفُ بِأَبِي، فَقَالَ"[1] رسول الله ﷺ:{إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ}، قَالَ عُمَرُ :"فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا، وَلَا آثِرًا".[2]

قَسَمُ عمر ﷺ أنه ما قال بعد نهي النبي ﷺ "ذَاكِرًا"، أي: قائلاً لها من قبل نفسي، وقوله: "وَلَا آثِرًا"، أي: ما ذكرتها نقلاً عن أحدٍ قالها.[3]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ}.[4]

قوله ﷺ:{لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ}، أي: خرج مخرج الغالب، فلا يجوز الحلف بالوالدين ولا بأي شيءٍ غير الله تعالى[5]، وقوله{ وَلَا بِالْأَنْدَادِ}، الأنداد جمع ند وهو المخالف المخاصم، والمراد به هنا كل ما يعبد من دون الله تعالى، من صنمٍ وغيره[6]، وقوله :{وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ}، بيان وجوب تقييد الحلف بالله وحده[7]، وقوله: {وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ}، فيه بيان تحريم الحلف بالله كذباً، وأنه من الكبائر[8]، والحديث دليلٌ على حرمة الحلف بغير الله ﷻ.[9]

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج359/1)]، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2)[مسلم: صحيح مسلم، الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى،1266/3: حديث رقم1646].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج401/5).

(4) [أبو داود: سنن أبي داود، الأيمان والنذور/ الحَلْف بالأنْدَاد، 152/5: حديث رقم3248]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم (ج7249)، (ج1214/2):"صحيح".

(5) انظر: الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج293/3).

(6) انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي(ج2442/8)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج293/3).

(7) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج535/11)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج279/1).

(8) انظر: الفوزان، الإرشاد(ص141).

(9) انظر: الصنعاني، سبل السلام (ج101/4).

وعن سعد بن وقاصٍ ﷺ:"أَنَّهُ حَلَفَ بِاللاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: قَدْ قُلْتَ هُجْرًا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ حَدِيثًا، وَإِنِّي حَلَفْتُ بِاللاتِ وَالْعُزَّى"، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:{قُلْ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ ثَلاثًا}.(1)

قول سعدٍ ﷺ على لسان أصحابه:{قَدْ قُلْتَ هُجْرًا}، أي: قلت قولاً فاحشاً(2)، وقوله:{إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ حَدِيثًا}، أي: أنه عرض أمره على النبي ﷺ واحتج على خطئه بأنه حديثُ عهدٍ بالجاهلية، ولم يمض على إسلامه من الزمن ما يتمكن به من ترك ما تعوده في الجاهلية؛ فكان منه الحلف بالأصنام، فأمره النبي ﷺ أن يتدارك ذلك الخطأ بكلمة التوحيد؛ لأنه إذا حلف باللات ونحوها فقد ضاهى الكفار، فيخُشى عليه أن يستديم حاله على هذا الحلف فيؤدي ذلك لإحباط عمله فيما نطق به من كلمة الكفر بعد إيمانه(3)، وهذا الحكم عامٌ لكل مسلمٍ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم في مثل هذه الأمور.

ووجه التصحيح العقدي من خلال الأيمان

كان من عوائد العرب في جاهليتهم الحلف بما يعظمون من البشر والأنداد من دون الله ﷻ، والحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، والحالف إن اعتقد أن للمحلوف به من التعظيم ما يليق به، لكنه دون عظمة الخالق؛ فقد وقع في شركٍ أصغر، ولا ينعقد يمينه(4)، أما إن اعتقد أن للمحلوف به من التعظيم ما لله؛ كان بذلك الاعتقاد كافراً مشركاً الشرك الأكبر(5)، فعمل النبي ﷺ على نسخ وزهق هذا الباطل من على ألسنة الناس وقلوبهم، وبين أن الإسلام جاء ليخلص الناس من الجاهلية وشركها، ويسد الباب أمام كل ذريعة تدعو للجاهلية أو تُبقي شيئاً من آثارها، حتى يكون الناس على توحيدٍ خالصٍ، فلا يحلفوا إلا

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج168/3)]، إسناده صحيح.

(2) انظر: الفائق للزمخشري(ج92/4)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج244/5).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج8/ 612) و(ج516/10).

(4) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج297/2)، ابن حجر، فتح الباري(ج535/11،531)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج361/7)، الصنعاني، سبل السلام(ج102/4)، الحكمي، أعلام السنة(ص21)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج288/4)، والفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص141).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج531/11)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج361/7)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج288/4).

بالله تعالى وحده، أو بأسمائه أو بصفاته[1]، وأن لله وحده فقط الحلف بما شاء من مخلوقاته تنبيهاً على شرفها وعظيم خلقه فيها.[2]

ثانياً: النذور

سبب ادراج النذر بعد اليمين، لأنهما يجتمعان في الكفارة من وجه، وأن العبد يجعلهما على نفسه دون تعيين الشرع عليه، من وجه آخر.[3]

تعريف النذر لغة وشرعاً

النذر لغةً: ما يوجبه المرء على نفسه من فعل شيء أو تركه.[4]

والنذر شرعاً: ما يوجبه المسلم المكلف على نفسه من طاعة لم يعينها عليه الشرع بقصد جلب نفعٍ أو دفع ضرٍ.[5]

أنواع النذر

النذر نوعان، نذر أجازه الشرع، وآخر لم يجزه ونهى عنه؛ لأنه شركٌ.

فالنوع الجائز من النذر هو ما كان في طاعة الله تعالى[6]، ودليل ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: {مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْه}[7]، وفي رواية قال عليه السلام:{إِنَّمَا النَّذْرُ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ}.[8]

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج531/11)و الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج293/30)

(2) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج250/30)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج410/4).

(3) انظر: الشربيني، الإقناع (ج607/2).

(4) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج200/5)، المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص323)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج912/2).

(5) انظر: الشربيني، مغني المحتاج (ج354/4)، المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص 323)، الصنعاني، سبل السلام(ج110/4).

(6) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج535/4)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج123/33)، الشربيني، مغني المحتاج (ج325/4).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، الأيمان والنذور/ النذر في الطاعة، 142/8: حديث رقم6696].

(8) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج558/11)]، حديثٌ حسن.

والدارج في نذر الطاعة هو أن يجعل الناذر على نفسه عبادة معهودة في الشرع، مقابل حصوله على نعمة أو دفع نقمة[1]، كأن يقول: لله عليَّ أن أصلي كل صلاة من صلاة الفريضة في أوَّل وقتها وفي جماعة إن شفاني ربي، أو إن رزقني بوظيفة، أو أن يقول: لله عليَّ أن أحافظ على صلاة الضُحى، أو أن صوم يوماً من كل أُسبوع، أو أتصدق بكذا من مالي، ونحو ذلك من العبادات البدنية أو المالية، مما له أصلٌ في الشرع[2]، فيتعين على من نذر مثل هذه الطاعة على نفسه الوفاء بها وجوباً[3]، إلا إذا كانت العبادة المنذورة تجلب المشقة للناذر بما يخالف منهج القرآن الكريم والسُنَّة النبوية فإنها مردودة لا يجوز فعلها[4]، أو كانت في معصية الله تعالى، كأن ينذر العبد أن لا يكلم فلاناً من أهل الإيمان الذين لا يحل هجرانهم، أو نذر أن لا يصل رحمه، أو أن يعتدي على مسلم، أو أن يشرب الخمر، ونحوها من المعاصي الكبير منها أو الصغير، فمثل هذا من النذور لا يجوز الوفاء به[5]، بل يجب تركه واستبدال فعله بكفارة يمين وجوباً[6]، لقول النبي ﷺ:{لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ}.[7]

كما أن الشرع لم يرغب في النذر؛ لأنه لا يقدم نفعاً ولا يدفع ضراً، وصاحبه بخيل لا يقدم لله شيئاً إلا بعوض، والله سبحانه أقرب وأكرم على سائله من ذلك[8]، ودليل هذا قول النبي ﷺ:{إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا وَلَا يُؤَخِّرُ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنْ الْبَخِيلِ}.[9]

---

(1) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج220/30)، ابن حجر، فتح الباري(ج581/11)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج406/9).

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج581/11)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج151/4)، الولَّوي، ذخيرة العقبى (ج412/10).

(3) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج406/9)، الصنعاني، التنوير(ج412/10).

(4) انظر: العيني، عمدة القاري(ج164/6) و(ج225/10).

(5) انظر: ابن عبد البر، الاستذكار (ج332/3) و(ج184/5)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج411/4،415).

(6) انظر: حاشية السندي على ابن ماجه (ج652/1).

(7) [الترمذي: سنن الترمذي، النذور والأيمان، ما جاء عن رسول اللهﷺأن لا نذر في معصية، 185/3: حديث رقم1524]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(7547)، (ج1253/2):"صحيح".

(8) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج188/4)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج421/10)، ابن الملقن، التوضيح (ج374/30). وعمد القاري للعيني(ج207/23).

(9) [البخاري: صحيح البخاري، الأيمان والنذور/ الوفاء بالنذر، 141/8: حديث رقم6692].

أما ما لم يجزه الشرع من النذر ونهى عنه؛ لأنه شرك كالنذر لنبيٍ من الأنبياء، أو لملكٍ من الملائكة، أو لشيخٍ أو لقبرٍ، أو جنيٍ، أو صنمٍ، أو عند استقبال السلطان تقرباً إليه، إلا إذا قُصد بذلك الاستبشار بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود فلا يحرم، فمثل هذه النذور محرمة وإن حدث الأمر المطلوب الذي جُعل النذر لأجله[1]،

ومن أدلة ذلك قول النبي ﷺ:{لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ الله}[2]، فالمعصية في الشرع تطلق على الذنوب الصغيرة والكبيرة، كما تطلق على الشرك الأصغر والكفر والشرك الأكبر[3]، وهما المرادان والمقصودان هنا[4]، قال النبي ﷺ عندما سأله ابن مسعود ﷺ بقوله:"أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ"، قَالَ:{أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ}، قُلْتُ:" إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ"، قَالَ:{وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ}، قُلْتُ :"ثُمَّ أَيٌّ"، قَالَ:{أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ}.[5]

والنِّد في الحديث: هو المثيل والشريك، والمراد: صرف العبادة لغير الله الذي تدل فطرة الإنسان وخِلْقَتهُ على وجوب توحيده وإفراده بالعبادة، وقد قدمه النبي ﷺ على ما ذكر معه في الحديث، لأنه أعظم الذنوب.[6]

وعن ثابت بن الضَّحَّاك ﷺ[7]، قَالَ :"نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ

---

(1) انظر: النووي، المنهاج(ج141/13)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج419/10) و(ج456/17)، ابن عبد الوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق (ص282)، آل الشيخ، تيسير العزيز الحميد (ج257/1) وما بعدها.

(2) [مسلم: صحيح مسلم، النذور/ لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، 1262/3: حديث رقم 1641].

(3) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ص286)، ابن القيم، إعلام الموقعين (ج114/2)، والاعتصام للشاطبي(ج515/2) وما بعدها.

(4) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج573/1).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون}، 18/6: حديث رقم 4477].

(6) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج27/22)، العيني، عمدة القاري(ج87/18)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج7/10).

(7) هو أبو زيد، ثابت بن الضحاك بن خليفة الأشهلي الأوسي المدني الصحابي الجليل، كان فيمن بايع النبيﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة، ورديفه يوم الخندق، ودليله إلى حمراء الاسد بعد معركة أُحد، توفي عام(ج45هـ). انظر: ابن حجر، الإصابة(ج507/1)، وتهذيب التهذيب ابن حجر (ج8/2).

مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟} قَالُوا: لَا، قَالَ:{هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟}، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ}.(1)

بوانة: هي مكان في أطراف مكة(2)، والوثن: هو الصَّنم الذي يُتخذ من جواهر الأرض أو معادنها أو تربتها فيصور للعبادة من دون الله(3)، وفي الحديث منع المسلمين من أداء بعض العبادات في أماكن عبادة الكفار خوفاً من التأثر بشيءٍ من أمرهم، ومبالغةً في منع التشبه بهم، وسداً لباب الذريعة، ولبيان أن العبادة في أماكن عبادتهم ممنوعةٌ؛ فمن باب أولى عدم موافقتهم في شعائر دينهم وسائر عباداتهم وشركهم.(4)

ووجه التصحيح العقدي في النذور :هو أن النذر عبادة لا تصرف إلا لله وحده، وصرف العبادة به لغير الله شركٌ أكبر(5)، وهذا الناذر لنبيٍ من الأنبياء، أو لملكٍ من الملائكة، أو لشيخٍ حيٍ أو ميتٍ، أو أي مخلوق آخر لم يقدم نذره لمثل هؤلاء من دون الله إلا لاعتقاده في المنذور له أنه يملك من أمره شيئاً، فيضر وينفع، ويعطي ويمنع(6)، وهذا شركٌ أعظم من شرك الحلف بغير الله تعالى؛ لأنه يساوي السجود لغير الله، فلا ينعقد هذا النذر ولا يوفى به باتفاق علماء الأمة(7)، ثم إن النذر الجائز في الشرع الذي يستخرج به من البخيل لا يأت بخير وليس سبباً في حدوث ما عُلق به؛ فكيف بمثل هذه النذر التي يكون بها الشرك، لذا كان النهي عن مثل هذه النذور والتحذير منها، وسد باب الذريعة بعدم فعل النذر الجائز في مكانٍ كان يعظم في الجاهلية.(8)

---

(1)[أبو داود: سنن أبي داود، الأيمان والنذور/ ما يؤمر بوفائه من النذر، 200/5: حديث رقم3313]، إسناده صحيح.

(2) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج447/2).

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج313/3) و(ج150/5).

(4) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ج188/1) وما بعدها.

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج123/33)، الصنعاني، سبل السلام(ج111/4)، وتيسير العزيز لآل الشيخ (ص261)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (ص187).

(6) انظر: ابن عبد الوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق (ص282).

(7) انظر: شرح النووي على مسلم (ج141/13)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج419/10) و(ج456/17) و(ج123/33)، الصنعاني، سبل السلام (ج110/4)، ابن عبد الوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق (ص282).

(8) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج176/27).

ثالثاً: الذبائح

الذبح لغةً: الشَّق، ويقال لَكُلِّ ما شُقَّ أنه ذُبِح.[1]

الذبح شرعاً: الذبح هو إزهاق الروح بقطع موضعٍ في الحلق من بهيمة الأنعام بما أُعد لذلك من سكين وغيره مما أجازه الشرع.[2]

والذبح يقع على ثلاثة أوجه

أولها: أن يُقْصَدَ بالذبح الأكل أو التجارة ونحو ذلك؛ فهذه الأمور من المباحة.

ثانيها: أن يقصد بالذبح الوليمة أو العقيقة أو إكرام الضيف ونحو ذلك، وحكم مثل هذه الأمور إما أن يكون واجباً أو مستحباً.

ثالثها: أن يقصد بالذبح التعظيم والخضوع والتقرب للمذبوح له، فمثل هذا الفعل عبادة لا تكون إلا لله وحده وفق ما شرع، وصرفها لغيره شركٌ أكبر[3]، وهذا المقصود تحت هذا العنوان.

وقد عمل النبي ﷺ على تصحيح الاعتقاد في هذا الباب، ومن ذلك:

استقامته على أمر ربه تعالى الذي قال: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(163)** ﴾[الأنعام].

والمعنى: قل يا محمد أنت ومن تبعك للمشركين المخالفين لدعوتك: إن صلاتي، ونسكي، أي: ذبحي لله وحده لا شريك له وباسمه، لا للجن، ولا للإنس، ولا للأموات، ولا للأصنام ولا لغير ذلك ممن تذبحون لهم، أو باسمهم من دون الله، وأن حياتي وموتي لله رب العالمين، وخصَّ الصلاة والنسك من بين سائر العبادات؛ لشرفهما وفضلهما وعظيم دلالتهما، فقد جمعتا بين أعمال القلب واللسان والجوارح، وبذل المال الذي تحبه وتحرص عليه النفس؛ مما يدلل على محبة الله تعالى واستلزام الإخلاص له في سائر الأعمال.[4]

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج438/2)، الكفوي، الكليات (ص458).

(2) انظر: انظر: العدة شرح العمدة، لأبي محمد بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي، تحقيق: صلاح عويضة، (ج87/2)، الصنعاني، سبل السلام(ج87/4)، ابن عثيمين، الفتاوى(ج27/7)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج309/1).

(3) انظر: ابن عثيمين، الفتاوى(ج27/7).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج381/3)، السعدي، تفسير السعدي(ص282)، والعذب النمير للشنقيطي (ج629/2، 627).

وكان من هديه ﷺ عند الذبح وما سنَّهُ لأمته قوله:{بِاسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَر}[1]، فالمراد بالتسمية في الحديث، أي: بسم الله أذبح، وقد شرع الله تعالى التسمية لعباده عند افتتاح كل الأعمال، وهي عند الذبح من شعائر التوحيد[2]، وتقال قبل الشروع فيه.[3]

وفي بيان فحش الذبح لغير الله تعالى وشدة عقوبته، قال النبي ﷺ :{لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ}[4]، واللعن في هذا الحديث هو الدعاء بالإبعاد والطرد من رحمة الله تعالى[5]، لأن الذبح عبادة، وإراقة الدم فيها يدل على التعظيم والخضوع والتقرب، وهذا لا ينبغي إلا لله ﷻ، فكما أن الصلاة لغيره شرك أكبر، فكذلك التسمية بغير اسمه تعالى عند الذبح، أو الذبح لغيره شركٌ أيضاً.[6]

فيكون ذكر مجمل التصحيح العقدي في الذبح

هو بيان أن الذبح عبادة لا تحلُّ إلا لله وحده، وأن فعلها لغيره شركٌ أكبر، ويكون ذلك بذكر غير اسم الله عند الذبح، ولو كان ذلك بذكر اسم النبي ﷺ مع اسم الله أو غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو بالذبح لغير الله تعالى قصد التعظيم والقربة، كالذبح لجنيٍ، أو إنسيٍ، أو للشيطان، أو للأصنام، أو المقبورين، أو الذبح لاستقبال ذي سلطان تقرباً إليه ونحو ذلك، فهذا كله باطلٌ ومحرَّم، ولا تحل ذبيحته؛ لأنه من الشرك الأكبر، والرِّدة التي توجب عذاب النار.[7]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الأضاحي/ استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير، 1557/3: حديث رقم1966].

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج392/22)

(3) انظر: ابن عثيمين، الشرح الممتع (ج158/1).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الأضاحي/ تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، 1567/3: حديث رقم1978].

(5) انظر: النووي، المنهاج(ج140/9)، المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج358/7).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج484،485/17)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج159/4).

(7) انظر: النووي، المنهاج(ج141/13)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج485/17) و(ج306/26) و(ج242/31)، ابن القيم، بدائع الفوائد(ج461/2)، وابن الملقن، التوضيح (ج629/26)، آل الشيخ، تيسير العزيز الحميد (ج243،259/1)، ابن عثيمين، الشرح الممتع (ج53/5).

المطلب الرابع: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال شعائر الحج والعمرة

الحَجُّ لغةً: القصد، وهو لفظ عام يفيد القصد إلى كل شيءٍ معظم، إلا إذا قيد فيقال: حج فلانٌ إلى فلان، أي: قصده.[1]

الحج شرعاً: هو قصد بيت الله الحرام، والمشاعر المقدسة في مكة المكرمة؛ لأداء المناسك المعلومة المشروعة في الكتاب والسُّنَّة تعبداً لله تعالى.[2]

والحج من أركان الإسلام التي يكفر جاحدها، دعا الله تعالى إليه عباده ورغبهم فيه؛ لأنه عبادة عظيمة يشتمل على توحيده الذي هو أفضل العبادات، كما أنه يشتمل على بذل المال وجُهد البدن، ويجمع معاني العبادات كلِّها، فمن حج فكأنما صام وصلى واعتكف وزكى ورابط في سبيل الله وغزا، فرضه الله تعالى على أمة محمدٍ ﷺ بعد الهجرة على الاستطاعة مرة في العمر، وهو من الشرائع القديمة المعروفة في الأمم السابقة[3]، لذا كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ يعظمون البيت الحرام، ويعرفون الحج ومشاعره وشعائره التي بقيت فيهم من عهد أبينا إبراهيم عليه السلام، لكنهم أدخلوا فيه ما ليس منه[4]، فبدلوا التوحيد بالشرك، ونصبوا الأصنام حول الكعبة وفي سائر مشاعر الحج، وجعلوا إهلالهم وتلبيتهم لها، ويطوفون بها كالبيت ويقولون[5]:"لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك"[6]، ويذبحون هديهم لها[7]، كما كانوا يطوفون بالبيت عراة عُرياً كاملاً من الثياب، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: "كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الْحُمْسَ، وَالْحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ"[8]، وسموا بالحُمس لتحمسهم لدينهم وشدتهم فيه[9]، ولا يقف أهل مكة مع سائر الحجاج

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج30/2)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج340/1)، ابن منظور، لسان العرب(ج226/2)، مغني المحتاج للشربيني(ج459/1).

(2)انظر:ابن تيمية، شرح عمدة الفقه(ج74/2)،الشربيني الإقناع(ج250/1)،ابن عثيمين، الفتاوى(ج215/24).

(3) انظر: مغني المحتاج(ج460/1)، والإقناع(ج250/1)، وهما للخطيب الشربيني.

(4) انظر: شرح عمدة الفقه، لابن تيمية(ج228/2)، ابن كثير، السيرة النبوية(ج63/1).

(5) انظر:القرطبي،الجامع لأحكام القرآن(ج22/2)،النووي، المنهاج(ج22/9)،ابن كثير،السيرة النبوية (ج63/1).

(6) هذا جزءٌ من حديث أخرجه مسلم، كتاب الحج/ التلبية وصفتها ووقتها، حديث رقم(1185)، (ج843/2)، وقولهم :"إلا شريكاً" يقصدون بها شرك الأصنام في تلبيتهم لله تعالى وسائر عباداتهم مع إقراهم أنها مملوكة لله تعالى بقولهم:" تملكه وما ملك"، انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج79/20)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج275/23).

(7) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ج9/18).

(8) [البخاري: صحيح البخاري، الحج/ الوقوف بعرفة، 163/2: حديث رقم1665].

(9) انظر: العيني، عمدة القاري(ج112/18).

بعرفة، بل يقفون في مزدلفة فقط، بزعم أن أهل الحرم هم أهل الله فلا يخرجوا من حرمه[1]، قالت عائشة رضي الله عنها :"كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...﴾ [البقرة:199]".[2]

كما أن حجهم لم يكن دائماً في أشهر الحج وأيامه؛ لأن القوم غيروا وقت الحج بتأخير أشهره حسب مصالحهم وأهوائهم[3]، وكان أول من أظهر هذا الشرك وهذه الأباطيل كلها، وغير دين نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ عمرو بن لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ الذي كان ذا شرفٍ ومكانةٍ في قومه، فخرج مرة إلى الشام في حاجةٍ له، فرأى أهلها يعبدون الأصنام، فأُعجب بذلك فأدخلها على أهل الجزيرة[4]، فباء بإثمه وإثمهم، قال النبي ﷺ:{رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ}.[5]

قول النبي عليه السلام:{قُصْبَهُ}، أي: أمعاءه، وذلك لما أحدثه من تبديل التوحيد بالشرك وعبادة الأصنام.[6]

ولما أُرسل النبي ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ويخرج الناس من ظلامات الجهل والوثنية إلى نور التوحيد وفلاح الدنيا والآخرة، كان من منهجه في تصحيح تلك العقائد الفاسدة:

1- إقامة التوحيد

عمل النبي ﷺ على تصفية نفوس الناس من الشرك في الحج ومشاعره، حيث بدأ بالدخول في نسكه بإعلان التوحيد والتلبية به، فعن جابر رضي الله عنه وهو يصف أول عملٍ عمله النبي ﷺ لدخول نُسك حجه وهو الإحرام من ذي الحليفة في السنة العاشرة من الهجرة، حيث قال:

---

(1) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري(ج30/7).

(2)[البخاري:صحيح البخاري، التفسير،باب:{ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس}،27/6:حديث رقم4520].

(3) انظر: ابن تيمية، شرح عمدة الفقه (ج228/2).

(4) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج203/1)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج194/3)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج16/1).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ قصة خزاعة، 184/4: حديث رقم3521].

(6) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج305/3)، والنووي، المنهاج (ج189/17).

"فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ{لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ}، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا".(1)

معنى :"فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ"، أي: رفع صوته ولبى عند دخوله النسك بتوحيد الله ﷻ لا بتلبية أهل الجاهلية المشتملة على الشرك(2)، ومعنى{لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ}، أي: إيّاك أقصد وإليك أُخلص إلهي محبتي وطاعتي بتلبية دعوتك بحجي وفي سائر عباداتي(3)، وقد شرعت التلبية في مواطن أُخرى من مشاعر الحج ونُسكه غير شرعتها عند بدء الإحرام به(4)، للتأكيد على التوحيد وأهميته، وإبطال شرك الجاهلية، وقد أكد النبي ﷺ على هذا، وبين أنه دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبله في حجِّهم بقوله:{خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(5)، فإن قيل: هذا ذكر فأين الدعاء فيه؟ يجاب بأن الثناء على الكريم ﷻ الذي لا يضيع أجر المحسنين بأفضل الكلام؛ وهو الشهادة له بالتوحيد، تعريضٌ بالدعاء والمسألة(6)،هذا من وجه، ومن وجه آخر: هو حثٌّ على ذكر هذه الكلمة في التوطئة المستحبة بين يدي الدعاء لما يترتب على ذلك من ثواب(7)، ولما للتوسل بالتوحيد من فضلٍ في إجابة الدعاء، وحتى تتوطن نفوس العباد على توحيد ربِّها في كل أحوالها.

2- دفع الشبه عن الإسلام وبيان أنه دينُ خضوعٍ لله وطاعةٌ لرسوله

عبادة الله ﷻ تقوم على الخضوع والانقياد له وفق ما شرع، ولا يعرف ذلك إلا من جهة النبي ﷺ، ومن عَبدَ اللهَ بغير ذلك؛ فعبادته باطلة غير مقبولة(8)، لذا تجب طاعة النبي ﷺ بأخذ أحكام الشريعة عنه، قال الله تعالى:﴿...**وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ حجة النبيﷺ، 887/2: حديث رقم1218].

(2) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج20/4)، وحاشية السندي على ابن ماجة(ج253/2).

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج177/4).

(4) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج357/4)، والنووي، المنهاج (ج30/9)، المباركفوري، مرعاة المفاتيح (ج133/9).

(5) [الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات/ في الدعاء يوم عرفة، 541/5: حديث رقم3585]، وقال الألباني في مشكاة المصابيح برقم(2598)،(ج84/2):"صحيح".

(6) انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي(ج1989/6)، المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج45/10).

(7) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج152/2)، المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج45/10).

(8) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج104،105/19).

...﴾[الحشر:7]، أي: ما آتاكم به من أوامر دين الله تعالى ونواهيه فأطيعوه فيها، ولا تتخلفوا عن شيءٍ منها، لأنه لا يأمر إلا بصلاح، ولا ينهى إلا عن فساد[1]، "والآية أصلٌ في وجوب العمل بالسنة: قولاً أو فعلاً أو تقريراً"[2]، قال السعدي رحمه الله:" وهذا شاملٌ لأصول الدين وفروعه، ظاهِرَهُ وباطنهُ، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحدٍ ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحدٍ على قوله".[3]

ومشاعر الحج ونسكه من أمور الإسلام التي لا يصح عملها، ولا يتم قبولها إلا بالطريقة التي عملها النبي ﷺ وأمر بها، حيث كان ﵇ يبين للناس مناسك الحج خطوة خطوة، حتى في حجم الحصيات التي ترمى بها الجمرات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال :"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ":{هَاتِ الْقُطْ لِي}،"فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ، وَهِيَ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ"، قَالَ:{نَعَمْ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ}.[4]

وكان من هديه ﷺ في حجه أن يسمعهم صوته بأذكار الحج التي تقوم على توحيد الله تعالى، كما في حديث جابر ﵁ حين وصف فعله ﵇ عند صلاته ركعتي الطواف وما فعل بعدهما، حيث يقول: "كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ:﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله**...﴾[البقرة:158]، {أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ}، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ:{لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ}،...حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا–إلى أن وصف نفيره من مزدلفة، فقال– سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا".[5]

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/18).

(2) التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص546).

(3) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص850).

(4) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، الحج/ رمي جمرة العقبة، 183/9: حديث رقم3871]، وقال الألباني في التعليقات الحسان برقم(ج3860)،(ج70/6):"صحيح".

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ حجة النبيﷺ، 886/2: حديث رقم1218].

وقد أجمل ﷺ الأمر باتباعه في كل مناسك الحج، فقال ﷺ:{لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ}[1]، قال النووي رحمه الله عند بيانه لحُكم اللاَّم في قوله ﷺ:{لِتَأْخُذُوا}:"هذه اللام لام الأمر...وتقديره: هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات؛ هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم، فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها، وعلموها الناس، وهذا الحديث أصلٌ عظيمٌ في مناسك الحج، وهو نحو قوله ﷺ في الصلاة:{وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي}"[2]، ولهذا قال جابرٌ ﷺ واصفاً حال الصحابة ﷺ مع أمر النبي ﷺ وفعله في الحج :"وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ".[3]

ومما سبق يتبين ويتأكد أن الإسلام دين خضوعٍ لله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ، في كل أحكامه وشرائعه، صغيرها وكبيرها، وتندفع الشبهُ التي يوردها أعداء الإسلام في زماننا من رهبان النصارى وغيرهم عبر وسائل الإعلام المعاصر بزعمهم أن الإسلام دينٌ وثنيٌّ، تظهر وثنيته بشعائر الحج، فكيف تكون الوثنية والأصوات تتعالى بتوحيد الله ﷻ وتعظيمه وإكباره في كل جانبٍ من مناسك الحج، وكل حالٍ من أحوال الحجيج، وقد أكد هذا الأمر أمير المؤمنين عمر ﷺ حيث قال حين استلم الحجر الأسود :"أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ فَاسْتَلَمَهُ".[4]

قال الطبراني رحمه الله[5]:"إنما فعل ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان".[6]

وقال ابن حجر رحمه الله:"وفي قول عمر هذا: التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الإتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في إتباع النبي ﷺ فيما يفعله، ولو لم

---

(1) [المصدر السابق، الحج/ استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله ﷺ:لتأخذوا مناسككم، 943/2: حديث رقم1297].

(2) انظر: النووي، المنهاج(ج45/9)، وقول النبي ﷺ هو جزءٌ من حديثٍ في صحيح البخاري، الأذان/ الأذان للمسافر، 128/1: حديث رقم 631].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ حجة النبيﷺ، 887/2: حديث رقم1218].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الحج/ الرمل في الحج والعمرة، 151/2: حديث رقم1605].

(5) هو سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني الحافظ، أبو القاسم(ت360هـ)، الحافظ الثبت المُعمِّر الذي عاش مئة سنة، وجلس لسماع الحديث والعلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فكان واسع العلم كثير التصانيف. انظر: ابن حجر، لسان الميزان(ج73/3).

(6) ابن علان، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (ج432/2).

يعلم الحكمة فيه، وفيه دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته، وفيه بيان السنن بالقول والفعل، وأن الإمام إذا خشي على أحد من فعله فساد اعتقاد؛ أن يبادر إلى بيان الأمر ويوضح ذلك".[1]

3- **الولاء والبراء**

إن من أصول أحكام الإسلام وشرائعه أن فرض الأُخوة بين المؤمنين، قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...**﴾[الحجرات:10]، وهذه الأخوة توجب الولاء والبراء، الولاء لأهل الإيمان، كما قال تعالى:﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...**﴾[التوبة:71]،

والبراء من أهل الكفر، قال ﷻ:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ...**﴾[الممتحنة:1]، والولاء والبراء من ملَّة أبينا إبراهيم عليه السلام[2]، قال الله ﷻ:﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ...**﴾[الممتحنة:4]، وهو عليه السلام الذي أذَّن في الناس بالحج ودعاهم إليه وحدد لهم مشاعره المعهودة التي تبعه فيها النبي ﷺ[3]، وقال: {قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيم}[4]، كما أن الله تعالى اصطفى هذه الأمة لحمل هذا الدين السَّمِح الذي كان عليه أبيها إبراهيم عليه السلام، أُبوة نسبٍ لبعضهم، وشرعةٍ للبعض الآخر، ومن هذا الدين مشاعر الحج، وأمرهم ونبيه محمداً ﷺ جميعاً باتباعه، بعد أن أتمَّها لسيد ولد آدم أكمل تمام، فقال تعالى لنبيه: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل:**123**]، وجعل الأمة تبعاً لنبيِّها في ذلك[5]، فقال ﷻ:﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ...**﴾[الحج:78]

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج463/3).

(2) انظر: الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد(ص370).

(3) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج397/5).

(4) [أبو داود: سنن أبي داود، المناسك/ موضع الوقوف بعرفة، 298/3: حديث رقم1919]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم (ج4394)،(ج810/2):"صحيح".

(5) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج403/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج381/3) و(ج456/5)، التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص341).

فكان من تمام هذه الملة وكمالها أن يكون في الحج الذي يقوم على التوحيد والعقيدة في كل أحواله عقيدة الولاء والبراء، قال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:3]

أي: وإعلام من الله ورسوله ومناداة للناس كافَّة، يتضمنان الوجوب على الموحدين بالإخبار عن البراءة من كل مشرك[1]، ووقت هذا النداء في يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر الذي تجتمع فيه معظم أعمال الحج، وقد وافق وقتئذ أعياد أهل الملل الكافرة، وكان موسم الحج يجمع المسلمين وغيرهم[2]، ثم رغب المشركين ودعاهم للرجوع إلى الحق بالدخول في دين الله تعالى وإلا كان عليهم العذاب الأليم في الدارين من الله الذي لا يعجزه شيء.[3]

وقد أمر النبي ﷺ من ينادي في الناس بموسم الحج للسنة التاسعة والعاشرة بهذه البراءة، ويمنع المشركين من الحج، فعن أبي هريرة ﷺ يخبر عن ذلك، حيث قال: "بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ"، قَالَ: ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ فِي أَهْلِ مِنًى بِبَرَاءَةَ، وَأَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ".[4]

ووجه التصحيح العقدي في هذا يظهر في أن إضافة الإعلام بالبراءة إلى الله ورسوله دون غيرهم يفيد أنه تشريعٌ عقدي في مصلحة الأُمة يجب العمل به بالبراءة من المشركين[5]، فأهل الإيمان لا يسعهم إلا أن يقتدوا برسولهم ويأتمروا بأمره طاعة لله تعالى القائل:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ...﴾ [آل عمران:31]، كما أن خُلُوَّ موسم الحج من الكفار ووجود أهل الإسلام وحدهم كما هو دارجٌ في كثيرٍ من العبادات، كصلاة الجمعة والجماعة يدعو إلى تقوية الروابط الإيمانية والولاء بينهم.

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج104/4)، صديق خان، فتح البيان(ج232/5).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج249/5)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج70/8).

(3) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج12/4)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج103/4)، السعدي، تفسير السعدي (ص328).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قوله:{فسيحوا في الأرض أربعة أشهر}، 64/6: حديث رقم4655].

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج108/10).

التذكير باليوم الآخر، وترسيخ الإيمان به

يُحشر الناس يوم القيامة في مكانٍ واحد على أرضٍ واحدةٍ وعلى هيئة واحدةٍ، لا فرق بين السيد والعبد، والرئيس والمرؤوس، قال النبي ﷺ واصفاً ذلك:{يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ}.[1]

فقوله ﷺ:{يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، الحشر: هو جمع الناس بعد البعث في أرض الموقف للحساب يوم القيامة[2]، وقوله:{بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ}، أي: بياضٌ في وجه أرض المحشر يميل إلى الحُمْرة قليلاً[3]، وقوله:{كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ}، هو الخبز المستدير الخالي دقيقة من النخالة[4]، والمراد: أن الناس يجمعون في مكانٍ واحد محددٍ ومستوٍ، وهو وصفٌ من باب الإعلام بجزئيات ذلك الموقف ليكون أوقع في النفوس لحملها على ما فيه خلاصها ونجاتها من العمل الصالح[5]،وقوله:{لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ}، أي: ليس فيها علامة تدلُّ على ملكٍ أو سلطانٍ لأحد فيها[6]، ومشهد الحج الذي يتجرد فيه العبد من المخيط، وتلتزم النساء بمحظورات الإحرام، ويجتمع الناس في موقف واحد، لا فرق فيه بين السيد والعبد، والرئيس والمرؤوس، وليس لأحدٍ منهم فيه ملك ولا سلطان، والكل يلهج ويستغيث بربه؛ أن يكون من أهل النجاة والسعادة، فما أشبه هذا الموقف بذاك، قال ابن القيم رحمه الله :"فللهِ ذاكَ الموقفُ الأعظمُ الذي ... كموقفِ يومِ العَرْضِ بلْ ذاكَ أعظمُ"[7]،

وقد أكد القرآن الكريم على وجه الترابط بين الحج واليوم الآخر من خلال بيان بعض أعمال الحج بقوله تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:203]

فالأيام المعدودات المقصودة في الآية هي أيام التشريق الثلاثة التي تكون بعد يوم النحر يوم العيد، والذكر المأمور به فيها هو كالذكر عند رمي الجمرات، أو عند الذبح، والتكبير

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار/ في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، 2150/4: حديث رقم2790].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج379/11).

(3) القاضي عياض، إكمال المعلم(ج322/8).

(4) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج164/26)، ابن حجر، فتح الباري(ج373/11).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج375/11).

(6) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج322/8)، ابن حجر، فتح الباري(ج375/11).

(7) القصيدة الميمية لابن القيم بتعليق ابن عثيمين،(ص7).

أدبار الصلوات المكتوبة ونحو ذلك، لشرف هذه الأيام، وفضيلة الذكر وشيوعه في مناسك الحج[1]، واختير لفظ الحشر لفاصلة الآية دون غيره؛ ليذكرهم بالحشر العظيم يوم القيامة وزحمته، وأنه كما حشرهم باختيارهم على مناسك الحج وزحمته، أنه سيحشرهم في حشر الآخرة وزحمته بغير اختيارهم؛ ليكون ذلك أدعى للتقوى والحذر من العصيان.[2]

المطلب الخامس: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة من خلال الأعياد

تعريف العيد لغةً: العيد مأخوذٌ من العود وهو الرجوع، وجمعه أعياد، ويطلق على كل يومٍ فيه ذكرى كريمةٍ حبيبةٍ، لذا جبلت النفوس على السرور والفرح به.[3]

تعريف العيد شرعاً: "هو اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتادٍ، عائدٍ؛ إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر".[4]

وقد شُرِعَ تعظيمه[5]؛"لأن لله تعالى فيه عوائد الإحسان، أي: أنواع الإحسان العائدة على عباده في كل عام، منها الفطر بعد المنع عن الطعام وصدقة الفطر، وإتمام الحج بطواف الزيارة ولحوم الأضاحي وغير ذلك، ولأن العادة فيه الفرح والسرور والنشاط والحبور غالباً بسبب ذلك".[6]

وقد كان من منهج النبي ﷺ تصحيح العقيدة في كل جوانب حياة العباد، ومن ذلك العمل على تصحيحها من خلال الأعياد، امتثالاً لقول الله تعالى:﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...**﴾[البيِّنة:5]، وقد تنوع منهجه ﷺ في هذا الباب فكان منه:

أ- استبدال أعياد الجاهلية

ميَّز الله تعالى ورفع أهل دينه عن غيرهم من أهل الملل الباطلة في كل جوانب حياتهم، حتى في لهوهم ومرحهم، فعن أنس ﷺ، قال: "قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ ولهم يَوْمَانِ يلعبون

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج532/1)، السعدي، تفسير السعدي(ص93).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج532/1)، وابن عاشور، التحرير والتنوير(ج264/2).

(3) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج181/4)، الكفوي، الكليات(ص655)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج635/2).

(4) ابن تيمية، اقتضاء الصراط (ص189).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج271/8).

(6) حاشية ابن عابدين (ج165/2).

فيهما"، فقال:{ما هذان اليومَان}؟ قالوا: "كنا نلعبُ فيهما في الجاهلية"، فقال رسولُ الله ﷺ:{إنَّ الله قَدْ أبدَلَكُم بهما خَيراً مِنهما: يَومُ الأضحى، ويَومُ الفِطرِ}.[1]

ووجه التصحيح العقدي في هذا الحديث هو النهي عن تعظيم أعياد الكفار واتخاذها؛ لأن العيد دينٌ وشريعة، ودين الكفار وشريعتهم باطلة، وفيه أن السرور الحقيقي والخيرية في الدنيا والآخرة تكون بصحة العقيدة والانقياد لأحكام الشرع[2]، كما لا ينافي ذم اللعب في هذا الحديث إباحته في أعياد الإسلام، لأن هذا اللعب مأخوذٌ من شريعة الكفار، وغير منضبطٍ بأخلاق الإسلام، ولا نفع فيه لأهله، بخلاف اللهو في أعياد الإسلام الذي يُتمرَّن فيه على مقابلة العدو، وتقوية بنية الجسد، فيعود بالنفع على الإسلام وأهله[3]كما سيأتي بيانه في هذا المطلب.

ب- بيان سماحة الإسلام ووسطيته

بوُّب بعض أصحاب كتب الحديث بتراجم تفيد مشروعية إظهار الفرح والسرور والتوسعة على الأهل يوم العيد[4]، وأنه يوم موضوعٌ لانشراح الصدور وبسط النفوس بما لا معصية فيه من الأعمال[5]، ومما أدرجوا من الأحاديث تحت تلك التراجم ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث قالت :"دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا}[6]، وفي رواية قالت:"وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ"[7]، وفي رواية لأبي هريرة ﷺ قال:"بَيْنَمَا الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحِرَابِهِمْ، إِذْ دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَهْوَى إِلَى

---

(1) [أبو داود: سنن أبي داود، الصلاة/ صلاة العيدين،345/2:حديث رقم1134]، إسناده صحيح.

(2) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ص294)، والعظيم أبادي، عون المعبود(ج485/3).

(3) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج270/1).

(4) انظر: صحيح البخاري (ج16،24/2)،(ج185/4)، مسلم، صحيح مسلم (ج607/2)، وسنن النسائي الكبرى (ج311/2) وما بعدها، النسائي، السنن الصغرى (ج195/3-196)، البغوي، شرح السنة(ج321/4).

(5) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج549/2)، والنووي، المنهاج(ج182/6-183)، ابن حجر، فتح الباري (ج442/2)، العيني، عمدة القاري(ج274/2)،(ج267/6).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الجمعة/ سنة العيدين لأهل الإسلام، 17/2: حديث رقم952].

(7) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة العيدين/ الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، 609/2: حديث رقم892]، والدرق: هي صحيفة مصنوعة من جلود الحيوانات تتكون من عدة طبقات تتخذ للتترس من ضربات العدو أثناء القتال. انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج281/1).

الْحَصْبَاءِ يَحْصِبُهُمْ بِهَا"، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{دَعْهُمْ يَا عُمَرُ}[1]، وفي رواية لعائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ:{لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ}[2]، وفي رواية:{حَتَّى تَعْلَمَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً}[3]

أفادت هذه الأحاديث جواز إظهار السرور يوم العيد باللعب والغناء ونحوهما مما فيه التوسعة على الأهل بما لا معصية فيه، وأن المراد بالغناء في الحديث هو رفع الصوت بإنشاد الأشعار التي تصف الحرب والقتال والشجاعة فيه؛ لما لذلك من نفعٍ في تحفيز المسلمين على الشجاعة أمام عدوهم نُصرةً لدين الله تعالى، لا الغناء بالكلام الماجن الذي لا يليق بالمسلمين، ويهيج النفوس بالشهوات، ويصبح كحرفة معتادة[4]، وهذا يرد ما تزعمه الصوفية وغيرهم من قولهم بجواز الرقص واللهو بالغناء واحتراف ذلك واعتياده[5]، كما أفادت الأحاديث بطلان ما اعتاده بعض الناس من فتح بيوت العزاء يوم العيد لأول عيد يمر على الميت، أو زيارة المقابر في يوم العيد للوقوف على قبور الأموات من الأرحام والأصحاب وغيرهم، أو الهتاف أو رفع الشعارات بقول: ليس العيد لمن لبس الجديد؛ وإنما العيد لمن مات شهيداً، أو عيدنا يوم عودتنا، فهذا ونحوه من البدع المخالفة للسُّنَّة النبوية، فالنبي ﷺ وأصحابه ﷺ فقدوا أهلهم وأصحابهم بالموت ومقارعة الأعداء، وهاجروا من أوطانهم مرغمين تاركين خلفهم الأوطان وكل شيءٍ، ولم يأتوا بمثل هذه الأفعال، أو يرددوا مثل هذه الشعارات، بل أقاموا دين ربهم بإظهار السرور والبهجة بالمباح، وقد بين النبي ﷺ أن الخير مقصورٌ على اتباع هديه ﷺ، وأن الشر مكنونٌ في مخالفته، حيث قال ﷺ:{وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ}.[6]

ووجه التصحيح العقدي فيما سبق أن إظهار السرور والتوسعة على الأهل بالمباح في العيدين من شعائر الدين وإعلاء أمره والدعوة إليه[7]، وأنه يراعي التوازن بين إشغال النفس

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة العيدين/ الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، 610/2: حديث رقم893]، والحصباء هي الحصى الصغيرة. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج393/1).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج115/43)]، إسناده حسن.

(3) البغوي، شرح السنة (ج324/4)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(1829)،(ج443/4):"صحيح".

(4) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج306/3)، وابن الملقن، التوضيح (ج58/8)، العيني، عمدة القاري (ج270/6)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج256/2).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج553/6).

(6) [مسلم: صحيح مسلم، الجمعة/ تخفيف الصلاة والخطبة، 592/2: حديث رقم867].

(7) انظر: العيني، عمدة القاري(ج274/6)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج207/2).

بالعبادة وتركها في اللهو، بخلاف أهل الكتاب وغيرهم من ملل الكفر الذين يقطعون العمل ويحرمونه كاليهود، وبعضهم لا يرخص لهم بالفرح والسرور في أعيادهم[1]، وما كان ذلك إلا عندما فسدت عقيدتهم ففسدت حياتهم وعبادتهم بغلوهم وإعراضهم عن دين ربهم ﷻ وإحداثهم﴿ ...رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ... ﴾[الحديد:27]، والمراد: أن أمة النصارى ابتدعت عبادة ما شرعها الله لهم، وإنما هم من أحدثها، وألزموا بها أنفسهم[2]، بغلوهم، وانقطاعهم لأجل هذه العبادة المبتدعة بالاعتزال في أماكن مغلقة عليهم عن الناس وملذات الدنيا من المأكل والملبس والزواج وغيرها[3]، فكانت النتيجة أن حبط عملهم، قال تعالى:﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية:3]، أي أن "الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عَبَدَة الأوثان، وكفار أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، لا يقبل الله منهم اجتهادًا في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة"[4]، فلهذا كانت سنة أهل الإسلام مخالفة أهل الكفر والضلال.[5]

ت- النهي عن حضور أعياد الكفار والمشاركة فيها

قال الله تعالى مثنياً ومبيناً شيئاً من منهج أهل الإيمان: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا...وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[الفرقان: 63، 72]

قوله تعالى: ﴿ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾، الزور: هو تحسين وتمويه الشيء الباطل بوصفه خلاف صفته الحقيقية بما يوهم أنه حق[6]، وهذا كذبٌ متعمد[7]، وأعظم هذا النوع من الكذب هو الشرك بالله واتخاذ الأنداد من دونه ﷻ[8]، والمراد بالزور في الآية على قول جمهور المفسرين: أن أهل الإيمان الذين يستمسكون بعقيدتهم لا يحضرون أعياد المشركين، ولا محاضرهم التي يقيمونها من منطلق اعتقادهم؛ لأن ذلك إقرارٌ لهم وشهادة زورٍ بصحة

---

(1) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ص195)، صديق خان، فتح البيان(ج190/1).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج29/8)، السعدي، تفسير السعدي (ص842).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج422/27).

(4) البغوي، معالم التنزيل(ج404/8).

(5) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ص11).

(6) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج98/6).

(7) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج130/6).

(8) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط، تحقيق: الجنة العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ج601/16)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج79/13).

معتقداتهم الفاسدة، وعونٌ لهم على الباطل، وهذا مخالفٌ لدين الله تعالى[1]، قد نهى عنه النبي ﷺ نهياً شديداً، فقال:"{أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟، قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ}.[2]

فيكون وجه التصحيح العقدي في الآية والحديث: هو إنكار معتقدات أهل الملل الكافرة وما نتج عنها، ومن ذلك حرمة حضور أعيادهم، وحرمة تهنئتهم بها؛ لأن ذلك جهلٌ بالدين ورضىً بما يصنعون قد يؤدي إلى الكفر، قال ابن القيم رحمه الله:" ليحذر الوقوع فيما يقع فيه الجهال من الألفاظ التي تدل على رضاه بدينه ... وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثما عند الله وأشد مقتاً... وكثير ممن لا قَدْر للدِّين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قُبْحَ ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه".[3]

ث- إبطال العقائد الفاسدة

عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قالت: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ يَوْمَ السَّبْتِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ أَكْثَرَ مِمَّا يَصُومُ مِنَ الْأَيَّامِ، وَيَقُولُ:{إِنَّهُمَا يَوْمَا عِيدِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمْ}.[4]

معلومٌ من الدين أن أيام العيد لا تصام، وأن الأعياد شعيرة من شعائر الدين وشرائعه، ودين الكفار وشرعهم الذي يأخذون منه عيدهم باطل، فيبطل عيدهم ويحرَّم على أهل الإسلام مشاركتهم بأي شيءٍ فيه، أو في شيءٍ غيره من أمور دينهم، ولو بالتشبه بهم[5]، واليهود والنصارى أهل كتاب أبوا الإسلام واستمروا على كفرهم وشرعهم المبتدع، فكان من منهج النبي ﷺ بيان بطلان عقيدتهم بحرصه على مخالفتهم حتى يقيم عليهم الحجة، ويزيل الوهم بصحة

---

(1) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج98/6)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج130/6)، صديق خان، فتح البيان(ج353/9)، ابن عاشور، التحرير والتنويرج78/19).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/: عقوق الوالدين من الكبائر، 4/8: حديث رقم 5976].

(3) ابن القيم، أحكام أهل الذمة، (ج441/1).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج330/44)]، إسناده حسن.

(5) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم(ص208)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج329/25)، ابن حجر، فتح الباري(ج361/10).

عقيدتهم، ومن تلك المخالفة صيام الأيام التي يعظمونها ويجعلونها أعياداً[1]، حيث كانت اليهود تعظم السبت وتجعله عيداً، والنصارى يوم الأحد.[2]

ج- توثيق عرى الإيمان باليوم الآخر من خلال أعمال يوم العيد

قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ... ﴾[الأنفال:**24**]

الاستجابة لأمر الله تعالى ورسوله في الآية تكون بالعمل بمقتضى الإيمان من الأمر والنهي والدوام على ذلك، والدعوة إليه، وهذه الحياة التي تكون بالإيمان وصحة العقيدة وسبب السعادة في الدارين تكون في مقابل موت الكافر بكفره وخسرانه في الدارين[3]، وقد عمل النبي ﷺ على إحياء القلوب بتشويقها لثواب أعمالها عند لقاء ربها ﷻ يوم القيامة، وذلك من خلال ربط الفرحة بالعيد بفرحة اليوم الآخر، حيث قال ﷺ: {لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ}[4]، ففرحة الصائم التي عند فطره بإباحة ما كان ممنوعاً عنه بالصيام من الطعام وغيره، فرحته عند لقاء ربه بما يعتقده من رضا ربه وثوابه[5]، ويجري هذا في العيدين على ما يكون من أعمال يوم العيد من التكبير والصلاة والأضحية، وصلة الأرحام والصفح والمصافحة بين المسلمين، وإظهار البهجة والسرور، والتوسعة على الأهل بأنواع المباحات.

---

(1) انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي(ج1616/5)، ابن حجر، فتح الباري(ج361/10)، الصنعاني، سبل السلام(ج172/2).

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج10362)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج415/3).

(3) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج344/3)، السعدي، تفسير السعدي(ص318).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الصيام/ فضل الصيام، 807/2: حديث رقم1151].

(5) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج112/4)، الصنعاني، التنوير(ج582/7).

المبحث الثالث

المنهج النبوي في بيان مكانة الصحابة ﷺ

قال النبي ﷺ:{مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ}.(1)

المراد بالحواريين في الحديث: هم خلصاء وأصفياء وأخلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أقوامهم، الذين آمنوا معهم، ونصروهم وأعانوهم على نشر دعوتهم، وحملوا لواءها للناس بعدهم(2)، كما أفاد الحديث تزكية الصحابة ﷺ، وأنهم معانون على ما قدموا من خير(3) وقد زكاهم الله تعالى وأثنى عليهم في مواضع عدة من كتابه، منها قوله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[التوبة:100](4)، وفي هذا المبحث بتوفيق الله وعونه؛ نقف على ما يتيسر جمعه من المنهج النبوي في تزكية الصحابة ﷺ وبيان مكانتهم في الشرع.

المطلب الأول: التعريف بالصحابة، وفضلهم في الكتاب والسنة

أولاً: تعريف الصحابة لغةً وشرعاً

أ- **تعريف الصحابة لغةً**: الصحابة جمع صحابي، والصاحب هو الملازم للشخص المعاشر له.(5)

ب- **تعريف الصحابة شرعاً**: الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإيمان، سواءٌ طالت مجالسته أو قصرت، أو رآه ولم يجالسه لما في رؤية النبي ﷺ من أثر طيب،

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، 69/1: حديث رقم50].

(2) الحديث خرج مخرج الغالب، أو من باب حذف الصفة، فيكون المعنى: أي ما من نبي له أتباع، وعليه فلا تعارض بينه وبين الحديث الذي فيه:{عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ}، وهو في [صحيح مسلم، الإيمان/ الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، برقم(ج220)،(ج199/1). انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج291/1).

(3) انظر: ابن هُبَيْرَة، الإفصاح عن معاني الصحاح (ج98/2).

(4) انظر: التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص203).

(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج519/1).

أو جالسه ولم يره لفقد البصر، أو غزا معه أو لم يغزو، أو روى عنه حديثه أو لم يرو عنه شيئاً، ويخرج من ذلك من آمن في زمنه ولم يرَهُ، كما يخرج من الصحابة المنافق، ومن ارتدَّ عن الإسلام ومات على ردته، ومن رآه كافراً وأسلم بعد وفاته.(1)

ثانياً: عدد الصحابة

لا سبيل إلى معرفة عدد الصحابة ﷺ، رغم أن هناك من قال:" توفي النبي ﷺ ومن رآه، وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة"، وقال آخر :"قُبِض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصحابة، ممن رآه، وسمع منه"، وهذان القولان لا يمكن تحديد العدد بهما؛ لأنه لا يمكن الاطلاع على تحديد ذلك، مع تفرق الصحابة في البلدان والبوادي والقرى، فيحمل قول من ذكر ذلك العدد، أنه قاله على قدر تتبُّعه، ومبلغ علمه(2)، وكل من ألف في ذلك لم يجمع أسماء عُشر عددهم ﷺ(3)، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو يصف عدد من حج مع النبي ﷺ حجة الوداع، حيث قال:" نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ"(4)، وعن كعب بن مالك ﷺ يصف عدد من خرج لغزوة تبوك قال: "وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ".(5)

ثالثاً: تفاضلهم وتفاوت المنازل بينهم

قال تعالى:﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ [التوبة:100]

---

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، أصحاب النبي ﷺ،باب فضائل أصحاب النبي ﷺ،(ج2/5)]، السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج(ج15/1)، ابن حجر، فتح الباري(ج4/7)، وابن حجر، الإصابة(ج158/1)، العيني، عمدة القاري (ج69/16)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج79/6).

(2) انظر: السيوطي، تدريب الراوي (ج221/2)، محمد بن موسى، مشارق الأنوار(ج18/3).

(3) انظر: ابن حجر، الإصابة(ج129/1).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ حَجَّةِ النبيﷺ، 886/2: حديث رقم1218].

(5) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ حديث كعب بن مالك، 3/6: حديث رقم4418].

بيَّن الله تعالى في هذه الآية التفاضل بين الصحابة ﷺ وتفاوت منازلهم فقدم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين صلوا إلى القبلتين وأثنى عليهم.[1]

وقال ﷻ:﴿ ...لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[الحديد:**10**].

فضَّل الله تعالى في هذه الآية من أنفق من قبل الفتح الذي كان بصلح الحديبية وجاهد عن الذين أسلموا وأنفقوا وجاهدوا بعد؛ لأن المسلمين كانوا وقتها في ضعفٍ وبحاجة وشدة أكبر إلى العون والنصرة؛ إذ كانت دعوتهم محصورةً في المدينة وحولها، ثم بين الله تعالى أنهم رغم التفاوت بينهم فهذا لا يدل على النقص والقدح في المفضول منهم، فقال بعد بيان تفاضل درجاتهم:﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى ﴾.[2]

ومما ذكر في بيان تفاضلهم: "أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة– أي: المبشَّرون بالجنة–، ثم البدريون– أي: من شهدوا غزوة بدر– ثم أصحاب أُحد– أي: من شهدوا غزوة أُحد–، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية"[3]؛ "لأن هؤلاء آمنوا وفي عدد المسلمين في مكة والمدينة قلة وضعف، فقوي الإسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين بسبب إسلامهم...واقتدى بهم غيرهم، فكان حالهم فيه كحال من سنَّ سنةً حسنةً فيكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة".[4]

رابعاً: مكانتهم في الأمة

أجمعت الأمة من أهل الحق أهل السُّنَّة والجماعة على تقدير الصحابة ﷺ والرفع من شأنهم والترضي عنهم، والإقرار بفضلهم وعدالتهم، ولم يعرف فيهم مخالفٌ، ولم يقبلوا ذامَّهُم بحالٍ، وأن ذلك من دين الله الذي تعبدهم به، وهذه جملة من أقوال علمائهم:

قال الإمام أبو حنيفة :"مقامُ أحدِهم مع رسول الله ﷺ ساعةً واحدةً خيرٌ من عمل أحدنا جميع عمره، وإن طال".[5]

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج134/16)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج236/8).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج240/17)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج12/8)، السعدي، تفسير السعدي (ص838).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج236/8).

(4) الرازي، مفاتيح الغيب (ج135/16).

(5) محمد الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة(ص21).

قال الإمام الشافعي رحمه الله:"وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن، والتوراة، والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنّأهم...أدَّوا إلينا سُنَن رسول الله ﷺ، وشاهدوه، والوحي يَنزِل عليه، فعلِموا ما أراد رسول الله ﷺ عامّا وخاصّا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كلّ علم، واجتهاد، وورَعٍ، وعقلٍ، وأمر استُدرك به علم، واستُنبط به، وآراؤهم لنا أحمد".[1]

قال الخطيب البغدادي[2]رحمه الله: "لو لم يرد من الله ﷻ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه؛ لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القاطع على عدالتهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء".[3]

وقال ابن الصلاح رحمه الله [4]: "إن الأمة مجمعة علي تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكان الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك؛ لكونهم نقلة الشريعة".[5]

قال ابن كثيرٍ رحمه الله في تفسيره:" أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: فيا ويل من أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم...فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عياذًا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبُّون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يتَرضَّون عمن

(1) ابن القيم، إعلام الموقعين (ج80/1).

(2) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي(392هـ-463هـ)، الحافظ علامة عصره ومحدثه، أثنى عليه العلماء في عصره وبعده، وعولوا على أقواله وعلمه، طاف البلاد لطلب العلم ونشره، صاحب التصانيف الكثيرة التي تجاوزت الخمسين مصنفاً. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج270/18).

(3) البغدادي، الكفاية في علم الرواية (ص49).

(4) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشافعي (ج577هـ-643هـ)، كان إماماً ورعاً حاز واسع الاطلاع والمعرفة بعلوم الشريعة، سلفي العقيدة ذاماً لعلم الكلام محرماً لإدخال مصطلحات الفلاسفة بين ألفاظ الشرع، له كتابه المشهور علوم الحديث، من شيوخه: فخر الدين ابن عساكر، وابن قدامة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج140/23).

(5) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح (ص295).

رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون...ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون".[1]

وقال الطحاوي رحمه الله وهو يبين اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة :"ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفَرِّط في حُبِ أحد منهم، ولا نَتَبَرَّأُ من أحد منهم، ونبغض من يُبْغِضُهُم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نَذكُرُهم إلا بخير، وحُبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".[2]

المطلب الثاني: التلميح بما سيجري بين الصحابة، والتحذير من الوقوع فيهم

قدر الله تعالى سنناً في الكون جريانها على خلقه واقعٌ لا محالة، ومن ذلك الابتلاء على الإيمان، قال ﷻ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت:2]، وقدر سبحانه أن يكون من هذا الابتلاء، الابتلاء بالناس من المسلمين وغيرهم[3]، قال تعالى:﴿...وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[الفرقان:20]

ومن الابتلاءات التي وقعت في تاريخ الأمة ما حدث زمن الصحابة ﷺ من فتنٍ وأحداثٍ، ضل بها أقوامٌ من أهل الزيغ والضلال، فتقولوا على أصحاب النبي ﷺ وجاؤوا بإفك عظيمٍ، وقد بيَّن الله تعالى ورسوله ﷺ صدق إيمانهم وعدالتهم وحُسْنَ منهجهم ونزاهتهم، وتحدثت السُّنَّة بالتلميح لما سيجري بينهم دون ذمهم أو تأثيمهم، ومن ذلك:

بيان صحة إسلامهم، وبقاء إيمانهم قبل وبعد وقعة الجمل وصفين

أولاً: التلميح بما سيجري في وقعة الجمل

قال النبي ﷺ لنسائه مرةً:{أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَة الْجَمَل الْأَدْبَب، تَخْرُج حَتَّى تَنْبَحهَا كِلَاب الْحَوْأَب يُقْتَل عَنْ يَمِينهَا وَعَنْ شِمَالهَا قَتْلَى كَثِيرَة وَتَنْجُو مِنْ بَعْدِمَا كَادَتْ}.[4]

المراد بالجمل الأدبب: هو كثير شعر الوجه[5]، وهو الجمل الذي كان يحمل هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما خرجت من مكة بعد الحج في ركبٍ قصد البصرة للقصاص

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج203/4).

(2) شرح الطحاوية لابن ابي العز (ص467).

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج58/24)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج100/6)، صديق خان، فتح البيان (ج295/9).

(4) الحديث ذكره ابن حجر في فتح الباري(ج55/13)، وقال :"رجاله ثقات"، وقال البصارة الكويتي في أنيس الساري (ج2390/3):"إسناده حسن".

(5) انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري(ج408/1)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج96/2).

من قتلة الخليفة عثمان ﵁، و" لَمَّا أَقبَلَتْ عَائِشَةُ مَرَّتْ بِبَعْضِ مِياهِ بَنِي عَامِرٍ طَرَقَتْهُمْ لَيْلًا فَسَمِعَتْ نُبَاحَ الْكِلَابِ فَقَالَتْ: "أيُّ ماءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الحّوْأَبِ قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً! قَالُوا: مَهْلاً يَرحَمُكِ اللَّهُ! تَقْدَمِينَ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ فيُصْلِحُ اللَّهُ بِكِ! قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ" يَقُولُ:{كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلابُ الحَوْأَبِ}[1]، والحوأب: بئر ماءٍ في منزلٍ بين مكة والبصرة[2]، ولما وصل الجمع إلى البصرة حدثت مناوشات بين المسلمين ممن كانوا مع عائشة رضي الله عنها ومن خالفهم وأبى موقفهم من أهل البصرة، رغم امتناع من كانوا مع عائشة رضي الله عنها عن قتالهم[3]، وكان عليٌ رضي الله عنه لمَّا سمع بخروج القوم مع أم المؤمنين ومعها طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما، وهما من العشرة المبشرين بالجنة[4]، خرج لمنع الفتنة بصفته الخليفة المجمع عليه من الأمة وقتها، فلما وصلهم ﵁ والتقى بأم المؤمنين ومن معها نزل الجميع وتصالحوا على تسليم الأمر لعلي ﵁؛ لأنه خليفة المسلمين، ولم يعزم أحدٌ من الطرفين على قتال الآخر، لكن السبئية أتباع عبد الله ابن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام، وعمل على إثارة الفتنة بين المسلمين، وقامت معه جماعة توافقه على ذلك خافوا على أنفسهم من صلح المسلمين واجتماع كلمتهم، فباتوا بشر ليلة وحاكوا السوء فانشبوا القتال، فقتل خلقٌ كثيرٌ من المسلمين، فتنبه عليٌ ﵁ لذلك فرأى أن يخرج أم المؤمنين من مكان الفتنة حتى تنتهي فتنة السبئية ففعل، فتوقف القتال، وظهر منه ومن أم المؤمنين ندماً شديداً لِما حدث، وصلى عليٌ ﵁ على قتلى المسلمين من الطرفين مما يبين أن هذا الحدث ليس من أصحاب النبي ﷺ بل من الباطل، وجهز أم المؤمنين وأرسلها إلى مكة حتى حجت ثم رجعت إلى مقامها في المدينة، وباسم الجمل الذي كان يحمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سُميت الوقعة وقعة الجمل.[5]

(1)[ابن حبان:صحيح ابن حبان، التاريخ، بَابُ إِخْبَارِهِﷺعَمَّا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْحَوَادِثِ، 126/15: حديث رقم 6732]، وقال الألباني في التعليقات الحسان، حديث رقم(ج6697)،(ج399/9).

(2) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج456/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج433/10).

(3) انظر: الطبري، تاريخ الطبري(ج11/3)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج104/3)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج431/10)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج355/3).

(4) من قول النبيﷺ:{النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ... وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ}، والحديث في مسند أحمد(ج177/3)، وإسناده حسن، وانظر: في المسند أيضاً مسند العشرة المبشرين بالجنة(ج24/3،5)، وسير أعلام النبلاء للذهبي(ج41/1،23).

(5) انظر: الطبري، تاريخ الطبري(ج43/3،40)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج146/3،142،131)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج491/10،470،461)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج326/2)، و(ج357/3،40)

من خلال ما سبق يتبين:

أن النبي ﷺ لما عَرَّضَ بالتلميح لهذه الفتنة بذكر نباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه فكانت عائشة رضي الله عنها، لم يذمها بشيء، مما يدلل على بقاء مكانتها وحرمة التقول عليها، وأنها زوجته في الدنيا وفي الآخرة في الجنة، قال الحسن بن علي رضي الله عنهما لما صعد المنبر، ونادى في أهل الكوفة: "إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ"(1)، ومعلومٌ أن إخبار الصحابي عن أمرٍ غيبيٍ يعدُّ من كلام النبي ﷺ، فيحمل كلام الحسن ﷺ هذا على ذلك.

ثانياً: التلميح بما سيجري في وقعة صفين

عن أبي هريرة ﷺ:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: {لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ}.(2)

والمراد بهذا الحديث ذِكْر ما وقع بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما لما تحاربا بصفين، وقوله دعواهما واحدة، أي: دينهما واحد، وكلاً منهما كان يرى أنه على حق، ولا خلاف بين العلماء أن كل متأولٍ معذور، ولا يأثم إن لم يصب، مادام تأويله سائغاً في كلام العرب وله وجهٌ في العلم، وقد عذر النبي ﷺ أصحابه في تأولهم، ومن ذلك عذره ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ، عندما عنف هشام بن حكيم لما سمعه يقرأ القرآن على خلاف ما سمعه من النبي ﷺ، كما عذر النبي ﷺ أُسيد بن حضير عندما تأول واتهم سعد بن عبادة رضي الله عنهما بالنفاق والجدال عن المنافقين(3)، كما أن الله تعالى قال:﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الحجرات:9] ، ففي هذه الآية بيَّن الله تعالى

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الفتن/ الفتنة التي تموج كموج البحر، 55/9: حديث رقم7100].

(2) [المصدر السابق، الفتن/ خروج النار، 59/9: حديث رقم7121].

(3) انظر: الكرماني، الكواكب الدراري(ج60/24)، وابن الملقن، التوضيح (ج583,579/24) و(ج402/32)، العيني، عمدة القاري(ج91،90/24)، وحديث عذر النبيﷺ لعمر لما عنف هشاماً رضي الله عنهما ذكره البخاري في صحيحه[كتاب الشهادات،باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، 173/3:حديث رقم2661] وكذلك عُذر أسيد وسعد رضي الله عنهما في نفس المصدر[كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين ،17/9: حديث رقم6936].

عدم زوال الإيمان والأخوة فيه بالقتال بين أهله، وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة[1]، وعليه فليس لأحدٍ التقول على الصحابة الكرام ﷺ وإنكار فضلهم.

ومما ألمح به النبي ﷺ لوقعة صفين غير هذا الحديث، أنه قال لعمار بن ياسر رضي الله عنهما: {وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ}.[2]

قال ابن حجرٍ رحمه الله معلقاً على هذا الحديث ومبيناً ما قُصد به:" إن قيل كان قتله بصفين-يقصد عماراً ﷺ- وهو مع عليٍّ-ﷺ- والذين قتلوه مع معاوية-ﷺ- وكان معه جماعة من الصحابة-ﷺ- فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في إتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي-ﷺ- وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم".[3]

وفي ذكر قتال المارقة وهم الخوارج الذين خرجوا زمن الفتنة في صفين وبعدها على عليٍّ ﷺ فقاتلهم بمن كان معه من المسلمين، ولم يقاتلهم معاوية ﷺ[4]، قال النبي ﷺ:{تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ}.[5]

ففي الحديث دلالة واضحة على أن علياً ﷺ، ومن كان معه على الحق، وأن من قاتلهم كان متأولاً مخطئاً في تأويله ومعذوراً[6]، ومع ذلك لم يقل النبي ﷺ بتكفير أو تفسيق الطائفتين أو المتأول المخطئ منهما، ووصفهم بأولى الطائفتين إلى الحق وأقرب، وسماهم مسلمين[7]، مما يدلل على قدر الصحابة ﷺ ورفعة مكانتهم في الأمة، وبراءتهم من كل ذم ونقص.

كما لا يستدل بحديث ابن عباس رضي الله عنهما بالطعن على معاوية ﷺ لا في صفين ولا في غيرها، بل يستدل بالحديث على أنه من مناقب معاوية ﷺ، حيث قال ابن عباس

---

(1) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص800).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/ التعاون في بناء المسجد، 97/1: حديث رقم447].

(3) ابن حجر، فتح الباري (ج542/1).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج295/12)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج59/6)، الولَّوي، ذخيرة العقبى (ج127/23) و(ج94/32).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الزكاة/ ذكر الخوارج وصفاتهم، 741/2: حديث رقم1064].

(6) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج619/6).

(7) انظر: المازري، المُعْلم بفوائد مسلم(ج37/2)، القاضي عياض، إكمال المعلم (ج613/3).

رضي الله عنهما:" كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً، وَقَالَ: {اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ}، قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ:{اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ}، قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ:{لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ}.(1)

أولاً: "لا يُفهم من ظاهر هذا الحديث أكثر من أن ابن عباس شاهد معاوية يأكل فعاد لرسول الله ﷺ ليخبره، بل ليس فيه ما يدل على أن ابن عباس قد أخبر معاوية بأن رسول الله يريده"(2)، ثم إن تكرار إرسال النبي ﷺ لمعاوية ﷺ دون غيره، يدلُّ على خصوصيته عنده، وقربه منه.(3)

ثانياً: هذا الدعاء على افتراض حمله على ظاهره وهو ليس كذلك(4)يدخل في مناقب معاوية ﷺ كما بين ذلك الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله من خلال تصنيفه للحديث حيث أدرج قبله قول النبي ﷺ :{اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.(5)

ثم إن النبي ﷺ المُزكى في لفظه وإخباره بكل أمرٍ من ربه تعالى بقوله:﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)** ﴾[النَّجم]، بين فضل الصحابة عامة ورفعة رتبتهم وشرفهم في الأمة، وحذر من الوقوع فيهم في عدة أحاديث منها:

1- تزكية عموم الصحابة

قال النبي ﷺ:{خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ}.(6)

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ من لعنه النبيﷺأو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة، 2010/4: حديث رقم2604]، قوله فَحَطَأَنِي حَطْأَةً : هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين، من باب التنبيه والتعليم بلطفٍ وتأنيس، لا من باب قصد إيقاع الأذى، إذ ليس في أخبار هديه ﷺ ما يفيد ذلك. انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج75/8)، والنووي، المنهاج(ج156/16).

(2) فتاوى الشبكة الإسلامية، التابعة لوزارة الأوقاف القطرية، بإشراف عبد الله الفقيه، فتوى رقم(ج192003) بتاريخ(ج13/محرم/1434هـ)، الموافق(ج2014/11/27م)، رابط الموقع:(www.islamweb.net).

(3) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هُبَيْرَة (ج260/3).

(4) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج75/8)، والنووي، المنهاج (ج156/16).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ من لعنه النبيﷺأو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة، 2009/4: حديث رقم2603].

(6) [البخاري:صحيح البخاري، أصحاب النبي ﷺ،باب فضائل أصحاب النبي ﷺ،2/5:حديث رقم3650].

القرن: يطلق على أهل زمانٍ متقارب، يجتمعون فيه على أمرٍ واحد، ويختلف في مدته باختلاف أعمار أهله، والمقصود بخيرية قرنه ﷺ: هو خيرية الصحابة وأفضليتهم على سائر الأمة، بغربتهم في صبرهم على دينهم، وبما قدموه من عملٍ لنصرة النبي ﷺ ودين الله تعالى، وشرف رؤية النبي ﷺ وصحبته، وحفظ الدين من البدع التي لم تنتشر إلا بعد زمانهم.(1)

2- بيان أن أمن الأمة باقٍ بوجود الصحابة ﷺ

قال ﷺ: {النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُون}.(2)

الأمنة: يعني الأمن والأمان، والمراد بالحديث أن بقاء النجوم في السماء يعني بقائها وبعدها عن الزوال بالانفطار والطي الذي يحدث بقيام الساعة، ووجود النبي ﷺفي الأمة أمانٌ لهم من الفتن والردة والحروب، ووجود الصحابة وبقائهم في الأمة أمانٌ لهم من ظهور البدع والحوادث واختلاف الرأي في الدين، وظهور الكفار على المسلمين، وقد حدثت هذه الأمور التي ذكرها النبي ﷺ.(3)

3- النهي عن الوقوع فيهم بالسب وغيره وبيان سَبْقِهِم في الفضل على سائر الأمة

قال النبي ﷺ: {لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ}.(4)

أفاد الحديث حرمة سب الصحابة ﷺ، وبين أفضليتهم على سائر قرون الأمة، من لابس الفتنة منهم ومن لم يلابس؛ لأنهم مجتهدون معذورون في ذلك كما سبق بيانه، ولو أن أحداً من أبناء الأمة أنفق من الذهب مقدار جبل أُحُد الذي في المدينة، فإنه لا يساوي مقدار إنفاق أحدهم ملء كفه طعاماً ولا أقل منه، لأنهم قدموا ذلك في أول ظهور دعوة الإسلام

---

(1)انظر:ابن حجر،فتح الباري(ج6/7)، العيني،عمدة القاري(ج170/16)،القسطلاني،إرشاد الساري (ج80/6).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة ﷺ/ بيان أن بقاء النبيﷺأمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، 1961/4: حديث رقم2531].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم (ج568/7)، والنووي، المنهاج(ج83/16)، الصنعاني، التنوير (ج523/10).

(4) [البخاري:صحيح البخاري، أصحاب النبيﷺ،باب قول النبيﷺ:"لو كنت متخذا خليلا"،8/5:حديث رقم 3673].

وغرابته، عند ضيق حالهم وضعفهم وشدة حاجتهم لحماية النبي ﷺ ونصرة دينه بيقينٍ وصدقٍ وإخلاصٍ، وتقديم مثل هذا مفقودٌ بعد هذا القرن.[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ:{من سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}.[2]

أفاد الحديث شدة حرمة سبهم، وهو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وقد أفتى جمهور علماء الأمة بتعزير من سبهم، وبعضهم قال بقتله[3]، وقال الإمام أحمد رحمه الله:" ما أراه على الإسلام"، وبيَّن الإمام مالك رحمه الله أن من يقع في أصحاب النبي ﷺ يقصد الوقوع في النبي ﷺ نفسه بحيلة الطعن على أصحابه ﷺ، حتى يبطل الإسلام بفيهه، وهو محالٌ، حيث قال: "إنما هؤلاء قومٌ أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يُمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجلُ سوءٍ، كان له أصحابُ سوءٍ، ولو كان رجلاً صالحاً كان أصحابه صالحين".[4]

---

(1) انظر: النووي، المنهاج (ج93/16)، والكواكب الدراري للكرماني(ج215/14)، ابن حجر، فتح الباري (ج35/7)، العيني، عمدة القاري(ج187/16)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج94/6).

(2) [الطبراني،المعجم الكبير(ج142/12)]، حسن.انظر:صحيح الجامع للألباني(ج1077/2) برقم(6285).

(3) انظر: النووي، المنهاج(ج93/16)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج94/6).

(4) ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص580).

المبحث الرابع

المنهج النبوي في بيان افتراق الأمة، وسبل علاجه

أمر الله تعالى بالعمل بجميع شرائع الإسلام أصولاً وفروعاً، وعدم الاختلاف والفرقة التي تجعل الناس شيعاً وأحزاباً يعادي بعضها بعضاً؛ لأن الدين يجمع الناس ولا يفرقهم، فقال تعالى[1]: ﴿...أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ [الشُّورى:13]، وقد عمل النبي ﷺ على إقامة دين ربِّه ﷻ كما أمر، وعلَّم أُمته ذلك وأمرها به، وحذرها من الفرقة فيه بالشَّهوات أو الشُّبهات ببيان عواقب ذلك وسبل النجاة منه، وفي هذا المبحث نقف على شيءٍ من ذلك نلتمس النفع بحول الله تعالى وفضله.

المطلب الأول: بيان افتراق الأمة في مناهجها العقدية، وسبل علاجه

أولاً: بيان افتراق الأمة في مناهجها العقدية

أخبر النبي ﷺ عن افتراق الأمم الماضية في عقيدتها، وأكد حدوث مثل هذا الافتراق في أمته، لكي تحذر أمته هذا الشَّر وتتجنب أسبابه[2]، فقال ﷺ:{افترقَتِ اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتَفتَرِقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقةً}.[3]

المراد بقوله:{تَفتَرِقُ أمَّتي}، أي: أمة الاستجابة لدعوة النبي ﷺ بالتوحيد، وهي بخلاف أمة الدعوة، الذين دُعوا إلى التوحيد فكفروا به[4]، كما أن المراد بالافتراق في الحديث ليس اختلاف الفقهاء في فروع المسائل الفقهية التي تسع ذلك، ويختلف تناولها باختلاف الأشخاص والأزمان والأفهام من أبواب الفتوى في الحلال والحرام، وإنما المقصود هنا هو الاختلاف في أصول الدين وأمور العقيدة وما يندرج تحتها مما حدث فيه الخلاف عبر تاريخ الأمة الإسلامية، مثل إنكار صفات الله تعالى، وتشبيه الخالق بالمخلوق، والقول بحلوله في خلقه، والقول بخلق القرآن، والقول بأن العبد مجبورٌ على فعله، وتكفير الصحابة ﷺ ونحوها، فهؤلاء هم المقصودون

---

(1) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص754،282).

(2) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج492/3).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، السنة/ شرح السُّنَّة، 5/7: حديث رقم4596]، حديث صحيح.

(4) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج140/1).

في الحديث، ومن منهجهم تكفير مخالفيهم، وتكفير بعضهم بعضاً، بخلاف منهج أهل الاختلاف الفقهي فهم لا يفسقون أحداً، ولا يكفرون في مسائل الفروع، بل ينصح بعضُهم بعضاً.[1]

وهذا الافتراق المذكور في مسائل العقيدة لا يفيد كفر هؤلاء المفترقة عن منهج أهل السُّنَّة وخروجهم من الإسلام بالكلية؛ لأنه جعلهم من أمته، فقال:{تَفتَرِقُ أمَّتي}[2]، كما أن قوله ﷺ في رواية أُخرى:{كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً}[3]، لا يفيد خلودهم فيها ما لم تُفْضِ بدعة أحدهم إلى الكفر، بل يدخلونها بما اقترفوا من الإثم إذا شاء الله ثم يخرجون، كما هو معلومٌ في أدلة الشرع، وعلى هذا مذهب أهل السُّنَّة.[4]

وأول ظهورٍ للفرق واختلافها بدأ في آخر عهد الصحابة ﷺ، بظهور الخوارج الذين خالفوا الصحابة فكفروهم وقاتلوهم، ثم القدرية ثم المعتزلة ثم الرافضة، وهكذا كلما مرَّ الزمان من وقتها ظهر أهل الافتراق ببدعهم وتشعبوا حتى أصبحوا بالعدد المذكور في الحديث، وبقيت الفرقة الناجية فرقة أهل السُّنَّة والجماعة على الحق الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسُّنَّة.[5]

وأسباب الاختلاف والافتراق

أسباب هذا الشر تكمن في الميل بالشبهات عن الكتاب والسنة، واتباع أهل الملل الضالة السابقة[6]، وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى وحذر من هذه الفتنة فقال ﷺ:{لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسَ وَالرُّومِ فَقَالَ وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ}[7]، وقال في رواية أُخرى:{ لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا

---

(1) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج398/7) وما بعدها.

(2) انظر: الخطابي، معالم السنن (ج295/4).

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، الإيمان/ ما جاء في افتراق الأمة، 381/4: حديث رقم2641]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج5343)،(ج943/2):"حسن".

(4) انظر: الخطابي، معالم السنن (ج295/4)، الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن(ج640/2)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص235،343،430).

(5) انظر: الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص520)، وما بعدها، وابن الملقن، التوضيح (ج340/32)، العيني، عمدة القاري(ج139/18)، المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج398/7).

(6) انظر: الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص260).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ قول النبيﷺ:{لتتبعن سنن من كان قبلكم}، 102/9: حديث رقم731].

وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ}، "قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى"، قَالَ:{فَمَنْ}.(1)

قول النبي ﷺ:{شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ}، هو تمثيلٌ لبيان مدى الاقتداء بهؤلاء القوم فيما وقعوا فيه من الضلال، والحديثان يدخلان في باب الإخبار الذي قُصد به تحذير الأمة من الوقوع في المحدثات والبدع والأهواء المضلة حتى يتغير الدين عند من يُحْدِثُ ذلك(2)، وذكر الفرس والروم من حيث أنهما جمعا بين الحكم والسياسة اللذين بهما تُلْزِمُ الرعية اتباع الحُكَّام فيما أرادوا، وذكر اليهود والنصارى من حيث أنهما أهل كتابٍ استقلوا بالرأي والعقل دون ما شُرع لهم؛ فكانت البدع والمحدثات التي بها ضلوا.(3)

فلما ظهر في الناس من خالف أمر النبي ﷺ، وتحذيره من الافتراق في الدين؛ وقع ما أخبر به من الافتراق والفتن بتقديم رأي الأصاغر واتباع الهوى(4)، فظهر الكلام في القدر، وظهرت الخوارج والرافضة، وتُرجمة كتب الشرق والغرب وانبهر بعض الناس بها، فقيل بخلق القرآن، وقُرِّب المنجمون عند بعض السلاطين وأُخذ برأيهم، ودخلت الفلسفة وعلومها، واغتنم أهل النفاق الفرصة فأدخلوا شرورهم وسمومهم، وهكذا توالت الفتن على المسلمين، فكانت البدع والأهواء، وكثرت الوقائع والاختلافات، والبغي على أئمة الدين، الذين ما ألوا جهداً في دفع هذه البلايا والأباطيل عن الإسلام وأهله.(5)

ثانياً: سُبل النجاة من الافتراق العقدي وعلاج الوقوع فيه

بيَّن النبي ﷺ سبيل النجاة من الوقوع في الافتراق العقدي السابق الذكر، فقال ﷺ:{افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ"

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ قول النبيﷺ:{لتتبعن سنن من كان قبلكم}، 103/9: حديث رقم732].

(2) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج366/10)، ابن حجر، فتح الباري(ج301/13).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج301/13).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج301/13).

(5) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج20/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج200/13)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص483،490)، السفاريني، لوامع الأنوار (ج87/1،86،9)،

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ}[1] ، وفي رواية قال:{تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي}.[2]

قول النبي ﷺ في بيان سبيل النجاة:{الجماعة}،أي: "الموافقون لجماعة الصحابة الآخذون بعقائدهم، المُتمسِّكون برأيهم"[3]، من جماعة العلماء الذين جعلهم الله حجةً على خلقه، وإليهم تفزع الأمة عند الملمات والنوازل[4]، وولاة أمر المسلمين ما داموا على الجادة والحق[5]، الذين ينطبق على منهجهم قوله ﷺ في الرواية الثانية:{مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي}، ويتبرؤون مما سوى ذلك؛ لاعتقادهم كمال دين الله تعالى الذي قال:﴿... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[المائدة:3]، ولزموا توجيه النبي ﷺ الذي قال:{ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي}.[6]

ومما جعلوه قاعدةً يحفظون بها عقيدتهم واجتماعهم عليها في هذا، ويردون به على خصومهم من أهل البدع والأهواء، ما ذكره ابن كثير رحمه الله، حيث قال :"أما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها".[7]

المطلب الثاني: بيان تداعي الأمم على المسلمين، وسبل علاجه

أولاً: بيان تداعي الأمم على المسلمين

قال النبي ﷺ:{يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا}، فَقَالَ قَائِلٌ :"وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟" قَالَ:{بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ

---

(1) [ابن ماجة: سنن ابن ماجه، الفتن/ افتراق الأمم، 128/5: حديث رقم3992]، صحيح لغيره.

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، الإيمان/ ما جاء في افتراق الأمة، 381/4: حديث رقم2641]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج5343)،(ج943/2):"حسن".

(3) حاشية السندي على سنن ابن ماجة(ج480/2).

(4) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج337/32).

(5) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج38/19).

(6) [الحاكم: مستدرك الحاكم، العلم، 172/1: حديث رقم319]، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع برقم(2937)، (ج566/1).

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج278/7).

صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ}، فَقَالَ قَائِلٌ :"يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟"، قَالَ:{حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ}.(1)

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِثَوْبَانَ ﷺ(2):{كَيْفَ أَنْتَ يَا ثَوْبَانُ، إِذْ تَدَاعَتْ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَتَدَاعِيكُمْ عَلَى قَصْعَةِ الطَّعَامِ تُصِيبُونَ مِنْهُ؟} قَالَ ثَوْبَانُ:" بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا؟"، قَالَ:{لَا، بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ يُلْقَى فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ}، قَالُوا: "وَمَا الْوَهَنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟"، قَالَ:{حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ}.(3)

لفظ{يُوشِكُ} ومعناه يقرب(4)، وهو أفعال المقاربة المراد به تحقق وقوع المُخْبَر به بعده.

و{الْأُمَمُ} هي الأمم المغايرة للإسلام الضالة عن الهدى، المعادية لأهله، و{تَدَاعَى} أي يدعو بعضُها بعضاً(5)، و{الْغُثَاءُ} هو الزبد الذي يحمله السيل من الأوساخ وما يبُسَ من النبات، والمراد بذلك بيان ضعف المسلمين وفرقتهم وقلة شجاعتهم، وهوانهم في نظر عدوهم(6)، و{الْوَهْنَ} هو الضعف، وقد فسره النبي ﷺ بما يوجبه ويسببه{حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ}، وفي الرواية الثانية:{كَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ}، وهذان الأمران متلازمان، يدعوان من وقع فيهما إلى إعطاء الدنِيَّة في الدِّين أمام الأعداء.(7)

والمعنى الإجمالي للحديث هو: بيان أن فرق الكفر، وأُمم الضلال توشك أن تدعوا بعضُها، فتجتمع على قتال المسلمين لكسر شوكتهم، ويغلبوا على ديارهم وأموالهم، ويكون ذلك عليهم يسير، كالذين يجتمعون على وعاء الطعام فيأخذون منه بيسرٍ دون مشقة ولا مانعٍ، مع

(1) [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الملاحم/ في تداعي الأمم على الإسلام، 355/6: حديث رقم4297]، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة، برقم(958)،(ج647/2):"صحيح".

(2) هو الصحابي الجليل ثوبان بن جَحْدَر، كان من سبي الحجاز، وقيل اليمن فاشتراه النبيﷺ وأعتقه، فلزم النبيﷺ وصحبه ووالاه ونقل عنه العلم، وطال عمره، فشارك في فتح مصر، ثم سكن الشام ومات بحمص سنة أربعٍ وخمسين للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج15/3).

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج332/14)]، حسن لغيره.

(4) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج1365/9).

(5) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج313/3).

(6) انظر: شرح السنة للبغوي(ج16/15)، البيضاوي، تحفة الأبرار (ج313/3)، والعظيم أبادي، عون المعبود (ج1365/9).

(7) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج313/3)، والعظيم أبادي، عون المعبود(ج1365/9).

أن عدد المسلمين كبيرٌ وعدتهم كثيرةٌ، وحدوث ذلك للمسلمين بسبب تركهم العمل بشرع الله تعالى وحُبِهم للدنيا والركون إليها وعدم العمل والإعداد لما بعد الموت.(1)

وهذا الواقع المذكور في الحديث حادثٌ في عصرنا؛ حيث إن أعداء الإسلام من ملل الكفر والضلال تداعوا على أمة الإسلام كاليهود والنصارى والروافض والروس وغيرهم، فسلبوا خيرات بلادها، واحتلوا في بعض الأمصار ديارها، وسفكوا دماءها، واعتدوا على أعراضها، وأثَّروا على ثقافتها، وحَرَفوا أجيال أبنائها عن عقيدتهم وعبادة ربهم إلا من رحم الله ونجى، مع أن هذه الأمم الكافرة الضالة المجتمعة على المسلمين مختلفة في عقائدها وأفكارها والعداء قائمٌ بينها، لكنها تتجاوز عن خلافاتها وتجتمع لمن ترى أنه العدو الأكبر، وفعلهم هذا نابعٌ من شدة كفرهم بربهم ﷻ، وحربهم لمن يوحده، كما أن حال الأمة إلا من رحم الله يُعَبِّدُ الطريق وييسره أمام تداعي أمم الكفر وأفعالها، بمثل وصف النبي ﷺ في الحديث.

ثانياً: سبل علاج تداعي الأمم الكافرة على المسلمين

من منهج النبي ﷺ بيان الداء والتحذير منه بالدلالة على أسبابه، وهذا هو أعظم علاج، ودليل ذلك أنه ذكر في خاتمة حديث تداعي الأمم الكافرة على المسلمين سبب هذا التداعي حيث بين أن الانشغال بالدنيا وملذاتها عن الآخرة هو سبب ذلك الوهن والبلاء، فينبغي على المسلمين الأخذ بهذا الهدي النبوي للخلاص في الدارين، ويمكن إبراز ذلك في النقاط التالية:

أ- طلب العلم الشرعي والتفقه فيه، قال النبي ﷺ:{مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ}.(2)

الفقه هو العلم بالشيء والفهم له، وغلب إطلاقه على الفقه في الدين؛ لشرفه وسيادته على سائر العلوم، وهو المقصود في الحديث(3)، ويكون بتعلُّم قواعد الإسلام وما يتصل بها من فروع(4)، ومن لا فقه له ولا يطلب الفقه فلا خير له؛ لما أوقع نفسه فيه من الحرمان؛ لأن الفقه في الدين يورث خشية الله تعالى في القلب، ويُظهر أثرها على الجوارح بالأعمال، فيكون الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والمداومة على الطاعة(5)، وفي هذا بيانٌ لفضل العلم، وحثٌ على

---

(1) انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي(ج3393/11).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، 25/1: حديث رقم71].

(3) انظر: العيني، عمدة القاري(ج50/2).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج165/1).

(5) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجة(ج96،101/1).

طلبه، وأن طلب العلم أفضل من عبادة العوام[1]؛ لأن الفقيه يذكر الناس بربهم، ويبين لهم ما يضرهم وما ينفعهم[2]، وبعكس ما ذكر في فضل الفقه يكون الوهن الذي ذكره النبي ﷺ، وتكون نتائجه الحتمية.

ب- تجنب الوقوع في المحرمات، فهي من أسباب حدوث النكسات، ووزن الأعمال بميزان الشرع،

فالحلال ما أحل الله ورسوله، والحرام ما حرم الله ورسوله، قال النبي ﷺ :{إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ}.[3]

قوله عليه السلام :{إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ}، المراد ببيع العينة هو أن يبيع سلعة لشخصٍ بِدَيْنٍ ثم يشتري نفس السلعة نقداً بثمنٍ أقل مما باعها به قبل أن يقبض ثمنها، وهذا الوعيد يفيد حرمة هذه المعاملة[4]، وقوله:{وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ}، أي سرتم خلف البقر، واشتغلتم بالزراعة في زمنٍ كان يتعين عليكم الجهاد فيه، وقوله:{سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا}، سبب تسليط هذا الذل أنهم لما تركوا الجهاد المتعين عليهم الذي سماه دِيْناً في آخر الحديث؛ لأن به يبقى عِزُّ الإسلام وأهله وعلوهما على كل الأديان الباطلة، فعاملهم الله بنقيض عملهم، وهو إحلال الذل بهم حتى يرجعوا عن ذلك.[5]

ت- نبذ الفُرْقَة وأسبابها والتنافس على الدنيا، فحُب الدنيا وكراهية الموت من أسباب التنافس والفرقة بين الناس، قال النبي ﷺ:{وَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ}.[6]

---

(1) انظر: النووي، المنهاج(ج128/7)، الصنعاني، التنوير(ج415/9).

(2) انظر: العيني، عمدة القاري(ج48/2).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، البيوع/ في النهي عن العِينة، 332/5: حديث رقم3462]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج423)(ج136/1):"صحيح".

(4) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج302/9)، الولّوي، ذخيرة العقبى(ج324/34).

(5) انظر: الصنعاني، التنوير(ج617/1)، والعظيم أبادي، عون المعبود(ج303/9).

(6) [البخاري:صحيح البخاري، الجزية/ الجزية والموادعة مع أهل الحرب، 97/4:حديث رقم3159].

قال ابن حجر رحمه الله:" فيه أن المنافسة في الدنيا قد تجر إلى هلاك الدين"[1]، وهذا المعنى أكده النبي ﷺ، حيث قال:{دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ}.[2]

في الحديث ترهيبٌ للأمة ببيان انتقال إليها وسريان ما أفسد على الأمم السابقة دينها وأذهب دولتها[3]، لأن كل باغضٍ يسعي لإلحاق الضرر بأخيه؛ فتنشغل الأمة بما يفسد عليها دنياها وآخرتها، لأن فساد ذات البين ثلمةٌ في الدين، تعمل على استئصاله من القلب، فلا يبقى له أثرٌ، كما لا تُبْقي الحلاقة أثراً للشعر، وفي الحديث أيضاً ترغيبٌ لإصلاح ذات البين؛ لأنه سببٌ لجمع الأمة واعتصامها بحبل ربها تبارك وتعالى وظفرها في الدنيا والآخرة.[4]

ث- العمل على تعرية الباطل وإزهاقه بإظهار الحق لا بالسب والتشهير الذي يخالف منهج نبي الرحمة ﷺ، ومن ذلك: أنه ﷺ تكرر منه أمر بعض الناس ونهيهم على الملأ دون مواجهتهم بالعتاب، أو بالإشارة إليهم، أو بتعيين أسمائهم[5]، بل فقط بقوله{مَا بَالُ أَقْوَامٍ}.[6]

وكذلك لما جاء إلى مكة المكرمة فاتحاً، ودخل إلى بيت الله الحرام، وكان فيه لكل حيٍ من أحياء العرب صنماً يعبد من دون الله تعالى، قام بإزالتها[7] دون تشهيرٍ بأحدٍ من أهلها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :"دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ نُصُبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ:{﴿ ...**جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[الإسراء:81]، ﴿ ...**جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾[سبأ:49]}.[8]

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج263/6).

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، صفة القيامة/ صلاح ذات البين، 280/4: حديث رقم2510]، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم(ج2695)،(ج17/3):"حسن لغيره".

(3) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج265/3).

(4) انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي (ج3214/10)، والتَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، لمحمد ابن الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، (ج640/3).

(5) انظر: العيني، عمدة القاري(ج156/22)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج65/9).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ من لم يواجه الناس بالعتاب، 26/8: حديث رقم6101].

(7) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية(ج28/3).

(8) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/{وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}، 86/6: حديث رقم4720].

ج- بيان أن النصر والتمكين ليس بالعدد والعدة ولكن بالتمسك بالدين، اعتقاداً وقولاً وعملاً، ودليل ذلك قول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:7]، أي :"يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند القتال".[1]

(1) التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص507).

المبحث الخامس

المنهج النبوي في بيان أمر الخلافة على الأمة

قدَّر الله تعالى ألا يكون هذا الدين ولا يقوم إلا بقيام أهلة، ودليل ذلك دعاء النبي ﷺ في بدر قبل المعركة بقوله:{اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْض}[1]، ويشترط لبقاء أهل الدين دولة تجمعهم، وتُأمِّن حياتهم، وتعلمهم دين ربهم ﷻ وتقيمه فيهم، وتدعو للإسلام حتى يحِلَّ التوحيد ويقمع الشرك، ويسود العدل ويرد الظلم، وتنتشر الفضيلة وتُرد الرذيلة، لذلك عمل النبي ﷺ على توجه الأمة بالعمل على قيام دولتها وحفظ بقائها، حتى يبقى دينها وعزتها، ومن ذلك التوجيه ببيان معالم الخلافة وأحوالها عبر زمن الأمة، وحقوق الولاة على الرعية وحقوق الرعية على الولاة في كل حال، ولعلنا في هذا المبحث نقف على شيءٍ من ذلك، والله أسأل التوفيق والنفع.

المطلب الأول: تحديد نوع الخلافة على الأمة

بيَّن النبي ﷺ طبيعة الحكم على المسلمين عبر تاريخ الأمة، بقوله:{ تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ ثُمَّ سَكَتَ}.[2]

نص الحديث على بيان حال الخلافة في الأمة الإسلامية، فبدأ بمرحلة النبوة، ثم بمرحلة الخلافة الراشدة التي بدأت بخلافة الخلفاء الأربعة ﷺ، ثم انتهت بتسليم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وجاءت الخلافة التي سماها النبي ﷺ "مُلْكًا عَاضًا"[3]، والعضوض هو ما يُعْضُ عليه ليؤكل، وهو من باب المبالغة في بيان التمسك بالإمارة، التي جمعت بين العسف والظلم[4]، وقد بدأ زمانها بحكم بني أمية[5]،

---

(1) حديث صحيح، سبق تخريجه (ص81).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج355/30)] حديث حسن.انظر:السلسلة الصحيحة للألباني برقم(5)،(1ج/34).

(3) انظر: محمد الخضر، ثم أبصرت الحقيقة،(ص383).

(4) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج607/2).

(5) انظر: العظيم أبادي، عون المعبود(ج388/12).

عدا معاوية ﷺ، وعمر بن عبد العزيز، ومن سار على طريقهما[1]، حيث بقي هذا الحكم إلى أن انقطعت الخلافة العثمانية، وجاء دور الخلافة الموصوفة بقوله ﷺ:" مُلْكًا جَبْرِيَّةً"[2]، أي :ملك غلبةٍ وتسلطٍ وإكراهٍ[3]، وهو الواقع في زماننا هذا، ولعل من يقول بخلاف ذلك؛ قد خفي عليه الواقع، ورد قول النبي ﷺ، ثم ينتهي الملك الجبري، وتأتي خلافة على منهاج النبوة، واللفظ يشعر بكثرة ولاتها وطول زمنها، وأنها تكون قبل زمن المهدي[4]، فالسعي لإقامة الشرع وخلافةٍ تجمع المسلمين يستلزم طلب العلم والعمل لإقامة شرع الله تعالى، وما ينبغي للمسلمين التواكل في ذلك على مجيء المهدي[5]، ثم تنقلب أحوال هذه الخلافة وتحيد عن منهج النبوة، فيسود فيها الظلم ويستفحل، وذلك مأخوذٌ من قول النبي ﷺ:{الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ}.[6]

وقال ﷺ في رواية أُخرى:{لَتُمْلَأَنَّ الأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا كما مُلِئَتْ قِسْطًا وَعَدْلا حتى يَبْعَثَ اللَّهُ رَجُلا مِنِّي، اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أبيه اسْمُ أبي، فَيَمْلأَهَا قِسْطًا وَعَدْلا كما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا يَلْبَثُ فِيكُمْ سَبْعًا}.[7]

قول النبي ﷺ:"الْمَهْدِيُّ مِنِّي"، أي: نسبه متصلٌ بنسبي، وقوله" أَجْلَى الْجَبْهَةِ"، أي: جبهته عريضة، وقوله: "أَقْنَى الْأَنْفِ"، أي: أنفه طويلة، وجمعه ﷺ بين الجور والظلم وهما مترادفان من باب المبالغة، ليدل على انتشار الظلم في الأرض وشدة وقوعه على الناس، ويُحْمَل على هذا المعنى أيضاً تكراره للقسط والعدل.[8]

ويبقى المهدي إمام المسلمين، والقائم على إقامة شرع الله تعالى، ومعه طائفة من أهل التوحيد والاستقامة، حتى ينزل عيسى ﷺ فيعرفه المهدي فيعرض عليه إمامة الصلاة فيأبى ويذكر

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج527/4) و(ج356/10).

(2) انظر: ثم أبصرت الحقيقة، للخضر (ص383).

(3) انظر: الكفوي، الكليات(ص353)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج105/1).

(4) انظر: ثم أبصرت الحقيقة للخضر(ص384).

(5) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني(ج35/1) و(ج42/4).

(6) [أبو داود: سنن أبي داود، المهدي، 342/6: حديث رقم4285]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(6736)، (ج1140/2):"حسن".

(7) [الطبراني، المعجم الكبير (ج32/19)]، صحيح.انظر: صحيح الجامع للألباني برقم(5073)،(ج904/2).

(8) انظر: المناوي، التيسير (ج564/2)، الصنعاني، التنوير(ج30/9) و(ج494/10).

السبب، [1] وهذا مستفادٌ من قول النبي ﷺ:{لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}، قَالَ:{فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ}.[2]

أفاد الحديث أن عيسى ﷺ لا يأت بشرع جديد؛ وإنما يحكم بالشريعة التي نزلت على النبي محمد ﷺ، وتركه للإمامة بقوله :"تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ" يعني أن شرع الله تعالى أن يكون إمام المسلمين منهم من أبنائهم لبيان عظيم شأن هذه الأمة ورفعتها.[3]

ثم يتتابع الزمان بعد ذلك حتى يرفع الإسلام من الأرض، فيذهب أهل الإسلام وسلطانهم، ويعود الناس لعبادة الأصنام، وتقوم الساعة على شرار الخلق[4]، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال النبي ﷺ:{يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ[5]، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ. وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا}، فَقَالَ لَهُ صِلَةُ[6]: "مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ؟، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ"، فَقَالَ: "يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ، ثَلَاثًا"[7]، وفي رواية قال ﷺ:{يَبْعَثُ اللهُ

---

(1) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لأبي عبد الله ابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (ص147)، والسلسلة الصحيحة للألباني المختصرة (ج276/5).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، 137/1: حديث رقم156].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج474/1)، البيضاوي، تحفة الأبرار (ج384/3)، والعظيم أبادي، عون المعبود(ج1414/9).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج287/13،85).

(5) دراسة الإسلام يعني ذهابه وزواله، ووشي الثوب، أي: نقشه. انظر: حاشية السندي على ابن ماجة (ج498/2).

(6) هو الثقة الفاضل التابعي الكبير صلة بن زُفَرَ العبسي الكوفي. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ج517/4).

(7) [ابن ماجة: سنن ابن ماجه، الفتن باب ذهاب القرآن والعلم، 173/5: حديث رقم4049]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج8077)، 1342/02):"صحيح".

رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ}.(1)

أما قول النبي ﷺ:{لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا مَا وَلِيَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ}(2)، فالمقصود به أن عدد من تجتمع عليهم الكلمة من خلفاء الأمة القرشيين، وتكون عِزة الإسلام في خلافتهم، وقوة المسلمين واستقامة أمرهم(3)، وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة، ووجودهم لا يشترط فيه التتابع، بل يكون متتابعاً ومتفرقاً، وقد كان منهم الخلفاء الراشدون، والله أعلم بوقت من بقي منهم، ومنهم المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، وليسوا من أئمة الرافضة المزعومين الاثني عشر؛ لأن كثيراً منهم لم تكن خلافةٌ، وهم ليسوا براشدين.(4)

ومما ينبغي التنبيه عليه بعد عرض مادة هذا المطلب؛ هو أن ذكر أمور الملاحم والفتن والشرور التي ذكرها النبي ﷺ في هذا الباب، وفي غيره من أبواب الفتن ينبغي أن يخصص الحديث بها للخواص من الناس، ولا تُلْقى على عامة المسلمين إلا نادراً، أو لحاجة، لأن تعليم التوحيد للناس، وفقه العبادة، والحلال والحرام مقدمٌ على مثل هذه الأمور في منهج النبي ﷺ، وذلك مستفادٌ من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ حيث قال: "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ"، قَالَ:{نَعَمْ}، "قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ"، قَالَ:{نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ}، "قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ"، قَالَ: {قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ}،" قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ"، قَالَ:{نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا}، "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا"، فَقَالَ:{هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا}، "قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ"، قَالَ: {تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ}، "قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة، 1524/3: باب قوله ﷺ"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" حديث رقم1924].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة،باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش،1452/3:حديث رقم1821].

(3) انظر: النووي، المنهاج(ج203/12)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج273/10).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج78/6).

وَلَا إِمَامٌ" قَالَ:{فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ}.[1]

ففي هذا الحديث كان سؤال حذيفة ﷺ عن الشر منفرداً به عن جمع المسلمين الذين كانوا يسألون عن الخير، فأجابه النبي ﷺ بما سيكون من الفتن في مستقبل الأمة، فعُلِمَ بمفهوم المخالف أن أسئلة الناس عن الخير كانت في غيرها من أمور الدين، وهذا ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال:" أهم أمر الدين الصلاة والجهاد؛ ولهذا كانت أكثر الأحاديث عن النبي ﷺ في الصلاة والجهاد"[2]، فيتأكد من إقرار النبي ﷺ لحذيفة ﷺ على طريقة سؤاله، ومن كلام شيخ الإسلام أن هذا الأسلوب من منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: بيان حق الولاة على الأمة، وحق الأمة على الولاة

الولاة جمع والٍ، وهو صاحب الوِلاية على الناس، والمراد بالوِلاية: هو اجتماع الأمة على سُلطان واحد يلي أمرهم في صلاة الجماعة والجُمعات، وفي نُصرة الدِّين، ويملك القدرة على تدبير أمور البلاد والعباد من خلال أدلة الشرع لفلاح الدنيا وفوز الآخرة، وهذا هو المعهود للتولية في السُّنَّة.[3]

وللولاية مرادفات، هي: الإمارة والسُّلطان والإمامة والخلافة[4]، وهناك حقوق للوالي على الأمة، وهناك حقوقٌ للأمة على واليها، كما بين ذلك النبي ﷺ، ومن ذلك:

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ علامات النبوة في الإسلام، 199/4: حديث رقم 3606]، والمراد بقوله "الدخن"، أي الدخان، يشير بذلك إلى كدر الحال، بعدم صفاء القلوب وفسادها، وأن الناس بعد أن أكرمهم الله بالخير وهو الإسلام ستتغير أحوالهم ويكون مع الخير شرٌ، وفي الحديث التحذير من دعاة جهنم الذين يتركون السُّنَّة ويظهرون البدعة ويحرفون الإسلام من فرق الضلال وأهل الأهواء، وأن هذا واقعٌ في الأمة. انظر: النووي، المنهاج(ج237/12)، ابن حجر، فتح الباري(ج36/13).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج261/28).

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج226/5)، ابن منظور، لسان العرب(ج407/15)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج390/28،260،65)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج1058/2).

(4) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج65/2)، ابن منظور، لسان العرب(ج85/9)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج1058/2).

أولاً: بيان حق الولاة على الأمة

1- بيان أن طاعة الولاة في المعروف من طاعة الله ورسوله

قال النبي ﷺ:{مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي}.(1)

أفاد الحديث أن طاعة الله تعالى في طاعة نبيه ﷺ، وأن معصية نبيه ﷺ من معصيته، وأن طاعة والي أمر المسلمين تابعةٌ لطاعة الله ورسوله، وهي واجبة في كل أمير بالمعروف بلا خلاف بين المسلمين؛ لأن الطاعة هي الإتيان بالمأمور به شرعاً، والانتهاء عن المنهي عنه كذلك.(2)

2- بيان وجوب الطاعة للولاة وإن دنا نَسبُهم وهيئتهم في أعين الناس

قال النبي ﷺ: {اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ}.(3)

قوله ﷺ{اسْمَعُوا}، أي: اسمعوا أوامر الأُمراء ونواهيهم، وقوله:{كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ}: هذا تمثيل لبيان حقارة وبشاعة الصورة، قُصد به المبالغة والتأكيد على طاعة الولاة في المعروف، لِما يترتب على ذلك من اجتماع كلمة المسلمين، وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ في هذا الأمر.(4)

3- بيان وجوب الطاعة فيما أحب الناس وفيما كرهوا من الأمر

قال ﷺ:{مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً}.(5)

أفاد الحديث وجوب طاعة الإمام بالمعروف حتى وإن جار وظلم الرعية، وعدم السعي ولو بالقليل لحل عقد بيعته والخروج عليه بسبب جوره، لما يترتب على ذلك من تفرق كلمة المسلمين

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، 1466/3: حديث رقم1835].

(2) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج240/6)، ابن هبيرة، الإفصاح(ج175/6)، ابن حجر، فتح الباري (ج112/13)، العيني، عمدة القاري(ج222/14).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الأحكام/ السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، 62/9: حديث رقم7142].

(4) انظر: النووي، المنهاج(ج225/12)، العيني، عمدة القاري(ج228/5)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج220/10)، الصنعاني، التنوير (ج372/2).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الأحكام/ السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية،62/9:حديث رقم7143].

وسفك دمائهم، والمراد بقوله:{إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً}، أي: أن من خالف ذلك وسعى لحل عقد البيعة والخروج على السلطان الجائر مات ميتة تشبه ميتة أهل الجاهلية الذين يقوم أمرهم على الاستبداد، ولا يجتمعون ولا يتفقون في شيءٍ على رأيٍ ومبدئٍ واحدٍ، وليس المراد به الموت على الكفر.[1]

وقال ﷺ:{عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ}.[2]

ثانياً: حق الأمة على الولاة

1- إقامة العدل بين الرعية

أمر الله تعالى الأمراء بالعدل بين الرعية في الحكم[3]فقال ﷻ:﴿ ...**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ**...﴾[النساء:58]

وأكد النبي ﷺ على عدل الولاة بين الرعية ببيان فضل الإمام العادل وثوابه، فقال ﷺ :{الْإِمَامُ الْعَادِلُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ}.[4]

وفي بيان كرامات الإمام العادل ذكره في أول من يظلون بظل الله تعالى يوم القيامة، فقال ﷺ:{سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا قَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ}.[5]

---

(1) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج282/32)و العيني، عمدة القاري(ج178/24)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج169،220/10).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة، 1469/3: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية حديث رقم 1839].

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج341/2).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج451/15)]، حديثٌ حسن.

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الحدود/ فضل من ترك الفواحش، 163/8: حديث رقم6806].

2- **النصح للرعية**

قال النبي ﷺ:{مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ}.[1]

أفاد الحديث وجوب نصح الولاة للرعية، وحذَّر ولاة الأمر من عدم النصح للرعية، وذلك بعد التهاون في تعليمهم أمور دينهم، وأخذهم بالقيام على أحكام الشرع إن لزم ذلك، والعمل على حفظ الشريعة، والذب عنها، والعمل على حفظ حقوقهم، وسلامة أمْنِهِم من الداخل والخارج[2]، وتولية المناصب للتقي الخبير فيما ولِّي عليه.[3]

3- **تحكيم شرع الله تعالى في الرعية**

قال الله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:65]، تضمنت هذه الآية الكريمة عصمة النبي ﷺ من الزلل فيما يبلغه عن ربه ﷻ، وفيما يقضي فيه ويأمر به، وأمرت بطاعته طاعةً مطلقةً في ذلك، مقترنةً بالعمل والتسليم ظاهراً وباطناً[4]، والأمر في هذه الآية لا يقتصر على النبي ﷺ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل الأمة مطالبة بالحكم بالشريعة والتحاكم إليها، حكاماً ومحكومين، والأمر آكدٌ في حق الولاة أكثر من الرعية؛ لأنهم مفوضون شرعاً كما سبق بيانه بإقامة الدين.

4- **رعاية شؤونهم، والعطف على ضُعفائهم**

قيل لمعاوية ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:{مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ، وَالْمَسْكَنَةِ، إِلَّا أَغْلَقَ اللهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ، وَمَسْكَنَتِهِ " قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ}.[5]

قوله ﷺ:{الْخَلَّةِ}، أي: ما دون الضرورة مما يحتاجه الإنسان، وفي الحديث وعيدٌ شديد للوالي الذي يحتجب عن الرعية دون عُذر، لأن فيه تضييعٌ للحقوق وعدم إيصالها لأهلها، وبيان

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإمام/ استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، 125/1: حديث رقم142].

(2) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم (ج447/1).

(3) انظر: الصنعاني، سبل السلام(ج190/4)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج537/1).

(4) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج132/10)، السعدي، تفسير السعدي(ص184).

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج565/29)]، صحيح لغيره.

أن الجزاء من جنس العمل، فالله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه[1]، كما فيه منقبة لمعاوية ﷺ، بخوفه من الله تعالى وطاعته للنبي ﷺ بقيامه على حُسْنِ الوِلاية، وحرصه على مصلحة المسلمين.

5- توفير الأمن والحماية من الداخل والخارج

قال النبي ﷺ: {إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ}.[2]

قوله ﷺ:{الْإِمَامُ جُنَّةٌ}، أي: كالستر الواقي للأُمة، يحفظ أمن المسلمين وحقوقهم فيما بينهم، ويحمي بيضتهم من عدوهم، ويقاتل تحت لوائه وسلطانه أهل البغي والفساد، بغاةً كانوا أو كفاراً، ويقتدى برأيه ويمثل أمره في قضايا الأمة العظام.[3]

المطلب الثالث: التوجيه النبوي للأمة عند فساد ولاتها

أخبر النبي ﷺ كما ذُكر في بداية هذا المبحث عن طبيعة الولاية والحكم في الأمة، وذكر أنه سيكون فيها جورٌ وظلم على الناس، وفصل في بيان توجيه الأمة عند فساد ولاتها وأحكام تعاملها مع ذلك الواقع، فبين عدم جواز الخروج على الوالي الظالم ما دام يحكم بإسلامه، وأمر بالصبر على ظلمه، وما ذاك إلا لحكمة وخير، وقال بالخروج عليه إذا حُكِمَ بكفره، وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً: الأمر بالصبر على الوالي المسلم الفاسد

1- بيان وجوب الصبر والطاعة للوالي إذا فسد

بيَّن النبي ﷺ أن الأمة ستبتلى بولاة فسدة، فقال ﷺ:{إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي}[4]، وفي رواية قال ﷺ:{إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ}.[5]

هذان الحديثان من دلائل النبوة، فقد حدث ما أخبر النبي ﷺ به، بأن يخص الولاة ذاتهم من الخير في حظوظ الدنيا، ويخصوا في تولية المناصب ومنح العطاء خواصَّهُم من الرعية، دون اعتبار الشرع ومصلحة المسلمين العامة، في مقابل أنهم يأخذون حقوقهم من الرعية، وأن

---

(1) انظر: الصنعاني، التنوير (ج447/9).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ الإمام جنة يقاتل به من ورائه ويتقى به، 1471/3: حديث رقم1841)].

(3) انظر: النووي، المنهاج(ج230/12)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج304/32).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الفتن/ قول النبيﷺ:"سترون بعدي أمورا تنكرونها"،47/9:حديث رقم7057].

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الفتن/ قول النبيﷺ:سترون بعدي أمورا تنكرونها، 47/9: 7052].

يرى الناس على الولاة من أمور الدين ما ينكرون، ومع ذلك أمر النبي ﷺ بالصبر على هذا الظلم من أجل مصلحة الأمة العامة، وأن تؤدي الأمة ما عليها لهؤلاء الولاة من الطاعة في المعروف، وتشكوا أمرها لله تعالى، وتحتسب الأجر حين يجمع الله الخلق للحساب يوم القيامة، فيثيب المظلوم وينصفه من ظالمه.[1]

أما ما جاء عن خروج الحسين بن علي والزبير بن العوام ﵄ وغيرهم على ولاة بني أمية، فلا يحتج به على الخروج على الوالي المسلم وإن جار؛ لأن السلف من الصحابة والتابعين في زمانهم لم يوافقوهم على خروجهم ونصحوهم بتركه، ولم يشاركوهم فيه، وسار هذا هو منهج أهل السُّنَّة الذي استقروا عليه بعد هذه الأحداث بما ثبت عندهم من سُنَّة النبي ﷺ، وأنه لا يُخرج على سلطانٍ بفسقه، وأصبح العلماء ينكرون الخروج على الولاة، والقتال في الفتنة، ويدرجون ذلك في كتب العقيدة.[2]

2- بيان وجوب الطاعة في المعروف فقط

قال النبي ﷺ:{عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ}.[3]

أفاد الحديث وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر فيما أحب العبد وفيما كره، إلا إذا أُمر بما يخالف شرع الله فلا سمع ولا طاعة وعلى هذا أجمع العلماء[4]، فإن طاعة الولاة في معصية الله تستوجب الإثم، إلا إذا غُلب على أمره ولم تكن الطاعة في عدوانٍ على حد في ظلمٍ أو دم مسلم وعرضه.[5]

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن الناس إذا أرادوا أن يتخلصوا من ظلم الحكام ينبغي عليهم أن يتركوا الظلم فيما بينهم؛ لأن الله تعالى لا يسلط الولاة على الرعية إلا لسوء أعمالهم، فالجزاء من

---

(1) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج8/10)، ابن حجر، فتح الباري(ج52/8)، العيني، عمدة القاري(ج228/5) و(ج180/24،177)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج168/10).

(2) انظر: النووي، المنهاج(ج229/12)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية(ج529/4)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج494/11)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص381)، وتهذيب التهذيب لابن حجر(ج250/2).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، 1469/3: حديث رقم1839].

(4) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج214/8)، القاضي عياض، إكمال المعلم(ج242/6)، وابن الملقن، التوضيح (ج64/18).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج123/13)، وعمدة القاري(ج221/14).

جنس العمل[1]، فالظلم قائمٌ بين المسلمين في زماننا إلا من رحم الله، إما بظلم النفس باقتراف المعاصي، أو بظلم الغير، ومن أمثلة ذلك: الكذب، النميمة، والتهاون في أداء الصلاة، والتحاكم لقوانين العشائر دون أحكام الشرع، وحرمان النساء من الميراث، ووجود المعاملات المالية المخالفة للشرع، والبخل بالمال على الفقراء أو لإعمار المساجد في مقابل تبذيرها في حفلات الأفراح على الغناء ورقص الشباب.

ثانياً: الخروج على الوالي الكافر أو الذي ارتد بعد إسلامه

عن عبادة بن الصامت ﷺ فيما أخذ النبي ﷺ عليهم به العهد، قال:{أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ}.[2]

قوله ﷺ:{مَنْشَطِنَا}، أي: في حال نشاطنا للعمل، والمراد الأمر الذي تقبله النفوس ويسهل عليها فعله، وقوله:{مَكْرَهِنَا}، أي: العمل الشاق الذي يكره الإنسان فعله[3]، وقوله:{كُفْرًا بَوَاحًا}، أي: كفراً ظاهراً بادياً، وقوله:{عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ}، أي: عندكم فيه دليلٌ بيِّنٌ من الشرع وقواعد الإسلام تدل على الكفر[4]، كتقديم وتفضيل حكم البشر على حكم الشرع، أو معاونة الكفار على المسلمين، أو الاستهزاء بالدين أو بُغْضِه أو إنكاره أو جحوده أو الإعراض عنه، ولو بشيءٍ يسيرٍ من شرائعه، أو إباحة ما حُرِّم فيه، أو تحريم ما أُحلَّ.[5]

والمراد بالحديث جملة: وجوب الطاعة لولي أمر المسلمين فيما قبل المسلم وفيما لم يقبل، طالما كانت الطاعة في المعروف، وأن لا يُنازَع أهل السلطان في سلطانهم، وإن فسقوا وجاروا ولم يعدلوا، إلا إذا أظهروا كفراً بيناً واضحاً دلت عليه أدلة الشرع وقواعد الإسلام، فيجب على

---

(1) انظر: الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص381).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الفتن،باب قول النبيﷺ:"سترون بعدي أموراً تنكرونها"، 47/9:حديث رقم7055].

(3) انظر: العيني، عمدة القاري(ج179/24)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج169/10).

(4) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج9/10)، والنووي، المنهاج(ج229/12).

(5) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج64/1)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج17/7)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج131/3)، محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية(ص213)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج536/1).

الأمة عندها الخروج على ولاة الأمر وإزالتهم ولو بقتلهم، وتعيين الوالي المسلم التقي العالم بسياسة الحكم، وذلك مشروطٌ بأن لا يفضي الخروج إلى شرٍ أعظم من الخير المرجو.(1)

ومن أقوال العلماء في ذلك:

قال القاضي عياض رحمه الله :"لا خلاف بين المسلمين أنه لا تنعقد الإمامة للكافر، ولا تستديم له إذا طرأ عليه...فإذا طرأ مثل هذا على والٍ من كفر أو تَغَيُّرِ شرع أو تأويل بدعة، خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته، ووجب على الناس القيام عليه وخلعه، ونصب إمام عدل أو والٍ مكانه إن أمكنهم ذلك".(2)

وقال النووي رحمه الله :"لو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع، أو بدعة، خرج عن حكم الولاية، وَسَقَطَتْ طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه، وخَلْعه ونَصْب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفةٍ وجب عليهم القيام بِخَلْعِ الكافر".(3)

ومما لابد منه في هذا الباب؛ أن مثل هذه الأمور لا يقررها عامة الناس ولا أصحاب السيادة بالمال أو الوجاهة أو غيرها، إنما يقرر ذلك العلماء العاملون الربانيون، فهم من يقرر ويحكم بكفر الحاكم، وإذا قرروا ذلك أيضاً فهم من يقرر هل يناسب الحال الخروج عليه وخلعه أم لا، وقد أكد الله تعالى ذلك بقوله:﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء:83]

في هذه الآية إنكارٌ على من يبادر بالبثِّ في الأمور التي تتعلق بالوقائع العامة للأمة، كالحروب والجهاد ونحوها قبل التحقق منها؛ وذلك بردها لأولي الأمر، وهم أهل العلم والرأي في الأمة، فهم العالمون بأوامر الله ونواهيه، ويجب على الناس قبول حكمهم الذي استخرجوه من أدلة الشرع، ففي ذلك الخير وحُسْن العاقبة، وإلا تشتت حياة الأمة، وعمَّها البلاء والضيق.(4)

---

(1) انظر: المعلم للمازري (ج53/3)، القاضي عياض، إكمال المعلم(ج246/6)، والنووي، المنهاج (ج229/12)، وابن الملقن، التوضيح (ج282/32)، العيني، عمدة القاري(ج179/24)، الولَّوي، ذخيرة العقبى(ج308/32)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج537/1،536).

(2) القاضي عياض، إكمال المعلم (ج246/6).

(3) النووي، المنهاج (ج229/12).

(4) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج158/10) وما بعدها، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج366/2).

المبحث السادس

المنهج النبوي في تصحيح العقيدة لحقائق الغيب

الإيمان بما أخبر الوحي عنه من حقائق الغيب ركنٌ من أركان الإيمان، لا يصح إيمان العبد إلا به؛ لأن عدم الإيمان به ردٌ لنصوص الوحي، كما أن الدين كلٌ لا يتجزأ، تترتب أموره وتتدرج بعضها على بعض، حتى يتكامل إيمان العبد وأخلاقه ومنهج حياته، فيُرْضِي ربه ويَسْعد أبداً، لذلك أمر الله تعالى أهل الإيمان بقوله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ...﴾[البقرة:208]، أي: يا من آمنتم بالله تعالى آمنوا بجميع شرائع الدين كلها، واعملوا بها، ولا تتركوا منها شيئاً[1]، لذا كان من منهج النبي ﷺ العمل على تصحيح العقيدة بحقائق الغيب في كل مناحيها بسبلٍ متعددة، ووسائل كثيرة، نقف في المبحث على بعضها بتوفيق الله تعالى وعونه.

المطلب الأول: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة بقضاء الله تعالى وقدره

مفهوم القضاء والقدر

القضاء: هو حكم الله تعالى وتقديره الذي شاءه وقدره وكتبه قبل خلق الخلق بعلمه، والقدر: هو وقوع تفاصيل القضاء الذي قضاه الله تعالى وفِقَ ما قدر وكتب.[2]

والقضاء والقدر من أصول الإيمان التي يكفر من أنكر واحداً منها[3]، فقد قال النبي ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان:{أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ}.[4]

وللقضاء والقدر مراتب: هي العلم والكتابة والمشيئة والخلق، فالمراد بالعلم: هو الإيمان الجازم بأن الله عليمٌ بكل شيء، لا تخفى عليه خافية، والمراد بالكتابة: هو الإيمان الجازم بأن الله كتب مقادير كل شيءٍ في اللوح المحفوظ قبل خلق الخلق، والمراد بالمشيئة: هو الإيمان الجازم أنه لا يكون في الخلق شيءٌ إلا بمشيئة الله، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، والمراد

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج565/1)، السعدي، تفسير السعدي(ص94).

(2) انظر: ابن القيم، شفاء الغليل القيم(ص6)، وما بعدها، ابن حجر، فتح الباري(ج477/11).

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج202/1)، والمناوي، التيسير (ج870/1).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، 36/1: حديث رقم8].

بالخلق: هو الإيمان الجازم بأن الله تعالى أوجد كل شيءٍ وفق علمه وكتابته ومشيئته، وهذه المراتب دلت عليها أدلة الكتاب والسُّنَّة، كما أن العقل يدل عليها؛ لاستحالة وجود الأشياء بغير العلم، وما في المخلوقات من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الخالق[1]، فما هو كائنٌ في الكون؛ سبق به علم الله تعالى قبل خلق الخلق، ومن لم يؤمن بذلك فقد بطُل إيمانه، ولا يقبل منه صرف وعدل حتى يؤمن بالقدر، وقد سئل ابن عمر رضي الله عنهما، فقيل له:" إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ"، قال:" فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ".[2]

ومن فوائد الإيمان بالقضاء والقدر: أنه من تمام التوحيد، وبه يكون صدق الاعتماد على الله تعالى في نصره وعونه والثبات أمام أعداء الإسلام، وفي كل شيءٍ في حياة العبد ومآله.[3]

وقد بين النبي ﷺ ما تصح به العقيدة، وتقام به الحجة في أمر القضاء والقدر، ومن ذلك:

1. بيان أن الله تعالى قدر مقادير الخلائق وكتبها قبل خلقهم بعلمه الأزلي.

قال النبي ﷺ:{كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}.[4]

أفاد الحديث أن الله تعالى قد كتب مقادير كل شيءٍ للخلائق في اللوح المحفوظ قبل خلقهم، على وفق علمه الأزلي سبحانه وتعالى، وأن هذا المكتوب كائنٌ لا محالة، ولو اجتمع الخلق على تغييره، أو الهروب منه لما استطاعوا.[5]

---

(1) انظر: الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص141)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج248/1)، وما بعدها، والقضاء والقدر عمر الأشقر،(ص11)، ما بعدها.

(2)[مسلم:صحيح مسلم، الإيمان،باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى،36/1:حديث رقم8]،وقوله:"يَتَقَفَّرُونَ العلم"أي:يطلبون غامضه والمراد التكلف،وقوله:"الْأَمْرَ أُنُفٌ":"أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وانما يعلمه بعد وقوعه".النووي، المنهاج(ج165/1)، بتصرف.

(3) انظر: القضاء والقدر للأشقر(ص109).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، القدر/ حجاج آدم وموسى عليهما السلام، 2044/4: حديث رقم2653].

(5) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج141/8)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص266)، ابن حجر، فتح الباري(ج489/11).

2. **بيان أن القدر السابق لا يمنع العمل، بل يحث عليه ويأمر به.**

قال النبي ﷺ:{مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ أَوْ مِنْ الْجَنَّةِ قَالُوا أَلَا نَتَّكِلُ قَالَ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل:5] الْآيَةَ}.(1)

قال ابن القيم رحمه الله بعد أن أورد جملة من الأحاديث في هذا الباب:" اتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال: "ما كنت أشد اجتهادا مني الآن"، وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم، فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أُقدر عليه ومكن منه وهيئ له...- فإذا- قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه؛ فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه، وإذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك إلا بالنكاح".(2)

3. **بيان المراد بقول الله تعالى:**﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [الرعد:**39**]

ليس المقصود بالمحو والإثبات في الآية هو ما كان في علم الله تعالى، أو ما كتبه في اللوح المحفوظ، فهذا ثابتٌ لا يتغير ولا يتبدل؛ لأن تجويز القول به يستلزم القول بالنقص في علم الله تعالى وهو محالٌ وإنما يكون المحو والإثبات بالتغيير والتبديل في الفروع التي تكتبها الملائكة وقد قدَّر الله لها أسباباً لثبوتها ومحوها لا تتعدى تلك الأسباب(3)، ومن ذلك: قول النبي ﷺ:{لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ}(4)، وقوله ﷺ:{مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ}.(5)

معنى "يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ": أي: يؤخر له ويُطوَّل في عمره، وعليه فزيادة العمر في الحديثين حقيقية حسيَّة، تحْدُثُ إذا أخذ العبد بأسبابها، لكن ذلك لا يخرج عن علم الله تعالى وقدرته وما كتبه في اللوح المحفوظ، وهو ما يسمى بالقضاء المُبْرَم، فعلى ذلك ترجع الزيادة

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى:{ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}، 160/9: حديث رقم7552].

(2) ابن القيم، شفاء العليل (ص26).

(3) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص419).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج68/37)]، حسن لغيره.

(5) [البخاري:صحيح البخاري، الأدب،باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم،5/8:حديث رقم5986].

والتغيير في الأقدار بالدعاء وأعمال البر من صلة الرحم وغيرها إلى كتابة الملائكة، وهو ما يسمى بالقدر المعلق.[1]

4. **بيان بطلان اعتقاد من زعم أن العبد مجبورٌ على عمله بالقدر السابق**

إن اعتقاد من اعتقد أن العبد مجبورٌ على فعله؛ هو جهلٌ بدين الله تعالى، وردٌ للنصوص التي تفيد عدل الخالق سبحانه، قال الله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا...**﴾[يونس:44]، وقال ﷻ:﴿ **...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[الكهف:49]، وقال ﷻ:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...**﴾[النساء:40]، وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى:{يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي}.[2]

أفادت هذه الأدلة الشرعية بيان فضل الله تعالى على خلقه وعدله فيهم، ونزاهته عن الظلم، ومنع ذلك عن ذاته المقدسة بعدمه واستحالته.[3]

ولو كان في كتابة الله القضاء والقدر جبرٌ للعبد على فعله لما أمر النبي ﷺ أصحابه وأمته بالعمل، ولما قال ﷺ:{احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ}[4]، – والمعنى: احرص على طاعة الله تعالى والرغبة في ثوابه، واطلب منه العون على ذلك، ولا تكسل عن حرصك على الطاعة وطلب العون–[5]، فكيف يناسب أن يأمر بالعمل وكل شيءٍ قد قُضِيَ وأُبرم، بل ولما كانت الحاجة لإرسال الأنبياء عليهم السلام أصلاً، على حد تقدير أصحاب هذا المعتقد، ولما خلق الله الخلق في الدنيا للعمل ما دام الأمر قدر أُبرم، لما لا يجعلهم في النار مباشرةً.

---

(1) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج21/8)، ابن حجر، فتح الباري(ج416/10)، العيني، عمدة القاري (ج92/22)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج12/9)، ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج362/1) و(ج111/2)، البراك، شرح العقيدة الطحاوية (ص73).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ تحريم الظلم، 1994/4: حديث رقم2577].

(3) انظر: النووي، المنهاج(ج132/16)، السعدي، تفسير السعدي(ص179،365،479)

(4) [مسلم: صحيح مسلم، القدر/ في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، 2052/4: حديث رقم2664].

(5) انظر: النووي، المنهاج(ج215/16).

فالحق أن هذا المعتقد باطلٌ؛ لأن النبي ﷺ أرشد أمته في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة، فالأول: الإيمان بالأقدار، فإنه نظام التوحيد، والثاني: الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره، وتحجز شره، وذلك نظام الشرع.[1]

كما أن أهل النار في هذا الباب أصح معتقداً ممن قال بالجبر، وأن الإنسان بالنسبة للقضاء والقدر كريشةٍ في مهب الريح؛ لأنهم عندما يدخلون النار ويسألون عن سبب دخولها لا يحتجون بالقضاء والقدر السابق؛ بل يذكرون سوء أعمالهم الذي أرداهم، قال الله تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ(39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ(40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ(41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(47) ﴾[المدَّثر].

المطلب الثاني: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة بمستقر الأرواح، وأحوالها في البرزخ

الدُّور التي قدر الله تعالى الحياة فيها لبني آدم ثلاثة، هي: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد قدَّر الله ﷻ لكل دار منها أحوالها وأحكامها التي تخُصُّها[2]، ودار البرزخ هي المقصودة في هذا المطلب، وهي مدة مكوث الإنسان في قبره إلى قيام الساعة، والمراد بالبرزخ: هو ما كان حاجزاً بين شيئين، لذا سميت هذه الدار بدار البرزخ لأنها تقع موقع الحاجز ما بين دار الدنيا ودار الآخرة، قال الله تعالى:﴿ ...وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون:100]، فالأموات في فترة وجودهم في القبور، أو في بطون السِّباع، أو قد أحرقوا وأُعدمت أبدانهم؛ هم في حياة دار البرزخ، لاهم في دار الدنيا ولا هم في دار الآخرة إلى أن تقوم الساعة، وهم في هذه الفترة إما في نعيمٍ متفاضل، أو في عذابٍ متفاوت، كلٌ على حسب عمله في دار الدنيا.[3]

وقد بين النبي ﷺ أحوال الناس في البرزخ وفصَّلها بما يزيل اللبس، ويبين الحق وينفي قول كل من أنكر عذاب القبر، أو قال قولاً يخالف نصوص الشرع، كالكفار والخوارج والمعتزلة،

---

(1) شفاء العليل لابن القيم (ص26)، بتصرف يسير.

(2) انظر: كتاب الروح لابن القيم (ص63)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص400).

(3) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج333/1)، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج118/1)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج494/5)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص400)، وكتاب الروح لابن القيم(ص58)، السعدي، تفسير السعدي (ص559)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج49/1)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص348).

فالكفار الذين أنكروا الحياة بعد الموت، وكان من حججهم، ما قاله الله تعالى إخباراً عنهم:﴿ **أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً**﴾[النَّازعات:11]، والمراد بكلمة "**نَخِرَةً**" أي: بالية، وكالخوارج الذين أنكروا عذاب القبر البتة، وأنه لا يقع على العصاة من أهل الإسلام ولا على الكفار، وكالمعتزلة الذين اضطربوا في ذلك؛ فمنهم من أثبته، ومنهم من أقره، ولكن على غير منهج النبي ﷺ، ومنهم من أنكره أبداً.[1]

ومن الأدلة التي بيّنت مستقر الأرواح وأحوالها في البرزخ، وهي زمن وجود الميت في قبره، ما يلي:

أولاً: مستقر أرواح أهل الطاعة من المؤمنين

وهي متفاوتة في درجات النعيم على النحو التالي:

أ- مستقر أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

مستقر أرواحهم في أعلى المنازل في الرفيق الأعلى، وهم متفاوتون في منازلهم، كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء[2]، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرَ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ:{اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى}، فَقُلْتُ: "إِذًا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا":{اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى}.[3]

والمراد بالرفيق الأعلى هم من ذكرهم الله تعالى في قوله[4]:﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[النساء:69] ، ويؤيده ما قالته رضي الله عنها في رواية أُخرى، إذ قالت:"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ أَخَذَتْهُ

---

(1) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين(ج318/2)، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج55/4)، ابن القيم، الروح (ص51،58).

(2) انظر: ابن القيم، كتاب الروح (ص115).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ آخر ما تكلم به النبيﷺ، 15/6: حديث رقم4463].

(4) انظر: ابن عبد البر، الاستذكار (ج85/3)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج272/5)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص89).

بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ ".(1)

ب- مستقر أرواح الشهداء

الشهداء أحياءٌ عند ربهم ﷻ، قال تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:169]، وقد أخبر ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن هذه الآية، فقال:{أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا}.(2)

أفاد الحديث أن الجنة التي يُنَعَّمُ فيها المؤمنون يوم القيامة موجودة مخلوقة، كما أفاد إثبات بقاء الأرواح وعدم فنائها، وأنها تُنَعَّم أو تعذب حسب عملها في الدنيا، وهذا إجماع أهل السنة بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وقول النبي ﷺ أن الله تعالى يطَّلع إليهم ويقول: {هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا}، هو من باب بيان عظيم النعيم وكبير الإكرام، وعندما يرون ألَّا مزيد على إكرام الله تعالى لهم، ولابد أن يجيبوا سُؤالَ ربهم، طلبوا الرجوع إلى الدنيا ليقتلوا في سبيله مرات ومرات؛ لما رأوا من الكرامات في قتلهم في سبيل ربهم ﷻ.(3)

ويستثنى من الشهداء من كان مديناً: لقول النبي ﷺ:{يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنِ}.(4)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري: المغازي/ مرض النبي ﷺ ووفاته، 10/6: حديث رقم4435، وانظر: ابن حجر، فتح الباري(ج137/8)].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، 1502/3: حديث رقم1887، وانظر: النووي، المنهاج(ج31/13)].

(3) انظر: النووي، المنهاج (ج31/13).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، 1502/3: حديث رقم1886].

 ويقاس على الدَيْن حقوق العباد ومظالمهم، قال النووي رحمه الله:" قوله ﷺ:{إِلَّا الدَّيْن}؛ ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى".[1]

ت- مستقر أرواح الصالحين من المؤمنين

بين النبي ﷺ أن أرواح الصالحين من المؤمنين تنعم في دار البرزخ، ومن أدلة ذلك قوله ﷺ :{إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ}.[2]

قوله ﷺ:{نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ}،أي : روح المؤمن، وقوله:{يَعْلُقُ} أي: تأكل، والمراد بالحديث: أن روح المؤمن غير الشهيد تنعم في الجنة، لكنها ليست كروح الشهيد في النعيم، بل دونها[3]، وهذا القول لا يتنافى مع قول النبي ﷺ:{إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ}.[4]

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً ذلك: "لا تنافي بين قوله نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة وبين قوله إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد، كما أن قوله نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة يتناول الشهيد وغيره، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وأما المقعد الخاص به، والبيت الذى أعد له فانه إنما يدخله يوم القيامة، ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعاً، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فان الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك".[5]

---

(1) النووي، المنهاج (ج29/13).

(2) [ابن ماجة:سنن ابن ماجه، الزهد،باب ذكر القبر والبلى،337/5: حديث رقم4271]، حديثٌ صحيح.

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج146/2)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص404)، والمناوي، التيسير (ج627/1).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الخلق/ ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، 117/4: حديث رقم3240)].

(5) ابن القيم، كتاب الروح (ص97).

وكذا الحال في أمر الملكين اللذين يسألان الميت في قبره بقولهما له بعد السؤال: "نم نومة العروس"، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ :{إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ}(1)، وفي رواية قالﷺ:{نَمْ صَالِحًا}.(2)

قول الملكين في الحديث:{نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ}، لفظ العروس هنا: يطلق على الذكر والأُنثى في أول اجتماعهما، وخص التشبيه به؛ لأنه من أعز أحوال الإنسان وأرغدها في الاستراحة، ليمثل بالواقع المشاهد على الواقع الغيبي، وهو يفيد استمرار نعيم العبد المؤمن في برزخه ودوامه حتى يبعث، ولا يقصد بلفظ {نَمْ} بالنوم الذي يحجبه عن النعيم، وهذا مذهب السلف القائم على النص(3)، بدليل قوله ﷺ: {فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ"، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ}.(4)

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، الجنائز/ ما جاء في عذاب القبر، 370/2: حديث رقم1071]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج724)(ج186/1):"حسن".

(2) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، 28/1: حديث رقم86].

(3) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج114/1)، الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن(ج594/2)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية(ص399)، ابن حجر، فتح الباري(ج238/3)، ومرقاة المفاتيح للقاري(ج211/1)، والفوزان، الإرشاد(ص274،272)، الولّوي، ذخيرة العقبى(ج81/20).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج500/30)]، صحيح. انظر: صحيح الجامع للألباني برقم(1676)،(ج344/1).

وأيضاً يحمل على مثل هذا رد السلام على أهل المقابر الذي أمر به النبي ﷺ من يمُرُّ عليها بقول:{السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ}.(1)

فمن الأحاديث الواردة في زيارة أهل القبور، ورد السلام عليهم؛ استنبط شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال: "وأرواح المؤمنين في الجنة، وإن كانت مع ذلك قد تعاد إلى البدن، كما أنها تكون في البدن ويعرج بها إلى السماء".(2)

وبين في موضع آخر أن الروح تُنَعَّم مع البدن في القبر إذا شاء الله ذلك، وتنعم في الجنة وحدها، وكلاهما حق، وعلى هذا يحمل القول بأن الروح مرسلةٌ، تذهب حيث شاءت، وأنها قد تكون على أفنية القبور(3)، كما أن المراد برد السلام عليها ليس المقصود به اسم الله السلام؛ وإنما يراد به الدعاء لهم بالسلامة من العذاب ولو كان خفيفاً.(4)

أما عن كيفية تشكُّل الروح والمراد بقوله ﷺ:{نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ}، فينبغي علينا التسليم بما صحت به الأخبار على أي حال كان تشكُّلها(5)، وأن هذا مما استأثر الله تعالى بعلم كيفيته، قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[الإسراء:85].

وهذه الأرواح المنعمة المرسلة تتلاقى وتتزاور، وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، وتسأل من يأتيهم من الموتى الجدد عن أحوال من تركوا من الناس في الدنيا، بخلاف الأرواح المعذبة، فإنها محبوسةٌ ومشغولةٌ بالعذاب، لما اقترفت في الدنيا(6)، ودليل ذلك:

قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ**

---

(1) [مسلم:صحيح مسلم، الجنائز،باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها،671/2:حديث رقم975].

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج447/5).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج295/4).

(4) انظر: ابن عثيمين، الشرح الممتع (ج383/5).

(5) انظر: المناوي، التيسير (ج627/1).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج303/24)، ابن القيم، كتاب الروح (ص17).

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(**170**) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ(**171**) ﴾[آل عمران].

أفادت هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء أحياءٌ عند ربهم يرزقون، وأنهم يتزاورون ويتلاقون، ويبشر بعضهم بعضاً بقدوم إخوانهم ولقائهم[1]، وقد قال النبي ﷺ تأكيداً لهذا:{مَنْ وَلِيَ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ، فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا}.[2]

المراد بتحسين الكفن في الحديث: هو أن يكون أبيضاً ونظيفاً كثيفاً ساتراً لجميع البدن، لا أن يكون ثميناً فيه إسرافٌ وخُيلاء[3]، وفي الحديث دليلٌ على تزاور الأموات في حياة البرزخ بأكفانهم[4]، ولا يتعارض هذا مع ما ورد من حشر الناس عراةً في العرض يوم القيامة؛ لأنهم يخرجون إلى حالٍ قُدر عليهم فيه ذلك، كما قدر عليهم إكراماً التزاور بالأكفان قبل المحشر[5]، وقال البيهقي[6]، معلقاً على هذا الحديث بعد إدراجه في شعبه: "هذا إن صح؛ لم يخالف قول أبي بكر الصديق ﷺ في الكفن: إنما هو لِلْمُهْلِ، يعني الصَّدِيدَ؛ لأن ذلك كذلك في رُؤْيَتِنَا، ويكون كما شاء الله في علم الله، كما قال في الشهداء:﴿ ...**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[آل عمران:169]، وهو ذا يراهم يَتَشَحَّطُونَ في الدماء، ثم يفتتون، وإنما يكونون كذلك في رؤيتنا، ويكونون في الغيب كما أخبر الله عنهم، ولو كانوا في رُؤْيَتِنَا كما أخبر الله عنهم لَارْتَفَعَ الإيمان بالغيب".[7]

وفي رواية أُخرى تثبت تلاقي أرواح المؤمنين المنعمة وفرحهم بمن جاءهم من الدنيا من الأموات الجدد، وبيان سؤالهم عن أخبار من تركوا خلفهم من الأقارب ومن يعرفون من الناس،

---

(1) انظر: ابن القيم، كتاب الروح (ص18)، السعدي، تفسير السعدي(ص156).

(2) شعب الإيمان للبيهقي (ج459/11)، صحيح. انظر: صحيح الجامع للألباني برقم(ج845)،(ج207/1).

(3) انظر: النووي، المنهاج (ج11/7)، العيني، عمدة القاري(ج220/8)، الصنعاني، التنوير(ج238/2).

(4) انظر: المناوي، التيسير (ج268/1)، الصنعاني، التنوير(ج239/2).

(5) انظر: المناوي، التيسير (ج268/1).

(6) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن على الخرساني الشافعي (384هـ-458هـ)، العالم الزاهد الورع العلامة الحافظ الفقيه الأصولي شيخ الإسلام كما وصفه العلماء، سمع من الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك، وكان من كبار أصحابه، وقد فاقه في العلم، كان بارعاً في علم علل الحديث والحكم عليها، وبيان الاختلاف الظاهر فيها، وله مصنفات كثيرة، منها: شعب الإيمان، والأسماء والصفات، والمعتقد، ودلائل النبوة والسنن الكبرى. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج163/18).

(7) البيهقي، شعب الإيمان (ج459/11).

قال النبي ﷺ:{إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ ... فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟، فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا فَإِذَا قَالَ أَمَا أَتَاكُمْ؟، قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ}[1]، وفي رواية:{إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الْعَبْدِ تَلَقَّاهُ أَهْلُ الرَّحْمَةِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ كَمَا يَلْقَوْنَ الْبَشِيرَ فِي الدُّنْيَا، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْظِرُوا أَخَاكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيحَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي كَرْبٍ، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَا فَعَلَتْ فُلَانَةٌ؟ هَلْ تَزَوَّجَتْ؟ فَإِذَا سَأَلُوا عَنِ الرَّجُلِ قَدْ مَاتَ قَبْلَهُ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ هَلَكَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، فَبِئْسَتِ الْأُمُّ، وَبِئْسَتِ الْمُرَبِّيَةُ، قَالَ: فَيُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، فَإِذَا رَأَوْا حَسَنًا فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا، وَقَالُوا: هَذِهِ نِعْمَتُكَ عَلَى عَبْدِكَ فَأَتِمَّهَا، وَإِنْ رَأَوْا سُوءًا قَالُوا: اللَّهُمَّ رَاجِعْ بِعَبْدِكَ}.[2]

ث- مستقر أرواح الأطفال

الموتى من الأطفال منهم من يكون من أبناء المسلمين، ومنهم من يكون من أبناء الكفار، أما أبناء المسلمين؛ فقد قال فيهم النووي رحمه الله:" أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفاً"[3]، ومن أدلة السُّنَّة على ذلك: قول النبي ﷺ:{أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[4]، وفي رواية أُخرى قال ﷺ: {ذَرَارِيُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ، يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ}.[5]

وقال في أطفال المشركين: "وأما أطفال المشركين؛ ففيهم ثلاثة مذاهب، قال الأكثرون: هم في النار تبعاً لآبائهم، وتوقفت طائفة فيهم، والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم عليه السلام"[6]، الذي قال فيه النبي ﷺ:{فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لاَ

(1) [النسائي: السنن الكبرى، الجنائز/ ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، 383/2: حديث رقم1972]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج490)،(ج146/1):"صحيح".

(2) الزهد والرقائق، لعبد الله بن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ج149/1)، والحديث: موقوفٌ صحيح يأخذ حكم المرفوع. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني برقم(ج2628)،(ج265/6).

(3) النووي، المنهاج (ج207/16).

(4) [الحاكم: مستدرك الحاكم، الجنائز، 541/1: حديث رقم1418]، وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه"، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج1023)،(ج235/1):"صحيح".

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج71/14)]، إسناده حسن.

(6) النووي، المنهاج (ج207/16).

أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ- إلى أن قال-وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِى فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ}، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ}.(1)

أفاد الحديث أن النبي ﷺ ألحق أطفال المشركين بأطفال المسلمين، فبين أنهم في الجنة، ولا يعارضه قوله: {إنهم مع آبائهم}، لأن ذلك في أحكام الدنيا".(2)

وما ورد عن النبي ﷺ أنه لما سئل فقيل له: "أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ"، قَالَ:{اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ}(3)، وفي رواية أنه سئل عن أولاد المشركين، فقال:{ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ}.(4)

ليس في هذين الحديثين تصريحٌ أن من مات صغيراً من أبناء المسلمين أو من أبناء الكفار أنه في النار، وإنما المراد أنهم لو بلغوا فالله أعلم بما كانوا عاملين، ولا تكليف إلا بالبلوغ، كما أن ذلك قيل قبل بيان الوحي لأمرهم، ويحتمل أنه أراد أن يبين أن مثل هذه الأمور لا يقال فيها ولا يقطع إلا بالوحي، كما لا يحتج بالغلام الذي قتله الخضر؛ لوجوب تأويل ذلك الحديث قطعاً؛ لأن أبويه كانا مؤمنين، فيكون هو مؤمناً تبعاً لهما، فيكون المراد أن الله يعلم أنه لو بلغ لكان كافراً، لا أنه كافر في الحال، وتجري عليه أحكام الكفار، والله تعالى لا يعذب العاقل من أهل الفترة إذ لم تبلغه الدعوة، فكيف يعذب غير العاقل.(5)

وقال ابن عبد البر(6)رحمه الله بعد أن جمع الأدلة في هذا الباب وناقشها، ورجح أن الصغار من أبناء المسلمين وغيرهم في الجنة، ورد قول من قال إنهم في النار: "إذا تعارضت الآثار وجب سقوط الحكم بها ورجعنا إلى أن الأصل؛ أنه لا يعذب أحد إلا بذنب، لقوله تعالى:﴿ ...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء:15]، وقوله:﴿ ...أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ... ﴾

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التعبير،باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح،44/9: حديث رقم7047].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج445/12)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج166/10).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، القدر/ الله أعلم بما كانوا عاملين، 123/8: حديث رقم6599].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ ما قيل في أولاد المشركين، 100/2: حديث رقم1384).

(5) انظر: النووي، المنهاج (ج207/16)، ابن حجر، فتح الباري(ج247/3).

(6) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله النَّمري الأندلسي، المعروف بابن عبد البر(ج368هـ-463هـ)، الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام، صاحب التصانيف، طال عُمره وكثر تلاميذه، وكان منهم أبو عبد الله الحميدي، من تصانيفه: البيان في تلاوة القرآن، والإنصاف في أسماء الله، ولي قضاء أُشبُونة مدة، عهد عليه اقتفاء الأثر ولم يعهد عليه الميل لعلم الكلام. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج153/18).

[الزُّمر:71]، وآيات القرآن كثيرة في هذا المعنى، على أني أقول إن الله ليس بظلام للعبيد، ولو عذبهم لم يكن ظالماً لهم، ولكن جلَّ من تَسَمَّى بالغفور الرحيم الرؤوف الحكيم؛ أن تكون صفاته إلا حقيقة، لا إله إلا هو، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون".[1]

وردَّ في كتابه التمهيد على من أوجب اختبارهم وامتحانهم في الآخرة بقوله: "وجملة القول في أحاديث هذا الباب كلها، ما ذكرت منها وما لم أذكر؛ أنها من أحاديث الشيوخ، وفيها علل، وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء، وهو أصلٌ عظيم، والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعف في العلم والنظر، مع أنه عارَضَها ما هو أقوى منها"[2]، وإلى نحو هذا الرأي مال النووي وابن حجر رحمهم الله.[3]

وهذه الأدلة التي تثبت تَنعُّم الروح في البرزخ لا تتنافى مع قول الله تعالى:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه:55]؛ لأن هذه الآية عامة في واقع الناس وما يتعلق بأجسادهم بعد الموت، وأنهم من آدم ﷺ وهو أصلُهُم، وقد خُلِقَ من الأرض، ومرَدُّهُم بالموت فيها، ثم يخرجون منها للحساب يوم القيامة[4]، ومن المعلوم أن السُّنَّة تخصص القرآن[5]، فعلى ذلك تكون السُّنَّة قد خصصت عموم هذه الآية بذكر تنعم أرواح المؤمنين، وأن الأرواح لها تعلق بالجسد، واتصالٌ وانفصال بكيفية قدرها الله تعالى لا قبل لعقول البشر معرفة كُنهها، وأن هذا النعيم دون نعيم الآخرة كما سبق.

ثانياً: مستقر أرواح العصاة من أهل الإسلام

أرواح العصاة من المسلمين تُحبس وتُشغل عن النعيم؛ بما اقترفت في الدنيا من الآثام، بدليل ما ذكره النبي ﷺ عن تزاور أرواح الصالحين واستقبالهم لروح الميت الجديد، وسؤالهم له عمن تركوا من معارفهم في الدنيا بقولهم: {مَا فَعَلَ فُلَانٌ مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟، فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ

---

(1) ابن عبد البر، الاستذكار (ج113،114/3).

(2) ابن عبد البر، التمهيد (ج130/18).

(3) انظر: النووي، المنهاج(ج208/16)، ابن حجر، فتح الباري(ج246/3)، وما بعدها.

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج211/11)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج299/5)، والشنقيطي، أضواء البيان(ج24/4).

(5) انظر: الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية(ص8،12)، الشوكاني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول(ج387/1)، والشنقيطي، أضواء البيان(ج452/2).

فِي غَمِّ الدُّنْيَا فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟، قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ}[1]، ولقوله أيضاً ﷺ:{إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ}[2]، في الحديث إثبات عذاب القبر، وتعلق الروح بالجسد بطريقة لا يعقلها أهل الدنيا، وبيان لطف الله تعالى بعباده بأن لا يسمعهم عذاب المقبورين، حتى لا يمتنع الناس عن التدافن، فتصبح جثثهم ملقاةً على وجه الأرض بلا دفنٍ كالبهائم[3]، وعذاب القبر متفاوت على العصاة من المسلمين، كلٌ على حسب معصيته[4]، كما يظهر من النصوص التي ذَكرَت ذلك، ومنها:

أ- ما جاء في عذاب القبر على عدم الطهارة من البول

عن ابن عباس رضي الله عنهما "عن النبي ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ" فَقَالَ: {إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ}.[5]

قوله ﷺ:{وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ}، أي: أن التحرز عن هذه الأفعال المنكرة لا مشقة فيه على النفس، وقوله: {لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ}، أي: لا يتحرز منه، ولا يهتم بتنظيف بدنه منه، وقوله: {كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ}، أي: ينقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد، وقد أفاد الحديث صحة عذاب القبر، وأن النميمة وعدم الطهارة من النجس يسببان عذاب القبر لمن مات على ذلك.[6]

---

(1) حديثٌ صحيح، سبق تخريجه (ص289).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، 2199/4: حديث رقم2867].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج401/8)، ابن حجر، فتح الباري(ج241/3)، الولَّوي، ذخيرة العقبى (ج104/20).

(4) انظر: ابن القيم، كتاب الروح (ص89)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص401).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز باب الجريدة على القبر، 95/2: حديث رقم1361].

(6) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج118/2)، والنووي، المنهاج(ج201/3)، العيني، عمدة القاري (ج220/22)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج41/9).

ب- ما جاء في عذاب القبر لمن يترك العمل بالقرآن وينام عن صلاة الفريضة

عن سَمُرَةُ بن جُنْدَبٍ ﷺ عَنْ النبي ﷺ في الرُّؤْيا قال:{أَمَّا الَّذِي يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفِضُهُ وَيَنَامُ عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ}.[1]

أفاد الحديث أن الذي يُعرض عن العمل بمقتضى أحكام القرآن وأوامره، وينام ولا نيَّة له بالقيام إلى صلاة الفريضة أنه يعذب في قبره على ذلك بأن يُثلغ رأسه، أي تضرب، فتشق وتُهشم بذلك.[2]

ت- ما جاء في عذاب من يتعرض لأموال المسلمين

ومن أمثلة ذلك أن النبي ﷺ وهو عائدٌ من خبير أصيب عبده حيث "جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا}،" فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :{شِرَاكٌ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ}.[3]

المراد بالسهم العائر: هو السهم الحائد عن قصده، ولا يعرف راميه[4]، والشملة: هي نوع من الثياب تشمل الجسد بلبسها[5]، والشراك: هو سيرٌ يكون في النعل يمر على ظهر القدم.[6]

ويستفاد من الحديث: حرمة الغلول، وأن التوحيد لا يمنع عن صاحبه العذاب، إذا لم يعمل بمقتضاه ويمتنع عن الآثام، وهذا ردٌ لقول ومعتقد المرجئة ومن وافقهم من أن مجرد الإيمان دون عملٍ يعصم من العذاب.[7]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التهجد/ عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، 52/2: حديث رقم1143].

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج423/8)، وابن الملقن، التوضيح (ج87/9)، العيني، عمدة القاري (ج195/7).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ غزوة خيبر، 138/5: حديث رقم4234].

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج489/7).

(5) انظر: ابن عبد البر، الاستذكار (ج91/5)، العيني، عمدة القاري(ج255/17).

(6) انظر: النووي، المنهاج(ج129/2).

(7) انظر: ابن عبد البر، التمهيد (ج9/2)، ابن عبد البر، الاستذكار (ج91/5).

وهناك أمورٌ أُخرى توجب عذاب القبر على عصاة المسلمين؛ كالرياء، وأكل الربا، والزنا، وقطيعة الرحم، وترك الحكم بشرع الله، وأكل الحرام، وأخذ الرشاوى، وشرب المسكر، والغناء والطرب، وعون الظلمة، والساحر والعراف والمنجم ومن يأتيهم، وأكل مال اليتيم[1]، كما يحدث من بعض الناس في زماننا مع الأيتام من أبناء الشهداء وغيرهم، وكل ما سبق ذكره من أسباب عذاب القبر واقعٌ في حياة المسلمين، إلا من رحم الله تعالى، فلابد من الاستقامة لتحصيل النجاة.

ثالثاً: مستقر أرواح الكفار

أرواح الكفار في العذاب الدائم إلى قيام الساعة، قال تعالى:﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ(7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ(8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ(9)**﴾[المطَّففين]، معنى سجين: هو الضيق والسجن، والتكرار لكلمة سجين في الآية التي تليها هو من باب تعظيم وتهويل أمره، ومعنى مرقوم: أي أن ما كُتب فيه من خبيث أعمالهم لا يتغير ولا يتبدل، فيكون المراد بالآيات: أن هؤلاء الكفار أرداهم ما كُتب عليهم من كفرهم بربهم ﷻ، فجعلهم في حبس الضيق والعذاب في الأرض السفلى، فالمخلوقات كلما تسافلت ضاقت، وكلما ارتفعت اتسعت، فهؤلاء الكفار في أسفل ضيق الأرض بكفرهم، بعكس حال أهل الإيمان[2]الذين وصفهم الله تعالى بقوله:﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**﴾ [المطَّففين:18]

ومما ورد في السُّنَّة عن عذاب الكفار في دار البرزخ ليحذر الناس ويحثهم على الإيمان والعمل: قول أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:{إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللهِ فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ}.[3]

وعن البراء بن عازب ﷺ قال:" قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:﴿ ...**لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف:40]، - ثم قال رسول الله ﷺ- فَيَقُولُ اللهُ ﷻ:"اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا"،

---

(1) انظر: ابن القيم، كتاب الروح(ص77) وما بعدها.

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج349/8)، السعدي، تفسير السعدي(ص915).

(3) [النسائي: السنن الكبرى، الجنائز/ ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، 383/2: حديث رقم 1972]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(490)،(ج146/1):"صحيح".

ثُمَّ قَرَأَ:﴿...وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:31]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ:هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ}.[1]

في هذين الحديثين بيان ما يلقاه الكافر من شدة العذاب والذل والهوان في حياة البرزخ، وأن ذلك يدوم عليه إلى يوم القيامة[2]، حتى إذا خرج الكفار جميعاً للقيامة التي كانوا ينكرونها، ورأوا من شدة هول القيامة، وأن عذاب الآخرة أشد من عذاب القبر الذي كانوا فيه[3]قالوا:﴿... يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا...﴾[يس:52].

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح العقيدة بإثبات البعث والنشور

المراد بالبعث والنشور: هو إحياء الله تعالى للناس بعد موتهم، ونشرهم للحساب يوم القيامة[4]، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [**المجادلة:6**]، وطريقة البعث تكون بنفخ المَلَك إسرافيل عليه السلام في الصور النفخة الثانية[5]، قال تعالى: ﴿... ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزُّمر:68] ، والصور عرَّفه النبي ﷺ ، لما سأله أَعْرَابِيٌّ فقال: "يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الصُّورُ؟" قَالَ{ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ}.[6]

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج502/30)]، صحيح.انظر :مشكاة المصابيح للألباني برقم(1630)،(ج368/1).
(2) انظر : الولَّوي، ذخيرة العقبى (ج46،49/18).
(3) انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج581/6).
(4) انظر : ابن منظور، لسان العرب(ج117/2)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج922/2).
(5) انظر : الفوزان، الإرشاد(ص250،285).
(6) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج53/11)]، إسناده صحيح.

والإيمان بالبعث والنشور ركنٌ من أركان الإيمان بالله التي لا يتم إيمان العبد إلا به، فعن أبي هريرة ﷺ قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولُ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟" قَالَ:{أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ}.[(1)]

المراد بالبعث الآخر في الحديث: هو قيام الناس يوم البعث والنشور للحساب، وتقييده بالآخر ليتميز عن البعث الأول بخروج الإنسان من رحم أمه إلى دار الدنيا.[(2)]

وأسماء اليوم الاخر يوم القيامة الذي يبدأ بالبعث والنشور كثيرةٌ تصل إلى نحو ثمانين اسماً اشتقت من نصوص القرآن الكريم، منها: يوم الخروج، ويوم الجمع، ويوم الفزع الأكبر، ويوم الوعيد، ويوم العرض، ويوم الحسرة، ويوم الفصل، ويوم الخلود، ولكل اسم مناسبته ومعناه.[(3)]

وقد انقسم الناس بمعتقدهم في البعث والنشور؛ فمنهم من آمن به على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وهم أتباع النبي محمد ﷺ، ومنهم من آمن بالله وأنه الخالق ولم يؤمن بالبعث والنشور كمشركي العرب، قال تعالى إخباراً عن إيمانهم بخالقهم:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزُّخرف:87]، وعن إنكارهم للبعث والنشور:﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:49]، ومن الناس من أنكر الإيمان بكل شيءٍ، وهم الملاحدة الذين يجحدون الخالق، ويكذبون الرسل، وهناك من آمن بالله كإيمان مشركي العرب لكنه خالفهم بأن آمن ببعض أمور اليوم الآخر فآمن بالجنة، لكن إيمانه لم يكن وفق شرع الله تعالى، بل على هواه وباطله الذي افتراه كاليهود والنصارى ومن ضل كضلالهم ممن انتسب للإسلام من المنافقين كالقرامطة الباطنية[(4)]ومن شايعهم وشابههم.[(5)]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان الإيمان ما هو وبيان خصاله، 39/1: حديث رقم9].

(2) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج215/1)، والنووي، المنهاج(ج162/1).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج396/11).

(4) القرمطة: هي فرقة من فرق الكفر المجوسية، أرادوا هدم الإسلام من الداخل لإعادة ملك كسرى، فتظاهروا بالإسلام، وعملوا على نشر البدع ومعتقدات المجوسية بين المسلمين وأباحوا نكاح المحارم، وزعموا أن لنصوص الشرع مراداً ظاهراً وآخر باطناً وهو المراد من تشريعها الذي لا يعرفه إلا أسياد مذهبهم، ليتمكنوا بذلك من ادخال معتقداتهم الفاسدة بين المسلمين. انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق(ص265,16) وما بعدها، والشهرستاني، الملل والنحل(ج190/2).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج314/4)،(ج238/13)، والفوزان، الإرشاد(ص337،24).

وقد أرسل الله تعالى نبيه ﷺ بتصحيح العقيدة لكل أصناف الناس، فأهل الإيمان ينفعهم تصحيحها؛ بأن تبقى عقيدتهم سليمةً قويةً دائماً، بحيث تحفظ صاحبها من الانحراف، وتعينه على دوام الاستقامة، والصبر على بلاء الدنيا، واحتساب الثواب يوم البعث، والتزود من العمل الصالح، وغيرهم من أهل الضلال بإقامة الحجة عليهم، فمن عدل الله تعالى ألا يعذب بغير نبيٍ ورسالة، قال تعالى:﴿ ...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء:15].

وقد كان من منهج النبي ﷺ في تصحيح العقيدة بإثبات البعث والنشور أن بين أمور ذلك اليوم وأحصاها بشكل واضح، لا يرده إلا جاحدٌ يستحق عقاب الله تعالى، ومن ذلك:

1- ذكر القيام للعرض وبيان كيفيته

حيث ذكر النبي ﷺ: النفخ في الصور وما بين النفختين من الزمن فقال بعدها:{ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ}، قَالَ:{وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.(1)

المراد بعَجْب الذَّنَبِ: هو العظم اللطيف الذى في أسفل الظهر، وهو رأس العصعص، وأول ما يخلق من الآدمي في رحم أمه، ويبقى منه بعد موته ويبلى جسده في قبره؛ ليعاد تركيب الخلق منه للميعاد، سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن أجسادهم لا تبلى في قبورهم كما ورد في السُنَّة(2)، حيث النبي ﷺ:{إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ}.(3)

2- بيان حشر الخلق وأحوال الناس فيه

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظةٍ"، فقال:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،﴿ ...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[الأنبياء:104]}.(4)

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة/ ما بين النفختين، 2270/4: حديث رقم2955].

(2) انظر: النووي، المنهاج (ج92/18).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، فضائل القرآن/باب في الاستغفار، 636/2: رقم الحديث 1531]، حديثٌ صحيح. انظر: الألباني: السلسلة الصحيحة برقم(1527)،(ج32/4).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها، 2194/4: باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة حديث رقم2860).

قوله ﷺ:{غُرْلًا}، أي: غير مختونين، والمقصود بالحديث أن الناس يحشرون حفاةً عراةً بغير ختان كما خرجوا عند ميلادهم في الدنيا، لا شيء معهم، ولا يُفْقَد منهم شيء.(1)

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:{يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيت}.(2)

المراد بقوله ﷺ:{مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ}، أي: كل من طغى بأن عبد مخلوقاً من دون الله تعالى غير الملائكة عليهم السلام وعيسى ﷺ فإنه يحشر مع من عبده، ويتبعه إما من باب البحث عن الخلاص ببقاء الاعتقاد فيه، أو من باب قوله تعالى:﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾[الأنبياء:98]

وقال ﷺ:{تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» – قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ – قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ}.(3)

ولا ينجو يومئذٍ إلا من آمن بالله تعالى إيماناً يوافق شرعه(4)،قال الله تعالى:﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89)** ﴾[الشعراء]. ، أي: كان في الدنيا بقلبٍ مؤمنٍ خالٍ من الشرك والبدع عاملٍ بمقتضى إيمانه، وجاء يوم القيامة على ذلك(5)، فيكون حاله مع من وصفهم النبي ﷺ بقوله:{سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ

---

(1) انظر: النووي، المنهاج(ج193/17).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ معرفة طريق الرؤية، 164/1: حديث رقم182].

(3) [المصدر السابق، الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، 2196/4: حديث رقم2864].

(4) انظر: النووي، المنهاج(18/3)، ابن حجر، فتح الباري(ج448/11).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج149/6)، السعدي، تفسير السعدي(ص593).

وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ}.[1]

3- ذكر الشفاعة وتأكيد تعددها

الشفاعة تتعدد يوم القيامة، فتكون من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن الصالحين ومن الملائكة، والله تعالى الذي رحم خلقه بهذه الشفاعات يتجاوز عن كثير من خلقه ممن استحق العقاب يوم القيامة برحمته وكرمه[2]، لكن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله تعالى، فلا يملك أحدٌ من الخلق أن يشفع بغير إذن الله ﷻ، فهي له وحده، يرحم بها من يشاء من عباده[3]، قال ﷻ: ﴿ ...مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...﴾ [البقرة:255]، ولا تكون في أحدٍ إلا إذا كان من أهل التوحيد، لقول النبي ﷺ:{أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ}.[4]

ومما ورد في السُّنَّة النبوية من ذلك:

أ- الشفاعة العظمى

وهي خاصةٌ بنبينا محمدٍ ﷺ من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[5]، ودليلها قول ابن عمر رضي الله عنهما المرفوع: "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ".[6]

ورواية قال النبي ﷺ:{يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ – وفي رواية فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ – فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَم ﷺ – وذكر مرور الناس على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يطلبون شفاعتهم، إلى أن قال– فَيَأْتُونِي

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الأذان/ من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، 133/1: حديث رقم660].

(2) انظر: الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص229)، وما بعدها.

(3) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص110).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الرقاق/ صفة الجنة والنار، 117/8: حديث رقم6570].

(5) انظر: النووي، المنهاج(ج35/3)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص229)، المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج7/ 128).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قوله:{عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، 86/6: حديث رقم4718].

فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ}.[1]

ب- شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر، ومن لم يعمل خيراً قطُّ من أهل التوحيد

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي}[2]، وعن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ النَّبِيَّﷺ قَالَ:{يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً}[3]، وعن أبي سعيد الخُدْري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{يَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ}.[4]

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها ووقوعها حقيقةً بأدلة الكتاب والسُّنَّة والتي منها هذه الأحاديث للعصاة من أهل التوحيد بعدم دخول النار لمن استحقها منهم ، ولمن دخلها بالخروج منها برحمة الله تعالى وكرمه، خلافاً لقول الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا الشفاعة للعصاة من الموحدين وخروج أحدهم من النار، وخلافاً لمن جعل الشفاعة للأنداد بمعتقده الفاسد وهواه المنحرف من أهل الضلال والكفر[5]، كما تفيد أدلة إثبات الشفاعة سعة رحمة الله تعالى، وبيان فضل التوحيد وثوابه، وتحُثُ المسلمين على الاستقامة والصبر على دينهم، وتُرغِّب الناس كافة بالإيمان بربهم ﷻ واتباع نبيه محمد ﷺ.

4- بيان نهاية أمر الناس بعد عرصات القيامة

مما دعا النبي ﷺ به الناس إلى تصحيح العقيدة؛ بيانُ نهاية أمر الناس يوم القيامة، حيث قال ﷺ: {يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ أدني أهل الجنة منزلة فيها، 180/1: حديث رقم193].

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول اللهﷺ/ الشفاعة، 231/4: حديث رقم2436]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(ج3714)،(ج691/1):"صحيح".

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ أدني أهل الجنة منزلة فيها، 180/1: حديث رقم193].

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ معرفة طريق الرؤية، 167/1: حديث رقم183].

(5) النووي، المنهاج(ج35/3)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج102/7)، الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص235)، السعدي، تفسير السعدي (ص726).

فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ:﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ...﴾، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا﴿...وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم:39].[1]

قوله ﷺ :{فَيَشْرَئِبُّونَ}، أي: "يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر"[2]، والمراد بذكر هذه الآية والغفلة وعدم الإيمان فيها: هي غفلة من لم يؤمن في الدنيا؛ إذ الآخرة لا غفلة فيها، والحديث يفيد دوام الجنة وخلود أهلها ونعيمهم فيها، ودوام النار وخلود أهلها وعذابهم فيها، بعد خروج من استحق العذاب من أهل التوحيد، وهذا مذهب أهل السنة العدول[3]، الذي يدعو لنزع الغفلة عن القلوب بالإيمان، والعمل للفرار إلى الله تعالى من العذاب الدائم، والنعيم المقيم الخالد.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قوله: {وأنذرهم يوم الحسرة}، 93/6: حديث رقم4730].

(2) ابن حجر، فتح الباري(ج420/11).

(3) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج597/22)، العيني، عمدة القاري(ج52/19)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج233/7).

الفصل الثالث

المنهج النبوي في تصحيح عقيدة غير المسلمين

الفصل الثالث

المنهج النبوي في تصحيح عقيدة غير المسلمين

أرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ للناس كافة عربيهم وعجميهم، مبشراً لمن يتبعه فيؤمن بالله ويعمل بمقتضى هذا الإيمان، ومنذراً ومخوفاً للمعرض بما ينتظره من الشدة والعقاب، قال الله ﷻ:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سبأ:28].[1]

وقد كان للنبي ﷺ في دعوته منهجٌ وهديٌ دعا أمته لتقتدي به في ذلك، فقال ﷺ:{وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ}.[2]

أي: أحسن طريق الدلالة والإرشاد إلى الله تعالى، طريق محمدٍ ﷺ ومذهبه.[3]

وفي هذا الفصل نقف بعون الله ﷻ على ما يتيسر جمعه من منهج النبي ﷺ في دعوته لتصحيح عقيدة أصناف الكفار من الناس، عسى الله أن يفتح علينا؛ فنقتفي أثر نبينا في ذلك فنفلح في الدارين.

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج518/6)، السعدي، تفسير السعدي(ص680).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجمعة/ تخفيف الصلاة والخطبة، 592/2: حديث رقم867].

(3) انظر: النووي، المنهاج(ج154/6).

المبحث الأول

المنهج النبوي في تصحيح عقيدة الكفار من العرب

المطلب الأول: التعريف بالكفر وأنواعه

أولاً: التعريف بالكفر

الكفر في اللغة: التغطية والستر لما حقه الظهور، وسمي الكافر بهذا الاسم لتغطية الإيمان في قلبه وستره بالكفر.[1]

الكفر شرعاً: قال ابن تيمية رحمه الله: "الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواءٌ كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله، حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة".[2]

وقال ابن حزم:" هو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه؛ ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان".[3]

ثانياً: أقسام الكفر

الكفر نوعان، كفرٌ أكبر مخرجٌ من الملة، وكفرٌ أصغر لا يخرج من الملة.

النوع الأول: الكفر الأكبر الذي يخرج من الملة، ويوجب البراء من صاحبه، وهو أنواع، منها:

1. كفر التكذيب، ودليله قول الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾[العنكبوت:68][4]

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج144/5)، والفيومي، المصباح المنير(ج535/2)، المناوي، والتوقيف على مهمات التعاريف (ص282).

(2) ابن تيمية، مجموع فتاوى(ج335/12).

(3) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام(ج49/1).

(4) انظر: ابن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج70/2).

أي: لا أحد أشد ظلماً ممن كان ظلمه في العقيدة؛ بأن كذب على الله فزعم له الشريك، أو نسب ما هو عليه من الضلال والباطل إليه، أو كذَّب بالنبي محمد ﷺ، والقرآن الذي أُنزل عليه، إن في النار لمأوىً لهؤلاء.[1]

2. كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، ككفر إبليس عليه لعنة الله، ودليله قول الله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾[البقرة:34]

يذكر الله تعالى للناس تكريمه لأبيهم آدم عليه السلام حين أمر الملائكة بالسجود له إكراماً وإظهاراً لفضله، فأطاعوه جميعاً بالسجود إلا إبليس امتنع، استعظاماً لنفسه التي انطوت بفعله هذا على الكفر، فأصبح ممن يستحق العقاب بهذه المعصية[2]، وهكذا كان حال علماء اليهود في المدينة، وكبار كفار قريش في مكة عندما ردوا دعوة النبي ﷺ وحاربوها مع اعتقادهم بصدقه[3]، وينسحب هذا الحكم على من قام برد أحكام الشرع، ولو بمسألة واحدة منه مما عُلم بالضرورة.

3. كفر الشك، ودليله قوله تعالى:﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا(36)** ﴾[الكهف].

المراد بالآية: أن صاحب هذا المثل المضروب للعبرة أعطاه الله من الدنيا، فاغتر بذلك وافترى عندما دخل جنته ورأى ما فيها، فراقه حُسنها وغرته زهرتها، فتوهم أنها لا تفنى أبداً، فكفر بإنكار البعث، وقال مستهزئاً ومتهكماً زيادة منه في الكفر: أنه إن قامت الساعة ورجع إلى ربه؛ فإنه سُيجزى بخيرٍ من هذه الجنة.[4]

4. كفر الإعراض، ودليله قوله تعالى:﴿ ...**وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**﴾[الأحقاف:3]

---

(1) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج562/17)، الشنقيطي، العذب المنير (ج512/1).

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج86/1)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص6).

(3) انظر: ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص41)، ابن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج71/2).

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج171/5)، السعدي، تفسير السعدي(ص477)، ابن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج71/2).

أي: أن حال الكفار لما خوفوا بالقرآن بتأكيد البعث والجزاء، وقامت عليهم الحجة، وبان لهم الدليل بذلك، لم يتعظوا واستمروا مولين غير قابلين للإيمان، ولا مستعدين له.[1]

5. كفر النفاق، ودليله قوله ﷻ:﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:3]، يخبر الله تعالى عن المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر رغم قيام الأدلة على صدق النبي ﷺ أنهم إنما قُدر عليهم هذا الحال لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفر، بغياً منهم، واختياراً للضلال على الهدى.[2]

6. كفر السب، كسب الذات الإلهية أو سب الدين، ونحوها من ألفاظ الكفر، فمن وقع في هذه الأمور من غير إكراه فهو كافرٌ، وهذا الكفر كفر استهزاء أيضاً، والاستهزاء بالله تعالى أو آياته أو شيءٍ من أحكام دينه، أو الاستهزاء برسوله فهو كفرٌ مخرجٌ من دين الإسلام؛ لأن أصل الدين مبنيٌ على تعظيم الله تعالى، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيءٍ من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة، ولو كان ذلك حال الهزل، أو أثناء مشاجرةٍ، أو مجاملة للكفار[3]، ودليل ذلك ما نزل في بعض المنافقين السابين المستهزئين بالله ورسوله في غزوة تبوك بالله ورسوله، قال تعالى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(**65**)لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ(**66**)﴾[التوبة].[4]

7. كفر البغض، فمن أبغض الإسلام، أو شيئاً من أحكامه، ولو كان يعمل به فقد كفر؛ لأن ذلك ينافي تعظيم شعائر الله والخضوع والانقياد له[5]، قال تعالى:﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ

---

(1) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج159/20)، صديق خان، فتح البيان(ج10/13)، ابن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج71/2).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج124/18)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج125/8)، ابن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج71/2).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج557/7)، السعدي، تفسير السعدي(ص342)، والأثري، الإيمان (ص248).

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج69/4).

(5) انظر: الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص248).

اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:9]، وقال ﷺ:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:65].

8. كفر موالاة الكفار، بنصرتهم على المسلمين، أو حُبهم والتشبه بهم في خصائص اعتقادهم، فموالاة الله تعالى وأهل دينه في مقابل موالاة الأعداء من الكفار ضدَّان لا يجتمعان(1)، لأن مقتضيات الإيمان توجب موالاة أهل الإسلام وحبهم ونصرتهم، وبغض أهل الكفر الأعداء ومقاطعتهم ومعاداتهم، واعتقاد أنهم حرب على الإسلام وأهله(2)، قال تعالى ناهياً عن موالاتهم:﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾[آل عمران:28]، وقال محذراً من موالاتهم:﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة:51]، وهذه الولاية متفاوتةٌ في حكمها، فقد توجب الكفر والخروج من الإسلام، وقد توجب الإثم الكبير، وعلى كل حال فإن التشبه بالكفار فيما اختصوا به وكان من شعاراتهم مذموم بكل أحواله.(3)

النوع الثاني: الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة.

هذا القسم من الكفر أُطلق في الشرع على بعض الذنوب على سبيل الزجر؛ لأَنَه من خصال أهل الكفر، لكنه لا يناقض أصل الإيمان، ولا يسلب صاحبه حصانة الإسلام، وشفاعة الشافعين يوم القيامة، وهو من كبائر الذنوب، يقتضِ العذاب لصاحبه إذا شاء الله تعالى دون الخلود في النار، وكل نصٍ شرعي يذكر فيه الكفر ولم يصل للكفر الأكبر فهو كفرٌ أصغر، وهذا الحكم ينسحب على الشرك الأصغر أيضاً، وأمثلته كثيرة(4)، منها:

1. كفر النعمة، وهو نسبة نعم الله تعالى إلى غيره باللسان دون اعتقاد، كأن يقول قائل: لولا فلان لما حدث كذا، أو بتسمية الأبناء عبد النبي، أو عبد الحسين ونحو ذلك، فهذا كله لا يجوز، ودليل ذلك قول الله تعالى:﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا...﴾[النحل:83].(5)
2. كفران العشير والإحسان، ودليله قول النبي ﷺ:{أُريتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ

---

(1) انظر: فتح البيان صديق خان(ج214/2).

(2) انظر: الشنقيطي، العذب المنير(ص218/5)، والفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد(ص307).

(3) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (ص83).

(4) انظر: الأثري، الإيمان (ص252،249،238).

(5) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج36/5)، الرازي، مفاتيح الغيب(ج76/20)، والأثري، الإيمان(ص249).

يَكْفُرْنَ}، قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ:{يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ}.(1)

سمَّى النبي ﷺ في الحديث ما يكون من النساء من إنكار إحسان الزوج وعشرته كفراً، لأنه من قبيح الأفعال التي تُنقِص الإيمان، وتجلب الآثام، ليفيد أن شكر النعم والإحسان فريضة، وأن الإيمان يزيد بفعل البر وشكر العشير والمحسن، وأن هذا الحكم عامٌ للزوجة وغيرها من أهل التكليف في الإسلام.(2)

3. الحلف بغير الله تعالى، لقول النبي ﷺ:{مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ}.(3)

الحكمة من النهي عن الحلف بغير الله ﷻ أنه يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة التعظيم مختصة بالله وحده، فلا يضاهى به أحدٌ، وقد أجمع أهل السُّنَّة على أن الكفر والشرك في هذا الحديث أنه كفرٌ أصغرٌ لا يخرج صاحبه من الإسلام، إلا إذا كانت عظمة المحلوف به في قلب الحالف كعظمة الله تعالى.(4)

4. قتال المسلمين بغير حق، قال النبي ﷺ:{لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ}.(5)

المراد بالكفر في الحديث: هو النهي عن التَّكَفُّرِ بالسلاح، أي: التَّسَتُّر والتسلح بحمله للقتال فيما بين المسلمين، لا لقتال عدوكم، فتكن أفعالكم هذه تشبه أفعال الكفار في تسلحهم لضرب رقاب المسلمين، وهذا الكفر لا يُفقد صاحبه صفة الإيمان، ولا يخرجه من الملة باتفاق أئمة الإسلام.(6)

5. الطعن في النسب، والنياحة على الميت، ودليله قوله ﷺ:{اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ}.(7)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ كفران العشير، وكفر دون كفر، 15/1: حديث رقم29].

(2) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج204/8)، ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج89/1)، والأثري، الإيمان(ص250).

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج249/10)]، رجاله رجال مسلم.

(4) انظر: العيني، عمدة القاري(ج175/23)، والأثري، الإيمان(ص250).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ حجة الوداع، 177/5: حديث رقم4405].

(6) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج324/1)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج445/6)، والأثري، الإيمان (ص251).

(7) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، 82/1: حديث رقم67].

أفاد الحديث حرمة الطعن في النسب والنياحة، وأن ذلك من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، قد يؤدي إلى الكفر، لأن المعاصي بريد الكفر، فالطعن في النسب يوجب القذف، والقذف من الكبائر، والنياحة من قبيل التشنيع على القدر، وإظهار التَّسخُّط لما قدره الله تعالى.[1]

المطلب الثاني: كفر العرب في عصر النبوة

جميع الإنس يقرون بالخالق، وذلك مستقرٌ في فطرهم، سوى الدهرية الملاحدة الذين ينكرون الخالق جحوداً[2]، قال تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[الزُّخرف:87]، لكن إقرارهم هذا لا يفيد كمال توحيد الربوبية عندهم، بل هو إقرارٌ محدود ومشوبٌ بالشرك وإنكار تعدد أسماء وصفات الرب ﷻ[3]، لذلك تنوعت عقائد العرب في عصر النبوة، فكانوا أصنافاً في كفرهم؛ فمنهم من كان ينكر الخالق، ومنهم من كان يؤمن بربوبية الخالق مع خللٍ وإنكار للبعث[4]، واجتمع هؤلاء الكفار بأصنافهم على عدم قبول دعوة النبي ﷺ ومحاربتها كحال سابقيهم من الكفار مع أنبيائهم[5]، قال الله تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾[الأنعام:112].

وبناءً على هذه الأصناف يمكن تقسيم كفر العرب إلى صنفين، الصنف الأول: الدهرية الملاحدة الذين ينكرون وجود الرب ﷻ، والصنف الثاني: من ينكرون توحيد العبادة، ودعوة النبي ﷺ، وهم الأغلب.

الصنف الأول: كفر الإلحاد، والإلحاد هو الميل والبعد عن الشيء.[6]

وشرعاً: هو الميل عن التوحيد بإنكار الخالق.[7]

---

(1) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج64/8)، والنووي، المنهاج(ج57/2)، والأثري، الإيمان(ص251).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج241/2) و (ج482/8).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج343/10)، ابن حجر، فتح الباري(ج524/2)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج64/13) و(ج236/15).

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج172/16).

(5) انظر: صديق خان، فتح البيان(ج222/4)، السعدي، تفسير السعدي(ص269).

(6) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج389/3).

(7) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (ج236/4)، ابن منظور، لسان العرب(ج388/3).

قال تعالى مخبراً عن هذا الصنف من الكفار:﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ... ﴾[الجاثية:24]

المراد بالدهر في الآية: هو مرور الليالي والأيام، والدهر في الأصل مدة بقاء الدنيا[1]، والمراد بموتهم وحياتهم: اعتقادهم بزعمهم أن حياتهم تقوم على تكوين الدهر لخلقتهم، فيوجدون في هذه الحياة، وأن مماتهم يكون أيضاً بأسباب يقضيها الدهر لفنائهم، فتتجدد بذلك حياة الناس؛ فيخلف بعضهم بعضاً[2]، فجمعوا بهذا الكفر بين إنكار الرب الخالق، وإنكار البعث وما فيه.[3]

الصنف الثاني: من ينكرون توحيد العبادة، ودعوة النبي ﷺ.

أ- كفر العبادة، وأصنافه متعددة.

1. عبدة الأصنام، قال تعالى:﴿ ...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى... ﴾ [الزُّمر:3]

أي: والذين والوا الأصنام بعبادتها من دون الله فأشركوا بذلك، وزعموا أنهم ما عبدوها إلا لتكون وسيطاً وشفيعاً لهم عند الله يقربهم إليه، قياساً منهم بعقولهم الفاسدة على حال ملوك الدنيا الذين لا تصل إليهم الرعية لطلب حوائجها إلا بشفاعة واستعطاف الوزراء والوجهاء.[4]

2. عبدة الكواكب، قال تعالى منكراً على هذا الصنف من الكفار عبادتهم، مبيناً بطلانها وأنه رب الكواكب ومدبر أمرها، وأنها لا تستحق العبادة[5]:﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾[النَّجم:49]

الشعرى هو اسمٌ لكوكب شديد الوهج في السماء، وخصَّه بالذكر دون غيره من النجوم والكواكب وهو ربها ورب كل شيء؛ لأن خزاعة كانت تعبده من دون الله، ومن لم يعبده غيرها

---

(1) انظر: صديق خان، فتح البيان (ج429/12).

(2) انظر:القرطبي،الجامع لأحكام القرآن(ج171/16،170)،ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج362,361/25).

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج232/27)، التركي، التفسير الميسر (ص501).

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج108/7)، السعدي، تفسير السعدي (ص717).

(5) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج75/21)، صديق خان، فتح البيان (ج176/13).

من العرب كان يعظمه ويعتقد تأثيره في العالم، فأعلمهم الله تعالى أنه مخلوقٌ مربوبٌ وليس برب، ولا يستحق العبادة، ولا التعظيم باعتقاد تأثيره في الكون، وأن ذلك باطلٌ وكفرٌ.[1]

3. كفر نصارى العرب، وذلك بزعمهم ألوهية عيسى عليه السلام، وسجودهم للصليب، تأثراً بالروم الذين يعتقدون هذا المعتقد الفاسد، كنصارى نجران[2]، ومن جاور الروم وكان من أعوانهم وأوليائهم في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق[3]، كما تهود بعض العرب متأثرين باختلاطهم باليهود، ودعوتهم من اليهود لدينهم في وقتٍ من الزمن كان اليهود يطمحون فيه لذلك.[4]

4. كفر مجوسية العرب، فقد اعتنق بعض العرب للمجوسية لاختلاطهم بالفرس المجوس طلباً لأسباب العيش، وقربةً لملوك فارس[5]، والمجوس يقرون بالرب، لكن إقرارهم مختلٌ، حيث أرادوا تنزيه الرب عن تقديره للشر فوقعوا في الشرك؛ أن اعتقدوا بإلهين اثنين[6]، أحدهما للخير، وسموه النور، وهو الله تعالى المستحق للعبادة، والآخر للشر، وسموه الظلمة وهو الشيطان[7]، أما عن شركهم في العبادة؛ فمن الطبيعي لأمثال هؤلاء الضلال أن يصرفوا العبادة لغير الله تعالى، فقد كانوا يعبدون النار[8]، وينكرون الآخرة[9]، وقد تمخضت عن هذا الدين أحكامٌ شنيعة، لا تستسيغها الفطر السليمة، منها إباحة نكاح المحارم.[10]

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج119/17)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج467/7)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج91/27).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج103/4)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج50/2)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج235/3).

(3) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج280/4).

(4) انظر: الحموي، معجم البلدان (ج438/5،284)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج90/12).

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج104/5)، وتاريخ بن خلدون(ج75/2،73)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج141/1).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج565/5) و(ج346/9) و(ج213/13).

(7) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل(ج232/1) الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(ص86)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج75/7).

(8) انظر: ابن القيم، هداية الحيارى (ص17).

(9) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل(ج172/1).

(10) انظر: ابن القيم، هداية الحيارى (ص17).

ب- كفرٌ برد دعوة النبي ﷺ.

1. كفر جحودٍ، والجحود هو إنكار حقيقة الشيء ظاهراً، مع العلم والتيقن من صحته في الباطن[1]، قال الله تعالى واصفاً جحود الكفار ومصبراً لنبيه ﷺ[2]:﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:33]

أي: إنا لنعلم ما يصيبك من الحزنَ بسبب تكذيب قومك لك في الظاهر، فاصبر واطمئن؛ فإنهم لا يكذبونك في قرارة أنفسهم، بل يعتقدون صدقك، ولكنهم لظلمهم وحسدهم؛ حباً في الرياسة والوجاهة والشرف، يجحدون دعوتك للتوحيد، ويردون ما جئتهم به من البراهين الواضحة على صدقك، ووجوب طاعتك واتباعك وهذا القول يدخل فيه كفار قريشٍ[3]، ومن سمع بالنبي ﷺ وبلغته دعوته فردها، من العرب واليهود والنصارى والفرس المجوس.[4]

2. كفرٌ بإنكار البعث، وقد كان هذا من دأب صناديد قريش عند محاجتهم للنبي ﷺ رداً لدعوته[5]، قال تعالى مخبراً بحالهم:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:78]، فالسؤال هنا من منكري البعث للنبي ﷺ عن إحياء العظام بعد أن بليت قُصد به أنه لا أحد يستطيع أن يحيي العظام بعد أن تلاشت، وهذا ردٌ للرسالة بإنكار البعث، وتعمقٌ في الكفر بإنكار قدرة الله تعالى وذلك بقياسها على قدره المخلوق.[6]

3. كفرٌ بالكيد للنبي ﷺ، فقد أجمع العلماء على كفر من كاد للنبي بكلامٍ أو فعلٍ، وإن كان هذا الكائد مؤمناً بالله ورسوله، ومُقرّاً بحرمة كيده، إلا أن يكون مضطراً لذلك مكرهاً عليه[7]، وقد بين الله تعالى حفظه لنبيه ﷺ من كيد كفار قريش، وبيان عاقبتهم برد كيدهم

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج106/3)، الكفوي، الكليات(ص764).

(2) انظر: التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص131).

(3) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج136/3)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج251/3)، صديق خان، فتح البيان(ج130/4)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص131).

(4) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج27/2) و(ج83/3)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج371/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج361/4) و(ج476/6).

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج58/15)، وصحيح السيرة النبوية للألباني(ص200).

(6) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص699).

(7) انظر: الأثري، الإيمان (ص306).

عليهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[الأنفال:30]

في هذه الآية بيان فضل الله تعالى على نبيه ﷺ، ورعايته له، وذلك حين اجتمع رؤوس الكفر في قريشٍ على كيده، والكيد هو التدبير في خُفية بالخبث والخديعة، فتشاوروا على إثباته، أي: تقييده وحبسه، أو قتله، أو نفيه من بلده مكة المكرمة، بعد أن فقد نصرة القرابة بموت عمه أبي طالب، فحفظ الله نبيه ﷺ ورد مكرهم، فجعل ذلك الحدث سبباً لخروجه؛ حتى يرجع إليهم فاتحاً منتصراً، فالله خير الماكرين باستدراجهم، وبيان قدرته وعلو مكره على مكرهم.[1]

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة الكفار من العرب

1. العلم والعمل قبل الدعوة

كان النبي ﷺ يخلو بنفسه عن الناس؛ ليبتعد عن عبادة الكفار في غار حراء يلتمس الحنيفية السمحة، يمكث الأيام والليالي حتى يُتمَّ الشهر، لا ينقطع عن ذلك إلا إذا خرج لجلب الزاد ثم يعود[2]، حتى جاءه الوحي من ربِّه وهو كذلك، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت :"أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ:{مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ: فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(3) ﴾[العلق].[3]

أفاد الحديث أن أول أمر الوحي للنبي ﷺ كان في المنام تمهيداً لرؤيته في اليقظة، كما أنه لما تحول لليقظة لم يأته مباشرةً، بل كان برؤية ضوءٍ وسماع صوتٍ ثم كان الوحي برؤية الملك بعد ذلك، والمراد بقولها رضي الله عنها: "مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ"، أي: ضياؤه، للتأكيد على حقيقة الأمر ووضوحه، وقولها: "حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ"، كنايةً عن رغبة نفسه بانعزاله عن مخالطة

---

(1) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج44/2)، النيسابوري، التفسير البسيط (ج8/4)، صديق خان، فتح البيان (ج165/5)، الشنقيطي، العذب المنير(ج571/4).

(2) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية (ج381/1).

(3)[البخاري:صحيح البخاري، بدء الوحي،باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ؟،7/1:حديث رقم3].

الناس، "فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ"، أي: يلتمس اتباع الحنيفية السمحة، "اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ"، هي ليالي رمضان وأيامه، وذكر الليالي فقط في الحديث مع أن الخلوة كانت بالليالي وأيامها؛ لأن الليل أنسب للخلوة، والمراد بقولها:"يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ"، أي: يرجع إليهم، وقول النبيﷺ:{فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي}، أي: ضمني وعصرني بقوة ، وذلك للتنبيه واليقضة لما سيلقى إليه، وقولهﷺ:{حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ}، أي: بلغ تأثير هذا الضم والعصر مني أن وصل غاية قدرتي، وقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، هو أمرٌ مفاده: أنك لا تقرأ بمعرفتك وقدرتك؛ بل بعون الله وقدرته، فهو الذي يُقْدِرُك ويعلمك.[1]

ثم أمره ربه ﷻ بزيادة العبادة بقيام الليل وتلاوة القرآن؛ لما لذلك من أثرٍ على تحمل مشاق الدعوة وأعبائها، فقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا(2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا(3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا(4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(5) ﴾[المزمل].

﴿الْمُزَّمِّلُ﴾، أي: المتغطي بثيابه من شدة اعترته، والمقصود هنا هو النبي ﷺ حين أكرمه الله تعالى بالوحي، فعاد لأهله متأثراً من شدة هذا الأمر العظيم وأمرهم أن يزملوه، ثم بين الله أمره لنبيه بالعبادة المتعلقة به، أمره بأشرف العبادات في أفضل الأوقات، وهي الصلاة، وخفف عنه، فلم يأمر بقيام الليل كله، فقال تعالى:﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا(2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا(3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، كما أمره بتلاوة القرآن بتؤدةٍ وطمأنينة، فقالﷻ:﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، وذلك لما يُتاح بالترتيل من التدبر والتفكر، الذي يحصل به تأثُّر القلب وثباته، واستعداده التام لأمر ربه، وقوله ﷻ:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، أي: سنوحي إليك آيات هذا القرآن العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه.[2]

فلما تقوى النبي ﷺ بعبادة ربه، وتمكن أمر النبوة وقوي في نفسه؛ أُمر بالدعوة إلى الله تعالى، ونزل قول الله ﷻ:﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(1) قُمْ فَأَنْذِرْ(2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ(7) ﴾[المدَّثر].

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾: هو النائم المتغطي بثيابه، وقوله تعالى:﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، أي: اجتهد فبادر وتحرك بأعلام الناس بنبوتك، وما يترتب عليها من التوحيد ولوازمه، وقوله ﷻ:﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾،

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج23/1)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج381/1، 390).

(2) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص892).

أي: نزه ربك وعظمه عن الشريك والنِّد، وأنه رب كل شيءٍ، المستحق للعبادة وحده، وقوله ﷻ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، أي: خالف المشركين بالعمل على طهارة الظاهر الذي يفضي لطهارة الباطن، لما لصفاء القلب وإخلاص النية وحُسن السمت من أثرٍ طيبٍ على الداعي من القبول والثواب، والمدعوين بالإنصات إلى الداعي ورجاء قبول دعوته، وقوله ﷻ:﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، أي: دُم على هجر أباطيل المشركين وعبادتهم كلها، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾، أي: لا تعط العطية تلتمس بها أكثر منها، وقوله سبحانه:﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، أي: اصبر على طاعة ربك بقيامك على أوامره ونواهيه.[1]

2. مخاطبة المدعوين بلغاتهم وأفهامهم

جعل الله تعالى من رحمته بعباده، وتمام كمال نعمته عليهم؛ أنه ما بعث نبياً في أمة من الأمم إلا أن يكون بلغتهم ليوضح لهم ما يجب عليهم من أمر ربهم، فيَسْهُل عليهم معرفة قوله وفهمه، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾[إبراهيم:4]، وقد كان نبينا ﷺ يخاطب قريشاً وجميع قبائل العرب على اختلاف أعرافهم وثقافاتهم وأفهامهم، ولغاتهم وما فيها من تفاوتٍ واختلافٍ في الكلمات ومعانيها ودلالاتها، فإن قيل بُعث كل نبيٍ لقومه خاصة، وبُعث محمدٌ ﷺ للناس كافة، فكيف يبين لهم وهم بغير لغته؟ يجاب بأنه ﷺ كان يرسل رسله إلى الأمم وملوكهم وكبرائهم، يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته، فيترجمون لهم ويخاطبونهم بما يفهمون، كما أنه لمَّا أرسل في قومٍ من العرب وكانوا أخص به وأقرب إليه من غيرهم، احتيج أن يكون بلسانهم، حتى يفهموا عنه فيستجيب من يقبل الإيمان، ثم يحملوا ما بلَّغهم به لغيرهم ويوضحوه حتى يصير مفهوماً لهم فهماً تاماً تقوم به الحجة[2]، وقد كان هذا الواقع، فما راسل النبي ﷺ أحداً من الملوك وغيرهم إلا فهم المراد من مراسلته ودعوته، وقامت عليه الحجة بذلك[3]، وقد قال الله تعالى:﴿ ...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:49]

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج61/19)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج262/8)، التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص575).

(2) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج335/4)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج477/4)، صديق خان، فتح البيان (ج82/7)، وتاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، (ج209/1).

(3) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج27/18)، ابن حجر، فتح الباري(ج107/6).

3. حُسن السيرة

كان النبي ﷺ حسن السيرة في قومه، فقد كانت أخلاقه الحميدة وأفعاله المرضية ظاهرةً منه، وموصوفاً بها[1]، قد شهد له بها القريب والبعيد من قبائل قريش والعدو والصديق، كيف لا وقد شهد الله تعالى له بذلك، فقال ﷻ:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:4]، وقد حدث أنه نادى مرةً في أهل قريش فاجتمعوا عليه، فسألهم بقوله ﷺ:{أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا}.[2]

وهذا النضر بن الحارث[3]الذي كان من أشد الناس عداوةً للنبي ﷺ وقف منادياً في قريشٍ فقال: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ وَاَللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مَا أَتَيْتُمْ لَهُ بِحِيلَةٍ بَعْدُ، قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَثًا، أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً، حَتَّى إذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، قُلْتُمْ سَاحِرٌ، لَا وَاَللَّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السَّحَرَةَ وَنَفْثَهُمْ وَعَقْدَهُمْ، وَقُلْتُمْ كَاهِنٌ، لَا وَاَللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، قَدْ رَأَيْنَا الْكَهَنَةَ وَتَخَالُجَهُمْ وَسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ، وَقُلْتُمْ شَاعِرٌ، لَا وَاَللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَدْ رَأَيْنَا الشِّعْرَ وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا: هَزَجَهُ وَرَجَزَهُ، وَقُلْتُمْ مَجْنُونٌ، لَا وَاَللَّهِ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ، وَلَا وَسْوَسَتِهِ، وَلَا تَخْلِيطِهِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَانْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ، فَإِنَّهُ وَاَللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ".[4]

4. دعوة سادة القوم وكبرائهم

عن الْمُغِيرَة بْن شُعْبَةَ ﷺ قال: "إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي أَمْشِي مَعَ أَبِي جَهْلٍ بِمَكَّةَ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ"، فَقَالَ لَهُ:{يَا أَبَا الْحَكَمِ، هَلُمَّ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى كِتَابِهِ أَدْعُوك إِلَى اللهِ}، فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ، مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا، هَلْ تُرِيدُ إلاَّ أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج71/30).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/{وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك}[الشعراء:215]، 111/6: حديث رقم 4770].

(3) هو النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن قصي، كان يؤذي النبيﷺ، وينصب له العداء رغم ما قال فيه من الحق، فكان إذا رأي النبيﷺ جلس في مجلس يدعو للإيمان ويحذر من الكفر وقام منه، يأتي النضر ليرد كلامه، ويزعم أن حديثه أحسن من حديث النبي ﷺ ثم يحدثهم عن ملوك الفرس وقوادهم، وقد اختلف في أمر إسلامه، فقيل أنه أُسر يوم بدر وقتل كافراً، ورجح ابن حجر أنه أسلم يوم الفتح وشهد اليرموك واستشهد بها.انظر:ابن هشام، السيرة النبوية(ج139/2،137)،ابن حجر،الاصابة(ج343,338/6).

(4) ابن هشام، السيرة النبوية (ج137/2).

بَلَّغْتَ، فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ"، قَالَ: "فَانْصَرَفَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ"، فَقَالَ: "وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ، أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ وَلَكِنْ بَنِي قُصَيٍّ، قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا الْقِرَى، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا فِينَا النَّدْوَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا فِينَا السِّقَايَةُ، فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ وَاللهِ لاَ أَفْعَلُ".[1]

5. الاعتماد على الوحي في بيان الحق ورد الشبهات

عن جابر ﷺ قال: "اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، قَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْكَ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا، فَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى بِأَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «أَفَرَغْتَ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حم(1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(2)** ﴾[فصّلت]، حَتَّى بَلَغَ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ {فصّلت:13}}، فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ:{لَا}، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا كَلَّمْتُهُ، قَالُوا: هَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً، مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ:﴿ ...**أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾{فصّلت:13}، قَالُوا: وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ!، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ".[2]

---

(1) ابن شيبة، مصنف ابن أبي شيبة (ج255/7)، وذكر الألباني الأثر في صحيح السيرة (ص162).

(2) مسند أبي يعلى(ج351/3)، وذكر الألباني الحديث في صحيح السيرة (ص159).

وجلس النبي ﷺ في المسجد الحرام يوماً مع نفرٍ من قريش يبين لهم بطلان عبادتهم للأصنام، وأن مصيرهم جميعاً إلى النار، حيث قرأ عليهم قول الله تعالى:﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾[الأنبياء:98]، فاحتجوا عليه بأنهم يعبدون الملائكة، واليهود يعبدون عزيراً ، والنصارى تعبد عيسى ، فكل من يعبد أحداً يكون معه في النار، فرد النبي ﷺ شبهتهم بقول الله ﷻ:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ(102)** ﴾[الأنبياء]، أي: أنه أُريد بأن الكفار وما كانوا يعبدون من الحجارة التي جعلوا منها الأصنام في جهنم، وأن الآية لا تقصد الملائكة أو أحداً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو من الصالحين، فهؤلاء ممن سبق في علم الله أنهم من أهل الجنة.[1]

6. البيان وإقامة الحجة بالأدلة المحسوسة

أرسل الله أنبياءَه عليهم الصلاة والسلام وأيدهم بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم، ترغيباً للناس في الإسلام والاستقامة عليه، وقد أكرم الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بآياتٍ عدة تدل على صدقه منها القرآن الكريم، لكن كفار قريش جحدوا دعوته رغم تيقنهم من صدقه[2]، وطلبوا منه أن يروا شيئاً محسوساً يبرهن على صدق دعوته، وما كان ذلك إلا تعنتاً قصد تعجيزه، فطلبوا منه في ليلة البدر التي يكتمل فيها القمر أن ينشق القمر، فانشق القمر إلى شقين وهم يشاهدونه[3]، قال ابن كثيرٍ رحمه الله :"ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة...وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أي انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات"[4]، فعن أنس ﷺ قال :"أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية للألباني(ص197).

(2) انظر: ابن القيم، هداية الحيارى (ص41).

(3) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح (ج38/2)، وابن الملقن، التوضيح (ج323/23)، العيني، عمدة القاري(ج163/16)، ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ص64).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج472/7).

يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ"[1]، وفي رواية ابن مسعود ﷺ قال :"انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ {اشْهَدُوا}.[2]

لكن القوم جحدوا هذه الآية التي حدثت كانت بطلبهم وسؤالهم، وعلى نظرهم، وأشهد عليها النبي ﷺ، وهي من أمهات آياته، فتمادوا في تكذيبهم واستكبارهم، وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه، فقال ﷻ:﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ(1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ(2)** ﴾ [القمر].[3]

7. الرُّقيُ إلى مكانٍ مرتفع في الميادين العامة، ومناداة الناس ودعوتهم المباشرة

عن ابن عباس رضي الله عنهما:"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى يَا صَبَاحَاهْ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ:{أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي}، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: {فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}.[4]

البطحاء مكانٌ في مكة يسيل فيه الوادي، والجبل الذي صعد عليه هو الصفا، وقوله ﷺ:{يَا صَبَاحَاهْ}: كلمةٌ يقولها المستغيث عند الشدة ودهم العدو في وقت الصباح، حيث كان وقت الصباح هو الأغلب لغارات الأعداء والقتال، وكلمة ممسيكم مثلها في المعنى[5]، فيكون مفاد الكلمة: أنه أراد أن يلفت انتباههم لأمر مهمٍ يريد أن يخاطبهم به، وفي الحديث بيان بلوغ حرص النبي ﷺ ودعوته منتهى الغاية، وأن هذا الفعل ليس من دعوى الجاهلية وعاداتها المنهي عنها؛ لأنه استغاثة على الكفار[6]، قَصْدَ تنبيههم لأهمية دعوتهم لما يجب عليهم من توحيد ربهم وعبادته.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ سؤال المشركين أن يريهم النبيﷺآية، فأراهم انشقاق القمر، 206/4: حديث رقم 3638].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ سؤال المشركين أن يريهم النبيﷺآية، فأراهم انشقاق القمر، 206/4: حديث رقم 3636].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم (ج333/8).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قوله:{وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب}[المسد:2]، 180/6: حديث رقم 4972].

(5) انظر: العيني، عمدة القاري(ج18/20)،(ج285/14)، ابن حجر، فتح الباري(ج142/1)،(ج738/8).

(6) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج63/3)، ابن حجر، فتح الباري(ج164/6).

8. معرفة أعراف المدعوين وأخلاقهم ونفسياتهم

كان من منهج النبي ﷺ إذا جلس إلى أحدٍ يدعوه، أو يفاوضه من أجل الإسلام والمسلمين؛ أن يعرف عقيدته وأحواله، ومن ذلك ما كان منه ﷺ لما كان يفاوض قريشاً عام الحديبية، حيث كان إذا رأى مَقْدِم أحدِ مفاوضيهم إليه ذكر لأصحابه أحواله قبل أن يجلس إليه، فكان يقول:{هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ فَبُعِثَتْ لَه.... هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِر... –ولما رأى مقدم سهيل بن عمرو قال– لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ}.(1)

9. الثناء على العادات والأخلاق الحميدة عند المدعوين

قال النبي ﷺ مخبراً ومثنياً على ما رآه من أخلاق الجاهلية الفاضلة في صغره:{شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ}.(2)

المراد بحلف المطيبين في الحديث: أن أهل قريشٍ اجتمعوا، وملؤوا وعاءً طيباً، ووضعوه عند الكعبة، ثم وضعوا أيديهم فيه، فتعاهدوا على التناصر بينهم وأخذ حق المظلوم من ظالمه، ثم رفعوا أيدهم من إناء الطيب ومسحوا بها الكعبة؛ توكيداً على ما تعاقدوا عليه، لذلك أخذ هذا الحلف اسم المطيبين(3)، وقوله ﷺ:{فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ}، حمر النعم: نوع من الإبل كانت من أنفس الإبل وأحبها عند العرب، والنكث: هو النقض(4)، والمراد بقوله هذا هو تقريرُ هذا الحلف وتأييده، والثناء عليه، لما فيه من الخير، وإن كان من أفعال الجاهلية، لأنه لا يخالف شرع الله تعالى، وأن مثل هذا يجوز عقد مثله في الإسلام(5)، وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى في حديث آخر، فقال ﷺ:{أَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً}.(6)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ}.(7)

كانت في العرب مكارم الأخلاق من الوفاء بالعهد والمروءة والتواصي بالحق، والبعد عن الظلم، وعون السائل، وإكرام الضيف، وإفشاء السلام(8)، قد بقيت فيهم من أثر النبوات

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الشروط/ الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، 195/3: حديث رقم2732].

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج193/3)]، إسناده صحيح.

(3) انظر: المناوي، فيض القدير (ج217/4).

(4) انظر: المناوي، فيض القدير(ج217/4)، الصنعاني، التنوير(ج519/6).

(5) انظر: الصنعاني، التنوير(ج519/6).

(6) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة/ مؤاخاة النبيﷺ بين أصحابه ﷺ، 1961/4: حديث رقم2530].

(7) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج513/14)]، صحيح.انظر: صحيح الجامع للألباني برقم(2349)،(ج464/1).

(8) انظر: البداية والنهاية لابن كثير(ج255/3)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج7/1)، الصنعاني، التنوير(ج190/4).

السابقة، فبين النبي ﷺ أن الله تعالى بعثه ليكمل للناس هذه الأخلاق ويجمعها بعد التفرقة بالإسلام، لأن بها يكون صلاح الدنيا والدين، وفلاح الآخرة.[1]

10. عدم إعطاء الدنية في الدين طلباً للصلح، أو مقابل مكر العدو وكيده

لمَّا خرج النبي ﷺ عام الحديبية قاصداً البيت الحرام، عملت قريشٌ على صده عن البيت؛ فحاولت أن تحدث حرباً لذلك، فعمل ﷺ النبي على تجنب ذلك ومنع حدوثه، وقالﷺ:{وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا}.[2]

المراد بالخطة في الحديث: هو ما يكون من أمرٍ يعرض بين الخصماء لإيجاد الحل[3]، والمعنى الإجمالي للحديث: هو إظهار رغبته ﷺ بالمصالحة وتقديم المسالمة، وترك القتال وسفك الدماء في الحرم، بأي حلٍ يراه كفار قريشٍ، بحيث لا يكون فيه ما يخالف أمر الله تعالى، ويكون قصدهم به هو تعظيم ما عظمه الله ﷻ.[4]

11. الصبر على الأذى، وعدم استعجال القتال

أوجب الشرع الدفاع عن النفس والأهل والمال، وأهدر دم المعتدي لظلمه بعدوانه، فلا ضمان على القاتل؛ لأنه عمل بما أوجب عليه الشرع، وبما حتَّمه المعتدي على نفسه بعدوانه الذي لم يُمنع منه إلا بقتله[5]، لكن أحكام الشرع استثنت من ذلك حال الدعاة، وحثتهم على الصبر وتحمُّل الأذى في سبيل الله تعالى، وقد أقام النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ هذا الحكم؛ فصبروا على أذى الكفار في مكة إلى أن كان الفرج والخير في صبرهم؛ إذ نصرهم الله بدخول بعض من كان يعذبهم في الإسلام، كما دخل أهل مكة ومن حولها من الجزيرة في دين الله أفواجاً، ومما نزل من نصوص الشرع يحثُّهم على الصبر والصفح مقابل الأذى، قوله تعالى:﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[الشُّورى:43]، المراد بالعزم في الآية: هو عقد

---

(1) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج262/11)، المناوي، فيض القدير(ج726/2)، الصنعاني، التنوير (ج190/4).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الشروط/ الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، 193/3: حديث رقم2731].

(3) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج58/3)، الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن(ج2784/9).

(4) انظر: الخطابي، معالم السنن (ج328/2)، والكاشف عن حقائق السنن(ج2784/9)، وابن الملقن، التوضيح (ج150/17).

(5) انظر: ابن قدامة، العدة شرح العمدة (ج118/2)، الشربيني، مغني المحتاج (ج195/4)، ابن عثيمين، الشرح الممتع (ج219/10).

النية على شيءٍ والثبات عليه، وهو من الفضائل التي يكون فعلها عسيراً على النفوس؛ لأنه يخالف راحتها وشهواتها، والآية ترغِّب في الصبر والعفو عن المسيء، وعدم استعجال العقوبة له، وأن ذلك من الأمور المشكورة والأفعال الحميدة عظيمة الثواب عند الله تعالى، وتفيد أن هذا السلوك ميزةٌ للأمة الإسلامية، لكنه يعتريه التغيير حسب تقدير المصالح والمفاسد التي تقدرها أحكام الشرع[1]، وقد اشتكى بعض الصحابة ﷺ ما يجدون من أذى الكفار في مكة للنبي ﷺ، فقالوا"أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا، فَقَالَ:{قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ}.[2]

12. الرحيل عن البلاد بالهجرة في سبيل الله

لما اشتد أذى المشركين على المسلمين في مكة، حتى بلغ الأمر أن اجتمعوا على قتل النبي ﷺ، فأمر ﷺ أصحابه ﷺ بالخروج والهجرة إلى المدينة النبوية، وبقي في مكة حتى أذن الله تعالى له بالخروج، فخرج مهاجراً في سبيل الله يلتمس النصرة لدين الله تعالى[3]ونفسه تتوق للبقاء والعيش في مكة المكرمة لفضائلها، ومكانتها في قلبه، فقال ﷺ معبراً عن ذلك:{مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ}[4]، وفي رواية:{وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ}[5]، وبقي ﷺ في دار هجرته بالمدينة يُعِد العُدة ويلتمس السُبل بالدعوة للإسلام حتى يعود إليها فاتحاً، إلى أن حان الوقت، وجاء فتح الله ونصره الذي وصفه تعالى بقوله:﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾[الفتح:1]، فعاد ﷺ ناشراً للتوحيد والفضيلة، قامعاً للشرك والرذيلة، ساعياً بالخير للناس جميعاً، متجنباً سفك الدماء في حرم الله تعالى[6]، وما كان من قتالٍ قبل ذلك؛ فقد أذن الله

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج38/16) و(ج230/20)، الرازي، مفاتيح الغيب(ج156/27)، وابن عاشور، التحرير والتنوير(ج122/25)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص487).

(2)[البخاري: صحيح البخاري، الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر،20/9:حديث رقم 6943].

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج5/3) وما بعدها، الطبري، تاريخ الطبري(ج565/1) وما بعدها.

(4) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، الحج/ فضل مكة،23/9، حديث رقم3709]، وقال الألباني في التعليقات الحسان(ج458/5):"صحيحٌ لغيره".

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج10/31)]، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(6) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج55/5) وما بعدها، ابن كثير، السيرة النبوية (ج529/6).

تعالى فيه بقوله: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:39]، وقوله ﷻ: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله... ﴾[الأنفال:39] ، وذلك بعدما كثر بغي المشركين وتماديهم فيه، وطال صبر المسلمين وقد قويت شوكتهم.(1)

---

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج313/2)، والبغوي، معالم التنزيل (ج214/1)، الرازي، مفاتيح الغيب (ج113/5).

المبحث الثاني
المنهج النبوي في تصحيح عقيدة المنافقين

المطلب الأول: تعريف النفاق، أنواعه وظهوره

النفاق لغةً: لفظٌ يدل على إخفاء شيء وإغماضه[1]، أخذ اللفظ من النافقاء، وهو السرب في الأرض الذي يصنعه اليربوع، له مدخل ظاهر في مكان، ومخرج خفي في مكان آخر للتمويه، ومن ذلك اشتق مصطلح النفاق في الإسلام، الذي يكتم صاحبه خلاف ما يظهر، ولم يكن يعرف هذا المصطلح بهذا المعنى عند العرب من قبل.[2]

النفاق شرعاً: "إظهار الإسلام-والخير-، وإبطان الكفر والشر"[3]، أي: أن المنافق يدخل في الإيمان ظاهراً، فيظهر المحبة للمسلمين، ويخرج منه باطناً، ويحيك الشر للمسلمين، فيخالف قوله فعله، وسره علانيته، وهذا النفاق يَخرُج صاحبه من الملة ويخلَّد في النار، وقد نفى الله تعالى عنهم صفة الإيمان، فقال ﷻ:[4]﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:8]، وقد "أجمعَ جميع أهل التأويل على أنّ هذه الآية نزلت في قوم من أهلِ النِّفاق، وأن هذه الصِّفة صِفتُهم".[5]

وقد أُطلق على النفاق بعد زمن السلف مصطلح آخر، وهو الزندقة، ولفظ الزنديق لفظٌ أعجميٌ قد شاع بين المسلمين بدخول الأعاجم في الإسلام، والزنديق يشبه المنافق من حيث إنه يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، لكنه في الغالب يظهر كفره؛ بأنه يدعو إليه، ويشتهر به، كطوائف الباطنية ومن كان على شاكلتهم[6]، قال ابن القيم رحمه الله:" طبقة الزنادقة، وهم قومٌ أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار".[7]

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج454/5).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج359/10)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج942/2).

(3) الفوزان ،كتاب التوحيد(ص24).

(4) انظر: الأثري، الإيمان (ص247).

(5) تفسير الطبري(ج268/1).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج434/28)، والأثري، الإيمان(ص257).

(7) ابن القيم، طريق الهجرتين (ص402).

أنواع النفاق وظهوره

النفاق كالكفر، منه ما هو أكبر، ومنه ما هو أصغر.

أولاً: النفاق الأكبر، كالذي كان على عهد النبي ﷺ، وهو نفاق الاعتقاد، الذي يظهر صاحبه الإيمان، ويعتقد الكفر، وهذا النفاق مخرجٌ من الملة ومخلدٌ في النار.[1]

وهذا النفاق كان موجوداً على عهد النبي ﷺ، ولا زال بعده أكثر مما كان على عهده؛ لأنه وجد في زمنٍ كانت فيه دواعي الإيمان أكبر، كوجود النبي ﷺ ونزول الوحي، فوجوده فيما دون ذلك من الدواعي أولى.[2]

وخطر هذا الصنف على المسلمين أكبر من خطر الكفار، قال ابن القيم رحمه الله:" قد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدةٌ جداً؛ لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة... فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه! وكم من علم له قد طمسوه! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها! وكم عموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها! فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية".[3]

ومما جاء في القرآن من آياتٍ تبين كفرهم وشرهم: قوله تعالى:﴿ **مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا** ﴾[الأحزاب:**61**]، في هذه الآية بين الله تعالى عقاب المنافقين في الدنيا بحرمانهم الأمن والاستقرار النفسي، وأن حكمهم الأسر والقتل أينما وجدوا، وفي الآخرة بطردهم من رحمة الله تعالى وخلودهم في النار؛ وذلك باستمرارهم على نفاقهم، وجلبهم للشرور على المسلمين وإحداث الفتن.[4]

---

(1) انظر: الترمذي، سنن الترمذي(ج374/4)، ابن القيم، مدارج السالكين(ج347/1)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج176/1)، ابن حجر، فتح الباري(ج89/1).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج434/28).

(3) ابن القيم، مدارج السالكين(ج347/1).

(4) انظر: مفاتيح الغيب الرازي(ج147/11)، صديق خان، فتح البيان(ج146/11)، السعدي، تفسير السعدي (ص671)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص426).

وقال ﷻ:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء:145]، بيَّنت الآية أن عذاب المنافقين أشد من عذاب الكفار، فهم في قعر نار جهنم يوم القيامة، لأنهم أشرُّ أهلها، بسُفْلِ أرواحهم وخساسة أنفسهم، حيث أنهم جمعوا بين الكفر وخبث النفاق الذي عملوا به على مخادعة وكيد الإسلام والمسلمين، وموالاة الكافرين، كما أكدت الآية على دوام العذاب، وأن لا خلاص منه بما ألفه العرب من الشفاعات والنجدات عند الشدائد والكرب.(1)

ويدخل تحت هذا النوع من النفاق الذي يُخَلِّد في النار، النفاق ببغض النبي ﷺ، أو بتكذيبه في شيءٍ مما جاء به أو جحوده، أو الاعتقاد بعدم وجوب طاعته واتباعه، أو أن السعادة تكون في الدارين باتباعه واتباع غيره، أو بالسرور لانخفاض دينه والمساءة بظهوره، ومن ذلك ولاء الكفار، ومن هذا النفاق أيضاً الاعتقاد بوحدة الأديان أو تعددها ما دام المعبود واحداً، فيسوي بذلك بين الكفر والإيمان، ومن هذا النفاق ما كان موجوداً في زمن النبي ﷺ وما زال بعده(2)، أي: أن من ينافق بمثل هذا النفاق باقٍ نفاقه في المسلمين بعد زمن البعثة، وصوره متعددة.

ثانياً: نفاقٌ أصغر، صاحبه مؤمنٌ في الظاهر والباطن، لكن نفاقه من أكبر الذنوب؛ لأنه يتخلَّق بأخلاق المنافقين وصفاتهم، أو ببعضها(3)، فلسانه ينطق بخلاف ما في قلبه، وسريرته تختلف عن علانيته، بنفاقه الأصغر هذا.(4)

فيكون المراد بالنفاق الأصغر هو ما له تعلق بالأعمال والأقوال، لا بما كان يتعلق بالاعتقاد(5)، ومن ذلك ما حذر منه النبي ﷺ بقوله:{أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ}(6)، وفي رواية:{وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ}.(7)

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج425/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج181/1) و(ج441/2)، صديق خان، فتح البيان(ج278/3)، رضا، تفسير المنار (ج385/5)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج244/5).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج639/7) و(ج434/28).

(3) انظر: الترمذي، سنن الترمذي(ج374/4)، ابن القيم، مدارج السالكين(ج347/1)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج176/1)، ابن حجر، فتح الباري(ج89/1).

(4) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم(ص434).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج435/28)، ابن حجر، فتح الباري(ج89/1).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ علامة المنافق، 16/1: حديث رقم34].

(7) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان خصال المنافق، 78/1: حديث رقم58].

وكذلك الحال فيمن تخلف عن الجهاد مع القدرة بغير عذر[1]، حيث قال النبي ﷺ: { مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ}.[2]

لم يُرد النبي ﷺ بخصال النفاق في هذه الأحاديث نفاق الاعتقاد، وإنما أراد أن صاحب هذه الخصال شبيهٌ بالمنافقين، ومتخلقٌ بأخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم المذمومة، كما أن المراد بقوله:{كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا}، أي: شديد الشبه بالمنافقين، وذلك لمن جمع كل هذه الصفات، وكانت غالبة عليه، ولا يدخل في ذلك من ندرت منه[3]، قال الخطابي رحمه الله:" هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، فتُفضي به إلى النفاق، لا أن من بدرت منه هذه الخصال، أو فعل شيئاً من ذلك من غير اعتيادٍ أنه منافق".[4]

وهذا النفاق هو النفاق الذي كان يخشى الصحابة ﷺ من الوقوع فيه؛ لما تقرر عندهم "أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية، خشي بعضهم على نفسه؛ أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا، والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال، أن يكون ذلك منه نفاقاً".[5]

ويلحق بالنفاق الأصغر هذا النفاق الناتج عن الجهل بالدين وحب الدنيا والانشغال بها وإغواء أهل الضلال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"عامة الناس اذا أسلموا بعد كفر، أو ولدوا على الاسلام، والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله؛ فهم مسلمون، ومعهم إيمانٌ مجملٌ، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئاً فشيئاً، إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصِلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد، ولو شُكِّكُوا لشَكوا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفاراً ولا منافقين؛ بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج436/28).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، 1517/3: حديث رقم1910].

(3) انظر: النووي، المنهاج (ج47/2).

(4) شرح السنة للبغوي (ج76/1).

(5) ابن رجب، جامع العلوم والحكم(ص434).

ريبهم؛ فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب؛ وإلا صاروا مرتابين، وانتقلوا إلى نوع من النفاق".[1]

ظهور النفاق:

ظهر النفاق في المدينة النبوية بعد الهجرة، ولم يكن معروفاً قبل ذلك، فإن الناس قبل الهجرة كانوا قسمين؛ مؤمنٌ في الظاهر والباطن وكافر كذلك، لأن أهل الإسلام كانوا مستضعفين.[2]

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سبب ظهور النفاق في المدينة، فقال: "لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وصار للمؤمنين بها عزٌ وأنصار ودخل جمهور أهلها في الإسلام طوعاً واختياراً: كان بينهم من أقاربهم ومن غير أقاربهم من أظهر الإسلام موافقة رهبة أو رغبة وهو في الباطن كافر، وكان رأس هؤلاء عبد الله بن أبي ابن سلول، وقد نزل فيه وفي أمثاله من المنافقين آيات".[3]

المطلب الثاني: المنافقون في عصر النبوة

لما ساد الإسلام في المدينة بعد الهجرة وقويت شوكة المسلمين؛ لجأ بعض كفار العرب وأحبار اليهود ممن تعمق البغض والكيد في قلبه بنشر التوحيد والفضيلة، وقمع الشرك والرذيلة إلى استخدام أُسلوب النفاق ليتمكنوا من ضرب الإسلام وأهله من الداخل[4]، فحاك هؤلاء المؤامرات الخبيثة الكفيلة بإسقاط عدة دولٍ عظمى مجتمعة، لكن الله سلَّم؛ فحفظ نبيه ﷺ وأهل دينه، رغم قصر عُمْر دولة الإسلام وقتها، وضيق حدودها التي لم تتجاوز المدينة النبوية، وما كان ذاك إلا بفضل طاعة الصحابة ﵃ للنبي ﷺ واستقامتهم على دين ربهم، كيف لا وقد زكاهم ربهم ﷻ بقوله:﴿ ...**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**... ﴾[التوبة:100]، أي: رضي الله عن الصحابة من المهاجرين والأنصار بما أطاعوه، وأجابوا نبيه ﷺ في أمره ونهيه، ورضوا هُم عن ربهم ﷻ بما جازاهم وأثابهم به من النعيم على تلك الطاعة.[5]

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج271/7).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج463/7)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج176/1).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج463/7).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج461/7-463)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج177/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج14/5)، الرازي، مفاتيح الغيب(ج124/10).

(5) انظر: تفسير الطبري(ج439/14)، النيسابوري، التفسير البسيط (ج25/11).

وفي هذه السطور نذكر بعض ما حاكه المنافقون ضد النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ لنعرف خبث هؤلاء القوم وأفعالهم؛ فنتعبد الله تعالى بتجنب التشبه بهم، وننصح من يتشبه بهم بخطورة حاله ومآله إن لم يتب، ونَحْذَرُ ممن يكيد للمسلمين بكيد المنافقين.

أ- الاستهزاء بالنبي ﷺ والعمل على تخلف الناس عنه في المحن والشدائد

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب:13]

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن قول فريق المنافقين للمؤمنين يوم غزوة الأحزاب: ففريقٌ منهم يقول: يا أهل يثرب-وهو الاسم القديم للمدينة، ونداؤهم بهذه التسمية للمسلمين يفيد عدم وجود قدرٍ للدين والأخوة الإيمانية عندهم-لا إقامة لكم في معركةٍ خاسرةٍ، فارجعوا من رباطكم مع النبي ﷺ عند الخندق إلى منازلكم في المدينة، وفريقٌ أخر يستأذن النبي ﷺ بالعودة إلى منازلهم بحجة عدم أمنها وتحصينها، فيخشون بذلك على أهلهم وممتلكاتهم، والحق أن الأمر ليس كذلك، بل ما قصدوا بقولهم هذا إلا الفرار من القتال لجبنهم بنفاقهم، وخذلان النبي ﷺ والمسلمين، وتقديم العون للمشركين.[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:"احْتَفَرَ رسول اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ وَأَصْحَابُه...فإذا صَخْرَةٌ بين يَدَيْهِ قد ضَعُفَ عنها، فقال نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِه{دَعُونِي فَأَكُونُ أَوَّلَ من ضَرَبَهَا، فقال: بِسْمِ اللَّهِ، فَضَرَبَهَا فَوَقَعَتْ فلقةُ ثُلُثُهَا، فقال: اللَّهُ أَكْبَرُ قُصُورُ الرُّومِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِأُخْرَى فَوَقَعَتْ فِلْقَةٌ، فقال: اللَّهُ أَكْبَرُ قُصُورُ فَارِسَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ}، فقال عِنْدَهَا الْمُنَافِقُونَ: نَحْنُ نُخَنْدِقُ على أَنْفُسِنَا وهو يَعِدُنا قُصُورَ فَارِسٍ وَالرُّومِ".[2]

ب- العمل على قتل النبي ﷺ

لما عاد النبي ﷺ من غزوة تبوك إلى المدينة مر بطريق ضيق ومرتفع، فاحتاط النبي ﷺ لضيق هذا الطريق؛ فسار منها وحده، وأمر الناس أن يسيروا من الوادي، تجنباً للزحام وحدوث المكروه لأحدٍ من المسلمين، فخالف المنافقون أمر النبي ﷺ فلحقوا به ليسيروا معه ليضيقوا عليه الطريق ويطرحوه من تلك العقبة فيقتلوه، وقد غطوا وجوههم حتى لا يعرفوا، فأخبر

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج389/6)، صديق خان، فتح البيان(ج59/11)، السعدي، تفسير السعدي (ص160)، وابن عاشور، التحرير والتنوير(ج284/21).

(2) [الطبراني، المعجم الكبير (ج376/11)]، وقال الهيثم في مجمع الزوائد برقم(10141)،(ج132/6):"رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العنبري وهما ثقتان".

الوحي النبي ﷺ بأمرهم، فاحتاط لرد كيدهم[1]، وهذا أبو الطُّفَيْلِ ﷺ[2] يحدث بالواقعة، حيث قال:"لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَخَذَ الْعَقَبَةَ، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: {قَدْ، قَدْ}، حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ:{يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟}، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ، وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ قَالَ:{هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟}، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:{أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ}، قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ، كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ فَقَالَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ، فَعَذَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا: وَاللهِ مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ...وَذَكَرَ أَبُو الطُّفَيْلِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِلنَّاسِ: وَذُكِرَ لَهُ: أَنَّ فِي الْمَاءِ قِلَّةً فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِيًا فَنَادَى: أَنْ لَا يَرِدَ الْمَاءَ أَحَدٌ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ فَوَرَدَهُ رَسُولُ ﷺ، فَوَجَدَ رَهْطًا قَدْ وَرَدُوهُ قَبْلَهُ، فَلَعَنَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ".[3]

ت– موالاة الكفار

قال الله تعالى:﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعًا(139)** ﴾[النساء].

أصل البشارة تكون بالخير، ولا تكون بالشر إلا مقيدة، وقد قُيِّد ذكرها هنا بأقبح بشارة وأسوئها؛ وهو العذاب الأليم من باب التهكم، وما ذاك إلا لموالاتهم الكفار وتحريضهم لهم على المؤمنين، كما قال تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾

---

(1) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج183/7).

(2) هو الصحابي الجليل الفارس شاعر كنانة أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو الليثي الكناني(ج2–110هـ)، وآخر من رأى النبي ﷺ في الدنيا من الصحابة ﷺ، وآخرهم وفاةً، قاتل مع عليﷺ،وشهد معه مشاهده كلها في العراق، قال أبو الطفيلﷺ:أدركت من حياة النبيﷺ ثمان سنين، ورأيته وهو يطوف بالبيت ويستلم الحجر بمحجنه، توفي أبو الطفيلﷺ بمكة ودفن بها. انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء (ج467/3).

(3) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج210/39)]، إسناده قوي على شرط مسلم.

[الحشر:11]، وطلبهم العزة من البشر، وهي لله وحده، تُبْتغى باتباع رسوله، وما كان هذا منهم إلا لسوء ظنهم بالله تعالى، وعدم يقينهم بنصره للمؤمنين.[1]

ث- الاستهزاء والسخرية من المؤمنين

مما نزل في بيان صفات المنافقين وشرهم، وبيان عيبهم على المؤمنين، استهزاؤهم بهم في جميع الأحوال، حتى الصدقات، قال تعالى[2]:﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[التوبة:79]

قوله تعالى:﴿ **يَلْمِزُونَ** ﴾، أي يعيبون، وقوله ﷻ:﴿ **الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾، الذين يفعلون الشيء دون أن يفرض عليهم، وهي الصدقة بالمال هنا، وقوله ﷻ:﴿ **جُهْدَهُمْ** ﴾، أي: قدرة العبد وطاقته[3]، وأسباب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ خطب فحث الناس على الصدقة، فاجتهد المسلمون في ذلك، كلٌ على قدر طاقته، فكان المنافقون يتربصون بهم، فمن تصدق بالكثير، قالوا ما تصدق إلا رياءً، ومن تصدق بالقليل قالوا ما قصد إلا أن يُنبِّه على فقره لينال الصدقة[4]،

وقال ابن مسعودٍ ﷺ:"لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ[5]فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا مُرَائِي وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا فَنَزَلَتْ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ** ﴾الْآيَةَ".[6]

ج- بث الأراجيف في المجتمع المسلم للتثبيط عن الجهاد

قال تعالى:﴿ **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[الأحزاب:60]

---

(1) انظر: صديق خان، فتح البيان(ج267/3)، السعدي، تفسير السعدي(ص209).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج184/4).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج215/8).

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج78/4).

(5) نُحَامِلُ، أي: نعمل عند الناس؛ فنحمل على ظهورنا بالأجرة، من أجل أن نحصل على ما نتصدق به. انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج283/3).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الزكاة/: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، 109/2: حديث رقم1415].

دعا الله تعالى في هذه الآية المنافقين للطاعة قبل حلول العقاب بهم، حيث علَّق وقوع العقاب على استمرارهم في نفاقهم، وهذا يفيد جواز دعوة المنافقين إما بصورة شخصية لأحدهم، أو بكلامٍ عام يفهموا أنهم المقصودون به، فتصل إليهم النصيحة ليتوقف مكرهم، ولو بغير توبة، خوفاً من الفضيحة والعقاب، لتتقي الأمةُ شرَّهم.

وقول الله تعالى في الآية ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: هو مرض الرغبة في الزنا والبحث عن اقترافه، وقوله ﷻ﴿الْمُرْجِفُونَ﴾، الإرجاف هو إشاعة الأخبار الكاذبة بين الناس لاغتمامهم واضطرابهم، وقوله ﷻ ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: أي: لنحرضنك عليهم.[1]

والمراد بالآية: أن الله تعالى يخبر عن المنافقين أنهم إذا لم ينتهوا عما يفعلونه من بث الإشاعات لزعزعة الأمن والترابط في المجتمع المسلم واهتزاز قوة ثباته أمام عدوه؛ لنحرضنك يا محمد-ﷺ-على المنافقين بفضحهم وإظهار أفعالهم الخبيثة، ثم يطردون بعد ذلك من مجاورتك بالسكن في المدينة.[2]

وقد كان من أراجيف المنافقين بين المسلمين:

- أنهم إذا أرسل النبي ﷺ سرية أذاع المنافقون بين المسلمين أن من خرجوا في السرية قد قتلوا وهزموا، ويقولون: قد جاء الأعداء، وجاءت الحروب، ونحو ذلك من الأخبار التي تتضمن توهين المسلمين وظهور المشركين عليهم.

- كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الأخبار لذلك، فكانوا يقذفون أهل الصفة[3] فيزعمون أنهم قومٌ عُزاب، ولا يتمكنون من الزواج لفقرهم، فهم لذلك يتعرضون لنساء المسلمين إذا خرجوا للجهاد.[4]

(1) انظر: تفسير الطبري(ج327/20)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج245/14)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج109/22،108).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج482/6)، وتفسير المنار لمحمد رضا(ج415/10).

(3) أهل الصفة هم: فقراء المسلمين الذين كانوا يعيشون في المسجد النبوي لفقرهم. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج37/3).

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج377/6)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج245/14)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج482/6)، صديق خان، فتح البيان(ج146/11).

ح- **العمل على شق صف الأمة وزعزعة الترابط المجتمعي**

عن جابرٍ ﷺ قال:"غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:{مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟}، فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ}، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا؛ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ"[(1)]، وفي رواية أنه لما منع النبي ﷺ حدوث الفتنة بين المسلمين: "انْكَفَأَ كُلّ مُنَافِقٍ إِلَى عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ فَقَالوا: كُنْت تُرَجَّى وَتَدْفَع، فَصرت لَا تَضُرّ وَلَا تَنْفَع، فَقَالَ: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَل".[(2)]

قول جابر ﷺ: "ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ"، أي: اجتمع معه في خروجه، وقوله: "رَجُلٌ لَعَّابٌ"، أي: كثير المزح، يجيد اللعب بالحراب كالحبشة بما يلفت الانتباه، وقوله: "فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا"، أي: ضرب رجلاً من الأنصار برجله على دبره، وقوله: "حَتَّى تَدَاعَوْا"، أي: حتى طلبوا الاستغاثة من أقرابهم وحلفائهم، وقول رأس النفاق ابن سلول أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا"، أي: أنا شاركنا المهاجرين فيما نحن فيه؛ فأرادوا الاستبداد به علينا، ويقصد بالأعز نفسه، وأن الأذل هو النبي ﷺ، وما ذاك إلا بنفاقه.[(3)]

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة المنافقين

أرسل الله تعالى نبيه ﷺ رحمة لجميع خلقه، فمن آمن منهم تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن أَمِنَ ما كان يصيب الأمم السابقة من عقاب الدنيا، قال الله ﷻ:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[الأنبياء:107][(4)]، فكان من رحمته ﷺ العمل على تصحيح عقيدة المنافقين ورجاء إسلامهم، وقد تنوعت أساليب دعوته في ذلك ما بين اللين والتجاوز مع الستر عليهم، والتعنيف والتشهير، ولعل ذلك كان يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأمور وعواقبها، عملاً بقول الله تعالى:﴿ ...**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**...﴾ [فصِّلت:34]، ومن هذه الأساليب:

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ ما ينهى من دعوة الجاهلية،183/4:حديث رقم3518].

(2) ابن حجر، فتح الباري (ج649/8)، وقال ابن حجر في تعليقه على الأثر:" مرسلٌ جيد".

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج547/6) و(ج649/8)، العيني، عمدة القاري(ج189/16،188).

(4) انظر: صديق خان، فتح البيان(ج381/8)، الشنقيطي، العذب المنير(ج600/5).

أ- **الإحسان إليهم والترفق بهم في مقابل مكرهم وأذاهم**

عن أبي هريرة ﷺ قال:"مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ وَهُوَ فِي ظِلِّ أَجَمَةٍ فقَالَ: قَدْ غَبَّرَ عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ فقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالَّذِي أَكْرَمَكَ وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَئِنْ شِئْتَ لَآتِيَنَّكَ بِرَأْسِهِ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{لَا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ، وَأَحْسِنْ صُحْبَتَه}.(1)

ب- **الصبر على أذاهم رغم العلم بأحوالهم لما تقتضيه الأولويات**

عن جابر ﷺ:"لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَ هَوَازِنَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْجِعْرَانَةِ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ:{وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ}، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا أَقُومُ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، قَالَ:{مَعَاذَ اللهِ أَنْ تَتَسَامَعَ الْأُمَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ}، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابًا لَهُ؛ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ الْمِرْمَاةُ مِنَ الرَّمِيَّةِ}.(2)

ترك النبي ﷺ قتل هذا المنافق وغيره من المنافقين رغم شدة شرهم لِما تقتضيه المصلحة العامة للمسلمين، من جمع الكلمة وتأليف القلوب، فالمنافقون كان بينهم وبين المسلمين قرابةٌ قوية، بالرحم والمصاهرة، كما أن النبي ﷺ كان حريصاً على تجنب ما ينفر الناس من دعوة الإسلام، فالإسلام كان وقتها في غربةٍ، وإعمال السيف في المجتمع المسلم قد يدفع الأعداء على التجرؤ للنيل من المسلمين.(3)

ت- **السرعة في احتواء الأزمات والخلافات، ودفع الشُبه لسد الباب على شرورهم**

عن زيد بن أرقم ﷺ قال:"كُنْتُ فِي غَزَاةٍ؛ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ

---

(1) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، البر والإحسان/ حق الوالدين،170/2، حديث رقم 428] وقال الألباني في التعليقات الحسان(ج438/1):"حسن"، والأجمة: هي الشجرة كثيفة الأغصان. انظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي(ج3411/11)، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط(ج7/1).

(2) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج123/23)]، حديث صحيح، وقوله ﷺ:{يمرقون من الدين}،أي: يخرجون منه، و{المرماة} السهم الصغير. انظر: العيني، عمدة القاري(ج161/5)، و(ج231/15).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج463/7)، والصارم المسلول لابن تيمية(ص187)، ابن القيم، زاد المعاد (ج568/3).

بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لِي عَمِّي مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَتَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ}.(1)

أفاد الحديث قبول نقل كلام بعض الناس لذي سلطانٍ أو غيره، إذا كان الكلام يتعلق بالمصلحة العامة للأمة، وذلك من خلال إقرار النبي ﷺ لزيدٍ ﷺ عن إخباره بكلام ابن سلول، كما يستفاد ضرورة الإسراع لحل الخلافات والأزمات واحتوائها مبكراً، وعدم مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات وإن ثبتت عليهم التهم أحياناً، كي لا يفضي ذلك إلى تنفير أقوامهم وأتباعهم، وهذا مستفادٌ من إرسال النبي ﷺ لابن سلول يراجعه فيما قال بعد سماعه الخبر من زيد ﷺ، ثم قبوله ﷺ إنكار ابن سلول للحدث وعدم مراجعته رغم ثبوت كذبه؛ لصحبة ابنه ومكانته في الأنصار.(2)

وعن أم المؤمنين صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها، قالت: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي-وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ- فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ}، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: {إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا، أَوْ قَالَ :شَيْئًا}.(3)

أفاد الحديث كمال شفقة النبي ﷺ على أُمته، ومراعاته لمصالحهم، وصيانته لجوارحهم وقلوبهم عن وساوس الشيطان والفتن، وهو في قول الله تعالى:﴿ ...حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:128]، فأراد ﷺ دفع احتمال سوء ظن أصحابه عنه، لأن سوء الظن بالأنبياء كفرٌ، وأن يبين استحباب التحرز مما يدخل سوء الظن بين المسلمين، وطلب السلامة مما يوهم به بالأعذار الصحيحة، والفطنة للتحفظ من كيد الشيطان(4)، قال ابن حجر رحمه الله بعد شرحه لروايات الحديث: "والْمُحَصَّلُ من هذه الروايات أن النبي ﷺ لم يَنْسُبْهُمَا إِلَى أَنَّهُمَا

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قوله:{إذا جاءك المنافقون قالوا: نشهد إنك لرسول الله}[المنافقون:1]، 152/6: حديث رقم4900].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج646/8).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، 1712/4: حديث رقم2175].

(4) انظر: النووي، المنهاج (ج156/14)، ابن حجر، فتح الباري(ج279/4)، ومعنى قوله ﷺ:{عَلَى رِسْلِكُمَا}،أي: تمهلا في السير. كما ذكر النووي وابن حجر في نفس المصدرين.

يَظُنَّانِ به سوءاً، لما تقرر عنده من صدق إيمانهما، ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك؛ لأنهما غير معصومين، فقد يفضي بهما ذلك إلى الهلاك، فبادر إلى إعلامهما حسماً للمادَّة وتعليماً لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك".[(1)]

والعلاقة هنا بين هذا الحديث وما استنبط العلماء منه بالمنافقين؛ أن المنافقين كانوا يتربصون بالمسلمين، ويتحينون الفرص للنيل منهم وإيقاع الأذى بهم ظلماً وعدواناً، وقد جاؤوا بحادثة الإفك التي قذفوا بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فبرأها الله تبارك وتعالى[(2)]، فإن كان النبي ﷺ احتاط مع أصحابه وهم ثقاتٌ وعُدول بما يدفع الشك والريبة؛ فيكون من باب أولى ثبوت احتياطه من جهة المنافقين في مثل هذه الأمور ونحوها، ليسُد عليهم أبواب شرِّهم، في مقابل اجتهادهم لإحداث الفتن والأراجيف بين المسلمين بالكذب والزور.

ث- التعنيف والتشهير، ومجازاتهم على أعمالهم

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يجاهد أعداء الإسلام والمسلمين من الداخل والخارج فقال ﷻ:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[التوبة:73].

المراد بجهاد الكفار في الآية: أن يجاهدهم بالسيف، والأمر للنبي ﷺ ولأمته من بعده، وأن يجاهد المنافقين بشدة الزجر والتغليظ والتشهير، وإقامة الحجة عليهم.[(3)]

وقد تكرر جهاد النبي ﷺ للمنافقين بهذا الأُسلوب والنوع من الجهاد مع المنافقين، فربما كان هذا الأُسلوب في مرحلة متأخرةٍ من الهجرة، حيث قويت شوكة المسلمين، وتعمق الإيمان في قلوبهم، فقويت عقيدة الولاء والبراء، فأصبح الناس لا يكترثون بالشدة على المنافقين أو عقابهم، وإن كانوا من الدرجة الأولى في القرابة، وكان أُسلوب اللين في أول الهجرة وضعف الشوكة وعدم إتمام أحكام الوحي، أو ربما كان يختلف أُسلوب النبي ﷺ معهم بين الشدة واللين

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج280/4).

(2) انظر: ذكر الحادثة في القرآن الكريم، سورة النور، آية(ج11)، وما بعدها، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج326/4) و(ج19/6)، وحديث الإفك في [صحيح البخاري، الشهادات/ تعديل النساء بعضهن بعضاً، حديث رقم(2661)،(ج173/3)]، وانظر: الشرح والتعليق على الحديث في: النووي، المنهاج(ج104/17)، ابن حجر، فتح الباري(ج273/5)، وأصل الإفك: هو الكذب، والمراد به هنا: هو ما كُذب على أم المؤمنين ورميت به من الكلام المختلق بالباطل من المنافقين. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج56/1)، ابن منظور، لسان العرب(ج390/10)، ابن حجر، فتح الباري(ج80/1).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج204/8)، الشوكاني، فتح القدير(ج475/2)

وفق مقتضيات الأحوال والوقائع، وقد تنوع أُسلوب الشدة على المنافقين وجهادهم في السُّنَّة، ومن ذلك:

1. فضحهم وإظهار كذبهم

ذُكر في أسباب نزول آيات "سورة المنافقون" عندما استهزأ المنافقون بالنبي ﷺ، فسمعهم زيد بن أرقم ﷺ، فرفع أمرهم للنبي ﷺ، فراجعهم النبي ﷺ في ذلك، فانكروا، وحلفوا بالله ما قالوا ذلك، فنزلت آيات سورة المنافقين تفضحهم وتبين كذبهم[1]، فعن زيد بن أرقم ﷺ قال:"خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ لِأَصْحَابِهِ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ...وَقَالَ: ﴿ ...**لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**... ﴾[المنافقون:8]، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ فَسَأَلَهُ فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ، فَقَالَ: كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقِي:﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ**... ﴾ [المنافقون:1]، قَالَ: ثُمَّ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَ: فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ، وقَوْلُهُ: ﴿ ...**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ** ... ﴾[المنافقون:4]، وَقَالَ: كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ".[2]

وعن أبي سعيد الخُدري ﷺ:"أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا» فَنَزَلَتْ:﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ**... ﴾[آل عمران:188]".[3]

بيَّن حديث أبي سعيدٍ ﷺ حال المنافقين الخبيث مع النبي ﷺ، وأنه كان من منهجه ﷺفي دعوتهم إظهار ما كانوا يخفون في قلوبهم من النفاق بما كان ينزل عليه من آيات القرآن التي تبين خبثهم وكذبهم وحقيقة أمرهم، عساهم أن يرجعوا عن نفاقهم ويتوبوا منه، وإن لم يكن ذلك، فيُكف شرهم عن المسلمين.

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج179/4)، وما بعدها.

(2) [مسلم: صحيح مسلم، صفات المنافقين وأحكامهم، 2140/4: حديث رقم2772].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، صفات المنافقين وأحكامهم، 2142/4: حديث رقم2777].

وأما الآية فالمراد بها: أنه لا يظن أحدٌ أنما يفعله المنافقون من القبائح والأباطيل القولية والفعلية، وحُبُّهم للمدح بما لم يفعلوه من أعمال الخير، وفرحهم بما فعلوا من الأعمال الباطلة الخبيثة؛ أنهم ناجون من العذاب الذي أوجبوه على أنفسهم واستحقوه بذلك.[1]

2. إقامة أحكام الإسلام عليهم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:142]

يخبر الله تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه من قبيح الأفعال وشنيع الأحوال، واعتقادهم مخادعة الله ﷻ، بما يظهروه من الإيمان ويبطنوه من الكفران، ظناً منهم أنه يخفى عليه باطنهم، والحال أن الله خادعهم، بتعذيبهم يوم القيامة بأشد العذاب، وأنه يُجرى عليهم في الدنيا أحكام الإسلام الظاهرة، كالصلاة والجهاد، وغيرها من التكاليف الظاهرة، وأيُّ خداعٍ أعظم ممن يسعى سعياً بسوء اعتقاده الذي خدع به نفسه ثم يعود عليه بالذل والهوان والفضائح في الدنيا، وبأشدِّ العذاب يوم القيامة؟.[2]

3. الدعاء عليهم على مرأى ومسمع الناس

عن حذيفة بن اليمان ﷺ يُخبر عما سمعه من النبي ﷺ في جماعة المنافقين الذين لعنهم النبي ﷺ عند عودته من تبوك؛ لما اقترفوه من مخالفة أمره، ومحاولة قتله[3]، حيث يقول ﷺ:"أَشْهَدُ بِاللهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، وَعَذَرَ ثَلَاثَةً، قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ:{إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ، فَلَا يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ}، فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ، فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ".[4]

أفاد الحديث أن مَنْ كان في قلبه نفاقٌ فإنه يظهر منه عند الجزع والشدة، فهؤلاء المنافقون ظنوا أنهم يتمكنون من قتل النبي ﷺ، لسوء ظنِّهم ومعتقدهم، وخالفوا أمره فاستأثروا

---

(1) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج312/3)، السعدي، تفسير السعدي(ص160)، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1936/3).

(2) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص210)، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج2739/5)، التفسير الميسر عبدالله التركي وآخرون (ص101).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج182/4).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، صفات المنافقين وأحكامهم، 2143/4: حديث رقم2779]، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله. انظر: الولوي، ذخيرة العقبى (ج249/13).

بالماء على أنفسهم فاتضح بذلك نفاقهم[1]، كما أن لعن النبي ﷺ لمن سبق إلى الماء والركب معه حتماً يعرفون من خالف وسبقهم؛ يفيد جواز إظهار أمر المنافقين والتشهير بهم إذا ناسب ذلك الحال، كما يُحمل اللعن على عظيم ذنب النفاق والتنفير منه، ودعوة من لُعن وقتها وكل منافق للتوبة والاعتذار للنبي ﷺ رجاء أن يتوب الله عليهم.

(1) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح (ج233/2).

المبحث الثالث

المنهج النبوي في تصحيح عقيدة اليهود

المطلب الأول: التعريف باليهود، وطوائفهم المشتهرة.

أولا: التعريف باليهود:

اليهود لغةً: اختلف في معنى كلمة يهود، فقيل نسبة إلى يهودا بن نبي الله يعقوب عليه السلام[1]، وقيل من الهود، أي: الرجوع والتوبة، لأنهم رجعوا عن عبادة العجل وتابوا، وهو في قول الله تعالى:﴿ ...إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ... ﴾[الأعراف:156][2]، وقيل: سموا بذلك لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءتهم التوراة[3]، وهو الراجح[4]، كما هو مشاهدٌ من حال يهود اليوم الذين يقيمون صلاتهم الباطلة عند حاط البراق في المسجد الأقصى.

اليهود شرعاً: هم قومٌ يزعمون أنهم أتباع نبي الله موسى عليه السلام في معتقدهم ودينهم.[5]

وهذا الزعم باطلٌ مردود؛ لأن موسى عليه السلام مسلمٌ، وكان يدعو للإسلام، قال الله تعالى:﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ** ﴾[يونس:84]، واليهود ليسوا كذلك، بل لا يقرون بالإسلام أصلاً، وقد حرفوا دين موسى عليه السلام، والتوراة التي جاء بها من عند الله سبحانه وتعالى وفق أهوائهم وأغراضهم، فأصبحت بدلاً من أن تهدي إلى الرشاد والفلاح في الدارين، تدعوا إلى الضلال والخسران، قال تعالى:﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...** ﴾[النساء:46] .

أي: من اليهود فريق دأبوا على تبديل وتغيير أحكام الله في التوراة عمَّا هي عليه افتراء على الله، وطعناً في دينه، ورداً لحكمه.[6]

---

(1) انظر: الفيومي، المصباح المنير (ج642/2).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج18/6)، ابن منظور، لسان العرب(ج439/3).

(3) نظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج609/2).

(4) نظر: الخلف، دراسات في الأديان (ص45)، الشنطي، دراسات في الأديان (ص29).

(5) انظر: الخلف، دراسات في الأديان (ص41–47).

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج323/2)، صديق خان، فتح البيان(ج136/3)، ودراسات في الإسلام للخلف (ص41،15).

كما يزعم يهود اليوم أنهم يرجعون في نسبهم إلى نبي الله يعقوب ﵇، الملقب "إسرائيل"، وتعني عبد الله[1]، ويحبون هذه النسبة التي تدل على نقاء عرقهم، وزعمهم هذا باطل، فهيئاتهم وأقلام نسَّابيهم من أُدبائهم ومثقفيهم تدل على كذبهم واختلاف أجناسهم، فأكثر يهود اليوم يرجع نسبهم إلى قبائل تترية خزرية من أصلٍ تركي، كانت لهم دولة قوية في القرن الثامن الميلادي تقع في أسيا الوسطى، وتمتد إلى جنوب موسكو، تهود ملكهم وكبار دولته بدخول القرن التاسع عشر فتهود شعبهم، ولحق بهم حينئذٍ بعض اليهود الذين فروا من ملك الروم الذي كان يجبر اليهود على التنصر زمن خليفة المسلمين هارون الرشيد رحمه الله، وما إن دخل القرن الثالث عشر الميلادي حتى تلاشت هذه الدولة بالكامل على يد الروس، وتوزع يهودها على دول أُوربا، وهم اليوم أكثر اليهود عدداً، ويطلق عليهم مصطلح: "إشكناز"، وهو اسم لأحد أحفاد نبي الله نوح ﵇ حسب الرواية التوراتية، وقد انتشر هذا العرق من اليهود في دول العالم بعد أُوربا، لكن أكبر كتلة بشرية من هذا الجنس اجتمعت في بولندا، وهذا يفيد بطلان زعمهم أنهم من نسل يعقوب الملقب إسرائيل ﵇، وصفاء عروق نسبهم إليه، وأن لهم الحق في أرض فلسطين، وبكل الأحوال فلسطين لمن أسلم لله تعالى، واتبع أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، لا من كفر بالله وخالف وحارب أنبياءه عليهم الصلاة والسلام.[2]

ثانياً: طوائف اليهود المشتهرة

طوائف اليهود عديدة ومختلفة في عقائدها وشرائعها، حتى بلغ ببعض طوائفهم أن تكفر مخالفيها منهم، ومن أوجه الخلاف بينهم: أن منهم من يؤمن بالتوراة والتلمود كمصدرٍ للتشريع، ومنهم من يؤمن بالتوراة فقط ولا يؤمن بالتلمود، ومنهم من يؤمن بتعدد أنبيائهم، ومنهم من يؤمن بنبوة موسى ﵇ وحده، ولا يؤمن بغيره، ويزعم أنه النبي الأوحد والخاتم، وأنه تجسيد للنور والصورة الإلهية، وبعضهم زعم أن عزيراً ﵇ ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومنهم من يؤمن باليوم الآخر ومنهم من ينكره، ومنهم من يعتقد بقداسة مدينة القدس، ومنهم من يرى القدسية لغيرها، ومنهم من يرى أن اليهودي هو من ولد لأُمٍ يهودية، ومن يؤمن بالعقيدة اليهودية، ويرى آخرون أن اليهودي هو من كان من نسل يعقوب ﵇ فقط، وقد جاء في السُّنَّة النبوية ما يؤكد افتراقهم واختلافاتهم هذه، حيث قال النبي ﷺ:{تَفَرَّقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ

---

(1) انظر: الشنطي، دراسات في الأديان (ص26).

(2) انظر: آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم (ص21-24، 61-67)، المسيري، موسوعة اليهود (ج168،265،333/3)، الخلف، دراسات في الأديان (ص66).

أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً}[1]، لكنهم رغم هذه الفرقة وهذا الاختلاف يجتمعون في عقيدتهم العنصرية المحرفة التي يرون من خلالها ميزتهم وعلوهم على كل البشر، فهم يرون أن الناس كالدواب ولا حرمة لأرواحهم ولا لملكياتهم عند اليهودي، لذا فهم يعملون على بث القلاقل والفتن في البلاد التي يعيشون فيها وعدم مسالمة حكامها، والعمل للسيطرة على مقاليد الحكم وصنع القرار، ولا يتورعون عن ذلك إلا إذا اقتضت مصلحتهم ذلك[2]، ومن يعنينا دراسة أحواله وذكره من تلك الطوائف؛ هم من عاصر دعوة النبي ﷺ في المدينة النبوية وحولها وبلغته الدعوة، وهم بنو قينقاع والنضير وقريظة ويهود خيبر، وهم من بني إسرائيل، يرجع نسب بني النضير وقريظة منهم إلى نبي الله هارون عليه السلام[3]، بدليل قول الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه:"بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: {مَا شَأْنُكِ؟}، فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ، فَقَالَ: اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ}".[4]

كما أن الله تعالى لما خاطب من يقيم منهم في المدينة ومن حولها بالقرآن الكريم نسبهم لإسرائيل، وهو نبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم الصلاة والسلام، الذي خرجت من نسله قبائلهم وطوائفها[5]، فقال ﷻ:﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[البقرة:40]

في هذه الآية يقول الله تعالى منادياً وآمراً بني إسرائيل الذين عاصروا النبي ﷺ في المدينة، بالدخول في الإسلام، ومتابعة نبيه محمدٍ ﷺ، مُهَيجاً لهم بمناداتهم بنسبة يحبونها، وهي نسبتهم إلى أبيهم إسرائيل، وهو نبيه يعقوب عليه السلام، وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع لله؛

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، الإيمان، ما جاء في افتراق الأمة، 381/4: حديث رقم2640]، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

(2) انظر: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، لإبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى مَنَّ الله عليه بالإسلام)،(ص143)، ومقارنة الأديان اليهودية، لأحمد شلبي،(ص221)، وموسوعة اليهود للمسيري (ج339/3،151) و(ج387/14،385،380)، الخلف، دراسات في الأديان (ص143)، والحملة الصليبية للطويل (ج24/1) و(ج42/3) و(ج250/3-252)، الشنطي، ودراسات في الأديان (ص115).

(3) انظر:هامش مسند أحمد(ج384/19)،ابن القيم، زاد المعاد(ج126/3)،ابن حجر،فتح الباري (ج330/7)،الحلبي،السيرة الحلبية (ج479/2)،جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج98/12).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج384/19)]، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(5) انظر: تفسير الطبري(ج554/1)، والبغوي، معالم التنزيل(ج86/1)، السعدي، تفسير السعدي(ص50)، وابن عاشور، التحرير والتنوير(ج449/1).

كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، فخافوني ووحدوني، ولا تنقضوا هذا العهد، فإن آمنتم واستقمتم؛ أتممت لكم ما وعدتكم به من الرحمة في الدنيا والآخرة[1]، وقد أكد الطبري رحمه الله هذه النسبة فقال:" إنما خاطب الله جل ثناؤه بقوله: "يا بني إسرائيل" أحبارَ اليهود من بني إسرائيل، الذين كانوا بين ظَهرانَيْ مُهاجَر رسول الله ﷺ، فنسبهم جل ذكره إلى يعقوب، كما نسب ذرية آدم إلى آدم، فقال:﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ...﴾[الأعراف:31]"[2]، عدا القلة القليلة التي تهودت من بعض أبناء العرب، وكانت بين ظهراني يهود المدينة تأثراً بجوارهم، واعتقاد الخير وطلب السلامة بالإيمان بعقيدتهم المحرفة.[3]

ومن أسباب وجود اليهود في المدينة واختيارهم لهذه البقعة على غيرها بعد خروجهم من الشام؛ هو الفرار من بطش الروم وغيرهم من الناس إلى مكانٍ آمن، سيبعث فيه نبيٌّ، يظهر بتلك البقعة ويدعو منها إلى الله تعالى.[4]

ولما دخل النبي ﷺ المدينة مهاجراً من مكة أقر يهودها على دينهم وصالحهم وعاهدهم على أن لا يكون بينه وبينهم حربٌ ولا أذىً، وعلى وجوب النصرة بينه وبينهم على من بغى عليهم[5]، لكن اليهود قابلوا إحسان النبي ﷺ لهم بالإساءة حقداً وحسداً منهم؛ لأنه من العرب وليس منهم[6]، وفيما يلي بعض التفصيل عن تلك الطوائف في المدينة وحولها:

1. يهود بني قينقاع

بنو قينقاع من ذرية نبي الله يوسف عليه السلام[7]، كانوا يعيشون في داخل المدينة، مستقلين متكتلين في حيٍ واحدٍ عمن جاورهم من أهل المدينة العرب[8]، وسع الله أرزاقهم فكانوا صاغةً أثرياء، لهم سوقٌ عرف باسمهم؛ سوق بني قينقاع، وكانوا على حلف مع قبيلة الخزرج

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج241/1)، التفسير الميسر عبد الله التركي وآخرون(ص7).

(2) تفسير الطبري(ج554/1).

(3) انظر: تفسير الطبري(ج409/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج682/1)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج90/12).

(4) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج37/2) و(ج83/3)، والحموي، معجم البلدان(ج84/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج325/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج373/2).

(5) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية (ج291/2).

(6) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج46/3).

(7) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج129/7).

(8) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج108/12،100).

في المدينة، وقد عُرف بنو قينقاع بالشجاعة والقوة، ولم يكن بينهم وبين طوائف اليهود الأُخرى في المدينة وفاق، بل حربٌ وقتال، كان ينتج عنها القتل والأسر لبعضهم[1]، وبنو قينقاع هم أول من نقض عهد النبي ﷺ، فأظهروا العداء له وللمسلمين، فحاربهم في شهر شوال بعد معركة بدر، فلما تمكن منهم؛ جاء رأس النفاق حليف اليهود ابن سلولٍ وتشفَّع لهم واستوهبهم، وقد ألح بشدةٍ بالغةٍ على النبي ﷺ، فوهبهم له، على أن يخرجوا من المدينة[2]، وبدأ مكر اليهود وأذاهم يظهر للمسلمين بعد ذلك، فعمل النبي ﷺ على إخراجهم جميعاً من المدينة، قال ابن عمر رضي الله عنهما:"أَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِي قَيْنُقَاعَ...وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ"[3]، وفي يهود بني قينقاع نزل قول الله تعالى:﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[آل عمران:12].[4]

2. يهود بني النضير

كانت يهود بني النضير من أكثر اليهود عدداً، تعيش في قرية زهرة، على وادي بطحان جهة قباء من المدينة النبوية، في أرضٍ خصبةٍ غنيةٍ بالعيون ووفرة الماء، بنوا فيها الحصون وزرعوا الحدائق، أمَّنهم النبي ﷺ بعهده كبقية يهود المدينة، واستمرارهم على دينهم بعد أن أعرضوا عن الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله الحق، لكنهم لم يفوا بما عليهم في هذا العهد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما "أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقُرَيْظَةَ، حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ"[5]، فكان بنو النضير ثاني من نقض العهد بعد بني قينقاع، فاحتالوا لقتل النبي ﷺ، فأخبره بعض أصحابه بكيدهم، لما سمع بمكرهم من أخته التي كانت تعيش بينهم، فحاصرهم النبي ﷺ، وكان ذلك بعد غزوة أُحدٍ في السنة الرابعة من الهجرة، فنزلوا على الصلح؛ بأن يخرجوا من المدينة ويحملوا

---

(1) انظر: تفسير الطبري(ج228/6)، النيسابوري، التفسير البسيط (ج311/11)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج318/1)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج551/5)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج474/2)، السعدي، تفسير السعدي(ص58)، الشنقيطي، العذب المنير(ج135/5)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج100/12).

(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج314/3)، ابن حجر، فتح الباري(ج330/7)، العمري، السيرة النبوية الصحيحة (ج599/1-301).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ إجلاء اليهود من الحجاز، 1387/3: حيث رقم1766].

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج13/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج17/12).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ إجلاء اليهود من الحجاز، 1387/3: حيث رقم1766].

معهم ما حملت الإبل من الأمتعة والأموال دون السلاح، فقاموا بتخريب بيوتهم حتى لا ينتفع بها المسلمون[1]، فنزلت في ذلك آيات سورة الحشر[2]، قال الله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ...يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾[الحشر:2]، والمراد بقوله تعالى:﴿لِأَوَّلِ الحَشْرِ﴾، أي: جمعُهُم لإجلائهم عن المدينة وإجبارهم على الخروج إلى الأرض التي سيُحشر الناس فيها للحساب يوم القيامة، وهي أرض الشام، ومن ذهب منهم إلى خيبر، أخرجه أمير المؤمنين عمر ﷺ في خلافته إلى الشام.[3]

3. يهود بني قريظة

كانت يهود بني قريظة تعيش في طرف المدينة عند وادي مهزور قرب يهود بني النضير على أرضٍ خصبةٍ وافرة المياه والبركة، وكان عندهم خبر النبي ﷺ وصفاته وأنه لا نبي بعده، وأنه سيهاجر للمدينة كعلم بقية اليهود، وقد نصحهم بعض علمائهم وكبرائهم بالإسلام واتباع النبي ﷺ فأبوا وأنكروا حسداً وكفراً، وعاملهم النبي ﷺ كبقية يهود المدينة في عهده لهم بإعطائهم الأمان على أنفسهم وما ملكوا وبقائهم على عقيدتهم، فخانوا العهد ونقضوه، وتحزبوا مع أحزاب العرب يوم الخندق على قتل النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فلما انتهت غزوة الخندق وردَّ الله تعالى كيد الأحزاب وعاد النبي ﷺ لأهله في المدينة جاءه جبريل ﷺ كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقال له:"وَضَعْتَ السِّلَاحَ فَوَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَوْمَأَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"[4]، وأمر أصحابه ﷺ بالخروج مؤكداً على الأمر بقوله :{لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ}[5]، فحاصرهم لما وجدهم قد احتموا في حصونهم طلباً للسلام، وظناً منهم رجوعه ﷺ عنهم بذلك، ولم يقبلوا نصح بعض أبناء جلدتهم بالدخول في الإسلام، أو البقاء على دينهم ودفع الجزية عناداً وتكبراً، فلما

---

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج144/4)، والبلاذري، فتوح البلدان(ص30)، وما بعدها، الطبري، تاريخ الطبري (ج83/2)، والنووي، المنهاج(ج91/12)، ابن حجر، فتح الباري(ج330/7)و وما بعدها، الحلبي، السيرة الحلبية(ج559/2)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج99/12).

(2) انظر: تبويب البخاري في كتاب المغازي من صحيحه، عند قوله:"باب حديث بني النضير، ومخرج رسول الله ﷺإليهم في دية الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ"، وما بعده(ج88/5).

(3) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج364/21) والبغوي، معالم التنزيل(ج69/8)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج59/8)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج290/6).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ الغسل بعد الحرب والغبار، 21/4: حديث رقم2813].

(5) [البخاري: صحيح البخاري، صلاة الجمعة/ صلاة الطالب والمطلوب، 15/2: حديث رقم946].

أجهدهم الحصار، طلبوا أن يقضي في أمرهم الصحابي سعد بن معاذ ﵁، الذي كان بينهم وبين قومه حلفٌ وولاءٌ في الجاهلية؛ ظناً منهم أن يقضي لهم، وقد ذكر أبو سعيد الخدري ﵁ هذا الحَدَثَ، فقال:"نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ، فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِ:{قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ}، أَوْ{خَيْرِكُمْ}، ثُمَّ قَالَ:{إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ}، قَالَ:تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذُرِّيَّتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللهِ}[1]، فعمل النبي ﷺ بهذا القضاء الذي كان فيه استئصالهم بما اقترفوا، وكان بهذا الحدث إجلاء آخر طوائف اليهود عن المدينة[2]، قال ابن عمر رضي الله عنهما:"وَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ"[3]، سوى بقيةٍ من أفرادهم، أمر النبي ﷺ بخروجهم آخر حياته[4]، وفي شر قريظة وعقابهم نزل قول الله تعالى:﴿ **وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا(26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا(27)** ﴾[الأحزاب].

المراد بالآية: بيان فضل الله تعالى على أهل الإيمان بنصرهم على يهود قريظة الذين نقضوا عهد المسلمين وأعانوا الأحزاب على قتل النبي ﷺ ومن معه، فعاقبهم الله تعالى بأن زلزلهم الرعب وأنزلهم من حصونهم يستأصل المسلمون رجالهم بالقتل، ويسبوا نساءَهم وأولادهم، ويرثوا أرضهم وأموالهم وما كان ذلك إلا ببغي قريظة وكفرها واعتدائها.[5]

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، 1388/3: حديث رقم1768].

(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج40/2) و(ج195/4)، والبلاذري، فتوح البلدان(ص34)، والبغوي، معالم التنزيل(ج341/6)، والحموي، معجم البلدان(ج446/1)، والنووي، المنهاج(ج91/12)، ابن كثير، السيرة النبوية (ج35/3)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج393،394/3) و(ج336،550/5) و(ج70،79،89/6)، وفتح الباري لابن حجر(ج227/6) و(ج275،408/7)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج291،661/2).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ إجلاء اليهود من الحجاز، 1387/3: حديث رقم1766].

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج318/12).

(5) انظر: تفسير الطبري(ج243/20)، وما بعدها، الرازي، مفاتيح الغيب(ج177/25).

4. **يهود خيبر**

تبعد مدينة خيبر عن المدينة النبوية اثني عشر ميلاً جهة الشام[1]، وتتكون من عدة حصون، تتفاوت في مساحتها وأهميتها، وقيل أن معنى خيبر الحصن بلسان اليهود، وقيل معناها الطائفة والجماعة، نزلها اليهود واختاروا سُكنها بعد خروجهم هاربين من بطش البابليين بالشام لكثرة مائها وخصوبة أرضها، وعُرفوا بتفوق شجاعتهم على غيرهم من سائر يهود الجزيرة[2]، وقد نزل إليهم بعض كبراء اليهود وأتباعهم من الذين أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة لشرهم وفسادهم، فخرج أهل خيبر بنسائهم وأطفالهم لاستقبالهم استقبالاً مليئاً بالفخر والاعتزاز، ما فُعل مثله لأحدٍ قبلهم، ودانوا لهم بالسيادة والرأي لشرف نسبهم بين اليهود[3]، ولإقرارهم واجماعهم على الكفر، وعداوة النبي ﷺ ودعوته ومن تبعه، رغم علمهم بصدق النبي ﷺ ومعرفتهم بدقة أوصافه، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله:﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:146][4]، وقد كان يهود خيبر ومن آوى إليهم ممن أُجلي عن المدينة يمكرون بالإسلام وأهله، وقد خرج بعض ساداتهم إلى قريشٍ وغيرها من قبائل العرب؛ فحرضوهم على قتال المسلمين في المدينة، فكانت بذلك غزوة الأحزاب، فخرج إليهم النبي ﷺ بعد صلح الحديبية في المحرم من العام السابع للهجرة لمنع فسادهم وإيقاف شرهم[5]، وبغتهم صباحاً عند خروجهم للعمل في مزارعهم، ولم تنفعهم حصونهم التي لجأوا إليها[6]، وقد وصف أنس بن مالك رضي الله عنه هذا الواقع، فقال:"قال النبي ﷺ:{اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ﴿ **فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**﴾}، فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السِّكَكِ وَيَقُولُونَ مُحَمَّدٌ

---

(1) الميل يساوي(ج1609) متر، فيكون تقدير المسافة بمقياس زماننا قريباً من عشرين كيلوا متر. انظر: معجم الوسيط مصطفى إبراهيم وآخرون(ج894/2).

(2) انظر: الحموي، معجم البلدان(ج29/3)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج726،744/2)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج101/12).

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج145/4)، الطبري، تاريخ الطبري(ج85/2)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج537/5)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(ج439/2)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج565،566/2).

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج164/1).

(5) انظر: مغازي الواقدي(ج441/2)، ابن هشام، السيرة النبوية(ج99/3) و(ج170/4)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج172/2)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(ج433،441/2).

(6) انظر: الأصبهاني، دلائل النبوة(ص112)، ابن حجر، فتح الباري(ج468/7).

وَالْخَمِيسُ، قَالَ: وَالْخَمِيسُ الْجَيْشُ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذَّرَارِيَ"[1]، فلما رأوا ما نزل بهم، وعز عليهم فراق أموالهم؛ طلبوا العمل في مزارعهم مقابل جزءٍ من ثمارها[2]، قال ابن عمر رضي الله عنهما:" لَمَّا افْتُتِحَتْ خَيْبَرُ سَأَلَتْ يَهُودُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُقِرَّهُمْ فِيهَا، عَلَى أَنْ يَعْمَلُوا عَلَى نِصْفِ مَا خَرَجَ مِنْهَا مِنَ الثَّمَرِ وَالزَّرْعِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {أُقِرُّكُمْ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا}[3]، أي تبقوا في هذا العمل لوقتٍ محدودٍ معلوم لا للأبد، لأنه ﷺ كان عازماً على إخراجهم من جزيرة العرب[4]، أما بقية قرى اليهود القريبة من خيبر والتي تُعد من أرض الشام؛ فقد نزلت على الصلح ودفع الجزية مقابل استمرارهم على عقيدتهم والبقاء في أرضهم لما سمعت ما حلَّ بخيبر وقدوم النبي ﷺ إليهم، فقبل منهم النبي ﷺ ذلك.[5]

المطلب الثاني: اليهود في عصر النبوة

كان اليهود في المدينة زمن النبي ﷺ في العلو الأول من العلوين الذين أخبر الله ﷻ عنهما في مطلع سورة الإسراء، حيث قال ﷻ:﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا(4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا(5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا(6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا(7)** ﴾[الإسراء].

ووجه الدلالة من الآيات كما يلي:

أولاً: من حيث تصنيف السورة

سورة الإسراء والتي تسمى سورة بني إسرائيل أيضاً؛ مكية[6]، قال ابن مسعود ﷺ:"بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفُ وَمَرْيَمُ وَطه وَالْأَنْبِيَاءُ هُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي"[7]، والعتاق في قول

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجمعة/ التكبير والغلس بالصبح، والصلاة عند الإغارة والحرب، 15/2: حديث رقم 947].

(2) انظر: البلاذري، فتوح البلدان(ص37)، ابن حجر، فتح الباري(ج318/12)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(ج351/2).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، المساقاة/ المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع، 1187/3: حديث رقم1551)].

(4) انظر: النووي، المنهاج(ج211/10).

(5) انظر: مغازي الواقدي(ج711/2)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج353/6).

(6)انظر:البغوي،معالم التنزيل(ج55/5)،ابن كثير،تفسير القرآن العظيم(ج5/5)،ابن حجر،فتح الباري(ج42/9).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قوله:{فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى}[طه:117]، 96/6: حديث رقم 4739].

ابن مسعود ﷺ هذا، هي جمع عتيق، وهو القديم، وقوله: تلادي، أي: مما حفظه المسلمون قديماً، يقصد أنها من أوائل السور نزولاً أول دعوة الإسلام، أي أنها من السور المكية[1]، وألفاظ آياتها التي تتحدث عن علو بني إسرائيل وفسادهم فيه؛ تفيد حدوث ذلك بعد زمن نزولها، وفي ظل الإسلام[2]، كما أن ما ذكر من تحديد الأشخاص الذين عاقب الله بهم بني إسرائيل على فسادهم، وأنه في زمن سابقٍ وبعيدٍ عن دعوة النبي ﷺ لا تنهض ولا تقوى به الحجة؛ لأنه لم يرد دليلٌ صحيحٌ على ذلك، بل مجرد قولٍ بالرأي والاجتهاد، ومنه ما هو من الإسرائيليات، ومنه ما كان من وضع أعداء الإسلام[3]، بالإضافة إلى أن فساد اليهود كثير ومتعدد قبل الإسلام ولا ينحصر في مرتين، كنسبة الولد لله تعالى الله عما يقولون، وقتل الأنبياء، وكتمان العلم الشرعي، وتحريف التوراة، كما أنهم أتوا بكلامٍ باطل وزعموا أنه من عند الله.[4]

ثانياً: من حيث تفسير مفردات الآيات وبيان دلالاتها

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الكِتَابِ﴾، أي: أخبرنا وأعلمنا بني إسرائيل في التوراة التي أُنزلت عليهم بما سيكون منهم من عصيانٍ واستكبارٍ وطغيانٍ في الأرض[5]، وما كان ذكر ذلك لهم إلا من باب التحذير والإنذار لعلهم يتقون، لكنهم لم ينتفعوا بذلك[6]، وقوله ﷻ:﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ و ﴿لَتَعْلُنَّ﴾، اللام والنون في هاتين الكلمتين من الآية للتوكيد، والتوكيد يكون لأمر في المستقبل، لا لأمرٍ قد مضى مما يؤكد أن العلو الأول وفساده كان في العهد المدني، وبعد نزول سورة الإسراء، وكذا الحال في قوله ﷻ:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾، الفاء التي افتتحت بها الآية هي حرف ترتيب وتعقيب، تفيد قصر زمن الفساد الذي أحدثه اليهود، وذلك أنهم لم يمض على وجودهم وفسادهم عقدين من بداية دعوة النبي ﷺ وكفرهم به، حيث انتهى أمرهم في أول العام السابع للهجرة بما شملهم من الجلاء وضياع الملك في المدينة

(1) انظر: البيهقي، شعب الإيمان(ج88/4)، ابن حجر، فتح الباري(ج388/8).
(2) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج8348/13)، وما بعدها.
(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج48/5،49)، الشنقيطي، أضواء البيان(ج16/3).
(4) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج8349/13).
(5) انظر: تفسير الطبري(ج356/17)، النيسابوري، التفسير البسيط (ج253/13)، والبغوي، معالم التنزيل(ج77/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج47/5).
(6) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص454،453).

وحولها، ثم بإخراجهم من الجزيرة نهائياً زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ[1]، وقوله تعالى:﴿ إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، أي: زمن وجود النبي ﷺ في المدينة الذي يأتي بعد نزول الآيات، كما أن الوعد في قوله:﴿ وَعْدُ﴾لا يكون بأمرٍ قد مضى، وإنما بأمرٍ مستقبل، فإن قيل: إن الوعد لا يكون إلا بالخير، وكذا الحال في البعث الذي يدل على الخير والرحمة، فكيف يقال ذلك وقد تعرض اليهود للنفي والسبي والقتل؟ يجاب بأن ما حدث لليهود ما كان إلا بأمر الله تعالى، دفاعاً عن دينه، ولم يكن اعتداءً عليهم[2]، وقوله ﷻ:﴿ عِبَادًا لَنَا﴾، كلمة "لنا" نسبة تشريفٍ وتكريمٍ قُصد بها النبي ﷺ، ومن معه من المؤمنين، وهي نسبة كالنسبة التي في قوله تعالى:﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[الفرقان:63]، وقوله سبحانه:﴿ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، أي: أصحاب شدة وقوة في القتال[3]، وهذا ما كان عليه المسلمون لما قامت دولتهم في المدينة[4]، وقد وصفهم الله تعالى في موضعٍ آخر بقوله:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾[الفتح:29]، وقوله تعالى:﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾، الجوس: هو طلب الشيء باستقصاء[5]، والمراد دقة البحث والتتبع من المسلمين لليهود في المدينة وحولها، بحيث لم يخفَ منهم أحد، فكانوا ما بين منفيٍّ ومسبيٍّ أو قتيلٍ؛ بما اقترفوه من الفساد والطغيان[6]، وقوله تعالى:﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾، أي: كان ما حل باليهود من العقاب أمراً قد قضاه الله تعالى وحتَّم وقوعه؛ لوجود سببه منهم[7]، ثم تتوالى الآيات بذكر رد الكرة لليهود على المسلمين بعد طول زمن وحصول فساد اليهود وعلوهم الثاني، وقد ذكرت الآيات المسجد في المرة الثانية ولم تذكر في المرة الأولى عند ذكر فسادهم

---

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج96/3) و(ج329/4)، والنووي، المنهاج (ج90/12)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج103/2)، ابن كثير، السيرة النبوية (ج324/1) و(ج326/2) و(ج413/3)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج661/2،559،474)، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج8361/14).

(2) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج8357/14،8353-8359).

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج124/20).

(4) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج8788/14،8358).

(5) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج258/13)، ابن منظور، لسان العرب(ج43/6).

(6) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج328/4،143)، الطبري، تاريخ الطبري(ج100/2،90)، وما بعدها، والنووي، المنهاج(ج94/11) و(ج90/12)، ابن حجر، فتح الباري(ج271/6) و(ج332/7)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج628/2)، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج8358/14).

(7) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج366/17)، السعدي، تفسير السعدي(ص453).

وعلوهم؛ لأن المرة الأولى لم يحتل اليهود فيها مسجداً عندما كانوا في المدينة، أما في المرة الثانية فقد احتلوا المسجد الأقصى(1)، كما أن اليهود لم تكن لهم كرةً لا على المجوس ولا على غيرهم ممن جاس خلال ديارهم بالتدمير والتشريد والسبي والقتل(2)، وهذا ما يؤكد القول بأن علو اليهود الأول كان في المدينة زمن البعثة النبوية، والثاني هو هذا الذي في زماننا.

ثالثاً: من حيث بيان المراد بالفساد والعلو المذكور في الآيات

أما الفساد الذي أحدثه اليهود في المدينة فهو يتمثل في كفرهم بالنبي ﷺ وهم يعلمون صدقه، بل ويعرفونه كمعرفتهم لأبنائهم، قال الله تعالى:﴿ **الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[الأنعام:20]، أي: أن" الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، يعرفون محمداً ﷺ بصفاته المكتوبة عندهم كمعرفتهم أبناءهم، فكما أن أبناءهم لا يشتبهون أمامهم بغيرهم، فكذلك محمد ﷺ لا يشتبه بغيره؛ لدقة وصفه في كتبهم، ولكنهم اتبعوا أهواءهم، فخسروا أنفسهم حين كفروا بمحمد ﷺ وبما جاء به"(3)، وكانوا يستفتحون به على الكفار من حولهم، قال الله تعالى مخبراً عن ذلك:﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ** ﴾[البقرة:89]، أي: لما جاء اليهود كتاب الله القرآن الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، وقد أخبرهم الله تعالى بخبره وصدقه من قبل في التوراة، فكانوا إذا آذاهم العرب ونالوا منهم بالقتال أو بما دونه، يستفتحون بالنبي ﷺ، أي: يستنصرون به، بتوعدهم للعرب أنه سيظهر ويقاتل العرب ويعينه اليهود على ذلك فيقتلون العرب قتلاً شنيعاً، وكانوا يتوسلون إلى الله تعالى في دعائهم أن ينصرهم على العرب بإيمانهم بظهور هذا النبي مستقبلاً، فلما ظهر النبي ﷺ ولم يكن منهم، ولا يوافق هواهم كفروا به بغياً وحسداً.(4)

ولم يكتف اليهود بكفرهم بالنبي ﷺ وعدم قبول دعوته؛ بل خانوا عهده ونقضوه وعملوا على محاربته وقتله، حيث أن النبي ﷺ عاهد اليهود وأمنهم على أرواحهم وما ملكوا، وأعطاهم

---

(1) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج405/1) و(ج3056/5، 3055، 3053، 3052) و(ج8364/14).

(2) انظر: الأشقر، وليتبروا ما علوا تتبيرا (ص163).

(3) التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص130).

(4) انظر: تفسير الطبري(ج335/2)، النيسابوري، التفسير البسيط (ج423/12)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج27/2)، ابن منظور، لسان العرب(ج537/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج325/1)، السعدي، تفسير السعدي(ص58)، وصحيح السيرة النبوية للألباني(ص57).

حرية البقاء على دينهم لمَّا عرض عليهم الإسلام فأبوا، فلم يحفظوا هذا العهد ونقضوه وعملوا جاهدين على قتل النبي ﷺ، وزعموا أن كفار العرب عُباد الأصنام أهدى ديناً وأفضل طريقاً من النبي ﷺ وممن آمن معه، فأنزل الله تعالى رداً عليهم:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا** ﴾[النساء:51]، كما حرضوا كفار العرب على حربه، فكانت غزوة الخندق، التي تحزبت فيها قبائل العرب على استئصال الإسلام وأهله في المدينة، فخيبهم الله ﷻ وردهم خاسرين، ناهيك عن تحريف التوراة، وكتمان الحق الذي فيها، كخبر النبي ﷺ واستبداله بهواهم.[1]

أما العلو في الأرض الذي كان فيه اليهود فهو الاستكبار على الله تعالى بالكفر ومخالفة الأمر، والاستعلاء على خلقه بالظلم والعدوان[2]، بما كان لليهود في المدينة من أسباب العز والجاه الذي لم يكن للعرب مثله قبل البعثة النبوية[3]، فاليهود كانوا أهل علم بما بين أيديهم من التوراة، وهذا كانت تقرُّ به العرب وترى فضل اليهود عليهم به، كما كان اليهود أهل الاقتصاد، فقد كانت تجارة الذهب الذي هو أساس المال في أيديهم، وأهل الزراعة بما يملكون من أراضٍ خصبة وغنية بوفرة الماء، وأهل حربٍ بما يملكون من سلاح وحصون، ولم يكن للعرب مثل هذه الأمور كاليهود.[4]

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة اليهود

اتخذ اليهود من النبي ﷺ ودعوته وأتباعه موقفاً شديد العداء، رغم علمهم بخبر نبوته وصدقه وهجرته للمدينة قبل أن يوحى إليه، بل وقبل أن يولد ويأتي زمانه، تكبراً وحسداً منهم؛ لأنه كان من العرب، ولم يكن من أبناء جلدتهم، ولم يوافق هواهم، فإنهم لم يستقيموا للأنبياء من أبناء جلدتهم إلا من رحم الله تعالى، ومع هذا فإن النبي ﷺ لم يَعْجَل عليهم بالعقوبة، فقد كان

---

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج314/3،100،46)، والنووي، المنهاج(ج91/12)، وما بعدها، ابن حجر، فتح الباري(ج330/7)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج32/1) و(ج284/6).

(2) انظر: تفسير الطبري(ج365/17)، الرازي، مفاتيح الغيب(ج124/20)، صديق خان، فتح البيان(ج356/7).

(3) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج255/13)، وابن عاشور، التحرير والتنوير(ج56/4)، أبو زهرة، زهرة التفسير (ج4333/8)، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج6194/10).

(4) انظر: السيرة لنبوية لابن هشام(ج210/4)، والبلاذري، فتوح البلدان(ص31)، والحموي، معجم البلدان (ج234/5)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج554/4)، الحلبي، السيرة الحلبية(ج726/2،474)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج99/12)، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج3200/5) و(ج4317/7).

حليماً يريد لهم الخير ويدعوهم إليه؛ بدعوتهم لتصحيح عقيدتهم حتى ينالوا الرحمة في الدارين، وقد تنوعت أساليب منهجه ﷺ في تصحيح عقيدتهم، فكان منها:

1. بيان العقيدة الصحيحة وعدم المداهنة في ذلك

حيث إن الدين الحق فقط هو الإسلام، وأن من كان على دينٍ غيره فهو كافرٌ بالله تعالى، لا يقبل الله منه عملاً، ومصيره في الآخرة إلى النار، وأن اليهود والنصارى ما خالفوا النبي ﷺ وهم يعرفونه ويعلمون صدقه، إلا حسداً وبغضاً منهم طلباً للدنيا وزخرفها[1]، قال تعالى:﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ**﴾[آل عمران:19]، وقال ﷻ:﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾[آل عمران:85]

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال:{وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}.[2]

أفاد الحديث وجوب اتباع النبي ﷺ، وأن من لم يسمع بدعوته ﷺ، ولم تقم عليه الحجة بتبليغه؛ سقط عنه الحرج بعدم الإيمان به، لقوله ﷺ:{لَا يَسْمَعُ بِي}، وهذا منفيٌ عن اليهود والنصارى، لأنهم يعرفون النبي ﷺ معرفةً تامةً قبل بعثته وبعدها، وقد رأوه وسمعوا منه لكنهم أصروا على كفرهم، وقد خصَّهم بالذكر دون غيرهم من أهل الكفر؛ لدفع التوهم بما عندهم من إيمانٍ بالأنبياء السابقين، وبيان أن تلك الشرائع منسوخة بدعوته، وأن الإيمان بها لا ينفع دون اتباعه ﷺ[3]، وهذا يفيد بطلان القول بوحدة الأديان.

---

(1) انظر:البغوي، معالم التنزيل(ج18/2)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج44/4)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج25/2).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة، 134/1: حديث رقم153].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج468/1)، ابن هبيرة، الإفصاح(ج191/8)، البيضاوي، تحفة الأبرار (ج43/1).

2. **بيان أن الولاء بين أهل الإسلام فقط دون اليهود أو غيرهم**

بيَّن الله تعالى أن الولاء مقتصرٌ على أهل الإيمان فقط، فقال ﷻ:﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...** ﴾[التوبة:71]، وأكد على البراءة من الكفار ورد ولاءهم، فقال سبحانه:﴿ **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...** ﴾[آل عمران:28]، وخصَّ أهل الكتاب في ذلك؛ لبيان شرهم وفسادهم، ودفع التوهم بصحة عقيدتهم، فقال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...** ﴾[المائدة:51]، وقد قام النبي ﷺ بإقامة دين ربه تعالى في ذلك، ليبين العقيدة الصحيحة، وأن لا ارتباط ولا ولاء بغير المسلمين إلا في حدود العقيدة الإسلامية، خاصةً مع اليهود في المدينة وحولها، وقد أكد ذلك في بنود الوثيقة التي كتبها بين مواطني المدينة، الذين منهم اليهود، فكان من بنودها "وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس"، وأن" لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"، وعلى إثر ذلك ردَّ من لحق به من اليهود في بعض غزواته؛ ليرد أثر التحالفات القديمة بين الأنصار واليهود ويربطها بالعقيدة الإسلامية، ويبين لليهود أنهم على الكفر، وقد قبل الأنصار ذلك وأقاموه[(1)]، فعن أبي حُميدٍ الساعدي ﵁[(2)]، قال:"خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا خَلَّفَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ إِذَا كَتِيبَةٌ، قَالَ:{مَنْ هَؤُلَاءِ}؟، قَالُوا: بَنُو قَيْنُقَاعَ، وَهُوَ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ:{وَأَسْلَمُوا}؟، قَالُوا: لَا، بَلْ هُمْ عَلَى دِينِهِمْ، قَالَ:{قُلْ لَهُمْ فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ}.[(3)]

3. **إقامة الحجة بالحوار والمناظرة**

جعل اليهود من عدائهم للنبي ﷺ، وحربهم عليه توجيه الأسئلة له قصدَ إحراجه، وتنفير الناس عنه، فكان النبي ﷺ يحول تلك الأسئلة إلى حواراتٍ ومناظراتٍ، ليستميل قلوبهم علَّهم يُسلموا، كما أن تلك الحوارات بمثابة تثبيت القلوب للمسلمين وتعليمهم منهج الدعوة بالحوار والمناظرة، ودفع كيد أعداء الإسلام ورد شبههم، وبطلان معتقداتهم، أكانوا من اليهود أو من غيرهم، ومن تلك الحوارات والمناظرات التي حدثت بين النبي ﷺ واليهود ما يلي:

---

(1) انظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة (ج281/1،276-286).

(2) أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني، الصحابي الجليل﵁، قيل أن اسمه عبد الرحمن، وقيل المنذر بن سعد، من فقهاء الصحابة﵃، روى حديثاً في صفة النبيﷺ وهيئته، روى عنه جابر بن عبد الله وعروة بن الزبير رضي الله عنهما، توفي سنة(ج60) للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(ج418/2).

(3) [الحاكم: مستدرك الحاكم، الجهاد، 133/2: حديث رقم2564]، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير برقم (2206)،(ج189/4):"صحيح".

عن أبي هريرة ﷺ، قال: "لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ:{إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ}؟، فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ{مَنْ أَبُوكُمْ}؟، قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ:{كَذَبْتُمْ؛ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ}، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ:{فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ}؟، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ:{مَنْ أَهْلُ النَّارِ}؟، قَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:{اخْسَئُوا فِيهَا وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا}، ثُمَّ قَالَ:{هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ}؟، فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ:{هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا}؟، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ{مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ}؟، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ". [1]

هذا الحديث من دلائل النبوة، حيث إن النبي ﷺ أخبر اليهود بأُمور غيبية، لا تُعلم إلا بالوحي؛ كمعرفته بأبيهم، وبالسُّم الذي وضعوه في الطعام، وأفاد الحديث أن اليهود قومٌ كذابون، ومجادلون في الحق معاندون له، حيث إنهم صدقوا النبي ﷺ بما أخبرهم به، وأنه لم يتأثر بالسُّم كما علموا ذلك بما عندهم من علمٍ بخبره وصفاته، مما يدلل على صحة نبوته وصدقه إلا أنهم تمادوا في غيهم ولم يسلموا[2]، كما أفاد الحديث جواز مناظرة أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم، وكيفية إقامة الحجة والدليل عليهم بموافقة الشرع وأدلته.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: "حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلا نَبِيٌّ، قَالَ:{سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِنِ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللهِ، وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ ؏، عَلَى بَنِيهِ: لَئِنْ أَنَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ، لَتُتَابِعُنِّي عَلَى الْإِسْلَامِ}، قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ، قَالَ:{فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ}، قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعِ خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ: أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ، وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ، وَمَاءُ الرَّجُلِ، كَيْفَ يَكُونُ الذَّكَرُ مِنْهُ، وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ، وَمَنْ وَلِيُّهُ مِنَ المَلائِكَةِ؟ قَالَ: {فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لَتُتَابِعُنِّي}؟، قَالَ: فَأَعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، قَالَ:{فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى ﷺ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ ؏، مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، وَطَالَ سَقَمُهُ، فَنَذَرَ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ، لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجزية/ إذا غدر المشركون بالمسلمين، هل يعفى عنهم، 99/4: حديث رقم 3169].

(2) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج27/561).

الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا}؟، قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ:{اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ، الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ، فَأَيُّهُمَا عَلا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَهُ بِإِذْنِ اللهِ، إِنْ عَلا مَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِنْ عَلا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللهِ}؟، قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ:{اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ}؟، قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ:{اللهُمَّ اشْهَدْ}، قَالُوا: وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا: مَنْ وَلِيُّكَ مِنَ المَلائِكَةِ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ، قَالَ:{فَإِنَّ وَلِيِّيَ جِبْرِيلُ ﷺ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلا وَهُوَ وَلِيُّهُ}، قَالُوا: فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنَ المَلائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ، قَالَ:{فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ}؟، قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوُّنَا، قَالَ:{فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ ﷻ:﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ**... ﴾[البقرة:97]، إِلَى قَوْلِهِ ﷻ:﴿ ...**كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:101]}، فَعِنْدَ ذَلِكَ: ﴿ ...**بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**... ﴾[البقرة:90] الْآيَةَ".[1]

هذا الحديث كسابقه في دلالته على صدق النبوة وصحتها، وأن اليهود قومٌ بهت، أي: كذَّابون ومجادلون في الحق لا يقصدون الوصول للخير بجدالهم[2]، وإنما يقصدون معاندة النبي ﷺ وحربه فقط، كما أفاد أن اليهود لا عهد لهم ولا أيمان، فكلما كان منهم عهدٌ؛ كان له نقضٌ يعقبه، وما ذاك إلا لعدم إيمانهم، وقد وصفهم الله تعالى في ذلك بقوله:﴿ **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[البقرة:100][3]

4. حفظ حقوق المواطنة بالعدل وحسن الجوار

تنوع حفظ النبي ﷺ لحقوق مواطنة اليهود وحسن جوارهم في المدينة وحولها، حتى شمل كل مناحي الحياة، فكان من ذلك:

أ- التأكيد على التزام المسلمين بالعدل تجاه اليهود، وقد أكد النبي ﷺ على هذا الأمر فجعله من بنود الوثيقة التي أبرمها بين ساكني المدينة[4]، وقد أقام ﷺ العمل بهذا البند فحفظ

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج310/4)]، حسن.

(2) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج283/19)، العيني، عمدة القاري(ج211/15).

(3) انظر: السعدي، تفسير السعدي(ص60).

(4) انظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة (ج286/1).

لليهود دماءَهم وأموالهم، وكل شيءٍ من حقوق المواطنة والجوار، فقال ﷺ في الدماء:{مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا}.(1)

وقال ﷺ في حفظ كافة الحقوق:{ألا مَن ظَلَم مُعاهِداً، أو انتَقَصَهُ، أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه، أو أخَذ منهُ شيئاً بِغيرِ طِيبِ نَفسٍ؛ فأنا حَجِيجُهُ يوم القيامةِ}".(2)

قول النبي ﷺ:{مُعَاهَدًا}، أي: من أعطاه المسلمون العهد بالأمان، ممن صالحهم على ترك حربهم(3)، وقوله ﷺ:{لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ}، أي: أن المسلم الذي يقتل المعاهد بغير حقٍ؛ لا يشُمُّ رائحة الجنة(4)، ابتداءً، بل يؤخر عن ذلك عقوبةً له، إذا شاء الله تعالى ذلك(5)، مما يفيد تحريم قتل المعاهد(6)، وقوله ﷺ في الحديث الثاني:{انتَقَصَهُ}، أي: عابه، وقوله ﷺ:{كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه}، أي: في دفع الجزية، وما عليه من حقوق، وقوله ﷺ:{فأنا حَجِيجُهُ}، أي: خصيمه ومقيم عليه الحجة بما فعل من الظلم للمعاهد(7)، وهذا يؤكد على حرمة المعاهد وحفظ حقوقه في كل شيءٍ، إلا بحق الإسلام.

ب- مؤاكلة اليهود وقبول هديتهم، ولا أدلَّ على ذلك من ذراع الشاة المسموم الذي قدموه للنبي ﷺ ليقتلوه، فأُخبر بذلك، فعن أنسٍ رضي الله عنه:"أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ:{مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ}".(8)

وعن أنس رضي الله عنه أيضاً:" أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، فَأَجَابَه".(9)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجزية/ إثم من قتل معاهدا بغير جرم، 99/4: حديث رقم3166].

(2) [أبو داود: سنن أبي داود، الخراج والإمارة والفيء/ تَعْشِير أهلِ الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، 658/4: حديث رقم 3052]، وقال الألباني في صحيح الجامع برقم(2655)،(ج518/1):"صحيح".

(3) انظر: العيني، عمدة القاري(ج88/15)، الصنعاني، التنوير (ج341/10).

(4) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج959/18)، العيني، عمدة القاري(ج88/15).

(5) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج458/2).

(6) انظر: الصنعاني، سبل السلام (ج70/4).

(7) انظر: البيضاوي، تحفة الأبرار (ج64/3)، الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن(ج279/9)، والعظيم أبادي، عون المعبود(ج304/8).

(8) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ السم، 1721/4: حديث رقم2190].

(9) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج424/20)]، إسناده صحيح على شرط مسلم.

قول أنس ﷺ:"إِهَالَةٍ"، أي: ما أُذيب من شحم الإلية مما يؤتدم به، وقوله:"سَنِخَةٍ"، أي: متغيرة الريح، حتى لا تُعاف ويُزهد أكلُها، ويستفاد من الحديثين جواز مؤاكلة اليهود، وقبول هديتهم ودعوتهم والتعامل معهم رغم فساد معتقدهم ومعاملاتهم بما لا يخالف أحكام الإسلام[1]، رجاء أن يكون ذلك سبباً لمعرفتهم بالمسلمين ودينهم فيسلموا، كما أفاد الحديث أن أكل شحوم الدواب باعتدالٍ لا ضرر فيه.

ت- عيادة المريض ودعوته للإيمان، فعن أنس ﷺ، قال:"كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ:{أَسْلِمْ}، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ}".[2]

من فوائد الحديث: جواز واستحباب زيارة المريض من اليهود وغيرهم من الكفار، لأن في ذلك إظهارٌ لمحاسن الإسلام، وبيان حفظ المسلمين بحُسن العهد والصحبة لمن خالطهم من غيرهم، وفرصة دعوتهم للإيمان[3]، كما أن الحديث دليلٌ على صدق النبي ﷺ وصحة نبوته، وتيقن اليهود من ذلك، وتركهم الإيمان به تكبراً وحسداً، وذلك أن اليهودي حرص على الخير والنجاة لولده؛ فأمر ابنه بطاعة النبي ﷺ، وفيه أن الأب قد يؤثر ولده بالخير ولا يفعله.[4]

ث- الترفُّع عن مجاراتهم في سوء أخلاقهم وعشرتهم، ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث قالت:"أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: {وَعَلَيْكُمْ}، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:{يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَاحِشَةً}، فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ:{أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمِ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ}".[5]

---

(1) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج119/14)، ابن حجر، فتح الباري(ج141/5)، المباركفوري، تحفة الأحوذي (ج406/4).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، 94/2: حديث رقم1356].

(3) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح (ج305/5)، العيني، عمدة القاري(ج175/8)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج44/3).

(4) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج45/3).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، 1706/4: حديث رقم 2165].

المراد بالسَّام في قول اليهود هو الموت، فقد قصدوا الدعاء على النبي ﷺ بالتمويه برد السَّلام، وقول عائشة رضي الله عنها: "بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ"، أي: ردت عليهم دعوتهم، وزادت "وَالذَّامُ"، وهو الذَّمُّ، والمراد: عليكم العيب الدائم، وقد أفاد الحديث: استحباب الترفع والتغافل عن سفه المبطلين، والصبر على سوء أخلاقهم، والدفع بالتي هي أحسن ما أمكن، رجاء تأليف قلوب المخالفين، إذا لم يترتب على ذلك مفسدة.(1)

ج- الشفاعة عندهم بطلب التيسير في قضاء حقوقهم، واحترام ملكياتهم، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: "كَانَ بِالْمَدِينَةِ يَهُودِيٌّ، وَكَانَ يُسْلِفُنِي فِي تَمْرِي إِلَى الْجِدَادِ، وَكَانَتْ لِجَابِرٍ الْأَرْضُ الَّتِي بِطَرِيقِ رُومَةَ، فَجَلَسَتْ، فَخَلَا عَامًا، فَجَاءَنِي الْيَهُودِيُّ عِنْدَ الْجَدَادِ وَلَمْ أَجُدَّ مِنْهَا شَيْئًا، فَجَعَلْتُ أَسْتَنْظِرُهُ إِلَى قَابِلٍ فَيَأْبَى، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:{امْشُوا نَسْتَنْظِرْ لِجَابِرٍ مِنْ الْيَهُودِيِّ}، فَجَاءُونِي فِي نَخْلِي، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُكَلِّمُ الْيَهُودِيَّ، فَيَقُولُ أَبَا الْقَاسِمِ لَا أُنْظِرُهُ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ قَامَ فَطَافَ فِي النَّخْلِ، ثُمَّ جَاءَهُ فَكَلَّمَهُ، فَأَبَى...ثُمَّ قَامَ فَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ فَأَبَى عَلَيْهِ، فَقَامَ فِي الرِّطَابِ فِي النَّخْلِ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ قَالَ:{يَا جَابِرُ جُدَّ وَاقْضِ}، فَوَقَفَ فِي الْجَدَادِ، فَجَدَدْتُ مِنْهَا مَا قَضَيْتُهُ، وَفَضَلَ مِنْهُ، فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَشَّرْتُهُ، فَقَالَ:{أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ}".(2)

قول جابر ﷺ:"كَانَ يُسْلِفُنِي فِي تَمْرِي إِلَى الْجِدَادِ"، أي: أن لليهودي دينٌ على جابر ﷺ إلى وقت قطف ثمر النخيل(3)، وقوله ﷺ: "الْأَرْضُ الَّتِي بِطَرِيقِ رُومَةَ" أي: أرضه التي بطريق دومة الجندل، عند بئر رومة(4)، وقوله: "فَجَلَسَتْ، فَخَلَا عَامًا"، أي: كسد حمل النخل في عامه هذا الذي كان فيه موعد سداد دين اليهودي، ولم يكن إنتاج ثمره كما كان في الأعوام السابقة، مما أعجزه عن الوفاء بوعده ودينه لليهودي(5)، وقوله ﷺ:"فَجَعَلْتُ أَسْتَنْظِرُهُ إِلَى قَابِلٍ فَيَأْبَى"، أي: أطلب من اليهودي إمهالي إلى العام القادم، فيرفض، وقول النبي ﷺ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:{امْشُوا نَسْتَنْظِرْ لِجَابِرٍ مِنْ الْيَهُودِيِّ}، أي: نذهب لنشفع لجابر عند اليهودي فنطلب إمهال قضاء دينه وتأخيره لعامٍ قادمٍ، وقد كرر النبي ﷺ شفاعته وطلب الإنظار من اليهودي، واليهودي يرفض

---

(1) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج52/7)، والنووي، المنهاج (ج145،147/14).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الأطعمة/ الرطب والتمر، 79/7: حديث رقم5443].

(3) انظر: الكواكب الدراري للكرماني(ج57/20)، وابن الملقن، التوضيح (ج218/26).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج567/9)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج239/8).

(5) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج346/8)، والكواكب الدراري للكرماني(ج57/20)، وابن الملقن، التوضيح (ج218/26)، ابن حجر، فتح الباري(ج568/9).

ذلك، وقوله ﷺ:{فَقَامَ فِي الرِّطَابِ فِي النَّخْلِ الثَّانِيَةَ}، أي: طاف ومشى بين شجر النخل كما فعل في المرة الأولى، فلما رأى عدم قبول اليهودي لشفاعته، قال:{يَا جَابِرُ جُدَّ وَاقْضِ}، أي: أُقطف ثمرك واقضِ دين اليهودي، ففعل جابرٌ ﷺ، فبارك الله له، فقضى دينه، وزاد مثله، بطاعته للنبي ﷺ، وبالبركة التي حلَّت بطواف النبي ﷺ في أرضه، وشفاعته له، وكان ذلك علامة ودليلاً من دلائل النبوة، لذلك قال ﷺ{أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ}.[1]

وقد أفاد الحديث: جواز شفاعة أهل الإسلام عند غيرهم، ووجوب الوفاء بحقوقهم، واحترام حقوقهم وقضائهم فيها وإمضائه، وقبول رد الشفاعة دون كيدٍ.

5- القتال؛ إن تعينت دواعيه، مع التريث وتأخير وقوعه؛ علَّهُ يجد مخرجاً لخصمه، وذلك لحرصه ﷺ على الخير للناس كافة، فهو رحمة الله المهداة لهم جميعاً، فمن آمن سعد بها في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن أمن تأخير العذاب والاستئصال في الدنيا، قال الله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[الأنبياء:107][2]، وقد" كان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدمها رسول الله ﷺ يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى نبيه بالصبر على ذلك، والعفو عنهم، وفيهم أنزلت الآية﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا...**﴾[البقرة:109]"[3]، وما كان هذا إلا تأكيد لهذه الرحمة، حتى كان من بالغ هذه الرحمة؛ أنها كانت تلوح في ساحات البغاة المعتدين، فيهود خيبر الذين كفروا بربهم ﷻ، وبغوا على نبيه ﷺ وأصحابه ﷺ، لمَّا نزل بساحتهم، وقد حرصوا على قتاله واستعدوا لذلك ونشدوا الأشعار في قوتهم [4]، لم يعجل بقتالهم، حيث قال ﷺ لعلي ﷺ لما أعطاه الراية:{انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ}[5]، فقد أفاد الحديث: أن الدعوة

(1) انظر: الكواكب الدراري للكرماني(ج58/20)، ابن حجر، فتح الباري(ج568/9)، العيني، عمدة القاري (ج70/21)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج240/8،239).

(2) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج359/5).

(3) العمري، السيرة النبوية الصحيحة (ج289/1).

(4) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج170/4،99)، الطبري، تاريخ الطبري(ج135/2)، الحلبي، السيرة الحلبية (ج744/2).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة ﷺ/من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، 1872/4: حديث رقم2406)].

للإسلام مقدمةٌ على القتال، وهي شرطٌ لجوازه، وبيان أن القتال في الإسلام من أجل أن يهتدي الناس، تنفيذاً لأمر ربهم ﷻ، وإعلاءً لكلمته، لا لسفك الدماء وإحلال الدمار بالخلق، وقد أكد النبي ﷺ على هذا ورغب فيه، فضرب مثلاً في ختام حديثه بأنفس شيءٍ محمودٍ ومشاهدٍ يعرفه الناس ويضربون به المثل لبيان النفاسة وعلو القدر والقيمة، ويحبون امتلاكه، وهي:{حُمْرُ النَّعَمِ}، أي: الإبل الحُمرُ، فبين أن فضل هداية شخص واحد أفضل من امتلاكها وإن تعددت.[1]

لكن أهل خيبر كانوا كسابقيهم من يهود المدينة؛ أبوا توحيد ربهم ﷻ، وكف شرهم، فقاتل بعضهم فهزمهم، قال أنس بن مالك ﷺ:" فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السِّكَكِ فَقَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ[2]، فلما رأى الأخرون ما حلَّ بإخوانهم، وأن لا قبل لهم بقتال المسلمين، نزلوا على الصلح والجلاء، وقد أجمع على وقوع هذا المصير ليهود خيبر علماء الإسلام؛ من أهل الفقه والحديث والسِّير[3]، وكان أهل الصلح من يهود خيبر قد طلبوا من النبي ﷺ[4]" أَنْ يَتْرُكَهُمْ عَلَى أَنْ يَكْفُوا الْعَمَلَ، وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{نُقِرُّكُمْ عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا}، فَأُقِرُّوا حَتَّى أَجْلَاهُمْ عُمَرُ فِي إِمَارَتِهِ".[5]

وما استأصل ﷺ بني قريظة إلا بغدرهم وشدة خيانتهم[6]، وما أمر بقتل كعب بن الأشرف إلا عندما عَظُم أذاه، وأصبحت الوقاية من أذاه غير ممكنة، فقد "كان كعب بن الأشرف يَهجُو النبي ﷺ ويُحرِّضُ عليه كفارَ قريشٍ"[7]، كما تسلط بلسانه على أعراض المسلمين بالأذى[8]، فقال النبي ﷺ على إثر ذلك:{مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟؛ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَامَ

---

(1) انظر: الكواكب الدراري للكرماني(ج242/14)، والنووي، المنهاج(ج178/15)، ابن حجر، فتح الباري (ج478/7)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج144/5)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج505/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ غزوة خيبر، 132/5: حديث رقم4200].

(3) انظر: التمهيد لابن عبد البر (ج6//445)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج306/6).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج255/6).

(5) جزءٌ من حديث عن ابن عمر في [صحيح البخاري، فرض الخُمس/ ما كان النبيﷺيعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث رقم(ج3152)،(ج95/4).

(6) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج504/1).

(7) هذا جزءٌ من حديثٍ عن كعب بن مالك ﷺ في [سنن أبي داود، الخراج والفيء والإمارة/ كيف كان إخراجُ اليهودِ من المدينة، حديث رقم (ج3000)،(ج614/4)، ورجاله ثقات.

(8) انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج53/2)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج330/5).

مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟، قَالَ: نَعَمْ...فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ: -لمن كان معه من الصحابة- دُونَكُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ}.(1)

ومن الملاحظ فيما سبق أن اليهود رغم تيقنهم من صدق النبي ﷺ، وصحة نبوته، لم يقتصر كفرهم بعدم اتباعه فقط؛ بل زاد حتى بلغ مناداتهم له، فلم ينادوه ويخاطبوه بقولهم: يا رسول الله، أو يا نبي الله، بل يا أبا القاسم، فما أشد بغضهم وتكبرهم وكفرهم، وأشبه حالهم هذا بحال كفار قريش؛ عندما أرادوا كتابة وثيقة صلح الحديبية، أبى ممثلهم أن يُكتب في الوثيقة لفظ رسول الله.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ قتل كعب بن الأشرف، 90/5: حديث رقم4037].

المبحث الرابع

المنهج النبوي في تصحيح عقيدة النصارى

المطلب الأول: التعريف بالنصارى، وطوائفهم المشتهرة

أولاً: التعريف بالنصارى

تعريف النصارى لغة: قيل هي نسبة إلى مدينة الناصرة في شمال فلسطين، ويطلق على النسبة إليها: نصراني ونصرانية، وجمعها نصارى، والناصرة هي البلد الذي ولد فيه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.(1)

وقيل إنها إشارة إلى صفة، وهي نصرهم لنبي الله عيسى عليه السلام في دعوته وتناصرهم فيما بينهم على ذلك، وهذا يخصُّ المؤمنين منهم أول أمرهم، بدليل إخبار الله تعالى عن ذلك بقوله:﴿ ...قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ... ﴾[الصَّف:14]، ثم أُطلق على جميعهم تغليباً، واعتقادهم أنهم على دين عيسى عليه السلام.(2)

تعريف النصارى وشرعاً: هم أصحاب الديانة النصرانية، وهم قومٌ يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل.(3)

كان النصارى أوَّل أمرهم على دين الله الإسلام، الذي نزل على عيسى عليه السلام في الإنجيل، متمماً لرسالة موسى عليه السلام، وما جاء في التوراة، داعياً بني إسرائيل خاصةً دون غيرهم من الأقوام إلى التوحيد والفضيلة، ومصححاً لما حرفوا من دين ربهم عز وجل، وليحل لهم بعض الطيبات التي حرمت عليهم، ومبشراً برسالة محمد ﷺ، وقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك فقال:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[الصَّف:6]،وقال أيضاً:﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[آل عمران:50]، لكن غالب بني إسرائيل كذَّبوا عيسى عليه السلام، وحاربوا أتباعه، وحرفوا دينه بعدما رفعه الله إليه، فلم يمض سوى ثلاثة قرون حتى خرج هذا الدين عن أصوله

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج211/5)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج925/2)، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري وناصر العقل، (ص64)، الخلف، دراسات في الأديان (ص163).

(2) انظر: القفاري والعقل، الموجز في الأديان (ص64).

(3) انظر: الخلف، دراسات في الأديان (ص163).

الصحيحة، وامتزج بمعتقداتٍ وثنيةٍ، نقلته من التوحيد إلى الشرك بعبث اليهود، وأصبح هذا الدين يعرف بدين النصارى، الذين ملكهم اليهود فكرياً وعقائدياً بذلك، ثم قام العداء بينهما على مر الزمان، كل واحدٍ منهم يكفر الآخر، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ...** ﴾[البقرة:113].[1]

وأطلق القرآن على أهل الديانة النصرانية لقب: نصارى، وأهل الإنجيل، وأهل الكتاب، وهو اسمٌ يطلق عليهم وعلى اليهود، لكنهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين، نسبة لعيسى عليه السلام، ويسمون ديانتهم بالمسيحية، إمعاناً منهم في الانتساب إلى المسيح، والحق أن هذا اللقب لا تصح تسميتهم به؛ لأنهم لم يأتمروا بما أمرهم به من الإسلام، ثم إن هذا اللقب يلزم منه أن عيسى كان على ما هم عليه من الشرك، فالأصل أن يسموا بما سموا به في القرآن والسُّنَّة.[2]

وقد لُقِّبَ عيسى عليه السلام بهذا اللقب لكثرة سياحته في الأرض، أي: طوافه فيها، وقيل: لأنه كان إذا مسح بيده على أحدٍ من أصحاب العاهات برئ بإذن الله.[3]

ثانياً: طوائف النصارى المشتهرة

تعددت طوائف النصارى، واختلفت في عقائدها وشرائعها، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ، حيث قال:{افْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ}[4]، ولم يبق على التوحيد والدين الصحيح الذي جاء به عيسى عليه السلام إلا قلةٌ قليلةٌ في العدد بالنسبة للغالبية الضالة.[5]

وكان من أسباب افتراق النصارى وتعدد طوائفهم؛ خبث اليهود، وتسلط الرومان أصحاب الدولة، أما اليهود فقد اشتدت فتنتهم وعذابهم على أتباع عيسى عليه السلام ليطمسوا عقيدتهم التي تخالف هواهم، فلما وجدوا أن القوة والعنف لا يجديان نفعاً؛ سلكوا طريقاً آخر للسيطرة على هذا الدين الجديد، فتظاهر بعضهم بإيمانه بالمسيح واتباع دعوته، حتى قُبِلوا عند النصارى

---

(1) انظر: الموجز في الأديان للقفاري والعقل(ص65،66)، الخلف، دراسات في الأديان (ص163)، والموسوعة الميسرة للندوة العالمية (ج664/2)، الشنطي، دراسات في الأديان (ص136،142).

(2) انظر: الموجز في الأديان للقفاري والعقل(ص65)، الخلف، دراسات في الأديان (ص163).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج89/4)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج43/2).

(4) [ابن ماجة: سنن ابن ماجه، الفتن/ افتراق الأمم، 128/5: حديث رقم3992]، صحيح لغيره.

(5) انظر: القاري، مرقاة المفاتيح(ج3368/8).

وأصبح لهم شأنٌ بينهم، أخذوا بتبديل هذا الدين وتحريفه وفق هواهم، وأما الرومان أصحاب الدولة فقد قمعوا بسلطان قوة دولتهم النصارى قمعاً شديداً، سفكوا فيه الدماء وأحرقوا الكتب وأماكن العبادة، فعدمت بذلك كل المصادر الصحيحة التي تربط النصارى بالمسيح ﷺ، وبقي أمر الرومان مع النصارى على ذلك، حتى رأى إمبراطور الرومان قسطنطين أن المصلحة تقضي التسامح مع النصارى والاعتراف بدينهم ليتمكن من توسيع جهة الشرق، فقام بإسناد الوظائف الكبيرة لهم في بلاط قصره، وتشييد الكنائس، ضماناً لاستقرار أمن الدولة وحكامها أمر قسطنطين باجتماعٍ عام للأساقفة على اختلافهم ليجتمعوا على عقيدةٍ واحدةٍ، وانتهى ذلك الاجتماع بانحياز قسطنطين لقول من قال منهم بألوهية المسيح وفرضه على الجميع، وبدأ بعدها التشرذم يزيد بين النصارى وتزداد على إثره طوائفهم واختلاف عقائدهم وشرائعهم، ومع هذا فقد بقي شيءٌ من دعوة التوحيد مع شوائبَ فيها تظهر تارةً وتخبوا تارةً أُخرى مما تلاقي من خصوم التوحيد، كما بقيت الإشارات التي تصف النبي محمداً ﷺ وتدل عليه في العهد القديم وهو التوراة، والعهد الجديد وهو الإنجيل، اللذين يؤمن بهما النصارى، وهو موافقٌ لقول الله تعالى:﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ... ﴾[الأنعام:20][1]، وهذا من باب رحمة الله تعالى بهم؛ ليدلهم على الحق، ويدعوهم إليه، ويقيم عليهم الحجة.

ويمكن إبراز أصول طوائف النصارى ومعتقداتهم المتناقضة وغير المعقولة التي نتجت عن مكر اليهود وتدخل سلطان الرومان قبل بعثة النبي ﷺ وأفرزت بعدها بقية طوائفهم واختلافاتها قديماً وحديثاً، والتي إذا روجعوا فيها لم يخرجوا بجوابٍ غير زعمهم أنها غيبيات يصدقها العقل الديني[2]، وهي كما يلي:

أولاً: القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح

زعم هؤلاء أن المسيح بن مريم ﷺ إله وإنسان، ذو طبيعة واحدة، وأن مريم عليها السلام أم إلههم، وقرروا لعن من خالفهم من أبناء دينهم في هذا المعتقد، ثم حدث الخلاف بينهم في معتقدهم هذا، وكثر الافتراق حتى إزدادت طوائفهم وتعددت.[3]

---

(1) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج376،377/10)، والجواب الصحيح لابن تيمية(ج366/2)، الخلف، دراسات في الأديان (ص389،350،371،250،177،171)، والموسوعة الميسرة للندوة العالمية(ج566/2-571).

(2) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج377/10)، أبو زهرة، زهرة التفسير (ج3280/6)، الخلف، دراسات في الأديان (ص372).

(3) انظر: الخلف، دراسات في الأديان (ص372،257)

ثانياً: القائلون بأن المسيح له طبيعتان

زعم هؤلاء أن للمسيح بن مريم ﷺ طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، بلا اختلاط ولا تحول ولا انقسام ولا انفصال.[1]

ثالثاً: القائلون بأن المسيح ابن الله ويستحق العبادة[2]

زعم هؤلاء أن المسيح ﷺ ليس إنساً ولا جناً، إنما هو ابن الله[3]، وقد ضاهوا بهذا اليهود وساروا على خطاهم، كما أخبرنا الله تعالى عن ذلك بقوله:﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [التوبة:30]

رابعاً: القائلون بالثالوث الأب والابن والروح القدس

وقد زعم هؤلاء أن الله الواحد ثلاثة؛ الله الأب والابن والروح القدس، وهناك من زعم أن عيسى وأمه والله، هم الآلهة وهم واحد.[4]

ويستثنى من هذه الطوائف وضلالاتها من شهد لهم النبي ﷺ بالتوحيد، حيث قال:{إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}.[5]

قوله ﷺ:{فَمَقَتَهُمْ}، أي: أبغضهم أشد البغض لما هم عليه من الشرك، والمراد بنظر الله تعالى ومقته في الحديث: هو ما كان قبل بعثة النبي ﷺ، حيث أن الناس من العرب والعجم كانوا ضلالاً، منهمكين في الشرك، إلا بقايا من أهل الكتاب من النصارى كانوا مقيمين على التوحيد والدين الحق، بمتابعة المسيح ﷺ، إلى أن آمنوا بالنبي محمد ﷺ لما بُعث واتبعوه.[6]

---

(1) انظر: المرجع السابق(ص373،257).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج564/16).

(3) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج376/10).

(4) انظر: النيسابوري، التفسير البسيط (ج376/10)، صديق خان، فتح البيان(جؤ26/4)، أبو زهرة، زهرة التفسير (ج2095/4).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، 2197/4: حديث رقم2865].

(6) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج227/5)، والمعلم بفوائد مسلم للمازري(ج363/3)، القاضي عياض، إكمال المعلم(ج394/8)، والنووي، المنهاج (ج197/17)، البيضاوي، تحفة الأبرار (ج316/3)، الملا القاري، مرقاة المفاتيح (ج3368/8).

وقد وصفهم الله تعالى بقوله:﴿ ...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ(84) ﴾[المائدة].

هذه الآية نزلت في النصارى الذين كانوا على دين المسيح ولم يغيروا، وما هم عليه من مودة المسلمين، وتصف حالهم لما بلغتهم الدعوة وسمعوا القرآن آمنوا ولم يترددوا لما عندهم من علمٍ بالحق ورقة له.(1)

ومن أمثلة هؤلاء ورقة بن نوفل الذي كان على النصرانية، وقد أظهر إيمانه لما أخبره النبي ﷺ عما يرى من أمر الوحي أول نزوله عليه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:{رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ رَجُلًا تَنَصَّرَ، يَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ وَرَقَةُ مَاذَا تَرَى؟، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا}(2)، وأكد النبي ﷺ إيمان ورقة وفلاحه(3) فقال:{لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ}.(4)

وكذلك النجاشي ملك الحبشة رحمه الله فهو ممن كان على دين المسيح وبكى لما سمع القرآن وآمن بالنبي ﷺ فعن أم سلمة رضي الله عنها تصف ذلك وتذكر حديث النجاشي لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث سأله النجاشي قائلاً:"هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَي، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ – سورة مريم– قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ...ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ".(5)

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج3/167،166).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/{واذكر في الكتاب موسى}، 151/4: حديث رقم3392]، وقول ورقة جذعاً: أي: شاباً ليتمكن من القدرة على الإيمان ونصرته والدعوة إلية، والناموس عند أهل الكتاب هو جبريل عليه السلام. انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج6/244)، ابن حجر، فتح الباري(ج1/26).

(3) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج4/42)، ابن حجر، فتح الباري(ج8/720).

(4) [الحاكم: مستدرك الحاكم، 666/2: حديث رقم4211]، وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(ج405)،(ج1/761):"وهو كما قالا".

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد(ج3/266)]، إسناده حسن.

وقد جاء في الحديثين ذكر ناموس موسى دون ذكر ناموس عيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لأن عيسى عليه السلام بُعث لبني إسرائيل خاصةً متمماً لدعوة موسى عليه السلام التي كانت أشمل وأكثر في أحكامها.[1]

المطلب الثاني: النصارى في عصر النبوة

كانت أحوال النصارى–رغم شدة أصحاب السلطان والشأن فيهم– أخف من أحوال اليهود مع النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم؛ فإن غالب العامة من النصارى لما زال عنهم سلطان حكّامهم بفتح بلادهم، وعرفوا الإسلام وما فيه من خير دخلوا في دين الله أفواجاً، بخلاف اليهود الذين أجمعوا على عقيدتهم العدائية، وأبوا بذلك الإسلام.[2]

وقد كانت النصرانية تنتشر بكثرة زمن البعثة النبوية، حيث كانت في الروم، وهم قوةٌ عظمى وقتئذ، فقد كانت دولتهم تسيطر على بقعة كبيرة من الأرض، في بلاد الشام وشمال أفريقيا، وجنوبها إلى الحبشة، بالإضافة إلى بعض القبائل العربية المتاخمة لحدودهم مع الجزيرة العربية من بلاد الشام، كما كانت النصرانية في جزيرة العرب في نجران جهة اليمن، وفي بعض القبائل العربية كربيعة وتغلب وبعض قُضاعة، وفي قبائل عرب العراق.[3]

وقد كان هؤلاء على النصرانية الباطلة التي ابتدعها اليهود وفرضها سلطان الروم على الناس، وقد كان علماؤهم يعلمون بطلان عقيدتهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ[4]خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنْ الدِّينِ وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنْ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي؟، فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: زَيْدٌ وَمَا

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج26/1)، الشنطي، دراسات في الأديان (ص136).

(2) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي،(ج6/7).

(3) انظر: ابن قتيبة، المعارف(ص621)، والحموي، معجم البلدان(ج98/3)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج134/3) و(ج430/6،248)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج82/8) و(ج171/12).

(4) زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحد الحكماء في مكة، ولم يدرك الإسلام، لكنه كان على الحنيفية لا يعبد الأصنام ولا يأكل ما ذبح عليها، ويحارب وأد البنات، ويتكفل بتربية من استطاع أن يقنع أهلها بتوكيله عليها لكفالتها وتربيتها، وكان يجاهر بعداء الأوثان فحاربه نفرٌ من قريش لذلك، توفي قبل البعثة بخمس سنين، وقد شهد له النبي بالجنة. انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج442/20)، الزركلي، الأعلام(ج60/3).

الْحَنِيفُ؟، قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنْ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ؟، قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ".(1)

قول ابن عمر رضي الله عنهما: "خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنْ الدِّينِ"، أي: خرج يبحث عن الدين ليعبد الله تعالى به، لأنه كان ينكر عبادة الأصنام، وقول زيد للعالم اليهودي:"إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ"، أي: وعدٌ عليَّ أن أدين بدينك، وقوله: فَأَخْبِرْنِي"، أي: عن حال دينكم وكيفيته، وقول زيد:"مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ"، أي: لا أقصد إلا الفرار من غضب الله بسؤالي لك وبحثي عن الدين الحق، وقوله: "وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا"، أي: لا قدرة لي على تحمل غضب الله أبداً، وقوله: "وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ"، أي: وكيف أستطيع ذلك، ومعنى "فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ"، أي: لما خرج عن أرضهم.(2)

أفاد الحديث أن الدين الحنيف الصحيح الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام هو الذي جاء به نبي الله محمد ﷺ، وأن اليهودية والنصرانية ليستا من دين الله ﷻ في شيءٍ، ولم يبعث الله نبياً إلا بالدين الحنيف، وهو الإسلام الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام، وكذلك موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فإنهما كانا مسلمين، قال الله تعالى:﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا...** ﴾[المائدة:44]، وقال ﷻ إخبار عمن آمن بعيسىعليه السلام:﴿ **...وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[آل عمران:52]، وأخبر عن دين إبراهيم ووصيته لذريته، فقال تعالى:﴿ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾[البقرة:132].(3)

وقد كانت مواقف النصارى تُقِرُّ ببطلان عقيدتهم من خلال عدم إيمانهم بالنبي ﷺ ورد دعوته، رغم معرفتهم بصفاته وخبره، وبلوغهم دعوته؛ كفراً وطغيانا(4)، وهذه بعض الأمثلة في ذلك:

---

(1) [البخاري:صحيح البخاري، مناقب الأنصار ،باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل،40/5:حديث رقم 3827)].

(2) انظر: العيني، عمدة القاري(ج287/16)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج172/6).

(3) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج211/4).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج44/1).

1- موقف هرقل عظيم الروم وحاشيته

لما سمع هرقل بخبر النبي ﷺ، طلب سماع أوصافه من بعض قومه، فجيء له بأبي سفيان رضي الله عنه قبل إسلامه، حيث كان قد خرج للتجارة في الشام، فلما سمع هرقل أخبار النبي ﷺ وصفاته التي يعرفها من كتبهم، وتأكد منها[1]؛ قال: "فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا؛ فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ؛ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ...وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ؛ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ؛ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ، قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ".[2]

قول هرقل: "فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ"، أي: أنه لو كان يضمن السلامة من القتل بهجرته للنبي ﷺ لفعل، وقوله: "لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ"، أي: لتكلفت مشقة الوصول إليه، وقوله:"لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ"، هذا من باب بيان التفاني في خدمته، وأنه لا يطلب منه شيئاً سوى حصول البركة، ومعنى "فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ"، أي: لم يصلها، ومعنى "أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ"، أي: العالم الذي راسله هرقل ليتحقق من أمر النبي ﷺ رد عليه بتصديق خبر النبي ﷺ وتأكيده، ومعنى "دَسْكَرَةٍ" هو القصر الذي تحيطه البيوت، ومعنى "فَحَاصُوا"، أي: نفروا وكروا راجعين، ومعنى: "فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ"، أي: فيما يتعلق بنهاية قصته هذه، ودعوته للإيمان فيها، وأنه آثر ملكه فيما يظهر على الحق ولم يسلم[3]، ثم حارب الرومُ بعد ومن ولاهم من نصارى العرب الإسلام وأهله رغم معرفتهم بصدق النبي ﷺ.[4]

---

(1) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج47/1)، ابن حجر، فتح الباري(ج37/1).

(2)[البخاري:صحيح البخاري، بدء الوحي،باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ،9/1:حديث رقم7].

(3) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج48/1)، ابن حجر، فتح الباري(ج37/1-43)، العيني، عمدة القاري(ج83/1-97،87).

(4) انظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة(ج119/1) و(ج468/2).

2- موقف نصارى نجران

جاء وفدٌ من نصارى نجران إلى النبي ﷺ، وفيهم السيد، وهو رئيسهم، والعاقب، وهو الذي يخلُف السيد، وصاحب مشورتهم، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام فأبوا، ثم دعاهم للمباهلة، وهي الملاعنة التي في قول الله تعالى:﴿ ...فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾[آل عمران:61]، فأرادوا الاستجابة للملاعنة، ثم عدلوا عنها؛ خوفاً أن تصيبهم اللعنة، وطلب سيِّدا القوم المصالحة مقابل دفع الجزية، كما اشترطا أن لا يرسل معهم إلا رجلاً أميناً لتحصيلها، فاستجاب النبي ﷺ لطلبهم(1)، وقد وصف حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ذلك، فقال: "جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ: أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا، فَقَالَ: {لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا، حَقَّ أَمِينٍ}، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: {قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ}، فَلَمَّا قَامَ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:{هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ}".(2)

أفاد الحديث إقرار وفد نصارى نجران بصدق النبي ﷺ وصحة رسالته، لكنهم أبوا أن يسلموا، كما أفاد أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله الإسلام حتى يلتزم بأحكامه، وهذا يفيد بقاء نصارى نجران على الكفر وإصرارهم عليه، مع علمهم وتيقنهم بصدق النبوة وصحة الرسالة(3)، لذلك قال النبي ﷺ:{شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ نَجْرَانُ وَبَنُو تَغْلِبَ}(4)، وأُجري عليهم حُكم أهل الكتاب بعدم بقائهم في الحجاز، بقوله ﷺ:{أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ}.(5)

3- موقف بطارقة الحبشة

عن أم سلمة رضي الله عنها تخبر بسؤال النجاشي رحمه الله لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: "مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ

---

(1) انظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة(ج542/2)، وفي تعريف السيد والعاقب؛ انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج614/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ قصة أهل نجران، 171/5: حديث رقم4380].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج95/8).

(4) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج188/32)]، صحيح.

(5) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج227/3)]، صحيح.

النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ، وَاللهِ اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي- وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ".[1]

المراد من قول جعفر ﷺ في وصف عيسى ﷺ:"وَرُوحُهُ"، هي نسبة تشريفٍ، شرفه الله بها في القرآن، لأنه خُلق على غير خلق الناس، مع أن روحه كأرواحهم؛ تعظيماً لأمره، وليكون آيةً يؤمن بها الناس، وقوله: "وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا"، أي: بأمره تعالى أن يكُون فكان[2]، وقوله:"مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ"، أي البكر التي انقطعت عن الأزواج، فلم تتزوج، وهذا الكلام خرج من باب التأكيد على بشرية عيسى ﷺ رداً لمزاعم النصارى واليهود الباطلة[3]، وقول النجاشي رحمه الله:"مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ"، أي ما أخطأ في وصفه، ولو قدر هذا العود، والمراد إقرار جعفر ﷺ عن قوله في عيسى ﷺ[4]، وقول أم سلمة رضي الله عنها: "فَتَنَاخَرَتْ"، أي تلكموا كلاماً مصحوباً بالغضب والنفور إنكاراً منهم لكلام النجاشي، وقولها: "بَطَارِقَتُهُ"، هم القادة العظماء أصحاب الشأن والرأي في الدولة[5]، وقول النجاشي رحمه الله: "وَاللهِ اذْهَبُوا"، هو للصحابة المهاجرين إليه تأكيداً منه على إقرارهم بما قالوا وتأمينهم.

ولم يكن الإسلام في الحبشة وقتها سوى في النجاشي وخاصته، رغم سبق الحبشة لإنصاف بعض المسلمين وتأمينهم عندما فروا بدينهم من قريش، ولعل السبب في ذلك كان بانشغال المسلمين بفتح الشام وفارس.[6]

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة النصارى

اتبع النبي ﷺ مع النصارى أُسلوب التدرج في دعوتهم للإيمان بربهم تعالى، وخاطبهم بناءً على معرفة أحوالهم وأعرافهم؛ ليُسهّل عليهم معرفة الحق وقبوله، خاصةً أنهم أفضل حالاً من اليهود، وأقرب منهم لقبول الحق، بدليل كثرة أعداد من يُسلم منهم مقابل ندرة أعداد من يُسلم من اليهود، وقد تنوعت أساليب النبي ﷺ وفق هذا المنهج فكان منها:

---

(1) [ابن حنبل، مسند أحمد (ج267/3)]، إسناده حسن.

(2) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج314/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج323/1) و(ج479/2، 477).

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج78/4) و(ج43/11).

(4) انظر: الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (ج136/1).

(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج199/5) و(ج21/10).

(6) انظر: تفسير المراغي (ج7/7)، الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (ج134/1).

1- إرسال الرسل

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "قال رسول الله ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ؛{إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ}.[1]

قول النبي ﷺ:{إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}، يريد اليهود والنصارى، لأنهم كانوا في اليمن أكثر وأغلب من مشركي العرب[2]، واليهود فيهم أكثر من النصارى[3]، كما أنه خصَّ أهل الكتاب دون غيرهم من مشركي اليمن؛ تفضيلاً وتغليباً لهم، وليُسرِ دعوتهم لما عندهم من معرفة الله تعالى وإن كانت مقرونة بالباطل، قال ابن حجر رحمه الله:" هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان"، وقوله ﷺ:{فَإِنْ هُمْ طَاعُوا}، يفيد عرض الإيمان عليهم وبيان فضله دون إكراهٍ واستعمال للقوة، وقوله ﷺ:{إِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ}، أي: تجنب أنفس وأفضل الأموال عند جمعك لزكاتهم إن آمنوا[4]، وقوله ﷺ:{اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ...}، أفاد جزء الحديث الأخير هذا: حرمة الظلم مطلقاً، فكما أن الله لا يرضي ظلم المؤمن لا يرضى ظلم الكافر، وفيه عِظة الإمام وتحذيره، وأن لا يحجب عنه أحداً قصده لمظلمةٍ، وإن كان الإمام تقياً ورعاً وصاحب سبق وخير، كمعاذ بن جبل رضي الله عنه الذي شهد بدراً.[5]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، 162/5: حديث رقم 4347].

(2) انظر: العيني، عمدة القاري(ج235/8)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج420/6)، الملا القاري، مرقاة المفاتيح (ج1261/4)، ابن علان، دليل الفالحين (ج523/2)، والعظيم أبادي، عون المعبود(ج467/4)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج203/3).

(3) انظر: ابن القيم، هداية الحيارى (ص30).

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري(ج358/3)، العيني، عمدة القاري(ج235/8)، وابن عثيمين، شرح رياض الصالحين(ج203/3).

(5) انظر: الكواكب الدراري للكرماني(ج40/8)، وابن الملقن، التوضيح (ج590/10)، العيني، عمدة القاري (ج238/8) و(ج93/12).

أفاد الحديث: حرص النبي ﷺ على دخول النصارى في الإسلام؛ ليسعدوا في الدارين، وذلك من خلال اختيار واحدٍ من علماء الصحابة وأفاضلهم ﷺ، ووصيته له بهم خيراً، وأن يتدرج معهم في الدعوة ليكون أيسر عليهم لقبولها ودون إكراه، وألا يظلم أحداً منهم حتى وإن لم يؤمن، ولا يمنع عن بابه أحداً قصده، وأن يحفظ عليهم أفضل أموالهم فلا يأخذها للزكاة ؛ لتبقى الأموال وتنموا، وأن يتفقد فقراءَهم ويعطف عليهم، ولا يخرج أموال أغنيائهم لغيرهم.

2- مراعاة أعرافهم وعاداتهم

لكل قومٍ أعرافهم التي يتواصلون بها، ويبنون عليها ثقتهم، والروم قومٌ اعتادوا في أعراف مراسلاتهم على وضع الخاتم عليها؛ ليظهر شأن مرسلها، وقد اتخذ النبي ﷺ الخاتم في رسائله وخطاباته مراعاةً منه للمصلحة في ذلك، عن أنس ﷺ قال:"لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ؛ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ...نَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ".(1)

أفاد الحديث: أن النبي ﷺ أخذ بأرفع الأحوال التي بلغته عنهم، فاتخذ خاتماً لكتبه ونقش عليه" محمدٌ رسول الله" في ثلاثة أسطرٍ مقلوبة، أي أن لفظ الجلالة يعلو كلمات الخاتم، وأصبح الخاتم بعدُ سُنَّةً لولاة الأمة، تدل على رفعة أمة الإسلام وعظيم شأنها، لكن بغير كتابة كلمات خاتم النبي ﷺ.(2)

3- الزواج منهم ومؤاكلتهم

قال الله تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...** ﴾[المائدة:5]

المراد بقوله تعالى:﴿ **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ** ﴾، أي، أن ذبائح اليهود والنصارى حلالٌ لنا أن نأكلها دون غيرهم من الكفار، وما عُد من الطعام بغير ذبحٍ أيضاً، وإطعامُنا لهم حلالٌ أيضاً، وتسمى هذه الأحوال: مؤاكلة، وقوله ﷻ:﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾، أي: حلالٌ للمسلمين الزواج من اليهوديات والنصرانيات المتعففات عن

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ دعوة اليهود والنصارى،45/4: حديث رقم2938].

(2) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري(ج115/5)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج110/5).

الزنا بعقد زواجٍ صحيح، يلتزمون فيه بما عليهم من المهور وحُسن العشرة، ولكن لا يجوز تزويج المسلمات لهم.[1]

أباح الله تعالى في الآية مؤاكلة اليهود والنصارى، والزواج من بناتهم لما لذلك من حدوث المعرفة وحُسن العشرة التي قد ينتج عنها معرفتهم بالإسلام ودخولهم فيه، وإن لم يكن ذلك؛ فيُكف شرهم عن المسلمين ولا يعينوا عليهم عدواً، كما فيه بيان سماحة الإسلام وحرصه على الخير لأهل الكتاب أكثر من غيرهم.

4- حفظ رحمهم بوصية الإحسان إليهم

أوصي النبي ﷺ بأهل مصرَ الذين كانوا على النصرانية خيراً عند فتحها، فقال:{إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، أَوْ قَالَ: ذِمَّةً وَصِهْرًا}.[2]

قوله ﷺ:{الْقِيرَاطُ}، كان أهل مصر يكثرون من استعمال هذا اللفظ والتكلم به، وهو جزءٌ من أجزاء الدينار والدرهم[3]، وقوله ﷺ:{ذِمَّةً}، أي: لهم الحرمة والحق بالأمان[4]، وقوله عليه السلام:{وَرَحِمًا}، أي: قرابة، أراد البيان والتذكير بأن هاجر أم نبي الله إسماعيل عليه السلام كانت قبطية من أهل مصر[5]، وقوله ﷺ:{صِهْرًا}، لكون مارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ منهم[6]، وقد كانت جارية مملوكة للنبي ﷺ أهداها له المقوقس والي الروم على مصر فولدت له ابنه إبراهيم.[7]

والمراد بالحديث: اقبلوا وصيتي في أهل مصر، فتواصوا بأهلها خيراً، وأحسنوا إليهم عندما تتولوا أمرهم، ولا يحملنَّكم رؤية ما تنكرون منهم على الإساءة إليهم؛ لما لهم من حق الرحم بهاجر، والمصاهرة بإبراهيم.[8]

---

(1) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج18/3)، ابن العربي، أحكام القرآن(ج41/2)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج76/6)، وتفسير المراغي(ج56/6).

(2)[مسلم:صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله عنهم،باب وصية النبي ﷺبأهل مصر،1970/4:حديث رقم2543].

(3) انظر: النووي، المنهاج (ج97/16).

(4) انظر: النووي، المنهاج(ج97/16)، والمناوي، فيض القدير(ج524/1).

(5) انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار(ج138/6)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج42/4)، والنووي، المنهاج(ج97/16)، والمناوي، فيض القدير(ج524/1).

(6) انظر: النووي، المنهاج(ج97/16)، المناوي، فيض القدير (ج524/1).

(7) انظر: الحموي، معجم البلدان (ج249/1)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج427/1)، والسيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة للصوياني (ج313/3) و(ج109/4).

(8) انظر: المناوي، فيض القدير (ج524/1).

5- عدم مداهنتهم ببيان حكم الله تعالى في عقيدتهم

آية النبي ﷺ العظمى التي كان يقيم بها الحجة على جميع أصناف الناس هي القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى حقيقةً، ولم يكن النبي ﷺ يكتم شيئاً من كلام ربِّه، ولا كان يداهن أحداً، ومما جاء في القرآن الكريم لدعوة النصارى وبيان حقيقة معتقدهم قول الله تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾[المائدة:17].

بين الله تعالى في هذه الآية كفر النصارى وبطلان شبهتهم، حيث قالوا الباطل الذي لم يقله أحدٌ غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، كونه ولد من غير أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطل، مع أن خَلْقه يشبه خلق أم البشر حواء، فقد خُلِقت بغير أُم، وآدم عليه السلام الذي خُلق بغير أبٍ ولا أُم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوها في المسيح عليه السلام؟[1]، ثم دلهم سبحانه وتعالى على العقيدة الصحيحة ليسعدوا في الدنيا والآخرة بأن أمرهم ترك الغلو والقول على الله بغير حق ببيان طبيعة المسيح عليه السلام، فقال جل جلاله:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ ...﴾[النساء:171]، وإقامة الحجة عليهم؛ ببيان أن الرشاد لا يكون إلا باتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة:19] .

6- إقامة الحجة الواضحة بشهادة أنفسهم، وقبول طلبهم للصُّلح

لما عرض النبي ﷺ الإسلام على وفد نصارى نجران، وأن المسيح عليه السلام عبد الله ورسوله فأبوا ذلك، طلب أن يلاعنهم امتثالاً لأمر الله عز وجل؛ وذلك بأن يجمع أهله ويجمعوا أهلهم؛ ثم يتجهوا إلى الله تعالى بالدعاء أن يُنزِّل العقوبة واللعنة على الكاذب منهم، المُصرُّ على الباطل والكفر عناداً، قال تعالى:﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران:61]، فأبوا الملاعنة بعد أن هموا بها؛ خوفاً من اللعنة، فطلبوا الصُّلح على الجزية[2]، فعن حذيفة رضي الله عنه

---

(1) انظر: السعدي، تفسير السعدي (ص226).

(2) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج57/2)، وابن الملقن، التوضيح (ج556/21)، السعدي، تفسير السعدي (ص123)، والعمري، السيرة النبوية الصحيحة(ج542/2)، التركي وآخرون، التفسير الميسر (ص57)، والسيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة للصوياني(ج220/4).

يصف ذلك، حيث قال: "جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ: أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا".[1]

قول السيد والعاقب علماء وملوك نصارى نجران اللذين كانا على رأس وفدٍ من أشرافهم للنبي ﷺ:"إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا"، أي: نصالحك بغير ملاعنةٍ ولا إسلام، على أن نعطيك ما تطلب الجزية[2]، وما كان الفرار من الملاعنة إلا لتيقن القوم من صدق نبوة النبي ﷺ وصحتها، كتماناً منهم للحق عن علمٍ، كيف لا وقد أكد الله تعالى معرفتهم به، معرفةً تامةً، لا ريب فيها، حيث قال ﷻ:﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة:146].

7- القتال

لمّا جلَّى الله تعالى الحق لأهل الكتاب، وقامت عليهم الحجة، وأصبح كفرهم عناداً وتفضيلاً للدنيا على الآخرة؛ أمر نبيه ﷺ أن يقاتلهم حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، أي يدفعونها بقهرٍ وذُلٍ، عساهم بهذه الشدة وتلك المهانة أن يرجعوا إلى رشدهم فيسلموا، فقال ﷻ:﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾[التوبة:29].[3]

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب، بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فلما استقامت جزيرة العرب أمر الله ورسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى، وكان ذلك في سنة تسع- من الهجرة-؛ ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك، وأظهره لهم".[4]

وخصَّ النبي ﷺ الروم ودويلات العرب النصرانية الموالية لهم بالقتال قبل غيرهم[5]؛ "لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق؛ لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ قصة أهل نجران، 171/5: حديث رقم4380].

(2) انظر: ابن الملقن، التوضيح (ج555/21)، القسطلاني، إرشاد الساري(ج437/6).

(3) انظر: تفسير الطبري(ج578/3)، والبغوي، معالم التنزيل(ج136/1) و(ج33/4)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج144/7).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج132/4).

(5) انظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة(ج467/2).

تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ ﴾[التوبة:123]".[1]

كما أمر النبي ﷺ بإخراج نصارى العرب من الجزيرة، فقال:{لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا}.[2]

خص النبي ﷺ جزيرة العرب دون غيرها من بلاد الإسلام، والمراد بها أرض الحجاز فقط؛ لأنها عُقر دار الإسلام، فيها بيت الله الحرام، الذي تميل إليه أفئدة المسلمين، قال تعالى:﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا... ﴾[البقرة:125]، أي: مرجعاً، يثوبون إليه من كل بلدٍ فيه أهل الإسلام، يجتمعون فيه لتحصيل منافعهم الدينية والدنيوية، ولا تملُّ قلوبهم من ذلك؛ بل تبقى معلقةً به، ترجو أن تثوب إليه، أي ترجع إليه دائماً، بالحج والعمرة، أمر الله تعالى أن يأمن كلٌّ من كان فيه، حتى الوحش والجمادات كالأشجار، كما أن في الحجاز مسجد النبي ﷺ وقبره الشريف، فقد لا يؤمن من أفراد أهل الكتاب نقض العهود وإيقاع الأذى بالمسلمين، فإذا كان هؤلاء مستحقين للإخراج فمن باب أولى إخراج غيرهم من الكفار، سوى الوافد لوقتٍ معينٍ من باب التعرف على الإسلام، أو القيام على مصلحةٍ للمسلمين.[3]

أما أمره ﷺ بإخراج أهل نجران، وهم خارج حدود أرض الحجاز، فقد كان بسبب نقضهم العهد الذي صالحهم عليه؛ بأن لا يأكلوا الربا، فأكلوه.[4]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج132/4).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، 1388/3: حديث رقم1767].

(3) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح(ج213/1)، والنووي، المنهاج(ج213/10)، ابن منظور، لسان العرب (ج245/1)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج413/1،412)، وعمدة القاري (ج90/15)، السعدي، تفسير السعدي (ص65).

(4) انظر: العيني، عمدة القاري(ج299/14).

المبحث الخامس

المنهج النبوي في تصحيح عقيدة المجوس

المطلب الأول: التعريف بالمجوس، وطوائفهم المشتهرة

أولاً: تعريف المجوس

لفظ المجوس لفظٌ فارسي، يطلق على قومٍ يعبدون الشمس والقمر والنار، وقد لقبوا بهذا اللقب في القرن الثالث للميلاد، وقيل: أصل كلمة مجوس نُجُوس؛ لتعبدهم باستعمال النجاسات.[1]

يعتقد المجوس بوجود إلهين للكون، أحدها للخير ويرمز له بالنور، وهو الله، والآخر للشر ويرمز له بالظلمة، وهو الشيطان[2]، وكتاب ملتهم يسمى الأبستاق، وكلامهم في عباداتهم وعند طعامهم يسمى الزمزمة[3]، يزعمون أن الله تعالى خلق الملائكة ليدافع عن نفسه من الشيطان[4]، يحلُّون زواج المحارم، وقد اتفق علماء الإسلام على حرمة ذبائحهم وحرمة الزواج منهم، وتؤخذ الجزية ممن لم يسلم منهم باتفاق الصحابة ﷺ[5]؛ قياساً على فعل النبي ﷺ مع مجوس هجر في البحرين، فعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ:"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ"[6]، وقد أكد الله كفرهم في كتابه فقال ﷻ:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[الحج:17]

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج298/5)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج23/12)، ابن منظور، لسان العرب (ج215/6)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج527/8)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج855/2).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج23/12) و(ج3/13)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج527/8)، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج855/2).

(3) انظر: الحموي، معجم البلدان(ج70/1) و(ج147/3).

(4) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق(ص321).

(5) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج19/2) و(ج35/4)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج77/6) و(ج111/8)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج41/3).

(6) [البخاري:صحيح البخاري، الجزية،باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب،96/4:حديث رقم3157].

يُخبر الله تعالى في هذه الآية: أنه سيفصل يوم القيامة بعدله بين أهل الإيمان الذين اتبعوا نبيه محمداً ﷺ، وبين من اجتمعوا على الكفر، وإن تعددت طوائفهم، كالمجوس عبدة النار، والصابئة[1]عبدة الكواكب، فيجعل أهل الإيمان في الجنة، ويجعل أهل الكفر في النار.[2]

ثانياً: طوائف المجوس المشتهرة

تعددت طوائف المجوس وفرقهم حتى بلغت سبعين فرقة[3]، أجمعوا جميعاً على الكفر والقول على الله تعالى بالباطل والمحال؛ بما يدل على سخافة عقولهم وخفتها، وعبث الشيطان بها[4]، ومن أشهر طوائف المجوس:

1. الزردشتية

أخذت تسمية الطائفة من اسم شخص من مدينة قديمة بأذربيجان، زعم المجوس نبوته، وأن الله تعالى كرَّمه في خلقته فميزه فيها عن الناس، وأن أقسام التكليف في شرعته تقوم على الاعتقاد والقول والعمل، ومن معتقداتهم أن الله تعالى خلق النور والظلمة، وهما متضادان بينهما نزاع، وقد امتزجا فكان وجد العالم بذلك، وأن حرباً وقعت بين الخالق والشيطان، توسطت الملائكة لحلها، فكانت نتيجة هذه الوساطة: أن يُسَلَّمَ الخلق للشيطان سبعة آلاف سنة، ثم يُقتلُ الشيطان بعدها، ومن يخالف هذا العهد والاتفاق يقتل.[5]

2. المزدكية

المزدكية هي نسبة إلى مزدك بن نامدان الذي كان يلقب في زمنه بأعلم العلماء، وقد ادعى النبوة، وكان ينهى عن التباغض والخلاف بين الناس والقتال، وكون ذلك يقع بسبب النِّساء والأموال فأمر أن تكون مشاعاً بين الناس، فضيق عليهم وضيع أنسابهم وأموالهم، وحرمهم من أكل اللحوم، وكان "مذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة: الماء والأرض والنار،

---

(1) انظر: تفسير الطبري(ج584/18)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج22/12).

(2) الصابئة: أي الخارجة، سموا بذلك لأنهم خرجوا من دين إلى دين، كانوا من أهل الكتاب فخرجوا عنهم، وأحدثوا لهم ديناً بين دين أهل الكتاب ودين المجوس. انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج102/1).

(3) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل(ج11/1).

(4) انظر: الرازي، اعتقادات فرق المسلمين (ص87).

(5) انظر: البلاذري، فتوح البلدان(ص326)، البغدادي، الفرق بين الفرق (ص290،279)، والشهرستاني، الملل والنحل (ج235/1)، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(ص86)، الحموي، معجم البلدان (ج159/1).

ولما اختلطت؛ حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر، فما كان من صفوها؛ فهو مدبر الخير، وما كان من كدرها؛ فهو مدبر الشر"، وقد قتل مزدك وصلب، وقتل خلقٌ كثير من أتباعه بتضييقهم على الناس بمذهبهم الباطل الهدام.[1]

3. المانوية

وهم أصحاب ماني بن فاتك الذي خرج بباطله بعد زمن نبي الله عيسى ﵇، فادعى النبوة وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، كان يُقِرُّ بنبوة عيسى ﵇ ولا يُقِرّ بنبوة موسى ﵇، ومن اعتقاداته أن العالم مركبٌ من أصلين، أحدهما النور والآخر الظُّلمة، وأنهما أزليان، أي: لا أول لوجودهما، وليس قبلهما شيء، وأنهما متضادان مختلفان، أما النور فهو موجد الخير، وأما الظلمة فموجدة الشر، وأن العبادة وأعمال البر والكلام الطيب من خير النور وهي تقرِّب إليه، وتخلِّصُ من شر الظلمة، كما يعتقد أن أول نبيٍّ أرسله الله للخلق هو آدم ﵇ وهو أبو البشر، وأن زرادشت من الأنبياء، وأن المسيح ﵇ كلمة الله وروحه، وخاتم الأنبياء يكون في أرض العرب، وأن الدنيا في آخر زمانها، وقد تبع ماني في شره خلقٌ كثير، انتهى به الأمر إلى أن قتله ملك فارس في زمانه وصلبه، وقتل أتباعه إلا من هرب.[2]

و يلاحظ من خلال الاطلاع على سير ومعتقدات هذه الطوائف ومؤسسيها؛ بطلان عقائدها وكفرها، وأن مؤسسيها يزعمون النبوة لأجل قبول دعوتهم بين عامة الناس، وقربهم من سلطان زمانهم لينالوا حظوته، لكن أمرهم لا يدوم، وزندقتهم لا تطول، وإن نالوا ما يريدون أول أمرهم، فإن الواقع ينقلب عليهم فتلحقهم اللعنات والغضب ولا يموتون إلا قتلاً، ببطلان معتقداتهم التي يضيقون بها حياة الناس، فسبحان من أرسل رسوله محمداً ﷺ ووصفه بقوله:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[الأنبياء:107]

المطلب الثاني: المجوس في عصر النبوة

كانت المجوسية تنتشر انتشاراً واسعاً زمن البعثة؛ لقوة دولة فارس التي كانت تدين بها، فقد كانت تمتلك أرض إيران وتمتد إلى خُرسان شرقاً، وغرباً حتى مصر[3]، بحيث أن هذا

---

(1) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل(ج248/1)، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(ص89)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج337/1،318).

(2) انظر: الطبري، تاريخ الطبري(ج398/1)، والشهرستاني، الملل والنحل(ج243/1)، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(ص88)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج299/1).

(3) انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج181/2).

الامتداد يزيد وينقص حسب قوة الدولة وتمكنها من خصمها الوحيد دولة الروم، فقد كان التنازع بينهما شديداً على بسط السيطرة والنفوذ، وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه عن بعض ذلك، فقال ﷻ:﴿ ...**غُلِبَتِ الرُّومُ(2) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3) فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ** ...(4)﴾[الرُّوم]، فهذه الآيات تتحدث عن معركة بين الروم النصارى، والفرس المجوس، كانت الدولة فيها للفرس الذين هزموا الروم شر هزيمة، وقد كانت هذه الوقعة قبل الهجرة للمدينة، ثم أُعيدت الكرة للروم في أقل من عشر سنوات[1]، كما كان للمجوسية تواجدٌ في جزيرة العرب، حيث كانت في البحرين واليمن، فقد كانتا تحت حكم الفرس، أما اليمن فقد كانت المجوسية في جيش الفرس ونسلهم الذين كانوا يسيطرون على اليمن لصالح ملكهم كسرى، وأما البحرين فكانت أعداد معتنقي المجوسية فيها أكثر؛ لقربهم من بلاد فارس، كما كانت في بعض الفرس الذين دخلوا الجزيرة للتجارة والعمل، كمن كانوا في اليمامة وعُمان، ولم تكن لهم سيادة سياسية بل كانت للقبائل العربية، كما كانت المجوسية في أشتاتٍ من العرب، والسبب في ذلك أن الفرس لم يهتموا بدعوة الناس لدينهم.[2]

كانت الأوضاع الاجتماعية عند الفرس سيئةً بسبب العقيدة المجوسية التي كان يتبناها ملوكهم، وكانوا يلزمون أهل عرقهم عليها في بعض الأحيان، فتارة يرفعون من شأن العظماء والسادة والأغنياء على حساب الفقراء، ولا يسمحون للفقراء وأهل الطبقة البسيطة في المجتمع بالرقي والترفع عن دناءة حالهم، وتارة يكون العكس مع إلزام الناس بالاشتراك في النساء والأموال.[3]

كما كانت نزعة الغرور والكبر تظهر على ملوك المجوس، فتدفعهم للتعالي على الناس واحتقارهم، مما كان يسبب لهم سوء العاقبة[4]، لذلك لم يكن غريباً على ملكهم الذي راسله النبي ﷺ يدعوه إلى توحيد الله وعبادته أن يمزق الرسالة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: " أَنَّ رَسُولَ

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج303/6)، السعدي، تفسير السعدي(ص636).

(2) انظر: ابن قتيبة، المعارف(ص621)، والبلاذري، فتوح البلدان(ص89،83)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج487/6)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج269/12-271).

(3) انظر: الطبري، تاريخ الطبري(ج462/1)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج364/1،318) و(ج310/2)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج382/2)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(ج190/2)، مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم (ص547).

(4) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج485/6)، مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم (ص485)، والسيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة للصوياني(ج313/3).

اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ...فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ".[1]

فزال بدعوة النبي ﷺ ملك المجوس وسلطانهم، حيث سلط الله على كسرى ولده فقتله وملك مكانه زمناً يسيراً، ولم تلبث دولة المجوس حتى أذلَّهم الله وأخزاهم ونصر أهل الإسلام عليهم، وتهاوت جيوشهم أمام المسلمين في القادسية ونهاوند وغيرها في معارك فاصلة كبرى في التاريخ[2]، فأصبح أهل فارس أحراراً بعدل الإسلام الذي دخل بلادهم وأزال رأس المجوسية، فاختار بعضهم الإيمان، وبعضهم أبى أن يؤمن ورضي بدفع الجزية.[3]

أما المجوس الذين كانوا في جزيرة العرب فقد كانت أحوالهم أفضل ممن كان في بلاد فارس، فمنهم من أسلم، ومنهم من لم يسلم واختار الانقياد بدفع الجزية[4]، ويرجع ذلك لبعدهم عن سلطان المجوس وتأثيره، وقد حذر النبي ﷺ كسرى من هذا لما راسله، حيث قال له في آخر رسالته:{أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْت فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوس}[5]، فقوله ﷺ:{أَسْلِمْ}، أي: ادخل في دين الإسلام، وقوله ﷺ:{تَسْلَمْ}، أي: تسلم من السوء بالإسلام في الدنيا والآخرة، وهي بشارةٌ عامة لكل من دخل في دين الإسلام، وقوله ﷺ:{إِثْمُ الْمَجُوس}، أي: عليك الإثم إن لم تؤمن، وإثم كل من امتنع بامتناعك من تابعيك ورعيتك المجوسية لإذعانهم لك[6]، وهذا يفيد مدى أهمية السلطان وتأثيره على الرعية وتوجيهها.

---

(1) [البخاري:صحيح البخاري، المغازي/ كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر،ج8/6:حديث رقم4424].

(2) انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج528/2)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج417/2،312)، ابن حجر، فتح الباري (ج332/2)، العيني، عمدة القاري (ج28/2) و(ج58/8)، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج536/2،535).

(3) انظر: البلاذري، فتوح البلدان (ص279)، الطبري، تاريخ الطبري (ج458/2)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج116/9).

(4) انظر: البلاذري، فتوح البلدان (ص89)، والحموي، معجم البلدان(ج348/1)، العيني، عمدة القاري (ج29/2)، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج269/12).

(5) الطبري، تاريخ الطبري (ج132/2)، وحسنه الألباني. انظر: تحقيق فقه السيرة للغزالي(ص360).

(6) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج221/8).

المطلب الثالث: الشيعة، وعلاقتهم بالمجوس

ليس من الغريب أن يكون من أسئلة هرقل عظيم الروم لأبي سفيان ﷺ عن أحوال النبي ﷺ "فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ"؟[1]، وذلك لما تعارف عليه البشر واعتادوه أن سقوط السلطان يعني سقوط المُلْك، وأن من سقط مُلْكه فإنه يسعى لإعادته بنفسه إن وسعه ذلك، أو يكون ذلك من أبنائه وحاشيته من بعده، وقد عملت أمريكا جاهدة لتجنب مثل هذا العُرف في زماننا بعد سقوط بغداد بالبحث عن صدام وأبنائه وفلول نظامه وقتلهم؛ حتى تمهد الوضع لتسليم العراق للرافضة ولا يبقي من النظام السابق من يعمل لطلب سلطانهم وعودته.

وقد تجسد عُرْفُ طلب السلطان المفقود في المجوس من أبناء الملوك والأمراء وحاشية كسرى ومن كان متعلقاً بمجدهم بعد سقوط فارس، فلما رأوا أن الإسلام قد استحكمت عراه في بلادهم، بقوة المسلمين ودخول الكثير من رعايا المجوس في دين الله أفواجاً واقتناعهم به، فعملوا على إعادة مجدهم بالقوة، فأحدثوا ثورة بعد مقتل خليفة المسلمين الفاروق عمر ﷺ، فتصدى لهم المسلمون بقيادة خليفتهم الجديد عثمان ﷺ فاخمدوا شرهم وفتنتهم، فعلموا بذلك أنه لا مجال لإعادة مجدهم بالقوة، فدلهم اليهودي اليمني الذي تظاهر بالإسلام عبد الله بن سبأ، الملقب بابن السوداء على سبيل جديد، وهو العمل من خلف ستار، فاستتروا بحب عليٍّ وآل بيته ونصرتهم من ظلم الصحابة لهم ﷺ، وبدأ العمل المشترك بين قطبي الشر، وكانت غالب السهام وقتها موجهة إلى رأس الصحابة والأمة الفاروق عمر ﷺ، فعمر ﷺ هو الذي طرد اليهود عن جزيرة العرب، عملاً بقول النبي ﷺ: {أَخْرِجُوا الْيَهُودَ من جَزِيرَةِ الْعَرَبِ}[2]، وذلك بما اقترفوا وقتها ومن قبل من الكفر والشر، وهو الذي في عهده كسر المسلمون شوكة الفرس المجوس ومزَّقوا جمعهم، ولِعِلْمِ اليهود بوله المجوس تعظيم الملوك وزعم قداستهم؛ اختاروا علياً وآله ﷺ على غيرهم لأن الحسين بن علي رضي الله عنهما، قد تزوج من ابنة آخر ملوك المجوس عندما جاءت زمن الفتوحات الإسلامية مع الأسرى، ومن هنا بدأت الخطوات الأولى لعمل المجوس سيراً على مرسوم اليهود، فكانوا أسبق بحرب الغزو الفكري على المسلمين من النصارى، فابتدعوا عصمة أئمة أهل البيت من ذرية علي ﷺ، وأن الوحي لم ينقطع عنهم، وزعموا كفر الصحابة ﷺ، وتحريفهم للقرآن الكريم، وأنهم سلبوا الخلافة من آل البيت لمن لا يستحق، وأنهم يستحقون التكفير واللعن بذلك، وما كان هذا إلا تشفِّياً ممن أخمد نار المجوسية، وحطم عرش

---

(1)[البخاري:صحيح البخاري، بدء الوحي،باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ،8/1:حديث رقم7].

(2)[الطبراني،المعجم الكبير (ج265/23)]،صحيح.انظر:السلسلة الصحيحة للألباني برقم(1132)،(ج125/3).

حاميها كسرى، ورداً للإسلام، فإن الصحابة هم من حفظ الدين ونقله للناس كافة، فإذا كانوا كفاراً؛ فقد بطل الدين الذي نقلوه؛ لأن رواية الكافر مردودة لا تقبل[1].

وقد توالت شرور وانشطار هذا الفكر وجماعاته، حتى كانت فرق الباطنية التي أضلت عوام الناس، وآذت المسلمين وحلت بهم النَّكبات، كعونهم للتتار في تسليم بغداد وبلاد الإسلام بعدها، ولم يكن لهم دور أبداً في بلاد الإسلام عبر التاريخ إلا العمل على هدم الدين، وعون الكفار الغزاة على المسلمين[2]، وقد تكرر المشهد بعونهم لأمريكا على احتلال العراق وخرابه في زماننا، قال ابن حزم رحمه الله:"جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيراً، ولا فُتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفُع للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويُسِلُّون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين، أما الخوارج والشيعة فأمُرهم في هذا أشهر من أن يُتَكَلَّف ذكره".[3]

يستفاد مما سبق أن الشيعة الرافضة والمجوسية شيءٌ واحدٌ عقيدةً ومنهجاً، وإن فرقنا بين كبارهم ورؤوس جمعهم وعوامهم، فإن العقيدة تبقى واحدةً وهدفها واحدٌ.

المطلب الرابع: المنهج النبوي في تصحيح عقيدة المجوس

لم يجاور المجوسُ النبي ﷺ ولم يباشروا سماعه ومعرفته كأهل الكتاب، لكنهم لم يحرموا من بلوغهم دعوته، وإقامة منهجه فيهم، وقد كان من ذلك ما يلي:

1. **إثبات الوحي وصحة الرسالة بالإنباء عن أمور الغيب**

أخبر الله تعالى أنه استأثر بعلم الغيب لنفسه، وأنه لا يطلع على غيبه أحداً من خلقه، إلا من اصطفاه وارتضاه للنبوة والرسالة، فإنه يطلعه على بعض الغيب، ليكون دليلاً له على

---

(1) انظر: الكليني، الكافي (ج337/1) وما بعدها، الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية (ص77)، والشهرستاني، الملل والنحل(ج172/1)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج477/2)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج102/4)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج219/10)، المجلسي، بحار الأنوار (ج7/46-12)، ظهير، الشيعة والسنة (ص55)، وما بعدها.

(2) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص269،16)، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج171/4)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى(ج129/35-133)، ابن كثير، البداية والنهاية(ج359/17،358)،

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج171/4).

صدق نبوته وصحة رسالته، فقال ﷻ:﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(27) ﴾[الجنّ][1]

وقد حدث هذا للنبي ﷺ لما اغتر كسرى ملك الفرس ومزق كتابه الذي أرسله إليه يدعوه إلى الإسلام، وازداد غروره على تمزيق الكتاب بأن كتب إلى واليه بصنعاء يأمره أن يرسل أميرين قويين لقتل النبي ﷺ، حيث قال في كتابه: "ألا تكفيني رجلاً خرج بأرضك يدعوني إلى دينه، لتكفنيه أو لأفعلن بك، فبعث صاحب صنعاء إلى النبي ﷺ، فلما قرأ النبي ﷺ كتاب صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة، ثم قال لهم:{اذهبوا إلى صاحبكم فقولوا:إن ربي قد قتل ربك الليلة}،...فكان كما أخبر"، وفي رواية قال ﷺ :{ارجعا إلى صاحبكما فأخبراه أن ربي قد قتل الليلة ربه}، فأرخا ذلك عندهما، ثم رجعا سريعاً إلى اليمن، فأخبرا باذام بما قال لهما، فقال: أحصوا تلك الليلة، فإن ظهر الأمر كما قال فهو نبي، فجاءت الكتب من عند ملكهم أنه قد قتل كسرى في ليلة كذا وكذا، لتلك الليلة، وكان قد قتله بنوه".[2]

فلما رأى باذام الحق بهذه الآية؛ أسلم، وأسلم من كان معه من الفرس المجوس باليمن، وأصبح عامل النبي ﷺ على اليمن.[3]

2. توفير الحماية وحُسْنُ الجوار

قال تعالى آمراً نبيه ﷺ:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:6]

في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه ﷺ، وأمته: أنه إن استجار به مشركٌ، أو بأحدٍ من أمته، أي: طلب الأمان، أن يُأمِّنه، ويدفع عنه الضُّر، ليس فقط من القتل؛ بل من كل ضُرٍ؛ لأن الآية لم تبيِّن سبب الاستجارة، فأفاد ذلك عموم الضر، فلعل المشرك بسماعه للقرآن الكريم، وبيان أوامره ونواهيه التي تظهر بإقامتها في السلوك الحسن والأخلاق الحميدة؛ أن

---

(1) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج244/8)، التركي وآخرون، التفسير الميسر(ص573).

(2) البيهقي، دلائل النبوة (ج390/4)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج427/9)، وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني برقم(1429)،(ج414/3).

(3) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج406،428/9)، ابن حجر، فتح الباري(ج93،128/8)

يعرف الإسلام فيُسلم، وإن لم يكن ذلك؛ فينبغي العمل على استمرار الأمان له، وإن طال زمن الاستجارة.(1)

وقد أكد النبي ﷺ على حفظ عهد الأمان والجوار لغير المسلمين، أكان هذا العهد أعطي من سلطان المسلمين أو من عامتهم(2)، فقال ﷺ:{الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ}.(3)

قوله ﷺ:{الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ}، أي: لا فرق في مجتمع المسلمين بين من علا شأنه ومن قل في الدماء وكافة الحقوق، فكلهم سواء، وقوله ﷺ:{يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ}، أي: إذا أعطى ضعفاء المسلمين من أهل الطبقة البسيطة كالأطفال والنساء والعبيد العهد بالأمان لكافرٍ، وجب على جميع المسلمين حفظ عهدهم وإمضاؤه، وقوله ﷺ:{وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ}، أي: وإن كان المسلم مُعطي العهد بعيد الإقامة والبلاد، وجب على المسلمين الوفاء بعهده وإن بعُدوا، طالما أن العهد لا يخالف الإسلام.(4)

من المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يجاور المجوس، ولم يدخل أرضهم، وما دخل الفتح الإسلامي لبلادهم إلا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، لكن الصحابة ﷺ الذين رباهم، وتعلموا على يديه العمل بدين الله تعالى، والعمل له، أقاموا شرع الله تعالى بقيامهم مقام نبيهم ﷺ، والتزام منهجه وأمره؛ بحفظ عهود المجوس والإحسان إليهم، ليُبيِّنوا أن النبي ﷺ رحمة الله للعالمين في الدنيا والآخرة، فكان من ذلك: أن خليفة المسلمين الصديق ﷺ أمر جيش المسلمين ألا يقاتل إلا من قاتلهم، وألا يتعرضون لأحدٍ غيرهم، وأن يحفظوا عهد من يعاهدهم من المجوس ويأمنوهم، ممن أبي الإسلام وقبل بالجزية، وألا يتعرضوا لأموالهم في شيءٍ وإن قل، وألا يقصروا بالإحسان إليهم رغم شدة الحروب التي كانت تدور مع جيوش كسرى(5)، واستمر

---

(1) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج14/4)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج75/8)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج113/4)، السعدي، تفسير السعدي (ص329)، وابن عاشور، التحرير والتنوير(ج118/10).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج76/8).

(3) [أبو داود:سنن أبي داود، الجهاد،باب في السَّرية تردُّ على أهل العسكر،379/4:حديث رقم 2751]، صحيحٌ لغيره.

(4) انظر: الخطابي، معالم السنن (ج313/2).

(5) انظر: الطبري، تاريخ الطبري(ج312،312/2)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج420/2)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج517،520/9).

المسلمون على هذا حتى أنهم كانوا يجددون عهد الصلح لمن نقض العهد وغدر بالمسلمين وقاتلهم، بعد أن يشرعوا في قتاله وقُرْبِ استئصاله.[1]

3. القتال

هذا الأمر كسابقه في أن النبي ﷺ لم يشهد قتال المجوس، لكنه وضع أحكاماً عامة للقتال، وأوجبها على صحابته الذين غزوا بها المجوس وقاتلوهم، وهي للأمة كافة بعدهم، فقد" كان ﷺ "إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ:{اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ...فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ}.[2]

أفاد الحديث: تحريم السرقة من الغنائم، وتحريم غدر العدو إذا عاهد، وحرمة التمثيل بقتلى العدو وتشويه جُثثهم، وتحريم قتل الصبيان الذين لا يقاتلون، ولزوم تخيير الكفار قبل قتالهم، وعدم قتالهم إن نزلوا على الجزية[3]، وعدم إكراههم على الإسلام، فالله تعالى قال:﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...**﴾[البقرة:256]، وأن القتال ليس غاية في الإسلام؛ بل هو آخر سبيل يُعمل به، ليدلل على حرص النبي ﷺ على الناس ورحمته بهم ومنحهم حقوقهم، وأن عسى بمخالطتهم للمسلمين أن يعرفوا الإسلام فيدخلوا فيه، وإن لم يكن ذلك؛ فليأخذوا حقهم ونعيمهم بمتاع الدنيا.

---

(1) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية(ج219/10،172).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها، حديث رقم(ج1731)، (ج1356/3)].

(3) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم(ج31/6)، والنووي، المنهاج (ج37/12)، والصنعاني، التحبير (ج44/3)، الولوي ذخيرة العقبى (ج102/26).

الخاتمة

وبها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تزول العقبات وتتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد: فقد توصلت دراسة موضوع هذا البحث إلى بعض الناتج والتوصيات، كان من أهمها ما يلي:

أولاً: النتائج

1- يقوم منهج النبي ﷺ في دعوته لتصحيح العقيدة على احترام آدمية المدعو وكرامته، ويدلُّ على صدقه ﷺ في حب الخير للناس كافة، وأن يكونوا جميعاً من أهل الجنة.

2- ومنهج النبي ﷺ في تصحيح العقيدة وتبليغها للناس شرعٌ صالحٌ لكل زمانٍ ومكانٍ، يجب على المسلمين الأخذ به، وتقديم جانب اللين والعفو والحوار هو الغالب في تصحيح العقيدة والدعوة إلى الله تعالى في جميع أحكام الإسلام، والعقيدة الصحيحة أساسٌ في كل عملٍ وعبادةٍ يبتغى بها وجه الله تعالى وثوابه، وأنه ينبغي على كل مسلمٍ أن يتعلم عقيدته، وما لا يسع المسلم جهله من أمور دينه، وأن العبد إذا وفق للعلم عرف ما الذي يصلح وما الذي لا يصلح من أمور دينه ودنياه.

3- بين منهج النبي ﷺ للأمة أن العدة والعتاد وحدهما ليسا ميزاناً للنصر والتمكين دون العقيدة الصحيحة، وأن الحرب بين الحق وأتباعه والباطل وأهله قديمة في الناس، ولا زالت إلى أن يشاء الله ﷻ، وما تعرض له النبي ﷺ وأصحابه ﷺ من أذى المنافقين والكفار متواصلٌ على المسلمين بعدهم، وأن من وسائل الأعداء لمحاربة الدعاة إلى الله تعالى وأهل الإسلام الإغراء بعروض الدنيا ومتاعها الزائل، وأن العبد يثبت بعقيدته الصحيحة وإيمانه الصادق في كل المواطن، وإن اجتمع عليه أهل الأرض.

4- كما أفاد المنهج النبوي أن أسباب الانحراف العقدي متعددةٌ، منها: الكبر، والغلو، والتقليد الأعمى، والدعوات الهدامة، واجتيال الشياطين، وإذا حدث الانحراف بها أو بغيرها فإنه يورث العناء في الدنيا والآخرة، وأن شدة انحطاط أحوال المدعوين العقدية والخُلقية لا تمنع من دعوتهم والعمل على تصحيح عقيدتهم وإقامة شرع الله فيهم، وليس ذلك مبرراً لليأس أيضاً، فالنبي ﷺ بدأ دعوته في واقعٍ يغلب عليه شدة الحرص على الكفر وحرب التوحيد، في مكة وما حولها من بقاع الأرض، وأن من تبلغه دعوة النبي ﷺ ويعرفها ولا يؤمن بها؛ فهو كافرٌ مخلدٌ في النار.

5- أن التمهيد لإقامة دولة الإسلام يبدأ بتصحيح العقيدة وتوطيدها في نفوس حامليها، وهذا مقدمٌ على العمل لإقامة الحدود، وأن صحة العقيدة كفيل بالحد من حدوث ما يوجب العقوبات، وإقامتها بلا تكلف إن وقع موجبها، وأن إقامة العقوبة في الإسلام منوطٌ بالضوابط الشرعية التي تمنع التمثيل بالمحدود وتراعي العواقب، وأن المنكر لا يزال بما هو أنكر منه، أو بمنكرٍ مثله، وأن الدعوة إلى تصحيح العقيدة وإقامة الشرع لابد أن تكون على علمٍ وبصيرةٍ، ومن قلت قدرته في ذلك، وجب عليه أن يدعو على قدر معرفته فحسب، مع مراعاة آدمية المدعو واحترامه، وأن من أنواع الابتلاء لأمة الإسلام ابتلاؤها بحكامها، ولا خلاص لها من ذلك إلا بالرجوع للكتاب والسنة.

6- أن العقيدة الإسلامية الصحيحة رحمة لجميع الخلق، وأن القتال في الإسلام ليس لأجل القتال وما ينتج عنه من الغنائم، وإنما هو وسيلة يأتي دورها بعد نفاذ كل الوسائل والأساليب لتصحيح العقيدة وإخراج الناس من ظلمات الكفر وعنائه، إلى نور التوحيد ونعيمه في الدنيا والآخرة، وأن هذا التصحيح لا يقتصر على فئةٍ من الناس؛ بل هو عامٌ يشمل كل أجناس الإنس، كما يشمل أجناس الجن، لكن كيفية وعظ الجن منوطةٌ بالشرع، ويجب أن يشمل التصحيح جميع أركان الإيمان وما يتفرع منها.

7- وبالعقيدة الصحيحة يوفق الله العبد ويستعمله للعمل بدينه، والعمل لدينه؛ ليخرج الناس بإذن ربه من الظلمات إلى النور، وأن الحكم الشرعي في أُمور الأمة العظام؛ هو وجوب توكيل العلماء وأهل الحل والعقد للقضاء فيها، لا للعامة من الناس، ومن ليس بأهل لذلك.

8- ووسائل تصحيح العقيدة والدعوة للإسلام متنوعة، فمنها ما يكون بسلوك الداعي ومعاملاته مع المدعوين، ومنها ما يكون بالعطاء والسخاء على المدعوين، ومعرفة الداعية لأحوال المدعوين وأعرافهم ولهجاتهم ولغاتهم وأساليب تواصلهم، وتقديم الأهم على المهم، ومرعاة حال الضعف للدعاة وحال القوة، وأن العقيدة الصحيحة تعمل على ترابط المجتمع المسلم وحمايته من الخلاف والفرقة.

9- وأن أخذ المسلمين بالأسباب في قضاء أمورهم وحوائجهم يدل على صحة العقيدة في ذلك، ومن ترك الأخذ بالأسباب معتقداً أن هذا نوعٌ من التوكل خصه الله به من دون الناس، فقد كذب على الله تعالى ورد شرعه واستخف بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن الصوفية بمنهج تصوفهم الباطل يدور حالهم ما بين الجهل أو طلب المنافع

المادية وقصد الفرار من مسؤوليات التكاليف الشرعية والدنيوية، أو الطعن في الإسلام باسم التدين والعبادة المبتدعة.

10- وأفاد منهج النبي ﷺ أن أرواح أهل التوحيد تكون على حالين بعد الموت في دار البرزخ، فأرواح أهل الإيمان الذين استقاموا بموجب إيمانهم، فهذه الأرواح تنعم في حياة البرزخ بنعيمٍ دون نعيم الدار الآخرة، ويتزاور أهلها ويتلاقون، ويفرحون بالروح الجديدة التي تأتيهم من دار الدنيا ويستخبرونهم عن أحوال أهلهم ومن كانوا يعرفون في الدنيا، أما العصاة من أهل التوحيد؛ فإن أرواحهم تنشغل بالعذاب بما اقترفوه من المعاصي في الدنيا، وعذابهم متفاوت كلٌ على حسب عمله، وقد يطول زمن العذاب وقد يقصُر في البرزخ، ولكنهم يتميزون عن الكفار أنهم لا يخلدون في النار يوم القيامة إن دخلوها.

11- من صحة العقيدة وسلامتها الإقرار بفضل الصحابة والترضي عنهم والعمل بمنهجهم، وبغض مبغضيهم.

12- أن الغزو الفكري على المسلمين منه ما هو شرقيٌ رافضيٌ، ومنه ما هو غربيٌ نصرانيٌ، وأساس قيامه وابتكاره اليهود، وأن من وسائله أن يتخذ المسلمون منهجاً يحكمون به حياتهم غير منهج الكتاب والسُّنَّة، وأن رعاة الغزو الفكري يعملون وفق برامج منظمة، ودراساتٍ بحثية تعتمد على النظر في مصادر العقيدة الإسلامية وتاريخ الأمة وواقعها، لمعرفة عوامل النهوض والسقوط، وأن أساليبهم متنوعة وممولة برعاية دولية، وأن دعاة اتخاذ مناهج حياة غربية للمسلمين أو غيرها من المناهج المخالفة للشرع؛ يخدمون الغزو الفكري، سواء قصدوا ذلك أم لم يقصدوه، لأن هدف الغزو الفكري الأسمى هو إبعاد المسلمين عن دينهم بمثل هذه الوسيلة.

13- حفل تاريخ الرافضة بالخيانات وجلب الويلات بعونهم للكفار على قتل وتدمير حضارات المسلمين، ولم يثبت أنهم خاضوا حرباً للدفاع عن الإسلام أو المسلمين، لا قديماً ولا حديثاً، وأن دعوتهم قائمة على إعادة عرش كسرى المجوس وملكه تحت ستار التشيع لآل بيت النبي ﷺ.

ثانياً: التوصيات:

للإخوة في وزارة الأوقاف، ووزارة التربية والتعليم، وأولياء الأمور، والإخوة العاملين في حقل الدعوة إلى الله ﷻ، ولكل مسلمٍ يبتغي وجه الله تعالى.

1- يجب العمل على اتباع منهج النبي ﷺ في كافة مناحي الحياة، والعمل على إيجاد العلماء والدعاة المتمكنين في الأمة، والاهتمام بالنشء في كافة مراحل التعليم من خلال المناهج التعليمية، وبالتربية والتوجيه في البيوت؛ لتربيتهم على منهج النبي ﷺ، وتعليمهم سنته، والعمل على إقامة دولة الإسلام القوية وخلافتها؛ لحراسة الدين ورعاية إقامته في المسلمين وسياستهم به، وأن تكون العدة لذلك وفق السُّنَّة النبوية.

2- ينبغي على مُعلمي الناس الخير أن يستحضروا منهج النبي ﷺ في الوعظ، خاصةً في خطب الجمعة، فالمسلمون يميلون بطبعهم للدعاة عند الشدائد والمحن؛ يسترشدون بآرائهم، ويعملون بفتاويهم، فإذا استُبْدِلَ ذلك بالشِّدة، انفض الناس عنهم، وقامت الفجوة بينهم، وهو ما نعيشه اليوم في واقعنا إلا من رحم الله، فالمسلمون اليوم بحاجة لمن يعلمهم ما لا يسع المسلم جهله من أمور العقيدة وفقه العبادات وأحكام الشريعة وأخلاق النبي ﷺ، كي يعبدوا ربهم وفق ما شرع، فإن الدعاة الذين يعملون في مجتمعنا على هذا المنهج قلةٌ قليلة، فلابد من إيجاد حلٍ لذلك.

3- حريٌ بالعاملين في حقل الدَّعوة إلى الله أن يكونوا على منهج النبي ﷺ جوهراً ومظهراً؛ فيكونوا على فطنة وحكمة في بيانهم للمحدثات وردها لنشر السُّنَّة، حتى لا يظن الناس أن الخطاب من هذا النوع هو فقط للطعن في المخالفين وإرضاء خُصمائهم، كما ينبغي العلم بأن السلف وإن كانوا قد اشتغلوا بعلم الجرح والتعديل؛ لكن شغلهم به لم يأخذ كل أوقاتهم وأعمارهم؛ بل كان على قدر الحاجة، وكل جهدهم وجهادهم في الدعوة وتعليم الناس أمر دينهم، ومصنفاتهم وسيرهم، تدلُّ على ذلك، فينبغي على السائرين على طريقهم السير على منهجهم، فهو خير سبيل للفلاح في الدارين بإذن الله تعالى.

4- لابد من إعداد الداعي لنفسه بما يقوي إيمانه بالعلم الشرعي والقيام على الطاعات الواجبة والمستحبة، والوقوف على نصوص الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة في الحكم على مسائل الاعتقاد، والاهتمام بسمته وسلوكه مع الناس لما لذلك من أثرٍ كبيرٍ في قبول دعوتهم ونجاحها، ومراعاة أحواله وأحوال المدعوين، من حيث القوة والضعف والأفهام والأعراف.

5- يجب على المسلمين النهوض والقيام على قدر المسؤولية لمكافحة الغزو الفكري بكل أشكاله ووسائله، وبيان مخططات أهله لكافة طبقات المجتمع المسلم، بما فيهم النشء في مراحل التعليم الأولى، كما ينبغي على من يريدون استبدال منهج القرآن والسُّنَّة، بمناهج الكفار الوضعية التي لم تنجح في بلادها النظر فيما يعملون له، أيقصدون به رد حكم الله تعالى، أم هو جهلٌ منهم بالإسلام، فإن كان الأول فهو كفرٌ، وإن كان الثاني، فينبغي عليهم أن يرجعوا للعلماء ليدلوهم على الحق فيعرفوا ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

6- وفي ضوء التوصيات السابقة يوصى الباحثون بإجراء الدراسات البحثية التالية:

أ- جهود السلف في الحفاظ على العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ب- جهود علماء الحجاز المعاصرين في نشر العقيدة الصحيحة.

ت- جهود علماء الجزيرة العربية في صد الغزوات الفكرية الرافضية.

ث- الجهود المصرية لرد الغزوات الفكرية الغربية.

وأخيراً: أحمد الله ﷻ الذي وفقني لهذا العمل، وأقول "إنّي رأيتُ أنَّه لا يكتبُ إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسنَ، ولو زِيدَ كذا لكانَ يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكانَ أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقصِ على جُملة البَشر"[1]، لأن الكمال لله وحده، فما كان في هذه الدراسة من حقٍّ فبتوفيق من الله ﷻ، وما كان فيها من نقصٍ، أو مخالفة للشرع؛ فمن نفسي ومن الشيطان، أبرأ إلى الله تعالى منه، وعليَّ قبول النصح والتوجيه في تصحيحه.

---

(1) من كلامٍ كتبه القاضي البليغ عبد الرحيم البيساني (المتوفى:597هـ)، معتذراً عن استدركه على العماد الأصفهاني (المتوفى:596هـ). انظر: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، (ج71/1)، وموسوعة القواعد الفقهية، لمحمد صدقي بن أحمد البورنو،(534/1).

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً- القرآن الكريم.

ثانياً- المراجع العربية:

أبابطين، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز (1989م). *الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين*. دراسة وتحقيق: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، الرياض: دار طيبة.

الإباضي، لسالم بن حمد بن سليمان الحارثي العماني (د.ت). *العقود الفضية في أصول مذهب الإباضية*. سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

ابن علان، البكري الصديقي الشافعي. (2004م). *دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين*. تحقيق: خليل مأمون شيحا. ط4. لبنان: دار المعرفة.

ابن أبي العز الحنفي ، أبو جعفر محمد بن علاء الدين الدمشقي (2005م). *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: جماعة من العلماء. تخريج: ناصر الدين الألباني. ط1. مصر: دار السلام – (عن مطبوعة المكتب الإسلامي).

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (1997م). *مسند ابن أبي شيبة* . تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي. الناشر: دار الوطن- الرياض.

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. (2003م). *الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة*. ط1. تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود. الرياض: دار الوطن للنشر.

ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.

الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين (د.ت). *الشريعة*. تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الرياض: دار الوطن.

أحمد، إبراهيم خليل أحمد. (1989م). محمد *في التوراة والإنجيل والقرآن*. مصر: دار المنار.

أرسلان، أمير شكيب. (د.ت). *إخاء أربعين سنة*. قراءة وتعليق: د. مدحت يوسف السبع، القاهرة: دار الفضيلة.

الإشبيلي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري (1987م). *العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ*. تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الإسطنبولي. ط2. بيروت: دار الجيل.

الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل (2005م). *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*. تحقيق: نعيم زرزور. ط1. مصر: المكتبة العصرية.

الأشقر، عمر سليمان الأشقر. (2010م). *وليتبروا ما علوا تتبيرا*. ط1. الأردن: دار النفائس.

الأشقر، عمر سليمان عبد الشقر. (1429هـ). *القضاء والقدر*. الأردن: دار النفائس–، والقاهرة: دار السلام.

الأصبهاني ، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (1999م). *الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة*. تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي. الرياض: دار الراية.

الأصبهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله ابن مهران. (1998م). *معرفة الصحابة*. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط1. الرياض: دار الوطن للنشر.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (1409هـ). *كتاب دلائل النبوة*. تحقيق: محمد محمد الحداد، الرياض: دار طيبة.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب (1980م). *الذريعة إلى مكارم الشريعة*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب (د.ت). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: محمد سيد كيلاني، لبنان: دار المعرفة.

آل الشيخ، سليمان بن عبد الله (2002م). *تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد*. تحقيق: زهير الشاويش. ط1. دمشق: المكتب الإسلامي.

آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد. (2012م). *التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد*. ط1. قطر: دار الإمام البخاري.

آل نعمان، شادي بن محمد بن سالم. (2010م). *موسوعة الألباني في العقيدة*. ط1. صنعاء: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة.

الألباني، محمد ناصر الدين. (1405هـ). *غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام*. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد ناصر الدين(1985م). *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألباني. (2001م). *تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد*. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

الألباني. محمد ناصر الدين. (د.ت). *السلسلة الصحيحة مختصرة*. (د.ط). الرياض: مكتبة المعارف.

الألباني، محمد بن ناصر الدين. (2003م). *التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه*. ط1. جدة: دار باوزير للنشر والتوزيع.

الألباني، محمد ناصر الدين (1421هـ). صحيح السيرة النبوية. ط1. عَمَّان: المكتبة الإسلامية.

الألباني، محمد ناصر الدين (2008م). *صحيح الجامع الصغير وزيادته*. ط5. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد ناصر الدين (د.ت). *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

الألباني، محمد ناصر الدين (د.ت). صحيح *الترغيب والترهيب*. ط5. الناشر: مكتبة المعارف– الرياض.

الألوسي، أبو الفضل محمود بن عبد الله الحسيني البغدادي. (د.ت). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الإنجيل "العهد الجديد". ط1. (1995م). لبنان: جمعية الكتاب المقدس.

الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري. (1404هـ). *الإحكام في أصول الأحكام*. القاهرة: دار الحديث.

الأنصاري ، أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا (1411هـ). *الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة*. تحقيق: د. مازن المبارك، بيروت: دار الفكر.

الباكستاني، إحسان إلهي ظهير. (1979م). *الشيعة والسنة*. ط2. لاهور- باكستان: إدارة ترجمان السنة.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (1978م). *خلق أفعال العباد*. تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة. الرياض: دار المعارف السعودية.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1997م). *صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري. ط4*. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (د.م). دار الصديق للنشر والتوزيع.

البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. الناشر: دار طوق النجاة.

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. (2001م). *القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد. ط3*. الدمام: دار ابن القيم، والقاهرة: دار ابن عفان.

البراك ، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم. (2008م). *شرح العقيدة الطحاوية*. إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس. ط2. السعودية: دار التدمرية.

ابن بطال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (2003م). *شرح صحيح البخاري*. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الثانية.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (د.ت). *الكفاية في علم الرواية*. المدينة المنورة: المكتبة العلمية. تحقيق: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني.

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (1977م). الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب.(د.ت). *الكفاية في علم الرواية*. تحقيق: أبو عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني. المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود. (1997م). *معالم التنزيل*. تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش. ط.4. الرياض: دار طيبة.

أبو البقاء ، محمد بن أحمد ابن الضياء المكي الحنفي (2004م). *تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف*. تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (1403هـ). *فتوح البلدان*. تحقيق: رضوان محمد رضوان بيروت: دار الكتب العلمية.

بن الفوزان، صالح. (1424هـ). *الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة*. جمع وتعليق وتخريج: جمال بن فُريحان الحارثي. ط3. القاهرة: دار المنهاج.

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (2012م). *تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة*. تحقيق: نور الدين طالب، وآخرون، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (د.ت). *الأسماء والصفات*. تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي. ط1. جدة: مكتبة السوادي.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (2003م). *السنن الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.

البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (1988م). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، القاهرة: ودار الريان للتراث.

البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين الخراساني (د.ت). *شعب الإيمان*. تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد وآخرون. ط1. الناشر: مكتبة الرشد–الرياض.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (1985م). *مشكاة المصابيح*. تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي.

التركي، عبد الله التركي (1418هـ). *التفسير الميسر*. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (1998م). *الجامع الكبير "سنن الترمذي"* . تحقيق: د. بشار عواد معروف. ط2. بيروت: دار الجيل ودار الغرب الإسلامي.

التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (1984هـ). *التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"*. (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن تيمية (1997م). *درء تعارض العقل والنقل*. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية ، أبو العباس أحمد (1369هـ). *اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم*. تحقيق: محمد حامد الفقي. (د.ط). القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.

ابن تيمية ، أبو العباس أحمد. (1406هـ). *منهاج السنة النبوية*. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد (د.ت) . *الاستقامة* . تحقيق: د. محمد رشاد سالم. ط1. المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد(2000م). *التدمرية – تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع*. تحقيق: محمد بن عودة السعوي. ط6. الرياض: مكتبة العبيكان.

ابن تيمية. (2001م). *قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة*. تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي. ط1. عجمان: مكتبة الفرقان.

ابن تيمية. (د.ت). *الصارم المسلول على شاتم الرسول*. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المملكة العربية السعودية: الحرس الوطني السعودي.

ابن تيمية ، أبو العباس أحمد (1417هـ). *تلخيص كتاب الاستغاثة*. تحقيق : محمد علي عجال. ط1. المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية.

ابن تيمية ، أبو العباس أحمد (د.ت). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. تحقيق: علي سيد صبح المدني، مصر: مطبعة المدني.

ابن تيمية ، أبو العباس أحمد(د.ت). مجموع *الفتاوى*، تحقيق: خيري سعيد، القاهرة: المكتبة التوقيفية.

ابن تيمية ، أبي العباس. (1413هـ). *شرح عمدة الفقه "كتاب الطهارة والحج*. تحقيق: د. سعود صالح العطيشان. ط1. الرياض: مكتبة العبيكان.

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (د.ت). *تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار*. بيروت: دار الجيل.

الجرجاني، لعلي بن محمد بن علي (1405هـ). *التعريفات*. تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي.

جلي، أحمد محمد أحمد. (1988م). *دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"*. ط2. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

الجُنْدي، أنور سيد أحمد (1974م). *الإسلام والدعوات الهدامة*. ط1. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الجُهني، مانع بن حماد (1420هـ). *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*. الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ط4. الرياض: دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

جواد علي (2001م). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. ط4. (د.م): دار الساقي.

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن(1962م). *ذم الهوى*. تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (1421هـ). *تلبيس إبليس*. ط1. لبنان: دار الفكر.

الجوزية، ابن قيم. (1997م). *أحكام أهل الذمة*. تحقيق: يوسف أحمد البكري، وشاكر توفيق العاروري، بيروت: دار ابن حزم.

الجيزاني، محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ(1427هـ). *معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة*. ط5. الناشر : دار ابن الجوزي.

الجيلي، عبد الكريم بن ابراهيم (د.ت). *الإنسان الكامل في الأوائل والأواخر*. تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحاج، ابن أمير (1996م). *التقرير والتحرير في علم الأصول*. بيروت: دار الفكر.

ابن الحجاج ، أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري. (1981م). *المدخل*. بيروت: دار الفكر.

ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (1986م). *لسان الميزان*. تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ابن حجر ، العسقلاني (1995م). *التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير*. تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب. ط1. مصر: مؤسسة قرطبة.

ابن حجر ، العسقلاني. (1984م). *تهذيب التهذيب*. ط1. بيروت: دار الفكر .

ابن حجر، أبو الفضل أحمد العسقلاني. (1415هـ). *الإصابة في تمييز الصحابة*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (2003م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري تحقيق: محمود بن الجميل، مصر: مكتبة الصفا.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي (د.ت). *فتح الباري شرح صحيح البخاري* بيروت: دار المعرفة.

ابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (د.ت). *الفصل في الملل والأهواء والنحل.* القاهرة: مكتبة الخانجي– القاهرة.

حسون، علي (د.ت). *عوامل انهيار الدولة العثمانية.* دمشق: المكتب الإسلامي.

الحكمي، الحافظ بن أحمد بن علي. (1422هـ). *أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة.* تحقيق: حازم القاضي. ط2. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الحلبي، علي بن برهان الدين (1400هـ). *السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون.* بيروت: دار المعرفة.

الحملاوي ، عمر العرباوي (1984م). *كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد».* الناشر: مطبعة الوراقة العصرية.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (د.ت). معجم *البلدان* . بيروت: دار الفكر.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (2001م). مسند *أحمد*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الخزي، خليفة بن بطاح (2011م). *الليبراليون الجدد.* القاهرة: دار الأوائل للطباعة والنشر.

ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق. (1994م). *كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل.* تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان. ط5. السعودية: مكتبة الرشد.

الخضر، محمد سالم. (2007م). ثم أبصرت الحقيقة. ط2. (د.ن).

الخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد بن الخطاب البستي. (1932م). *معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود.* ط1. حلب: المطبعة العلمية.

ابن خلدون ، أبو زيد ابن خلدون الحضرمي (1984م). *مقدمة ابن خلدون.* بيروت: دار القلم.

ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (1984م). *تاريخ ابن خلدون*. بيروت: دار القلم.

الخلف، سعود بن عبد العزيز. (2004م). *دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية*. ط4. الرياض: مكتبة أضواء السلف.

الخميس، محمد بن عبد الرحمن. (1992م). *اعتقاد الأئمة الأربعة*. ط1. المملكة العربية السعودية: دار العاصمة.

الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (د.ت). *سنن الدارقطني وبذيله التعليق المغني على الدارقطني*. مؤلف التعليق: محمد شمس الحق العظيم آبادي (المتوفى:1329هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط1. الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت.

الدارمي، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي، الدارمي البُستي (1993م). *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط مع إضافة أحكام الشيخ الألباني على الأحاديث. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو داود السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي (1408هـ). *كتاب المراسيل*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو داود السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي(2009م). *سنن أبي داود*. تحقيق: شعَيب الأرناؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي. ط1. الناشر: دار الرسالة العالمية.

الدمشقي، عبد الودود يوسف(1974م). *قادة الغرب يقولون «دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ»*. (د.ط). (د.ن).

الذهبي، أبو عبد الله (1995م). *العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها*. تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود. ط1. الرياض: مكتبة أضواء السلف.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز (1985م). *سير أعلام النبلاء*. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط3. الناشر: مؤسسة الرسالة.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب فخر الدين (1992م). *المحصول في علم الأصول*. تحقيق : طه جابر فياض العلواني. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (1402هـ). *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين*. تحقيق: علي سامي النشار، بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي(د.ت). *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الرافضي، أبي القاسم الموسوي الخوئي. (1410هـ). *منهاج الصالحين*. ط28. الناشر: مهر– قم،

الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق ابن عبد القادر. (د.ت). *تاريخ آداب العرب*. لبنان: دار الكتاب العربي.

ابن رجب ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (1997م). *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الرحيباني، مصطفى السيوطي(1961م). *مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى* دمشق: المكتب الإسلامي.

رضا، محمد رشيد بن علي (1990م). *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

رضا، محمد رشيد بن علي (د.ت). *مجلة المنار* . عدد المجلدات (35).

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (1998م). تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي. دراسة وتحقيق: د. سيد عبد العزيز و د. عبد الله ربيع–جامعة الأزهر. ط1. مصر: مكتبة قرطبة.

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (2000م). *البحر المحيط في أصول الفقه*. تحقيق: د. محمد محمد تامر. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزركلي، خير الدين بن محمود ابن فارس الدمشقي (2002م). *الأعلام*. ط5. بيروت: دار العلم للملايين.

الزمخشري، محمود بن عمر(د.ت). *الفائق في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. لبنان: دار المعرفة.

الزهراني، علي بن بخيت(1998م) . *الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر وآثارهما في حياة الأمة* (رسالة ماجستير منشورة). ط2. مكة المكرمة: دار طيبة.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى. (د.ت). زهرة التفاسير. لبنان: دار الفكر.

السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم (د.ت). *تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان*. مصر: مطبعة الإمام.

السبكي، أبو الحسن علي بن عبد الكافي (1404هـ). *الإبهاج في شرح المنهاج*. تحقيق: جماعة من العلماء . ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سحمان، سليمان بن سحمان بن مصلح الخثعمي العسيري النجدي الحنبلي. *الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية*. تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، الرياض: دار العاصمة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (1420هـ). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "تفسير السعدي"*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي. (1995م). *الرد على الجهمية*. ط2. الكويت: دار ابن الأثير، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر.

السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي(1982م). *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين.

السقا، محمد الغزالي. (1427هـ). *فقه السيرة*. خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. ط1. دمشق: دار القلم.

السَّقَّاف، علوي بن عبد القادر (2006م). *صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة*. ط3. السعودية: الدرر السنية – دار الهجرة.

السلمان. فهد بن ناصر بن إبراهيم (1413هـ). مجموع *فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين*. الناشر: دار الوطن – دار الثريا.

السندي، أبو الحسن محمد بن عبدالهادي (1986م). *حاشية السندي على سنن النسائي*. تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

السندي، أبي الحسن محمد بن عبد الهادي (د.ت). *حاشية السندي على سنن ابن ماجه*. بيروت: دار الجيل .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). *تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي*. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

الشاطبي ، إبراهيم بن موسى الغرناطي (1992م). *الاعتصام*. تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. ط1. الناشر: دار ابن عفان، السعودية.

الشافعي، ابن علان محمد بن على بن محمد البكري الصديقي. (2004). *الفتوحات الربانية على الأذكار النووية*. تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشافعي، أبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني. (1999م). *إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة*. تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط1. الرياض: دار الوطن.

الشبلي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحنفي (د.ت). *آكام المرجان في أحكام الجان*. تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، القاهرة: مكتبة القرآن.

الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (د.ت). *مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج*. بيروت: دار الفكر.

الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي(د.ت). *الطبقات الكبرى* (د.ن).

الشعراوي، محمد متولي. (1997م). *تفسير الشعراوي–الخواطر*. مصر: مطابع أخبار اليوم.

شلبي، أحمد شلبي. (1988م). *مقارنة الأديان اليهودية*. ط8. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الشنطي، عماد الدين عبدالله. (2008م). *دراسات في الأديان*. ط2. غزة: دار المنارة.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: دار الفكر.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. *العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ*. تحقيق: خالد بن عثمان السبت. ط2. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (1404هـ). *الملل والنحل*. تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.

الشوكاني، محمد بن علي (1998م). *أدب الطلب ومنتهى الأرب*. تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، بيروت: دار ابن حزم.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1995م). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية*. تحقيق: الشيخ هشام البخاري والشيخ خُضر عكاري. ط1. بيروت : المكتبة العصرية.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1999م). *إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول*. تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية–دمشق، تقديم: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور. ط1. دمشق: دار الكتاب العربي.

الشيباني. أبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الذهلي. (1417هـ). *الإفصاح عن معاني الصحاح*. تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد. المملكة العربية السعودية: دار الوطن.

الشيباني، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد. (1415هـ). *الكامل في التاريخ*. تحقيق: عبد الله القاضي، ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الصلاح، أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن. (1986م). *معرفة أنواع علوم الحديث "مقدمة ابن الصلاح"*. المشهور بابن الصلاح. تحقيق: نور الدين عتر. سوريا: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر.

الصنعاني. أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح ابن الأمير. (2012م). *التَّحبير لإيضاح معاني التَّيسير*. تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق. ط1. الرياض: مكتبة الرُّشد.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير (1379م). *سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام*. تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح ابن الأمير (2011م). *التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ*. تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم. ط1. الرياض: مكتبة دار السلام.

الصوياني، أبي عمر، محمد بن حمد. (2004م). *السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة*. ط1. الرياض: مكتبة العبيكان.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الشامي (1415هـ). *المعجم الأوسط*. تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين.

الطبراني، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد اللخمي. (1983م). *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. الموصل: مكتبة الزهراء.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (1407هـ). *تاريخ الأمم والملوك – تاريخ الطبري. ط1.* بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير. (2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. الناشر: مؤسسة الرسالة.

الطحان، محمود. (1401هـ). *تيسير مصطلح الحديث*. القاهرة : مطابع دار الحديث.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري(1994م). *شرح مشكل الآثار*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط1. الناشر: مؤسسة الرسالة.

الطويل، توفيق (1946م). *التصوف في مصر إبان العصر العثماني*. مصر: مطبعة الاعتماد.

الطويل، يوسف العاصي إبراهيم(2010م). *الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور- الممارسة- سبل المواجهة)*. ط2. مصر: صوت القلم العربي.

الطيبي ، شرف الدين الحسين بن عبد الله (1997م). *الكاشف عن حقائق السنن*. تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي. ط1. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز.

ظهير، إحسان إلهي(1983م). *البريلوية عقائد وتاريخ*. ط1. باكستان: إدارة تُرجمان السنُة.

ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر الدمشقي الحنفي. (1992م). *رد المحتار على الدر المختار*. ط2. بيروت: دار الفكر.

ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور التونسي (1984هـ). *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*. تونس: الدار التونسية للنشر .

عاشور، سعد عبد الله. (2009م). *التبيان شرح أركان الإيمان*. ط4. غزة مكتبة آفاق. الطبعة

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي النمري. (2000م). *الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار*. تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي المشهور (2003هـ). *جامع بيان العلم وفضله*. تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي. ط1. السعودية: مؤسسة الريان ودار ابن حزم.

ابن عبد البر النمري ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (1387هـ). *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، المغرب: وزارة الأوقاف المغربية.

عبد الراضي بن محمد عبد المحسن. (1421هـ). *الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم*. ط1. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن عبد الوهاب ، سليمان بن عبدالله بن محمد. (1984م). *التوضيح عن توحيد الخلاق*. ط1. الرياض: دار طيبة.

ابن عبد الوهاب ، محمد. (د.ت). *الرسائل الشخصية.* تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، ومحمد بلتاجي، سيد حجاب. الرياض: مطابع الرياض.

ابن عثيمين ، محمد (2006م). *شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين* ﷺ. ط1. مصر: دار ابن الجوزي.

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد. (1428هـ). *الشرح الممتع على زاد المستقنع.* ط1. الناشر: دار ابن الجوزي.

ابن عثيمين، محمد بن صالح. (1424هـ). *القول المفيد على كتاب التوحيد.* ط2. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

ابن العربي ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحسني ابن الوزير القاسمي (1994م). *العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم.* تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن العربي ، محمد بن عبد الله الاشبيلي المالكي (2003م). *أحكام القرآن.* تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عربي، محيي الدين محمد بن على بن محمد (1988م). *التجليات الإلهية.* تحقيق: عثمان إسماعيل يحيى، طهران: مركز نشر دانشكاهي.

عسيري، أحمد بن عبد الرزاق الزاملي(1431هـ)، *منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين.* الرياض: كلية أصول الدين، جامعة الإمام ابن سعود.

العسيري، أحمد بن علي الزاملي (1431هـ). *العقيدة الإسلامية وأسسها*، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

العسيري، أحمد معمور (1996م). موجز *التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر(1417هـ).* ط1. الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

ابن عطاء الله، السكندري (د.ت). *لطائف المنن*. تحقيق الدكتور: عبد الحليم محمود. ط2. القاهرة: دار المعارف.

العظيم آبادي ، أبو الطيب محمد شمس الحق (1968م). *عون المعبود شرح سنن أبي داود*. تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية.

العقاد، عباس محمود (د.ت). *الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون*. ترجمة: محمد خليفة التونسي. بيروت: دار الكتاب العربي.

العمري، أكرم ضياء. (1994م). *السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرةِ* النَّبَوِيَّةِ. ط6. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (د.ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (1997م). المستصفى من علم الأصول. تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الغزي، محمد صدقي بن أحمد بن محمد البورنو. (2003م). *موسوعة القواعد الفقهية*. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن فارس ، أبو الحسن أحمد القزويني الرازي. (1406هـ/1986م). *مجمل اللغة*. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط2. مؤسسة الرسالة– بيروت.

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (1979م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار الفكر.

الفالوذة، أبي إبراهيم، محمد إلياس عبد الرحمن. (1423هـ). *الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، دراسة موثقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علمياً، مرتبة على أعوام عُمْرِ النبي ﷺ"العهد المكي"*. ط1. مكة: مطابع الصفا.

ابن الفراء ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي(1983م). *شرح السنة*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. (1999م). *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد*. ط4. الناشر: دار ابن الجوزي.

الفوزان، صالح. (1423هـ). *كتاب التوحيد*. ط4. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الرافعي(د.ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية.

القاري، أبي الحسن علي بن سلطان محمد الملا. (2002م). *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*. ط1. بيروت: دار الفكر.

قاسم، حمزة محمد(1990م). *منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري*. تحقيق: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط وبشير محمد عيون، دمشق: مكتبة دار البيان، و الطائف: مكتبة المؤيد.

القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (1998م). *إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم*. تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل. ط1. مصر: دار الوفاء.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (1992م). *المعارف*. تحقيق: ثروت عكاشة. ط2. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر الأنصاري (1964م). *الجامع لأحكام القرآن* . تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية.

القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر المصري. (1323هـ). *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*. ط7. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.

القطان، مناع خليل. (1980م). *مباحث في علوم القرآن*. ط9. الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة التاسعة.

القفاري، ناصر بن عبد الله، والعقل، ناصر بن عبد الكريم. (1992م). *الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة*. ط1. الرياض: دار الصميعي.

القنوجي، أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري. (1992م). *فتح البيان في مقاصد القرآن. تحقيق*: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. بيروت: المَكتبة العصريَّة.

القنوجي، صديق بن حسن. (1978م). *أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم*. تحقيق: عبد الجبار زكار. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم ، أبو عبد الله ابن القيم الجوزية. (1973م). *الفوائد*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم ، أبو عبد الله محمد الجوزية (1975م). *إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان*. تحقيق : محمد حامد الفقي. ط2. بيروت: دار المعرفة.

ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (1996م). *بدائع الفوائد*. تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز.

ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجزية(د.ت). *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(1398هـ). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، بيروت: دار الفكر.

ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(1973م). *الفوائد*. الناشر: دار الكتب العلمية.

ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(1986م). *زاد المعاد في هدي خير العباد*. تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، (د.م): مؤسسة الرسالة.

ابن القيم ، أبي عبد الله. (1403هـ). *المنار المنيف في الصحيح والضعيف*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

ابن القيم، أبو عبد الله الجوزية. (1428هـ). *الطرق الحكمية في السياسة الشرعية*، تحقيق: نايف أحمد الحمد. ط1. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(1973م). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(1998م). *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم. (1429هـ). *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*. تحقيق: مُحَمَّد أجمل الإِصْلاَحي، وزائد بن أحمد النشيري. ط1. جدة: مجمع الفقه الإسلامي. جدة: دار عالم الفوائد.

ابن القيم. (1429هـ). *القصيدة الميمية بتعليق الشيخ العثيمين*. ط1. القصيم: مؤسسة العثيمين الخيرية.

ابن القيم. (1429هـ). *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*. ط1. تحقيق: عثمان جمعة ضُميرية. جدة: مجمع الفقه الإسلامي.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (1973م). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (1975م). *الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (1987م). *جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. الناشر دار العروبة– الكويت.

ابن القيم، الجوزية. (1394هـ). *طريق الهجرتين وباب السعادتين*. ط2. القاهرة: دار السلفية.

ابن القيم، الجوزية. (1992م). *روضة المحبين ونزهة المشتاقين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (1997م). *البداية والنهاية*. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر. ط1. الجيزة: هجر للطباعة والنشر.

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (1999م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. الناشر: دار طيبة.

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل. (1971م). *السيرة النبوية*. تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت: دار المعرفة.

الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد. (1981م). *الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. (1998م). *كتاب الكليات*. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة،.

الكُليني ، محمد بن يعقوب (د.ت). *الكافي*. تحقيق:علي أكبر الغفاري، طهران:دار الكتب الإسلامية. ط5. المطبعة: حيدري.

الكوفي، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (1409هـ). *المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد.

الكويتي، أبي حذيفة نبيل بن منصور البصارة. (2005). *السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري*. ط1. بيروت، لبنان: مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان.

كيستلر، آرثر. (1991م). *القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم*، (ترجمة أحمد نجيب هاشم). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

لوشاتليه ، ألفريد (د.ت). *الغارة على العالم الإسلامي*. ترجمة وتلخيص: مُساعد اليافي ومُحبُّ الدين الخطيب. ط2. القاهرة: منشورات العصر الحديث.

ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (2009م). *سنن ابن ماجة* . تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط1. الناشر: دار الرسالة العالمية.

المالكي، أبي عبد الله محمد بن علي التَّمِيمي المازري. (1988م). *المُعْلم بفوائد مسلم*. تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر. ط2. الناشر: الدار التونسية للنشر

المباركفوري. أبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام الرحماني. (1984م). *مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*. ط3. الهند: إدارة البحوث العلمية بالجامعة السلفية.

المباركفوري، أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (1963م). *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*. تحقيق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف. ط2. المدينة المنورة: المكتبة السلفية–المدينة المنورة.

المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي(د.ت)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (الجزء الثاني والعشرون– المزَارُ)، تحقيق: ونشر مؤسسة احياء الكتب الإسلامية– إيران – قم، عدد الأجزاء(25).

المُجمَّمي ، محمد بن موسى. (1433هـ). *التّنصير عبر الخِدمات التفاعليّة لشبكة المعلومات العالميّة – دراسة عقديّة* (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الملك سعود، السعودية.

مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى زمن. ط6. (1996م). جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

أبو المحاسن، يوسف بن موسى بن محمد المَلَطي الحنفي (د.ت). *المعتصر من المختصر من مشكل الآثار.* (د.ط). بيروت: عالم الكتب .

المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر(د.ت) *تفسير الجلالين* . ط1. القاهرة: دار الحديث.

المدخلي، ربيع بن هادي. (1431هـ). *الثبات على السُّنَّة.* ط1. الجزائر: دار الميراث النبوي.

المدني، الإمام مالك بن أنس الأصبحي. (د.ت). *المدونة الكبرى.* تحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية.

مراد، محمد. (2002م). *الرحمة الهابطة.* الناشر: مكتبة الحقيقة تركيا.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م). *تفسير المراغي.* ط1. مصر: شركة مصطفى البابي الحلبي.

المرجة، موفق بني المرجة.(1984م). *صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية.* الكويت: أحمد عبد الله الفليج، مؤسسة صقر الخليج.

المروزي، أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام المعروف بالكوسج (2002م). *مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه. ط1.* الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: عمادة البحث العلمي.

المزوزي، أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك. (د.ت). *الزهد والرقائق "يليه مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ"*. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: دار الكتب العلمية.

المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين (1938م). *التنبيه والإشراف*. تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة: دار الصاوي.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (2001م). *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*. تحقيق: د. أبو القاسم امامي، نبذة الكتاب بقلم: زهير ظاظا.

مصطفى، ابراهيم وآخرون (د.ت). المعجم الوسيط. تحقيق: مجمع اللغة العربية، مصر: دار الدعوة.

أبو المظفر، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الذهلي الشيبانيّ (1417هـ). *الإفصاح عن معاني الصحاح*. تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، (د.م): دار الوطن.

المظفر، محمد رضا، عميد ومؤسس كلية الفقه في النجف بالعراق (1422هـ). *عقائد الإمامية*. الناشر: مركز البحوث العقائدية– قم – إيران.

المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن. (1428هـ). *موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية*. ط1. القاهرة: المكتبة الإسلامية.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن مفلح (1999م). *الآداب الشرعية*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة.

المقدسي، أبو محمد . (د.ت). *التحفة المقدسية في مختصر تاريخ النصرانية بدايتها ومنتهاها*. (د.ن).

المقدسي، أبي محمد بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم. (2005م). *العدة شرح العمدة*. تحقيق: صلاح بن محمد عويضة. ط2. الناشر: دار الكتب العلمية.

المقرّي التلمساني، أبو العباس أحمد بن محمد (د.ت). *نَفْح الطِّيب من غُصن الأندلس الرَّطِيب*. تحقيق: د. إحسان عباس. (د.ط). بيروت: دار صادر.

ابن الملقن ، أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري. (2008م). *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. ط1. دمشق: دار النوادر.

المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي(1990م). *التوقيف على مهمات التعاريف* . ط1. القاهرة: عالم الكتب.

المناوي، عبد الرؤوف (1988م). *التيسير بشرح الجامع الصغير*. ط3. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي.

المناوي، عبد الرؤوف. (1994م). *فيض القدير شرح الجامع الصغير*. تحقيق: أحمد عبد السلام. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منصور ، عبد الوهاب. (1978م). *أعلام المغرب العربي*. الرباط: المطبعة الملكية.

ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري(1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

مهران، محمد بيومي. (د.ت). *دراسات في تاريخ العرب القديم*. ط2. الناشر: دار المعرفة الجامعية.

ابن موسى ، محمد بن علي بن آدم. (2006م). *مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجة. ط1*. الرياض: دار المغني.

الميداني، عبد الرحمن حبنكة (2000م) العقيدة الإسلامية وأُسسها. ط9. دمشق : دار القلم.

ابن النجار ، تقي الدين محمد بن أحمد الحنبلي. (1999م). *منتهى الإرادات*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. الناشر: مؤسسة الرسالة.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (2001م). *السنن الكبرى*. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة .

النسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني. (1986م). *السنن الصغرى للنسائي*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ومذيلة بأحكام الألباني. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النقشبندي، أحمد النقشبندي الخالدي. (1997م). *جامع الأصول في الأولياء*. تحقيق: أديب نصرالله. ط1. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

النووي، ابن دقيق العيد، السعدي، ابن باز، العثيمين، صالح آل الشيخ. (1428هـ:2007م). *شرح الأربعين النووية*. خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد. ط1. مصر: مكتبة الصفا.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج* .ط2. بيروت : دار إحياء التراث العربي.

النووي، أبي زكريا بن شرف. (1994م). *التبيان في آداب حملة القرآن*. تحقيق: محمد الحجار. ط3. لبنان: دار ابن حزم.

النيسابوري ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (د.ت). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (1430هـ). *التَّفْسِيرُ البَسِيْط*. تحقيق: الجنة العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط1. الناشر: عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

النيسابوري، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبد الله (1990م). *المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

هراس، محمد خليل (1415هـ). *شرح القصيدة النونية لابن القيم*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (المتوفي:213هـ). *السيرة النبوية*. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بيروت : دار الجيل.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي ابن سليمان (1994م). مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد*. تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي.

الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (1999م). *الزواجر عن اقتراف الكبائر*. تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. لبنان: المكتبة العصرية.

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (د.ت). *كتاب المغازي*. تحقيق: مارسدن جونس، بيروت: عالم الكتب.

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. (1427هـ). *الموسوعة الفقهية الكويتية*. الكويت، تاريخ الطبع: ط2. الكويت: دار السلاسل. ط1. مصر: مطابع دار الصفوة. ط2. طبع الوزارة.

وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر. (1964م). *الأزهر تاريخه وتطوره*. مصر: مطابع الشعب.

الوَلَّوِي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي(1996م). *شرح سنن النسائي المسمى" ذخيرة العقبى في شرح المجتبى"*. ط1. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر.

ياغي، إسماعيل أحمد(1996م). *الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. ط1*. الرياض: مكتبة العبيكان.

أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثُنى التميمي (1984م). مسند *أبي يعلى*. تحقيق: حسين سليم أسد. ط1. دمشق: دار المأمون للتراث .

الفهارس العامة

أولاً – فهرس الآيات الكريمة.

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
17.	﴿ ...وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى...﴾	197	133
18.	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	225	152
19.	﴿ ...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾	228	155
20.	﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...﴾	199	232
21.	﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾	158	234
22.	﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ...﴾	203	238
23.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ...﴾	208	277
24.	﴿ ...مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...﴾	255	298
25.	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ...﴾	34	304
26.	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾	8	112
27.	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ...﴾	40	341
28.	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ...﴾	146	346
29.	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ...﴾	89	350
30.	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾	97	355
31.	﴿ ...كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	101	355
32.	﴿ ...بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ...﴾	90	355
33.	﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	100	355
34.	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ	109	47

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	كُفَّارًا...﴾		
.35	﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ...﴾	113	366
.36	﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	123	368
.37	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾	125	377
.38	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾	256	387
	سورة ال عمران		
.39	﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ .....﴾	164	9
.40	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ....﴾	110	10
.41	﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾	51	21
.42	﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ...﴾	159	36
.43	﴿...وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	69	69
.44	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ...﴾	118	71
.45	﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ...﴾	75	76
.46	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾	58	94

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
47.	﴿ ...حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾	173	132
48.	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ ...﴾	185	137
49.	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا و...﴾	64	148
50.	﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾	2	153
51.	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ...﴾	31	237
52.	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا ...﴾	169	283
53.	﴿ ...بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	196	283
54.	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾	28	306
55.	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا...﴾	188	336
56.	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ...﴾	12	343
57.	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا...﴾	19	352
58.	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾	85	94
59.	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	28	306
60.	﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ.....﴾	50	362
61.	﴿ ...وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	52	368
62.	﴿ ...فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾	61	370
63.	﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا	61	375

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ....﴾		
	سورة النساء		
.64	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾	51	26
.65	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ... ﴾	54	47
.66	﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ ...﴾	171	49
.67	﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ...﴾	89	56
.68	﴿...وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى المُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	141	72
.69	:﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ ...﴾	58	76
.70	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾	59	88
.71	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾	48	90
.72	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ...﴾	136	200
.73	﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾	103	205
.74	﴿...وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ...﴾	58	271
.75	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...﴾	65	272
.76	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ...﴾	83	276
.77	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾	40	280

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
78.	﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ...﴾	69	282
79.	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾	145	325
80.	﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(**138**) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	138- 139	329
81.	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾	142	337
82.	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾	46	342
83.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ...﴾	51	351
84.	﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ ...﴾	171	49
	سورة المائدة		
85.	﴿...لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴾	48	2
86.	﴿...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾	6	7
87.	﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ....﴾	82-83	28
88.	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا	104	37

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيــة	م.
		حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾	
56	64	﴿...كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	89.
56	82	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اليَهُودَ ...﴾	90.
70	51	﴿...وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	91.
77	54	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾	92.
77	9	﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	93.
166	67	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾	94.
166	3	﴿... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ ...﴾	95.
198	49	﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ...﴾	96.
166	3	﴿... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ...﴾	97.
272	65	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...﴾	98.
306	51	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	99.
353	51	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ	100.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـة	م.
		بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾	
366	82–84	﴿...ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(**82**) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...﴾	.101
368	44	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا...﴾	.102
373	5	﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ...﴾	.103
375	17	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾	.104
375	19	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ...﴾	.105
		سورة الانعام	
8	82	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾	.106
95	108	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾	.107
101	50	﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾	.108
151	165	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ	.109

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...﴾		
110.	﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ .....﴾	130	168
111.	﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ ...﴾	82	8
112.	﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ ....﴾	63	202
113.	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ(**162**) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ(**163**)﴾	-162 163	229
114.	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ ...﴾	112	308
115.	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ..﴾	33	311
116.	﴿الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ...﴾	20	346
	سورة الأعراف		
117.	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ ....﴾	138	44
118.	﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ... ﴾	17-16	46
119.	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...﴾	96	77
120.	﴿... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾	59	94
121.	﴿... إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ...﴾	203	98
122.	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ...﴾	187	100
123.	﴿...فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	176	119

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
124.	﴿ ...ورَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾	156	135
125.	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	175	139
126.	﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ...﴾	12	167
127.	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ .....﴾	179	168
128.	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾	172	176
129.	﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ(172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ...﴾	172-173	177
130.	﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ...﴾	180	183
131.	﴿ ...لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ...﴾	40	293
132.	﴿ ...إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ...﴾	156	339
133.	﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ...﴾	31	342
	سورة الانفال		
134.	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾	30	25
135.	﴿ ...وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	74	26
136.	﴿ لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ...﴾	37	78
137.	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ فَإِنِ	39	124

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾		
.138	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾	60	127
.139	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾	24	244
.140	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ...﴾	30	312
.141	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ...﴾	39	322
	سورة التوبة		
.142	﴿...وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ...﴾	47	27
.143	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ...﴾	31	36
.144	﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ...﴾	122	44
.145	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ...﴾	71	70
.146	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ...﴾	123	78
.147	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	128	108
.148	﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(**107**) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ....﴾	107-108	213

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
161.	﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ... ﴾	84	339
	سورة هود		
162.	﴿ ...مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا... ﴾	27	34
163.	﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ ... ﴾	29	44
164.	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا... ﴾	6	127
165.	﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ... ﴾	70-69	133
166.	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ... ﴾	87	208
	سورة يوسف		
167.	﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا .... ﴾	9-8	47
168.	﴿ ...مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ... ﴾	100	47
169.	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ... ﴾	108	97
170.	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾	3	98
171.	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي... ﴾	108	102
172.	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ... ﴾	111	119
173.	﴿ ...إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾	87	135
174.	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي... ﴾	108	136

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.175	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	2	145
.176	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾	106	177
	سورة الرعد		
.177	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	28	78
.178	﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ...﴾	22	186
.179	:﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾	39	279
	سورة إبراهيم		
.180	﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ...﴾	27	14
.181	﴿...يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ...﴾	10	39
.182	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾	4	145
	سورة الحجر		
.183	﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾	99	41
.184	﴿الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ﴾	91	51
.185	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	94	82
.186	﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ(**49**) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ(**50**)﴾	50-49	120
.187	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(**26**) وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(**27**)﴾	27-26	167
	سورة النحل		

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيــة	م.
5	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾	188.
36	43	﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	189.
92	126	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾	190.
5	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾	191.
192	44	﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ...﴾	192.
236	123	﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	193.
306	83	﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا...﴾	194.
سورة الاسراء			
84	59	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ...﴾	195.
93	127	﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ ...﴾	196.
99	85	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	197.
170	57	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ...﴾	198.
263	81	﴿...جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	199.
289	15	﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	200.
295	49	:﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾	201.

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
202.	﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا(4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ف....﴾	7-4	247
سورة الكهف			
203.	﴿...فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	110	78
204.	:﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا﴾	6	109
205.	﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ...﴾	56	120
206.	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ...﴾	50	46
207.	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا(23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ...﴾	24-23	181
208.	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ...﴾	110	193
209.	﴿...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	49	280
210.	﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ...﴾	36-35	304
211.	﴿...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	49	280
سورة مريم			
212.	﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾	87	80

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـة	م.
167	33	﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا ....﴾	213.
300	39	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ...﴾	214.
300	39	﴿ ...وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	215.
سورة طه			
304	116-123	:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى... ﴾	216.
115	43-44	﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(44) ﴾	217.
294	55	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	218.
سورة الأنبياء			
7	25	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	219.
108	107	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	220.
190	13-14	﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى(13) إِنَّنِي أَنَا اللهُ ...﴾	221.
191	5	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾	222.
296	104	﴿ ...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾	223.
297	98	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾	224.
317	101-102	﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا	225.

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	مُبْعَدُونَ(**101**) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾		
.226	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	107	332
	سورة الحج		
.227	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	77	192
.228	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...﴾	78	236
.229	﴿ ...وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾	31	294
.230	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ....﴾	17	378
	سورة المؤمنون		
.231	﴿ ...وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	100	285
	سورة النور		
.232	﴿ ...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	63	ش
.233	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...﴾	21	60
.234	﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...﴾	55	78
.235	﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ و...﴾	22	90

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الفرقان		
236.	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	1	166
237.	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...﴾	63	184
238.	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ و...﴾	58	186
239.	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا...وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾	63-72	242
240.	﴿...وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾	20	249
241.	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	63	349
	سورة الشعراء		
242.	﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾	3	109
243.	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ.... ﴾	65-66	132
244.	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	214	156
245.	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(**88**) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	88-89	297
	سورة النمل		
246.	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ...﴾	54-55	43
247.	﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾	6	52
248.	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ...﴾	65	101

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
249.	﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ(9) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا ...﴾	9-10	134
250.	﴿قُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آَللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ(59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...﴾	59-60	176
سورة القصص			
251.	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ...﴾	38	116
252.	﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ...﴾	50	198
سورة العنكبوت			
253.	﴿الم(1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا ....﴾	1-3	249
254.	﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا ...﴾	2	104
255.	﴿...أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾	45	21
سورة الروم			
256.	﴿الم(1) غُلِبَتِ الرُّومُ(2) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ...﴾	1-4	20
257.	﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	2	14
258.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالحَقِّ ...﴾	68	303
259.	﴿...غُلِبَتِ الرُّومُ(2) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3) فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ...﴾	2-4	20
سورة لقمان			
260.	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا... ﴾	21	37

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
261.	﴿ ...يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	79
	سورة الأحزاب		
262.	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا	21	ث
263.	﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾	25	26
264.	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ....﴾	68-66	37
265.	﴿ ...وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	97	42
266.	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾	67	56
267.	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	72	76
268.	﴿ ...وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾	43	136
269.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(**41**)وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	42-41	192
270.	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	56	203
271.	﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾	61	324
272.	﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ...﴾	13	328
273.	﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ...﴾	60	330
274.	﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ	27-26	345

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا(**26**) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ...﴾		
	سورة سبأ		
.275	﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾	28	150
.276	﴿... فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا – لِلَّذِي قَالَ- الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾	23	188
.277	﴿...جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾	49	365
	سورة فاطر		
.278	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	6	59
.279	﴿...لله الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...﴾	10	189
	سورة يس		
.280	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾	78	311
	سورة ص		
.281	﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾	4	24
.282	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(**71**) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	71-76	34
.283	:﴿...رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ	35	171

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيــة	م.
		بَعْدِي...﴾	
سورة الزمر			
145	28	﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	284.
168	71	﴿ ...أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ...﴾	285.
294	68	﴿ ... ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾	286.
309	3	﴿ ...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى...﴾	287.
سورة غافر			
سورة فصلت			
86	5-1	﴿ حم(1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ل ...﴾	288.
332	34	﴿ ...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾	289.
سورة الشورى			
39	25	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	290.
78	45	﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ...﴾	291.
98	52	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي...﴾	292.
108	128	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ...﴾	293.
185	11	﴿ ...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾	294.
237	3	﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ...﴾	295.

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
296.	﴿ ...أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ... ﴾	13	256
297.	﴿ حم(1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	2-1	316
298.	﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾	13	316
299.	﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	43	320
	سورة الزخرف		
300.	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾	87	177
	سورة الجاثية		
301.	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ... ﴾	23	198
302.	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ... ﴾	24	309
	سورة الاحقاف		
303.	﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ... ﴾	35	111
304.	﴿ ...وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾	3	304
	سورة محمد		
305.	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ... ﴾	19	98
306.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	7	264
307.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾	9	305
	سورة الفتح		
308.	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ	29	249

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
320.	﴿ ...رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ...﴾	27	242
321.	﴿ ...لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ...﴾	10	247
	سورة المجادلة		
322.	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ...﴾	22	70
323.	﴿ ...يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾	11	151
324.	﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	6	294
	سورة الحشر		
325.	﴿ ...وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾	7	ك
326.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	11	27
327.	﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ...﴾	2	344
	سورة الممتحنة		
328.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ...﴾	1	236
329.	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ...﴾	4	236
	سورة الصف		
330.	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾	8	55
331.	﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾	69	56
332.	﴿ ...قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ...﴾	14	362

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
333.	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ...﴾	6	362
	سورة المنافقون		
334.	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾	3	305
335.	﴿...لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ...﴾	8	332
336.	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾	1	334
337.	﴿...كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ...﴾	4	336
	سورة التحريم		
338.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ...﴾	6	157
	سورة الملك		
339.	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	15	126
	سورة القلم		
340.	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	4	315
	سورة الجن		
341.	﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	6	173
342.	﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ...﴾	14-15	170
343.	﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾	11	170

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـة	م.
171	2-1	:﴿ ...إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا... ﴾	344.
171	1	﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ ...﴾	345.
184	19	﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ...﴾	346.
385	27-26	﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾	347.
		سورة المزمل	
84	10	﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾	348.
313	5-1	﴿ يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ(1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا(2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا(3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلًا(4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾	349.
		سورة المدثر	
281	47-38	﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(38) إِلَّا أَصْحَابَ اليَمِينِ(39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ...﴾	350.
313	7-1	﴿ يَاأَيُّهَا المُدَّثِّرُ(1) قُمْ فَأَنْذِرْ(2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾	351.
		سورة القيامة	
52	18-160	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ...﴾	352.
81	18-16	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.... ﴾	353.
		سورة النازعات	
102	11-10	﴿ ...أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ(10) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا	354.

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	نَخِرَةً(11) ﴾		
.355	﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾	11	102
	سورة المطففين		
.356	﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ(7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ(8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ(9)﴾	9-7	293
.357	﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾	18	293
	سورة الانشقاق		
.358	﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾	8	146
	سورة الغاشية		
.359	:﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18) وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(19) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(20)﴾	20	10
	سورة الليل		
.360	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾	5	279
	سورة العلق		
.361	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	1	317
.362	﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾	3	64
.363	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾	3-1	312
	سورة البينة		
.364	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾	5	239

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيــة	م.
سورة الكافرون			
84	3-1	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ(1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ... ﴾	.365
سورة المسد			
84	1	﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾	.366
سورة الاخلاص			
101	2-1	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾	.367
101	3	﴿ لَمْ يَلِد وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾	.368
101	4	﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾	.369

ثانياً- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

الحديث	رقم الصفحة
{ يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ...}	82
{ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةُ...}	153
{ يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا...}	153
{ يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ...}	140
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ...}	296
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا }	190
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ...}	87
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا}	9
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا...}	177
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا}	9
{ يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ... فقال: { اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ }	129
{ يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ...}	151
{ يَا صَبَاحَاهْ، يَا صَبَاحَاهْ ... أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ...}	84
{ يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ...}	96
{ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...}	280
{ يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ}	156
{ يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ...}	165
{ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي...}	116
{ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعًا...}	29
{ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ...}	158
{ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا...}	156
{ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ...}	80
{ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ...}	268

ثالثاً- فهرس الأعلام المترجم لهم.